شرح مراتب الطهارة

الأستاذ داود الصمدي الآملي

نقله إلى العربية وحققه

محمد الربيعي البغدادي

مكتبة
مؤمن قريش
momenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح مراتب الطهارة

من رسالة الوحدة عند العارف والحكيم

تأليف
آية الله الأستاذ العلّامة حسن‌زاده آملي

الشارح
الأستاذ داود صمدي آملي

نقله إلى العربية وحقّقه
محمد الربيعي

صمدي آملي ، داود ، ١٣٤٢
شرح مراتب طهارت / شارح صمدي آملي. ـ نقله إلى العربية / ربيعي بغدادي، محمد، ١٩٨١م ـ
قم: روح و ريحان، ١٣٩٢
ISBN: 978-600-92453-4-5
فهرست نويسي بر اساس اطلاعات فيپا .
كتابنامه به صورت زير نويس .
مندرجات :
ج . ١ . از رساله وحدت از ديدگاه عارف و حكيم ابوالفضائل علامه حسن زاده آملي ـ
١ . عرفان . ٢ . طهارت . ٣ . نفس (اسلام) . الف. عنوان ب. ربيعي بغدادي، محمد ـ مترجم ج . عنوان .
BP ٢٨٦ / ٧ / ٤ ش ٨ ص ٢٩٧ / ٨٣



شرح مراتب الطهارة

تأليف: الأستاذ داود صمدي آملي
نقله إلى العربية وحقّقه: محمد الربيعي
التصحيح اللغوي: الدكتور مصطفى كاظم آل شغيدل
الناشر: روح وريحان
العدد: ١٠٠٠ نسخه
الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م
رقم الإيداع الدولي: ٥ـ٤ـ٩٢٤٥٣ـ٦٠٠ـ٩٧٨
سعر النسخة: ٢٦٠٠٠ تومان
جميع الحقوق محفوظة للناشر

الفهرس

مقدّمة المترجم ١٣
مقدّمة الشارح ١٧

المتن ٢٣

المجلس الأول ٢٩
- ▣ الطهارة الفقهية ٣٥
- ▣ الحقيقة النورانية للوضوء ٣٦
- ▣ الظلمة ليس لها حقّ ملاقاة النور ٣٨
- ▣ نكتة في فهم القصص القرآني ٣٨
- ▣ تطبيق الوقائع القرآنية على السير الإنساني ٤١
- ▣ تطهير البدن سببه الاقتراب من شجرة الدنيا ٤٦

المجلس الثاني ٤٩
- ▣ الوضوء هو الطهارة من التدنّس القهري من المحيط ٥١
- ▣ الوضوء ماحي الآثار التكوينية للتدنّس ٥٣
- ▣ الوضوء حافظ الحالات الروحية للإنسان ٥٤
- ▣ الوضوء يصيّر القلب حرم الله ٥٥
- ▣ الوضوء عند العمل بمنزلة التطهّر عند العبادة ٦٠

المجلس الثالث ٦٣
- ▣ ظاهر العالم وباطنه يتأثّران ببعض ٦٥
- ▣ التفاوت بين المال والرزق ٦٧
- ▣ هل يسألون عن الرزق؟ ٧٠
- ▣ البدن معيار تنظيم الرزق الظاهري ٧٢
- ▣ دور الطهارة في تنظيم الرزق ٧٤
- ▣ الدنس ليس له طريق إلى نظام العالَم ٧٦

المجلس الرابع ٨١
- مراتب الطهارة: الطهارة الظاهرية: طهارة البدن ٨٣
- نكات مهمّة في الطهارة الظاهرية للبدن ٨٤
- مسؤولية الآباء تجاه الأبناء ٨٥
- طهارة الحواس: اللسان ٨٩
- طهارة الحواس: العين ٩٢
- كيفية تطهير العين ٩٥

المجلس الخامس ٩٧
- الاعتدال والوسطية في الأمور العملية ٩٩
- تطهير اللسان ١٠٢
- نقل واقعة فيها عِبرة ١١٣

المجلس السادس ١١٧
- الطهارة حين انعقاد النطفة ١١٩
- مجموعة إرشادات للأزواج ١٢٥
- الطهارة في تربية الأطفال ١٢٧

المجلس السابع ١٣١
- طهارة القوى العملية للنفس ١٣٣
- دور الدساتير الشرعية في طهارة قوى النفس ١٣٤
- الفقه مقدّمة لتهذيب الأخلاق ١٤٠
- ظهور الطهارة في البدن، وتشكّل ملكة التسليم في النفس ١٤١

المجلس الثامن ١٤٣
- الطهارة الباطنية: طهارة الخيال ١٤٥
- السيطرة على قوّة الخيال يبدأ من الطفولة ١٤٨
- تطهير قوّة الخيال من الظنون الفاسدة ١٥٠
- في أن مناماتنا هي تمثّلات ملكاتنا ١٥٤
- تطهير قوّة الخيال من جولان الآمال والأماني ١٥٤

المجلس التاسع ١٥٩
- تطهير قوّة الخيال من الاعتقادات الباطلة ١٦١

▣ الباعث على تطهير قوّة الخيال ١٦٣
▣ تطهير قوّة الخيال من الظنون الفاسدة ١٦٦
▣ في أن جزاء العمل يُرى في الدنيا قبل الآخرة ١٧١
▣ سهولة تطهير قوّة الخيال عند بعض الناس ١٧٢
▣ البصيرة بعد تطهير قوّة الخيال ١٧٤

المجلس العاشر **١٧٩**
▣ قوّة الخيال محل تجلّي القوّة العاقلة في النفس ١٨١
▣ دور الأستاذ في تطهير قوّة الخيال ١٨٢
▣ أدب الطالب مع الأستاذ ١٨٥
▣ نقل قصّة فيها عِبرة ١٨٨
▣ الأحاديث البرزخية ١٩١
▣ في تنزّل الحقائق ١٩٣
▣ جواب من ينكر تلك الحقائق ١٩٦

المجلس الحادي عشر **٢٠٥**
▣ كلام في ضرورة إصلاح النفس ٢٠٧
▣ في أهمّية كتاب «الهى نامه»؟، و«ديوان» العلّامة ٢٠٨
▣ وجوب محاسبة النفس ٢٠٩
▣ برنامج للعمل ٢٠٩
▣ الأصول الخمسة ٢١٥

المجلس الثاني عشر **٢١٩**
▣ الطهارة موجبة لزيادة الرزق ٢٢١
▣ الباعث الصحيح على العمل الصالح ٢٢٣
▣ الأدب مع الله تعالى ٢٢٥
▣ معنى حقّ الصالحين، وحقّ الطالحين علينا، والتولّي والتبرّي ٢٣٣

المجلس الثالث عشر **٢٣٩**
▣ المجتمع الخيالي، والمجتمع العقلي ٢٤١
▣ النوم مبيّن الصورة الحقيقية للإنسان ٢٤٥
▣ طريق الرشد في كل مكان ٢٤٦

المجلس الرابع عشر **٢٥٥**
▣ تسخير قوّة الخيال بواسطة القوّة العاقلة ٢٥٧
▣ في رؤية الإنسان حالاته في النوم ٢٦٠
▣ في تجسّم الأعمال ٢٦١

المجلس الخامس عشر **٢٦٧**
▣ التفكّر في نظام العالم من أفضل طرق تطهير قوّة الخيال ٢٦٩
▣ تقيّد الإنسان بالعقائد العامّية ٢٧١
▣ ديننا يصنع الإنسان وحاوٍ لكل ما يحتاج ٢٧٦

المجلس السادس عشر **٢٨١**
▣ التفكّر موجب لكشف الأسرار ٢٨٣

المجلس السابع عشر **٢٩١**
▣ طهارة الذهن ٢٩٣
▣ طهارة العقل ٢٩٥

المجلس الثامن عشر **٣٠١**
▣ طهارة القلب ٣٠٣
▣ قلب الإنسان في تقلّب دائم ٣٠٤
▣ تشتّت القلب موجب لسلب الإرادة ٣٠٨

المجلس التاسع عشر **٣١٥**
▣ التقلّبات القلبية ٣١٧
▣ العرفاء مقيمون في مقام عندية الحقّ ٣٢٠

المجلس العشرون **٣٣١**
▣ القلب مأوى الحقّ ٣٣٣
▣ حاكمية الوحدة في القلب ٣٣٤
▣ وجوب انتخاب برنامج واحد عند أستاذ واحد ٣٣٧

المجلس الواحد والعشرون **٣٤٣**
▣ منافاة التوحّد مع التعلّق ٣٤٥

▣ أجعل من نفسك معيار نفسك ٣٤٦
▣ الأستاذ الحقيقي ٣٤٨

المجلس الثاني والعشرون ٣٥١
▣ مانعية قوّة الخيال من فهم الآيات والمسائل العلمية الأخرى ٣٥٣
▣ مانعية قوّة الخيال في المسائل العلمية ٣٥٥
▣ طريق تطهير قوّة الخيال ٣٥٨

المجلس الثالث والعشرون ٣٦٣
▣ الخيال قوّة لتصوير المعاني ٣٦٥
▣ في أن التمثّلات مطابقة لأغراض السلّاك ٣٦٩
▣ كلما كانت المراقبة أقوى كانت التمثّلات أصفى ٣٧٣

المجلس الرابع والعشرون ٣٧٩
▣ تطهير الروح عمّا سوى الله تعالى ٣٨١
▣ تطهير الروح ومقام الهَيَمان ٣٨٨

المجلس الخامس والعشرون ٣٩٣
▣ تطهير الروح عن كل طلب ٣٩٥
▣ معظم الآيات تخاطب عموم الناس ٣٩٧
▣ العالَم خير محض ٣٩٨

المجلس السادس والعشرون ٤٠٥
▣ طهارة الروح، والتوحيد الصمدي المحض ٤٠٧

المجلس السابع والعشرون ٤١٥
▣ طهارة الحقيقة الإنسانية ٤١٧
▣ كل شخص يأخذ من الحقّ بما يطابق جدوله الوجودي ٤٢٤

المجلس الثامن والعشرون ٤٢٩
▣ سِرّ الإنسان، واشتقاق هذه المرتبة في الآيات القرآنية ٤٣١
▣ شهود إنزال الآيات القرآنية في مرتبة السِرّ ٤٣٣
▣ المراتب الوجودية للقرآن عند رسول الله ﷺ ٤٣٥
▣ الطريقة الصحيحة لقراءة القرآن ٤٣٧

المجلس التاسع والعشرون ٤٤٣
▣ التذكير بوجوب عدم خلط المباحث ٤٤٥
▣ أنواع ارتباط الإنسان بالله تعالى ٤٤٥
▣ سعة الرحمة الإلهية ٤٤٩
▣ تفسير لطيف لباء أول سورة التوبة ٤٥٢

المجلس الثلاثون ٤٥٥
▣ سرّ الإنسان، والربّ المطلق والمقيّد ٤٥٧
▣ طهارة السرّ ٤٥٩
▣ معنى الربّ المطلق، والربّ المقيّد ٤٦١

المجلس الواحد والثلاثون ٤٦٧
▣ تطهير سرّ الإنسان من الأرباب المقيّدة ٤٦٩
▣ انقلاب الذات بواسطة الآخرين ٤٧٤
▣ انقلاب الذات بواسطة نفس الشخص ٤٧٦

المجلس الثاني والثلاثون ٤٨٣
▣ طهارة خاصّة الإنسان ٤٨٥
▣ أنواع التجلّيات ٤٨٦

التكملة ٥٠١
▣ تكملة بحث الطهارة ٥٠٣

تبصرة ٥٠٧

ملحق الأشعار الفارسية ٥١١

الفهارس الفنّية ٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

الصّلاة والسّلام على سيّدنا ومولى العالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين.

قوله تعالى: «فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطهّرين». طلقة لنا مراعاة الطّهارة بمراتبها والأدب مع الله سبحانه ركنان أساسيّان في تهذيب النفس الإنسانية وتزكيتها، حيث أنّ السفراء الإلهيّين وأصحاب النفوس المكتفية تلبّسوا بهذين الركنين ثم أُمروا بإبلاغ الرسالة الإلهية للنّاس وتعليمهم وتزكيتهم بالبيّنات والزبر التي تترتب عليها صناعة النفس الإنسانية. وكلّ البركات تترتب عليها، قوله تعالى: «ولكن يريد ليطهّركم و ليُتمّ نعمته عليكم»، كما قال تعالى في حقّ أهل بيت النبيّ عليهم وعليه الصلاة والسّلام: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهّركم تطهيراً». وقد بحث عن هذه العظيمة الثمينة سيّدنا ومولانا الأجل أبو الفضائل ومعلّم العصر ووحيده العلّامة حسن حسن زاده الآملي أدام الله تعالى ظلّه على رؤوس مشتاقيه في رسالته المسماة ب: «الوحدة عند العارف والحكيم» بمراتبها الظاهرية والباطنية. وقد وفّقنا الله تعالى (وهو حقيقة الحقايق وصورة الصوَر) لشرح موسّع مسمّى ب «شرح مراتب طهارت» بالفارسي ووقع هذا الشرح موقع

القبول للنفوس الشيّقة إلى الكمال . والآن بعد مضي سنوات طويلة وصل هذا الكتاب المستطاب بيد صديقي الأعز الفاضل الألمعي «محمد الربيعي» البغدادي، وقبل تعب ترجمته بالعربي بأسلوب جيّد ورائع ، وبعد ترجمته صحّحه صديق آخر وهو المستقبل للمعارف الحقّة الإلهية من أساتذة جامعة بغداد الكبيرة أعني السيّد الأعزّ الدكتور «مصطفى كاظم شغيدل» أيّده الله تعالى رجاءً منه لله تعالى أن يجعله صدقة جارية والتعرّف بينه وبين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين . وأرجو من الله جلّت عظمته أن يجعل هذا الأثر منّا مورداً لقبوله ومؤثّراً في نفوس المشتاقين بحق محمّد وآله الطاهرين المنتجبين .

١٨/مهر/١٣٩١ الشمسي

٢٢/ذوالقعدة/١٤٣٣ الهجري النبوي

ايران - دار العلم قم المنورة - داود الصمدي الآملي

مقدّمة المترجم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

أمّا بعد، فلا يخفى على أحد ما للطهارة من آثار تشريعية، وتكوينية في نشأتي الإنسان الظاهرة، والباطنة؛ فهي سلاح المؤمن لدفع الشيطان[1]، ومانع من عذاب القبر[2]، وقضاء للحاجة[3]، وتزيد في العمر[4]، والرزق[5]، وصحة البدن[6]، وأن من مات على طهارة مات شهيداً[7]، ومن بات على طهور، كان كأنما أحيى الليل[8]، ومن تطهّر وآوى إلى فراشه

---

١. مستدرك وسائل الشيعة، ج١، باب١٥، ح٩.
٢. وسائل الشيعة، ج١، باب٢، ح٢.
٣. وسائل الشيعة، ج١، باب٦، ح٢.
٤. وسائل الشيعة، ج١، باب١١، ح٣.
٥. مستدرك وسائل الشيعة، ج١، باب١٢، ح٧.
٦. محاسن البرقي، ح٢٢٢.
٧. مستدرك وسائل الشيعة، ج١، باب٩، ح٢.
٨. وسائل الشيعة، ج١، باب٩، ح٣.

بات وفراشه كمسجده[١]، وروي أن روح المؤمن في نومه تروح إلى الله تعالى فيلقاها ويبارك عليها[٢]، وغيرها من الآثار[٣].

ولله الحمد والشكر أنّ منّ الله تعالى علينا بشرف الحضور بخدمة سيّدنا الأستاذ المفدّى صاحب السجايا المحمّدية الرفيعة جناب الشيخ داود صمدي آملي ـ حفظه الله، وتوفيقنا لنعمة الاستفادة من محضره المبارك في «شرح كتاب مراتب الطهارة»، وهو الكتاب الذي كان قد وقع بصري عليه قبل مدّة وجيزة، فترك في نفسي أثراً كبيراً جدّاً، فتفضّل علينا سماحته بشرحه لنا، والإضافة على ما جاء في متنه الفارسي، فقمتُ بترجمة المتن، وتقرير ما كان يلقيه سماحته باللغة العربية، واستخراج ما استطعتُ استخراجه من مصادره ومنابعه، و وضع بعض الحواشي والتوضيحات لما أُجمل فيه وصعب فهمه على العامّة، فخرج ـ بعد أكثر من عام قضيته معه في كل حضر وسفر ـ بهذه الحلّة القشيبة التي ترى، لعلّه يكون نافعاً لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ويجب ـ هنا ـ التنبيه على أمور، منها:

١. جاء هذا الكتاب مختلفاً نوعاً ما عن الأصل الفارسي؛ إذ زاد

---

١. وسائل الشيعة، ج١، باب١١، ح٢.

٢. فعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لا ينام المسلم وهو جنب، ولا ينام إلا على طهور، فإن لم يجد الماء، فليتيمم بالصعيد، فإن روح المؤمن تروح إلى الله عز وجل، فيلقاها، ويبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر، جعلها في مكنون رحمته، وإن لم يكن أجلها قد حضر، بعث بها مع أمنائه من الملائكة، فيردّها في جسده**»، الوسائل، ج١، باب٩، ح٤.

٣. انظر: مرآة الرشاد، للمامقاني، ص ١٣٠ ـ ١٣٤.

الأستاذ ـ حفظه الله ـ كثيراً من المطالب والمباحث، التي لم تكن هناك ـ كما نبّهنا على هذا قبل قليل ـ وقمنا بتقريرها، وتضمينها في متن الكتاب.

٢. ذُكرت الكثير من التوضيحات والبيانات في داخل المتن، أو في الهامش.

٣. إرجاع الكلمات إلى مصادرها ومنابعها الأصلية.

٤. الاستدلال ـ قدر الإمكان ـ بالآيات والروايات كشاهد على البحث المطروح.

٥. تُرجمت الكثير من الأشعار المستخدمة على نحو ما يريد الناظم، وربما اختلف ذلك ـ نسبياً ـ عمّا يبدو من ظاهر الشعر.

٦. أُخذت مجموعة من المباحث التي ذكرها الأستاذ في الجزء الثاني من هذا الكتاب ـ الذي هو مجموعة من المباحث التخصصية في معرفة قوى النفس ـ وأُدرجت في المباحث المناسبة لها في هذا الجزء ـ الذي هو شرح لفصل مراتب الطهارة من كتاب «الوحدة عند العارف والحكيم» لسماحة الأستاذ العلاّمة حسن حسن زاده آملي ـ دامت معاليه ـ لتكون الفائدة أعمّ.

٧. إضافة مجموعة من العناوين الفرعية لتسهيل القراءة والمراجعة.

٨. إضافة مجموعة من الإفادات القيّمة ذات الصلة بموضوع كل بحث مما أجاد به جناب العلاّمة في غير واحد من كتبه النفيسه؛ لذا صار من الحري بهذا الكتاب أن تعاد ترجمته إلى الفارسية.

وأخيراً أقول: إلهي، وسيدي، ومولاي، وربّي إني ابتهل إليك بكل شراشر وجودي، وأسألك أن تتقبّل منّي هذا القليل بقبولٍ

حسن، وتنبته نباتاً حسناً، وتجعل أجره، وفيضه، وبركاته بميزان أعمال أساتذتي الكرام، ولاسيما أستاذي، وسندي، وعمادي، مولاي الحاج داود صمدي آملي ـ روحي فداه، وأستاذه المكرّم علّامة العصر أبو الفضائل آية الله العظمى حسن حسن زاده آملي ـ دام ظله الوارف ـ وأساتذته الكرام، ووالديّ؛ إنك وليّ كل خير ونعمة، وأنت أرحم الراحمين.

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الخالص والجزيل للأخ العزيز، والصديق الحميم الدكتور مصطفى كاظم آل شغيدل لتجشّمه مشقّة التصحيح اللغوي لكلمات الكتاب، فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

العبد المذنب، الراجي عفو ربّه الغفور الرحيم

محمد الربيعي

دار العلم قم المقدسة

مقدّمة الشارح

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والحمد، والثناء لعين الوجود، ثمّ الصلاة والسلام على واقف مواقف الشهود سيّدنا أبي القاسم محمد، وعلى آله أمناء المعبود الطيبين الطاهرين

قال تعالى: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾[1]، نقل أمين الإسلام الطبرسي رحمه الله في تفسيره «مجمع البيان» في ذيل الآية المذكورة من سورة الإنسان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**يطهّرهم عن كل شيء سوى الله تعالى؛ إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلا الله**»[2].

وقال الطبرسي بعد نقله الحديث: «رووه عن جعفر بن محمد عليه السلام».

ويستفاد من ذلك أنها منقولة عن جمع غفير من الرواة.

أقول: إن لمعارج الإنسان مدارج امتدّت من فرش العالَم المادّي إلى بطنان عرش عالَم الوجود؛ حتى يسير الإنسان، وبواسطة الطهارة

---

١. الإنسان: ٢١.

٢. الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٦٢٣، ذيل الآية المذكورة.

من الفرش إلى العرش، بل إلى فوق العرش، وتلك المدارج هي مراتب القرآن الكريم الذي لا يمسّه إلا المطهّرون[١]؛ وحتى يصير الإنسان إنساناً قرآنياً لا يمسّه إلا المطهّرون أيضاً[٢].

فالشخص الذي يسير بالمدارج القرآنية سوف يرتقي ويصل إلى القرآن الذي قال عنه تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٣].

و«ذلك» إشارة للبعيد، وهو مقام القرآن عند الله تعالى، وبعد ذلك فالإنسان الذي يصل إلى هناك، سيكون ـ أيضاً ـ «لا يمسّه إلا المطهرون»، وهو الإنسان الذي طهّر نفسه بشكل كامل.

فالإنسان القرآني الطاهر لا يمسّه إلا المطهّرون؛ ولهذا نرى أن الكثير من الصحابة الذين لم يكونوا مستعدّين، ولم يكونوا طاهرين قد رأوا النبي ﷺ، وربّما استفادوا منه أيضاً، ولكنّهم رأوا ظاهر الرسول فقط، ولم يروا الحقيقة المحمّدية التي فاقت مراتب الملائكة المقرّبين، فلم يمسّوا حقيقته ،كما أنهم لم يمسّوا حقيقة القرآن في مراتبه العالية، فكما أن القرآن لا يمسّه إلا المطهّرون ،كذلك الإنسان القرآني، الذي وصل إلى نهاية المدارج القرآنية، والمعارج الإنسانية لا يمسّه إلا المطهّرون أيضاً، وهو الذي وصل إلى أعلى مراتب الطهارة؛ ولذلك يُطلَق عليه «الإنسان الكامل»، و«ولي الله الأعظم»، وهذا الطريق للوصول مفتوح الآن ـ أيضاً ـ لكل مشتاقيه، وكُلّنا دُعينا

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

٢. سيأتي الحديث عن هذا المطلب فيما بعد إن شاء الله تعالى.

٣. البقرة: ٢.

ـ بوساطة أولياء الله تعالى ـ إلى تلك المائدة الإلهية المطهّرة.

ولاشك في أن مراتب الطهارة تنتهي إلى التوحيد الأفعالي، والصفاتي، والذاتي؛ فتوجب النيل والوصول إلى تجلّي الصفات، والأسماء، والذات، وتلك النهاية للطهارة الإنسانية هي التي قد صدرت عن اللسان المبارك لسلالة النبي ﷺ صادق آل محمد عليهم السلام، وكلامه النوري في الحقيقة هو مُسحة من العلم الإلهي، وقبس من نور مشكاة الولاية والرسالة، ونفحة من شميم رياح جنّة الإمامة.

ولهذا نقول على نحو الدعاء: يا طهر، ياطاهر، ياطهور، ياطيهور، ياطيهار[1]، أعطنا، وتفضّل علينا بهذه المرتبة القصوى للطهارة الإنسانية، وعلى كل المشتاقين، والمستعدين لها.

وبالبيان العرشي لمولاي الأجلّ العلاّمة الوحيد حسن حسن زاده آملي ـ روحي فداه ـ حول كلام الإمام عليه السلام في تفسير الآية، قال:

«لم أر، ولم أسمع عن أي عارف في أمّة الخاتم ﷺ من العرب والعجم كلاماً بهذه المرتبة التي وردت عن صادق آل محمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ في الغاية القصوى للطهارة الإنسانية»[2].

إن هذا الكلام كلامٌ فريد في تبيين الطهارة العالية، وهو بمنزلة التفسير للآية الشريفة، وإن هذه الكلمات، والإفاضات للأئمة عليهم السلام هي من معجزاتهم القولية؛ فالحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده بقبول ولايتهم، والتصديق بكلماتهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ﴾، فمن الساقي؟ هو ربّهم. فالساقي

---

١. انظر: النكتة «٧٩٢» من كتاب «هزار ويك نكته»، أي: «ألف نكتة ونكتة» لبيان هذه الكلمات.

٢. أنه الحق، ص٩١، وغيره.

يوم القيامة ـ الذي هو يوم القيامة الإنسانية، وهو يوم ظهور حقائق الأشياء وتجلّيها، واليوم المادّي المتعارف في نشأة الطبيعة، ما هو إلا مظهر من مظاهر ذلك اليوم، واليوم في لسان القرآن، هو التجلّي، والظهور من كل الأشياء ـ هو الله تعالى.

ويسقيهم يوم القيامة ﴿**شَرَاباً طَهُوراً**﴾. فما هو التطهير هنا؟ هو التطهير من كل شيء سوى الله سبحانه وتعالى، حتى من الشخص «المُسقى» نفسه، وحتى من السقاية أيضاً، فلا يبقى لهم أي شيء من الأشياء ـ حتى أنفسهم ـ غير الله تعالى؛ ولذلك قلنا إن الطهارة الإنسانية توجب الفناء في التوحيد الأفعالي، والصفاتي، والذاتي.

لذلك إذا قال لنا شخص: إن العرفاء يقولون بالفناء، فأين مصدرهم في هذه المطالب؟

فنقول: إن مصدرهم هو الآيات والروايات نفسها ـ كما عرفت[1].

---

١. قال سيدنا الأستاذ العلاّمة حسن زاده آملي: جاءني أحدهم ذات يوم إلى المنزل، فأشكل على العرفاء بأنهم لماذا يستخدمون ألفاظاً، وكلمات مثل «السقاية»، و«الخمر» وغيرها في أشعارهم، وكلامهم؟ فسألته أولاً: هل أنت من طلبة العلوم الدينية؟

قال: نعم.

فقمت، وأحضرت كتاب «مجمع البيان»، وأخرجت سورة الدهر، وقلت له مازحاً: هل تقرأ القرآن؟ فإن الطلبة لا يقرأون القرآن، ولكنك ـ إن شاء الله ـ لست كذلك.

فقال خجلاً: إن شاء الله.

ولمّا قرأ هذه السورة، قلت له: إن الله استعمل مفردة «السقي» هنا، وفي آيات أخرى استعمل مفردة «الخمر» فقال: ﴿...**وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ**...﴾، محمد: ١٥، وهكذا، ولابد من أن يكون هناك من يشرب هذا الخمر في الجنّة، وإلا ما الفائدة منه؟

فقال: هذا صحيح.

فقلت له: اطمئن يا سيدي؛ فإن العرفاء أخذوا كلامهم من الآيات، والروايات، فلا تتجرأ عليهم.

ثم بيّن الإمام الصادق عليه السلام في الحديث الشريف قاعدة كلّية، وهي: لأن لكل شيء ـ ما عدا الله تعالى ـ نحواً من التدنّس «**إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلا الله**»، فلا يمكن لنا أن نجد شيئاً لم يتدنّس بشيء من الأكوان إلا الله تعالى، فلا يمكن أن نقول مثلاً ـ والعياذ بالله ـ إن الله شمس، أو إن الله حجر، أو أرض، أو سماء، أو حتى مَلك، أو الصادر الأول؛ فهو الذي لا تدنّس له أصلاً، وهو الطهر المطلق، وطهارته عين ذاته وحقيقته، ومطهّر لغيره، وهو الذي يطهّر يوم القيامة.

أيها القارئ الكريم، إن ما ترى في منظرك هو مجموعة من الإفاضات التي تكلمتُ حولها في مجلس الأنس لشهيد آل محمد صلى الله عليه وآله أبي عبد الله الحسين ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي هو «أبو الطهورا والصفورا»، في أيام المحرّم وصفر في سنة «١٤١٨هـ‍ق»، وقد ذهب من ذلك التاريخ إلى هذا اليوم أربع عشرة سنة، حيث نحن في «١٤٣٢ هـ‍ق».

وينبغي أن تعرف أن لكل واحد من الموضوعات المطروحة في هذا الكتاب مجالاً للبحث والشرح، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

وأقول: أحمد الله حمداً تامّاً أن جعل لي مجالاً للتحدّث مع صديقي الأعز محمد الربيعي «البغدادي» حول مطالب كتاب «مراتب الطهارة» باللغة العربية، كما أن الله تبارك وتعالى قد أشرب التكلّم بالعربية في مكنون قلبي، وبطنان روحي، وهذا المستور، أي: كتاب «شرح مراتب الطهارة» بالكسوة الفارسية يريد أن ينكشف

فأخذ بالكلام على الذين حرّضوه على العرفاء، فنهيته عن ذلك، وقلت له: إن هذا ليس خُلق القرآن، ولكن عليك التدقيق في كلماتهم قبل أن تتكلّم عليهم.

بالكسوة العربية لكل أعزائي العرب، والتمس منهم الدعاء، وأنا أيضاً ـ بالتوفيق الإلهي ـ أسأل الله الخير، والبركة، والارتقاء لكل النفوس المشتاقة للكمالات العالية، والدرجات الرفيعة، والغاية القصوى للطهارة الإنسانية.

يا الله، يا مطهّر، طهّرنا من كل شيء سواك، إلهي، آمين بعدد كلماتك التي لا تُعد ولا تُحصى، آمين.

داود الصمدي الآملي
يوم الجمعة ٢١ / ذي الحجّة/ ١٤٣٢ هـ ق
الموافق ٢٧ / آبان / ١٣٩٠ هـ ش
الموافق ١٣/ نوفمبر / ٢٠١١م
قم المشرّفة

المتن

▣ متن مراتب الطهارة

قال سماحة الأستاذ العلاّمة حسن حسن زاده آملي في كتابه القيّم «الوحدة عند العارف والحكيم»:

«نقول بشأن مراتب الطهارة:

إن طهارة الأرواح، والقلوب باعث على زيادة الرزق المعنوي، وتلقّي العطايا الإلهية على ما ينبغي، قوله تعالى: ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**...﴾[1].

وطهارة الظاهر ـ وبحكم تبعية عالم الصور للأرواح في الوجود والأحكام ـ مستلزمة لزيادة الرزق الحسّي؛ لذا تجب الطهارتان الظاهرية، والباطنية.

أما الطهارة الظاهرية فهي:

طهارة البدن من الأدناس، والقاذورات.

وطهارة الحواس من الخوض في الإدراكات التي لا حاجة إليها.

وطهارة الأعضاء من الخوض في التصرّفات الخارجة عن دائرة الاعتدال، التي هي معلومة بحسب الشرع، والعقل.

ويختصّ اللسان بطهارتين، **إحداهما**: هي الصمت عمّا لا يعني. **والأخرى**: مراعاة العدل فيما يعبّر عنه، فلا يجوز النقص في بيانه، ولا الزيادة عليه.

---

١. الطلاق: ٣.

والطهارة الظاهرية في مراتب القوى العملية للنفس هي مرتبة التجلية، فإن النفس، وبالمراقبة الكاملة تُدخل قوى البدن وأعضاءه تحت انقياد الشرع والنواميس الإلهية؛ فتصير طاعة الأوامر، واجتناب النواهي الشرعية على نحو أكمل؛ حتى تتجلّى النقاوة الصورية، والطهارة الظاهرية في البدن، وقليلاً قليلاً تتحقّق في النفس صفة الانقياد، وملكة التسليم لإرادة الحقّ، ولحصول هذه المرتبة فإن علم الفقه طبق الطريقة الجعفرية الحقّة كافٍ، ومتعهد لهذا الأمر بالنحو الأكمل، والفقه مقدّمة لتهذيب الأخلاق، والأخلاق مقدّمة للتوحيد.

وأما الطهارة الباطنية فهي: طهارة الخيال من الاعتقادات الفاسدة، والتخيّلات الرديئة، ومن جولانه في ميدان الآمال، والأماني.

وطهارة الذهن من الأفكار الفاسدة، ومن التصوّرات غير الواقعية، وغير النافعة.

وطهارة العقل من التقيّد بنتائج الأفكار فيما يختص بمعرفة الحقّ سبحانه، ومعرفة غرائب العلوم والأسرار المصاحبة لفيضه المنبسط على الممكنات.

وطهارة القلب من التقلّب الناشيء من التشعّب، والتشعّب هو بسبب التقاعس الموجب لتشتّت العزم والإرادة.

ويجب أن يكون للقلب همّ واحد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه، فمن طهّر قلبه، نظر الله إليه»[1].

وفي الكافي بإسناده عن سفيان بن عيينة، قال: «سألته ـ يعني أبا

١. تصنيف غرر الحكم، ص٦٧، ح٩٠٦.

عبد الله عليه السلام ـ عن قول الله عز وجل ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[١]؟.

قال عليه السلام: **القلب السليم الذي يلقى ربّه، وليس فيه أحد سواه**»[٢].

وطهارة النفس عن أغراضها، بل وعن ذاتها ـ أيضاً ـ ؛ فهي مصدر الآمال، والأماني، وكثرة الرغبات.

وطهارة الروح من الحظوظ الشريفة المرجوّة من الحقّ تعالى، مثل [حظوظ] معرفته عزّ وجلّ، وقربه، ومشاهدته، وباقي أنواع النعيم الروحاني الأخرى.

يقول الشيخ في النمط التاسع من «الإشارات» في مقامات العارفين: «من آثر العرفان للعرفان، فقد قال بالثاني».

ولذلك يكون العلم حجاباً بحسب هذه الرؤية.

وهذا وجه آخر من معاني «**العلم حجاب الله الأكبر**».

نعم:

(١). لا تكن عبادتك مشروطة بالأجر كما هو حال دعاء المتكدّين؛ فالمولى يعرف كيف يرعى عباده[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«**قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[٤].

وطهارة الحقيقة الإنسانية عن العوز، والافتقار في مقام الجمع

---

١. الشعراء: ٨٩.

٢. أصول الكافي، ج٢، باب الإخلاص، ح٥.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية، وقد ألحقنا الأشعار الفارسية في نهاية الكتاب متسلسلة حسب الأرقام، (م).

٤. محاسن البرقي، ص٣٩، وآثار الصادقين، ج٦، ص٦٩١.

الإنساني، وعن تغيّر صورة ما يأتي للإنسان، وحقيقته من الحقّ سبحانه.

وطهارة سِرّ الإنسان ـ وهو حصّته الوجودية من مطلق التجلّي الجمعي، وبهذه الحيثية يرتبط بالحقّ المطلق، ويستند إليه ـ وطهارة السِرّ تتحقّق باتصاله بالحقّ المطلق، وزوال الأحكام التقييدية التي تعرض عليه بسبب مصاحبته عينه الثابتة، التي هي المجلى القابل للتجلّي، والمقيّد به؛ ذلك لأن مقتضى الحكم الإلهي الحتمي، والسنّة الإلهية الثابتة هو أن يكون كل تجلٍّ وصفاته تبعاً لمجلاه، أي: مرآته، ﴿...**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**﴾[1].

وطهارة خاصّة الإنسان ـ وذلك بعد عبوره مراتب طهارة بدنه، وروحه، وسِرّه ـ، وتتحقّق هذه المرتبة من الطهارة بمقدار تحقّق الإنسان بالحقّ تعالى، وفوزه بالتجلّي الذاتي للحقّ سبحانه.

(٢). أنت، يا حافظ، بنفسك حجاب طريقك؛ فأزل نفسك، فطوبى لمن يسلك هذا الطريق دون حجاب[2].

وهذه المرتبة من طهارة خاصّة الإنسان هي أعلى مراتب طهارته، فلا يبقى ثمة حجاب بعد التجلّي الذاتي، ولا قرار للكاملين إلا بتحقّق هذا التجلّي؛ إذ يحظون حينئذٍ بالحضور الكامل في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويفوزون بالمعية الذاتية المنبسطة على عالمي الغيب، والشهادة، وما يشتملان عليه.

واعلم أن الحقّ سبحانه يتجلّى لك بمقدار ما يفنى منك، ألا ترى أنك تقول في ركوعك: «سبحان ربّي العظيم»، أمّا في السجود فإنك تقول: «سبحان ربّي الأعلى»؟...».

---

١. فاطر: ٤٢.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

المجلس الأول

- المقدّمة
- الطهارة الفقهية
- الحقيقة النورانية للوضوء
- الظلمة ليس لها حقّ ملاقاة النور
- نكتة في فهم القصص القرآني
- تطبيق الوقائع القرآنية على السير الإنساني
- تطهير البدن سببه الاقتراب من شجرة الدنيا

▣ المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا ونبينا أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلينا وعلى عباد الله الصالحين.

هذه أول ليلة من المحرّم لسنة «١٤١٨ق» هجرية قمرية، وقد حظينا بتوفيق التشرّف في المجلس النوراني للإخوة والأخوات الأعزاء، وسنجعل ـ بلطف الله تعالى وعنايته ـ موضوع بحثنا «مراتب الطهارة»؛ حتى يكون إن شاء الله بمنزلة أول قدم، ومرحلة في سبيل الوصول إلى الكمالات الإنسانية.

طلبنا الأول من الأعزاء هو أن يعدّوا هذا المجلس مجلس علم، وعمل، ونسعى جميعاً للتفكير في أن نوفّق للعمل بذلك.

وطلبنا الآخر هو أن نسعى لجعل مجلسنا مجلس أنس؛ حتى تقترب القلوب بعضها من بعض؛ لأن الأصل هو قرب القلوب، لا قرب الأبدان.

فقد جاء في سورة الحشر من القرآن الكريم بخصوص الكفّار أن ظاهرهم في الدنيا مجتمع، لكن قلوبهم متفرّقة[1]؛ لذا فإن الجهنميّين في القيامة مختلفون، ومتنافرون، على خلاف أصحاب الجنّة الذين هم متحابون ومتقابلون، قال

---

١. قال تعالى: ﴿...**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾، الحشر: ١٤، والنكته القابلة للتأمل في هذه الآية هي أنها علّقت التشتّت والإختلاف على عدم التعقّل، فعدم التعقّل وقلّته هي سبب التشتّت والإختلاف الذي يحصل في المجتمع، فتأمّل.

تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[1]. فالقرآن يصف أهل الجنّة بإنهم متحابّون، ويقول إنهم في الجنّة يتعارفون مع بعضهم البعض بـ«كأس من معين» في أيديهم، أمّا في خصوص أهل جهنّم، فقد قال إنهم يوم القيامة يفرون من إخوانهم، وأخواتهم، وآبائهم، وأمهاتهم، حتى من نسائهم اللاتي هنّ أقرب الأفراد لهم من جهة البدن والحُرمة.

فيجب الالتفات أكثر إلى هذه السلسلة من الأشخاص في الآيات الكريمة.

قال شيخنا الأستاذ حسن زاده آملي ـ حفظه الله:

إن الناس في الدنيا تحت اسم الله «الساتر»، فهم مستورون، ولا يرون بواطن بعضهم البعض، إلا بعض الأشخاص الذين تحقّقوا بهذا الأمر البرزخي، أمّا يوم القيامة، وهو ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[2]، فإن الجميع هناك سيرون بواطن بعضهم البعض، وربّما يُرى بعضهم على صورة غير صورة الإنسان، بل على صور الحيوانات طِبقاً لملكاتهم؛ ولذا سيفرّ البعض من الآخرين، كما أن الآخرين سيفرون منه أيضاً[3].

وقد ذكرتْ الآية الأخ، والأم، والأب، والزوجة، والأبناء ـ فضلاً عن الأغيار ـ في سبيل التمثيل، وربما يكون أولئك الأغيار أقرب إلى الشخص من أقربائه في الدنيا، ويكون الأقرباء في الدنيا غرباء، بل يفرّون من بعضهم البعض في الآخرة، وهذا طبقاً لصورهم البرزخية التي ستنكشف يوم القيامة.

---

١. عبس: ٣٤ ـ ٣٦.

٢. الطارق: ٩.

٣. جاء هذا المعنى في كثير من كتب العلاّمة ومنها كتاب «الإنسان في عرف العرفان»، الأصل «١٨»، والأصل «٣٨» من الفصل الرابع.

وفي ابتداء الآية الشريفة قال تعالى: إن المرء يوم القيامة يفرّ من أخيه، بخلاف المشاهَد في عالم الدنيا، فهم عادةً ما يطلبون القرب والالتقاء أكثر، أمّا يوم القيامة، وبعد ظهور بواطنهم، فإنهما يفرّان من بعضهما البعض، بل حتّى الأقرب من الأخوين، وهم الأبّ، والأمّ، فإنهم غداً سوف يفرّون من أبنائهم أيضاً.

فالآية تقول: في يوم القيامة لا يفرّ الأخ من أخيه، والأب والأم من الأبناء فحسب، بل زوجات الجهنّميين كذلك، فإنهنّ بمشاهدة أحوال أزواجهنّ سيفررن منهم، على الرغم من أن الزوجة هي أقرب إلى الإنسان من أمّه وأبيه! وبعد الزوجة، فالشخص الأكثر أنساً، وألفةً وعلقة بالأب هو الابن؛ لأن الزوجة لم تكن كذلك في البداية، ثم ألِفت الزوج ـ وربّما تنقطع تلك العلقة يوماً ما بالطلاق، والعياذ بالله ـ أمّا الابن فهو قطعة من كبد الإنسان، والعُلقة، والرابطة التي بين الأب والابن لا يقطعها شيء أبداً، قال القرآن: بل حتى الأقرب من الزوجة للإنسان، وهم الأبناء، فإن الأب ـ أيضاً ـ سيفرّ منهم يوم القيامة، كما أن الأبناء ـ أيضاً ـ سيفرّون من آبائهم إذا كانوا جهنّميين طبعاً، أمّا لو كان بعضهم من أهل جهنّم، والآخر من أهل الجنّة، فإن الذي من أهل جهنّم، لن يفرّ من أهل الجنّة، بل سيقول لهم ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾[1]؛ وذلك لأن صور أهل الجنّة حسنة وجميلة، ولكن أهل الجنّة سيفرّون من أهل جهنّم؛ لأن الجهنّميين هم جهنّم عينها، لا أنهم شيء آخر؛ إذ صارت أنفسهم جهنّمية، فإن الله لا يأخذ الجهنّمي إلى جهنّم، بل هو يصير جهنّم؛ لأن الإنسان يحشر على نيّاته وملكاته الدنيوية؛ ولذلك فإن المؤمن يفرّ من هؤلاء الجهنّميين؛

---

١. الحديد: ١٣.

لأنهم عين جهنّم.

وعادةً ما يكون الأخ وأخوه، والمرأة وزوجها، والأبناء والآباء والأمّهات قريبين من بعض في الدنيا، فإذا قرّروا ـ مثلاً ـ أن يكون لكل منهم منزل خاصّ، فإنهم يسعون لأن تكون هذه المنازل قريبة من بعضها البعض، أمّا القرآن فيقول: ما أكثر المتقاربين في الظاهر، ولكن قلوبهم وحقائقهم ليست كذلك.

وأي شخص كان لقلبه طريق إلى قلب آخر، فهذان القلبان يتحابان قطعاً؛ ولأنهما متحابان فإن وجوههم، وأبدانهم ستتقابل وتتلاقى أيضاً، أمّا إذا لم يكن للقلب طريق إلى القلب الآخر، فسترون أن الأبدان والوجوه ـ أيضاً ـ ستتنافر، ومتى ما تلاقوا، فإنهم سوف يُدبرون عن بعضهم البعض ـ وإن كانوا في ظاهرهم مجتمعين ـ، ولو كان بينهم من هو من أهل القلوب، وكانت عين قلبه مفتوحة، فسيراهم مختلفين فيما بينهم. أمّا لو كان هناك قلبان مستأنسان ببعض، فسيجد أهل الباطن أن هذين الاثنين متقابلان ومتقاربان ومتحابّان حتى لو كان أحدهما في مكان، والآخر في مكان بعيد جدّاً مثلاً.

إذن فـ «القلوب» هي ملاك التقابل والتحابّ، فيجب البحث عن ذلك.

ومما لا شك فيه أن القلوب إذا كانت متحابّة، فسيكون التوفيق حليفهم، وفي غير هذه الصورة لن تكون هناك نتيجة غير الافتراق والانفصال؛ لأن نهاية الطريق إمّا «الاجتماع» مثل أهل الجنّة، أو «الافتراق» مثل أهل جهنّم.

لذا فيجب الاعتناء أكثر في جلساتنا بهذا الأمر.

والآن ندخل بحث الطهارة ومراتبها.

▣ الطهارة الفقهية

للطهارة معنى ظاهري، وآخر باطني، فالمعنى الظاهري هو «النظافة والنقاوة»، وما نريد أن نبحثه في جلساتنا ـ إن شاء الله ـ هو ما يرتبط بالمعنى الباطني للطهارة.

ابتداءً وفي خصوص الطهارة الظاهرية نقول: إن هذه الطهارة تحصل في ثلاثة أقسام، وهي: **الوضوء**، **والغسل**، **والتيمم**، وهذا النوع من الطهارة يُبحث عنه في الفقه.

والطهارة الفقهية ـ التي يُبحث عنها هناك ـ هي من أجل تنقية بدن الإنسان من النجاسات الظاهرية؛ فالفقه الشريف غالباً ما يكون مرتبطاً بالبدن وأعماله، مثل الصلاة، والصوم، والأحكام الشرعية التي بالعمل بها يصل الإنسان في مرتبة البدن إلى مقام التجلية، والتجلية مرتبطة بظاهر الإنسان الذي يتزيّن ويتجمّل بالعمل طبق القوانين والأحكام الشرعية؛ لذا يجب أن يحلّ الفقه في متن حياة الإنسان والمجتمع؛ حتى يجلّيهما معاً.

ونحن ـ في مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ نعتقد أن علم الفقه الشريف هو لتجلية الإنسان فقط، وهو يحتاج في مقام التخلية، والتحلية، والفناء بأقسامه الثلاثة من المحو، والطمس، والمحق[1] إلى الحكمة، والعرفان الأصيل والرصين من النظري، والعملي، وهما ـ الحكمة، والعرفان ـ لم ولن يفترقا عن القرآن، ونعتقد ـ أيضاً ـ أن علم الفقه المحمدي هو الفقه الجعفري فقط، وهذا الفقه

---

١. المقصود من «المحو» هو فناء فعل الإنسان في فعله تعالى فيصير فعله فعل الحقّ تعالى، و«الطمس» هو فناءه عن صفاته، وأمّا «المحق» فهو فناءه عن ذاته، انظر كتاب: من الخلق إلى الحقّ، ص٨٨ و ٨٩.

وحده قادر على أن يُجلّي الإنسان مقدّمةً للتخلية، والتحلية، والفناء؛ فلهذا إذا كان الفقيه على مرتبة الفقاهة المصطلحة اليوم لا جرَم سيكون مقامه على مستوى التجلية فقط، و وجوده ضروري بهذا المقدار، وهذا ممّا لا شك فيه. نعم إذا ارتقى الفقيه إلى مستوى أعلى من ذلك، وكان عارفاً بالله، وبحقائق القرآن، والسنّة الأنفسية على مستوى القرآن، والعرفان، والبرهان، ومتحلّياً بالعرفان النظري والعملي، فسيكون مقامه حينئذٍ على مستوى التخلية، والتحلية، والفناء؛ لأن القرآن والسنّة كلّها رموز إلى كنوز، والأوحدي في كل عصر يفوز بحلّ تلك الرموز المخفية جداً، كما قال الشيخ الرئيس في النمط التاسع من إشاراته:

«جَلّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعة لكل وارد، أو يطّلع عليه إلا واحد بعد واحد».

▣ الحقيقة النورانية للوضوء

يشكّل الوضوء مِلاك مرتبة الطهارة، والوضوء نورٌ كما جاء في الرواية: «**الوضوء على الوضوء نورٌ على نور**»[1].

وجاء في النكتة «٧٣٠» من كتاب «هزار ويك نكته» لحضرة مولاي المكرّم الأستاذ حسن زاده آملي ـ حفظه الله:

«يقول الشيخ الرئيس في الفصل الثاني من المقالة الأولى من «القانون» في حفظ صحّة العين:

«ومما يجلو العين، ويحدّها الغوص في الماء الصافي، وفتح العين في

---

١. وسائل الشيعة، ج١، باب استحباب تجديد الوضوء من غير حدث لكل صلاة، ح٨.

داخله».

وفي تفسير «نور الثقلين» الحديث «١٢٧» في كتاب «علل الشرائع» بإسناده إلى ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ «**افتحوا عيونكم عند الوضوء؛ لعلّها لا ترى نار جهنّم**».

وجهنّم العين هي: الرمد، والعمى، وسائر أمراضها، أعاذنا الله وإياكم منها»[1].

ومن أجل تتبع بحث الوضوء، نتلو النكتة «٣٦٥» لسماحة المولى الأستاذ ـ روحي فداه ـ بعدها نشرع في بيان ذلك.

جاء في النكتة المذكورة:

«في ترك الإطناب في شرح الشهاب الحديث «٢٢٩»: «**أمّتي الغرّ المحجّلون يوم القيامة من آثار الوضوء**».».

اعلم أن الله تعالى أوجب الصلاة، ولم يشأ أن يأتيه العباد وهم ملوّثون بالدنيا، فقال: «توضؤوا». وقد خصّ هذه الأعضاء الأربعة؛ لأن آدم عليه السلام نظر إلى شجرة الحنطة أولاً، وذهب لها برجله، وأخذ منها بيده، وحملها على رأسه، وجاء بها إلى حوّاء، فأمر الله عزّ اسمه بغسل هذه الأعضاء المذنبة حين العبادة[2].

---

١. هزار ويك نكته، النكتة: «٧٣٠»، ص٥٨٨، مركز نشر فرهنگي رجاء، والحديث في علل الشرائع، العلّة التي من أجلها يستحب فتح العيون عند الوضوء.

٢. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل، فكان فيما سألوه: أخبرنا يا محمد، لأي علّة توضأ هذه الجوارح الأربع، وهي أنظف المواضع في الجسد؟.**

فقال النبي ﷺ لمّا أن وسوس الشيطان إلى آدم، دنا من الشجرة، ونظر إليها، ذهب ماء وجهه، ثم قام، ومشى إليها، وهي أول قدم مشت إلى الخطيئة، ثم تناول بيده منها ممّا عليها، فأكل،

▣ الظلمة ليس لها حقّ ملاقاة النور

جاء عن الرسول الأكرم ﷺ ما معناه: حين أوجب الله الصلاة، رأى أن عباده ملوّثون؛ لذا أمر بأن يتنوّروا قبل الورود إلى الحريم النوراني للصلاة؛ إذ إن العبد الملوّث ليس له الحقّ لزيارة الصلاة؛ لأن الصلاة طاهرة، وحقيقتها الطهارة، ومن لم يتوضأ يكن وجوده مظلماً، ومن يكن مظلماً، لن يكون له الحقّ في ملاقاة الصلاة التي هي نور، وأن الله أوجب الوضوء؛ لأنه لم يشأ أن يقرب عباده الصلاة وهم ملوّثون بهذه الدنيا؛ لأن العبد يكون ملوّثاً بالدنيا، ويمضي ليله ونهاره في هذا التلوّث.

والنتيجة هي: إن الإنسان يستعدّ بالوضوء للدخول إلى المنطقة النورانية المسماة بـ «الصلاة»[1].

▣ نكتة في فهم القصص القرآني

بمناسبة البحث نبيّن نكتة كرمز في فهم قصص القرآن الكريم، وهي:

إن أي شيء نقرؤه في القرآن من قصة آدم عليه السلام ـ التي هي القصة الأولى في سورة البقرة ـ إلى قصص النبي موسى، وإبراهيم، وعيسى، ونوح، والأنبياء العظام الآخرين عليهم السلام، ليست مطالعة لقصة فحسب، بل إن رمز هذه القصص في القرآن

فطار الحُلي والحلل عن جسده، فوضع آدم يده على رأسه، وبكى، فلمّا تاب الله عليه فرض عليه وعلى ذريّته غسلْ هذه الجوارح الأربع، وأمره بغسل الوجه؛ لما نظر إلى الشجرة، وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول منها، وأمره بمسح الرأس لما وضع يده على أمّ رأسه، وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة». علل الشرائع، العلّة التي من أجلها توضأ الجوارح الأربع دون غيرها، الباب: ١٩١.

١. انظر: المصدر المتقدّم.

هو إن أي شخص يريد أن يخرج من حدّ الحيوانية، ويصل إلى الإنسانية، فهناك مسير عليه أن يطويه، وفي هذا المسير يبتلي ـ مثل الأنبياء عليهم السلام ـ بمجموعة من الحوادث، والموانع، والمشكلات، مثلاً إذا قال الشخص لله تعالى: إني أريد ـ من هذه الليلة ـ أن آتي حتى أعمل بكل الذي أمرت به، فإن هذا الشخص سوف يرى من غده أنه قد وقعت له مشكلة كما وقعت لآدم عليه السلام، أو لموسى عليه السلام، أو لعيسى عليه السلام، و...[1]؛ لذلك يبيّن الله تعالى في قرآنه أنه إذا وقعت لك ـ في مسير الإنسانية ـ مشكلة تشبه مشكلة آدم عليه السلام، فحلّها يكون بهذا الشكل، وإذا ابتليت بمشكلة مثل موسى عليه السلام، فطريق حلّها هكذا.

وبعبارة أخرى، إن وقائع القرآن ليست مرتبطة بمورد خاصّ، فيُتلقّى القرآن مثل كتاب القصة والرواية، بل إن قصص القرآن، ونقل الوقائع والحقائق المهمّة في الموارد المختلفة هو من أجل شرح الأطوار الوجودية للإنسان، وشؤونه المختلفة، وبيانها، بمعنى: أن القرآن من البدو إلى الختم هو تفسير أنفسي للإنسان.

والنتيجة هي: إنه يجب ألاّ نظن أن القرآن حكى قصة آدم عليه السلام، وأنّ آدم هذا كان قد عاش في جنّة، وقد قيل له لا تقترب من هذه الشجرة، لكنّه اقترب، وأكل منها، فأخرجوه من تلك الجنّة، حتى تأتي بعد ذلك أسئلة كثيرة من قبيل: أين كان آدم في البداية؟ وكيف خلقوه؟ أين كانت تلك الجنّة؟ كيف اقترب من تلك الحنطة؟ وهل يوجد في الجنّة حنطة؟ وهل هناك أمر ممنوع فيها؟ ولماذا أخرجوه من هناك؟ وعشرات الأسئلة الأخرى، وسِرّ كل هذه

---

١. وقد ورد في الحديث القدسي: «...**من أحبّني ابتليته**...»، مستدرك الوسائل، ج١٨، ص٣٠٥، باب نوادر ما يتعلق بأبواب العاقلة...، ح٢.

الأسئلة التي تعرض للأشخاص هو إنهم تخيّلوا أن قصة آدم وأمثالها عبارة عن مطالعة قصة فحسب، والحال أنّا قلنا إن الأمر ليس كذلك، بل إن جميع القصص القرآنية عبارة عن بيان أطوار الإنسان الوجودية في سيره التكاملي؛ إذ إن رسائل أسفار الأنبياء في مقام الشهود هي حالاتنا الروحية، وإلا لم يكن الأناس الكاملون ـ أمثال السفراء الإلهيين ـ منزّهين عن الخطأ والاشتباه.

ولهذه اللطيفة روح أخرى معلومة لأهلها بالتدبّر، وهي إن الإنسان الكامل له وجهة إلى جانب الحقّ هي مظهر أسماء الله، وأخرى إلى جانب الخلق، هي أطواره الوجودية التي تعطي العلائم للناس؛ ليشتاقوا للمسير في طريق التكامل، وفي «أصول الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«نزل القرآن بإياك أعني، واسمعي يا جارة»[1]، فافهم!.

يقول أستاذنا العلاّمة حسن حسن زاده آملي ـ حفظه الله:

«ينبغي للإنسان النازل منزل اليقظة والعارف بمنطق الوحي أن يتلو ختمة كاملة من القرآن الكريم بدقّة، وتدبّر، وهو يبحث فيه، وينتخب منه:

١. الأسماء التي يصف الله بها ذاته المقدّسة.

٢. الأسماء التي تناديه بها ملائكته.

٣. الأدعية التي دعاه بها الأنبياء، والأولياء عند نزول الشدائد، وفي مختلف حالاتهم، وأوضاعهم، وحكاها القرآن الكريم على لسانهم؛ فهم عليهم السلام قد اختاروا اسماً خاصّاً من الأسماء الإلهية، ودعاءاً خاصّاً لكل واحدة من تلك الشدائد، والحالات، والأوضاع.

---

١. أصول الكافي، ج٢، باب النوادر، ح١٤، وللأستاذ العلاّمة حسن زاده آملي توضيح في معنى هذا المثل يمكن مطالعته في النكتة «٥٧٩» من كتاب «هزار ويك نكته».

وواضح أن نظائر تلك الشدائد والحالات تنزل بالآخرين ـ أيضاً ـ بما يتناسب مع مراتبهم، وأوضاعهم الزمانية، وكأن كلاً من أولئك الأشخاص، والحالات أنموذج يتكرّر في كل الأحيان بصورة معيّنة؛ ولذلك فإن على من يبتلي في حياته بأمثال تلك الحالات أن يدعو الله بالأسماء، والأذكار، والأدعية، والمناجاة المناسبة لحالته تلك طبقاً لما بيّنه القرآن الكريم، فيتخذها وسيلة للنجاة والسعادة، وهذا منهاج عملي ورد الحثّ الأكيد على الالتزام به، كما يظهر من التدبّر والتعمّق في الكثير من الآيات، والأحاديث الشريفة»[1].

▣ تطبيق الوقائع القرآنية على السير الإنساني

كما قلنا ـ سابقاً ـ يجب أن تطبّق جميع آيات القرآن ـ من بدايته إلى نهايته ـ على النفس، وأطوارها، وشؤونها الوجودية، وكمثال على ذلك فإن الآية «٢٦١» من سورة البقرة المباركة تتحدّث عن إبراهيم الخليل عليه السلام بشكل مباشر، وكيفية ذبح الخُلق، والعادات السيئة، وقلعها من حريم القلب، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2]، فكما جاء في الآية أن إبراهيم عليه السلام طلب أن يَمسّ حقيقة الاسم الشريف «المحيي»، ويقوم في مقام شهود ذلك؛ لذا فإنه طلب من الحقّ المتعال كيفية الإحياء، ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى**﴾، فقيل له: خذ أربعة من الطير التي

---

١. نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور، الفصل الأول، ص٢٩، ويمكن استفادة ذلك من بعض فقرات خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين من نهج البلاغة.

٢. البقرة: ٢٦٠.

هي عبارة عن النسر، والبطة، والطاووس، والديك كما في بعض الروايات[١]، وقطِّعها، واخلط لحمها مع بعضه البعض، وضعْ كل قسم منهن على جبل، ثم ادعهن حتى يأتينك سعياً.

فأخذ إبراهيم عليه السلام هذه الطيور الأربعة، وصنع بها كما قيل له، ثم دعاها، فتفرّقت تلك الأجزاء المخلوطة عن بعضها البعض، وتشكّل كل واحد منها مع قطعته الأخرى، وطارت إليه.

وعلى الرغم من أنّا لا ننكر وقوع هكذا قضية في الخارج؛ لأن وقوع قضايا

---

١. جاء في تفسير «نور الثقلين» في ذيل هذه الآية عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون، وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟.

قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله عز وجل ﴿وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ﴾؟ إلى أن قال: فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾؟.

قال الرضا عليه السلام: **إن الله تعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أني متخذ من عبادي خليلا، إن سألني إحياء الموتى أجيبه، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنه ذلك الخليل فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلة، قالَ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً، وبطاً، وطاووساً، وديكاً، فقطّعهن، وخلطهن، ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله ـ وكانت عشرة ـ منهن جزءاً، وجعل مناقيرهن بين أصابعه، ثم دعاهن بأسمائهن، فوضع عنده حبّاً وماءاً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهن فطرن، ثم وقعن، فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ، وقلن: يا نبي الله، أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.**

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن.

من هذا القبيل غير مستحيل عقلاً؛ ولأن الإنسان الكامل هو صاحب الولاية الكلّية، وعنده القدرة على التصرّف في مادة الكائنات، لكن بالالتفات إلى هذا الأصل القرآني، وهو إن القرآن الكريم هو الصورة الكتبية للإنسان الكامل، وكل آياته عبارة عن حكاية الأحوال المختلفة للسالك إلى الله تعالى في السير الصعودي؛ فالعمدة هو الاهتمام الوافر بتلقّي التفاسير الأنفسية لآيات القرآن الكريم.

ومثال على ذلك ما جاء معناه عن الصادق عليه السلام: «أن الحيوانات صور وأمثال أعمالكم»[1]، وهذا الأمر مهمّ جدّاً؛ فإن لكل إنسان صورة ظاهرية مطابقة لملكاته الباطنية، ووجهه عبارة عن مرآة تعكس تلك الصور، فإذا كانت تلك الملكات سيّئة وقبيحة، وشابه بها الحيوانات وصفاتها، فستكون تلك الصورة على أشكال تلك الحيوانات، كالنسر مثلاً، أو البط، أو الذئب، أوالثعلب، أو حتى النملة والحشرات.

والعجيب هو إن هذا الوجه هو مرآة حاكية وعاكسة لتلك الملكات، والإنسان صاحب النظر البرزخي هو من يرى هذه الوجوه على طبق صور ملكاتها الباطنية.

إذن، فكل إنسان يصنع، ويشكّل له صورةً ووجهاً من خلال أعماله، وأفعاله التي يقوم بها في ليله ونهاره[2]، فكما أن الله تعالى صوّرنا في القوس النزولي كما قال: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[3]، فكذلك الإنسان يصوّر نفسه في القوس الصعودي؛ إذ إن

---

١. انظر: انسان در عرف عرفان، أي: «الإنسان في عرف العرفان»، ص١٠، وترجمته العربية تحت الطبع الآن.

٢. فعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يحشر النّاس على نيّاتهم**»، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٠٩.

٣. آل عمران: ٦.

الله تعالى قد أعطاه هذه القدرة التي شابهه بها.

فالإنسان إمّا أن يصنع لنفسه صورة، مثل الصورة التي خلقه الله عليها، وعندها يرجع يوم القيامة وهو إنسان، ويُحشر على صورة الإنسان، أو يصنع لنفسه صورة على غِرار الحيوانات طبق الملكات والصفات الحيوانية التي اتصف بها في عالم الدنيا؛ ولهذا قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: عليك أن تذبح تلك الصفات الحيوانية القبيحة.

وهذا الحكم الحكيم الصادر عن لسان العصمة سيكون مبيّناً لكثير من الحقائق في الآيات، والروايات.

ويجب التأمّل في المثال المتقدّم، وهو ذبح تلك الطيور الأربعة، وما هي الخصائص التي تحويها، حتى جاء في الآية الأمر بذبحها.

وبتعبير آخر، ما هو الخُلق السيّئ، والعادة الفاحشة التي يُشير إليها كل واحد من تلك الحيوانات حتى أصدر الله تعالى الأمر لنبيه بذبحها؟.

وبالتأمّل في خصوصيات هذه الحيوانات يُعلم أن كل واحد منها يحوي صفاتٍ ما، وأن وجود تلك الصفات في الإنسان يُعدّ رذيلة، وتجعله مستحقّاً للعقاب، مثلاً الصفة البارزة للديك هي الشهوية، ووجود تلك الصفة يعطي علامة على الإفراط في الشهوة، وذلك يعدّ رذيلة عند الإنسان، وأن الخصوصية الغالبة على الطاووس هي الميل إلى التظاهر والتفاخر، والتجمّلات الدنيوية، والتكبّر، والغرور، وهي ـ أيضاً ـ تعدّ من الصفات غير المقبولة عند الإنسان، كذلك الصفات الموجودة عند البطة والنسر، مثل أكل الوحل، والجيفة، فإنها واضحة أكثر، وكل واحدة من تلك الصفات والخصائص إذا كانت في الإنسان، فستكون مانعة له من الوصول إلى كمالاته اللائقة؛ لذا يجب قتل كل

واحدة من هذه الصفات حتى تنفتح أجنحة الطيران إلى عالم القدس.

وبهذه النكتة العُليا يُعلم أن قضية آدمعليه السلام ليست قضية شخصية ترتبط بجَدّنا الأعلى الذي عاش قبل سبعة، أو سبعين ألف سنة ـ مثلاً ـ وابتلى بذلك الأمر الذي ابتلى به، بل إنكم ـ أيضاً ـ إذا أردتم أن تكونوا مثل آدم، وتتحرّكوا باتّجاه الآدمية، فستقع لكم مثل تلك المشكلات؛ فإن آدمعليه السلام جاء حتى يتحرك باتجاه الآدمية، ولكنه كان عنده زوجة، ويجب أن يضاجعها، وهذا أول ابتلائه، لماذا؟ لأن الاستجابة إلى القوّة الشهوية ـ التي من جملتها الميل إلى الجماع ـ تعدّ تعلقاً بالعالم الأدنى، و«التعلّق» يتنافى، ويصطدم مع «التوحّد»، ومن جهة أخرى، فالله تعالى الذي قال: «إنّ عرشي وما فوق العرش في انتظارك، فتعالَ، وارتقِ إلى هناك» هو نفسه الذي أمرنا بأن نتزوّج، وقال إن الزواج يحفظ نصف الدين.

ولكن أول المشاكل التي تقع لكل إنسان في سيره وسلوكه هي هذه، فماذا يفعل؟ وكيف يوفّق بين هذين الأمرين؟ هل يلتفت ويعتني بذلك أو لا؟ وجاء في النصوص الشرعية: أنه إذا كان أحد متزوجاً، ونام مع زوجه في الفراش نفسه، وأعطى ظهره لها، فقد خالف الشرع، وأيضاً: من لم يواقع زوجته أربعة أشهر، فقد ارتكب حراماً شرعياً، وعليه التوبة، وقد أوجب الشرع على الزوج تأمين نفقة زوجته من طعام، ولباس، وغيرها[1]، والآن ماذا يجب أن يُصنع مع الزوجة في البيت؟ هل تكون معها أو لا؟ وسترون أنه بمجرّد أن وقعتم في أحضان الزواج، فأنتم قد خرجتم من الجنّة، وبعبارة أخرى: قد

١. انظر: مكارم الأخلاق، ج١، ص٤٦٢ ـ ٤٧٠، في حقّ الزوج على زوجته، وحقّ الزوجة على زوجها.

وقعتم في الورطة، والشخص الذي يريد أن يصير آدمياً يجب عليه أن يعلم أن الآدمية مرافقة للابتلاء، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[1]، وإذا لم يرتفع الشخص من بين الصعاب، فإنه لن يكبر.

وإذا قال الشخص: أنا لا أتزوّج إلا بعد أن أصنع نفسي، وأهذّبها جيّداً، فقد أخطأ؛ لأن جميع الأنبياء والأئمة، وحتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام كانوا قد تزوّجوا، والزواج من سيرة النبي صلى الله عليه وآله، وسيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فأنتم لا تجدون إماماً لم يتزوج.

ونتيجة الكلام هي: إن سيرة النبي وآله عليهم السلام توجب هذا الشرط، وعلى الإنسان أن يعمل بجميع أوامرهم وتوصياتهم عليهم السلام، على الرغم من أن ذلك يستدعي وقوع الكثير من الابتلاءات والمشكلات في طريق الحركة.

▣ تطهير البدن سببه الاقتراب من شجرة الدنيا

جاء في معنى الرواية: حين رأينا أن آدم تدنّس بالدنيا، أمرناه بالتطهّر حين الصلاة بغسل وجهه، ولمّا ذهب إلى الدنيا بقدمه، أمرناه ـ أيضاً ـ بمسح قدمه؛ ولأنه أخذ من تلك الشجرة بيده، واشتغل بالعمل، والكسب، والزوجة، والأولاد، و وضع ذلك على رأسه، وأتى به إليهم، أمرناه بمسح رأسه أيضاً.

وأنت ـ أيضاً ـ حينما تذهب إلى العمل والكسب، فإنك في الحقيقة قد أقبلت إلى الدنيا بوجهك، ولمّا كان كذلك، فيجب عليك غسل الوجه قبل الصلاة؛ لأن وجهك قد استقبل الدنيا التي هي ملوّثة دائماً، وحين تتوجّه إلى الدنيا، فحتماً يكون ذلك بالقدمين، فوجب مسحهما عند الصلاة حتى تتطهرا،

---

١. البلد: ٤.

وجاء في الرواية: «**وأخذ من شجرة الحنطة بيده**»، وأنت ـ أيضاً ـ حينما تذهب إلى محل العمل، فأنت تعمل بيديك، إذن؛ يجب غسل اليدين عند الوضوء، وآدم عليه السلام ـ أيضاً ـ أخذ من تلك الشجرة، و وضعه على رأسه، وأحضره إلى حوّاء، وأنت حين تذهب، وتعمل، وتتعب من الصباح إلى المساء، فأنت أيضاً ـ وكناية عن الاحترام والأدب ـ تضع مقداراً من حاصلك على رأسك، وتأتي، وتقدّمه إلى زوجتك وبيتك، إذن، فعند الوضوء يجب أن تمسح رأسك.

وحاصل هذا هو: إنك أعطيت القلب إلى الدنيا، وتوجّهت إليها، وتدّنستْ يداك ورأسك بالدنيا؛ لذا فقد تدنستَ بالدنيا من رأسك إلى قدمك، والآن إذا أردتَ أن تقصد الصلاة، فيجب عليك أن تتوضأ حتى تتطهّر بهذا الوضوء، وبعد ذلك تحضر في محضر الله، وتكون في طهارة كاملة.

والنتيجة هي: إن الدنيا اشتغال وتعلّق، والصلاة توحّد، والتوحّد يخالف التعلّق. إذن، اذهب من الوحدة إلى الكَثرة، وأقبِل إلى الوحدة من الكَثرة؛ حتى تصل إلى الصلاة من هذه الدنيا، فإن الله تعالى خلَقَنا هكذا، وأراد منّا هكذا؛ ولذلك قيل: «الدنيا متجر أولياء الله».

ولذا صار الإنسان أشرف من الملائكة؛ إذ إنهم يسبّحون الله تعالى دائماً، ولا تعلّق لهم بهذه الدنيا، فهم يذهبون من الله إليه، وهذا أمر سهل، بخلاف الإنسان، فإنه يذهب من هذه الدنيا، والتعلّق بها إلى الله تعالى، وهذا عمل عالٍ وشريف، ولا يوجد ذلك لغير الإنسان.

والذين يأتون من الله تعالى إلى الدنيا، ولايرجعون إليه، فأولئك هم الخاسرون، والذين يذهبون من الدنيا إلى الصلاة، فأولئك هم الفائزون.

ولابد لكل رسولٍ ـ أيضاً ـ من أن يأتي إلى الدنيا ـ والمقصود من الدنيا

هي الدنيا الحلال، لا الحرام ـ وعليه أن يرجع منها إلى الصلاة، وإلى الله تعالى، وكما جاء على لسان علمائنا «الصلاة معراج المؤمن»[١].

كان هذا عرضاً مختصراً لمقام الوضوء، ومكانته في نظام العالَم.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١.انظر: بحار الأنوار، ج٧٩، ص٣٠٣، وأيضاً، ج٨١، ص٢٥٥.

المجلس الثاني

- الوضوء هو الطهارة من التدنّس القهري من المحيط
- الوضوء ماحي الآثار التكوينية للتدنّس
- الوضوء حافظ الحالات الروحية للإنسان
- الوضوء يصيّر القلب حرم الله
- الوضوء عند العمل بمنزلة التطهّر عند العبادة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ الوضوء هو الطهارة من التدنّس القهري من المحيط

نقلنا في المجلس السابق رواية عن النبي الأكرم ﷺ، وإذا سمحتم نتابع هنا لطيفة من لطائفها.

قال ﷺ ما معناه: لأن أمتي يتدنّسون بسبب إقبالهم على الدنيا الملوّثة، والله تعالى لا يريد لهم أن يقربوا الصلاة وهم مدنّسون؛ لذا أمر بغسل ظاهرهم ـ ولا سيما الوجه واليدان ـ أولاً، ثم يأتون الصلاة، وهنا نكتة مهمّة، وهي إن الوجه هو شأن من شؤون النفس، وهو يتأثّر مما يُقبل إليه، وربما يتدنّس بذلك، ويتلوّن به، فإذا أقبل إلى الدنيا ـ مثلاً ـ فسيتلوّن ويتأثّر بها، وكذلك إذا أقبل إلى الآخرة، فسيتلوّن بلونها، والنفس إذا أقبلت إلى أي شيء، فستتلوّن وتتأثّر بما تُقبل إليه، والناس كذلك يتلونوّن بلون الشيء الذي يُقبلون إليه؛ ولهذا فالوجه يتأثّر باستقباله ذلك المُستَقبل، وربما لا يلتفت الشخص إلى ذلك التأثير، ولكنه موجود في الواقع، وصاحب البصيرة يرى تلك التلوّنات، فيرى الوجه مظلماً إذا كان قد أقبل إلى المظلم، ويراه منوّراً إذا أقبل إلى ما هو منوّر.

وكذلك فإن الوجه يتأثّر بكل الحالات الداخلية والخارجية للإنسان، فيتأثّر

من النظر، والسمع، والذوق، والشم، وهكذا.

والوجه هو أول الأعضاء التي يستقبل الإنسان بها الأشياء، ويتأثّر ويتبرك بها؛ ولذلك أمر الله تعالى بغسله أولاً.

وكذلك أكّد الشرع ـ على نحو الاستحباب ـ على فتح أعيننا في أثناء الوضوء لتطهيرها؛ إذ العين هي أول أجزاء الوجه التي يواجه بها الأشياء ويقابلها.

إذن فالإنسان يتأثّر ـ تكوينياً ـ بالأشياء المحيطة به، فالوضوء هو مقدّمة للتشرف بزيارة مقام الصلاة؛ لأن الصلاة في الحقيقة هي لقاء المُصلّي بالله سبحانه، وزيارته؛ فهو يريد أن يلتقي بالله تعالى، ويزوره.

فلو أن شخصاً أراد أن يزور الكعبة المشرّفة، فكيف سيستعدّ لذلك؟ كذلك عليه ـ هنا ـ أن يستعدّ لزيارة الصلاة؛ حتى يكون لائقاً ومؤهّلاً لزيارة ذلك المقام المشرّف، فعليه أن يتوضّأ بالنحو المأمور به، ثم يُقبِل إلى الصلاة.

ويُعلَم من هذه اللطيفة أن الوضوء طريق للطهارة من الدنس.

والإنسان مرتبط بأفراد كثيرين في المجتمع، فهو ـ كما كان آدم عليه السلام ـ سيُقبِل على أولئك الأفراد قهراً، وبمجرّد ذلك الإقبال والمواجهة، فإنه سيتلذّذ حتماً.

وما أكثر الذين يجدون اللذّة حين قراءة الدعاء والعبادة ـ مثلا ـ ولكن بمجرّد الخروج من المنزل، والتواجد في المجتمع، وبمجرّد النظر إلى وجوه الناس يؤخذ منهم ذلك الحال وتلك اللذة، وهذا ما تقرّره وتبيّنه نفس الإنسان له، وتُعلِمه بهذا السقوط والانحدار.

فلهذا يقال: الوضوء أفضل طرائق رفع التلوّث القهري، والاضطراري من المحيط، والبيئة، والمجتمع.

▣ الوضوء ماحي الآثار التكوينية للتدنّس

لمّا كان الإنسان آدمي المسلك، وسلوكه سلوك أبيه آدم عليه السلام، وهو على ارتباط دائم بالآخرين ـ سواء في داخل البيت، أو خارجه ـ فلابد له من أن يعاشر الناس، ويتعامل معهم، ولا يمكن للإنسان أن ينزوي في زاوية من زوايا العالم، وينعزل هناك؛ إذ عليه أن يتزوّج، ويعمل، ويذهب إلى السوق، ويتعامل مع الآخرين؛ لذا فسيلحقه دائماً التلوّث بالمجتمع.

وكمثال على ذلك، إذا باع لك شخص شيئاً مسروقاً ـ حتى لو لم تكن تعرف أنه مسروق ـ على الرغم من ذلك ـ أيضا ـ فإنه لا يمكن رفع الآثار التكوينية لذلك المال المسروق.

وعلى الرغم من أنه جاء في الفقه أنك إذا أعطيت قيمة ذلك المال مقابله، فإنك أصبحت مالكاً له، ولكن وعلى طول استفادتك من ذلك الشيء، فإن آثاره التكوينية سترافقك دائماً.

مثلاً ترون على مدى ارتدائكم ذلك اللباس الذي اشتريتموه بتلك الطريقة، أن الروحية التي كانت عندكم من قبل قد فُقدت الآن، ولم تعُد موجودة حالة التوجّه والالتفات في الصلاة، والخلوة مثلاً، وما أكثر فقدان الحالة والأثر المعنوي المطلوب لمجرّد أكلٍ أو شربٍ في بيوت الآخرين، أو لمجرّد اختلاطٍ ما في المجتمع، أو لمجرّد نظرة في وجوه الناس.

واعلموا أنه من الصعب جدّاً إرجاع تلك الحال المعنوية، وتلك الروحية؛ ولذا فإن الوضوء، والطهارة هما الرافع لكثير من تلك الآثار التكوينية، وهما يجعلان من الإنسان إنساناً نورانياً.

▣ الوضوء حافظ الحالات الروحية للإنسان

«الحال» مثل الطائر، حين يفرّ من سماء القلب لا يمكن للإنسان أن يُرجعه إلى القفص بسهولة، وعليه أن ينتظر كثيراً؛ فلربما يعود يوماً، ومن الممكن أن يذهب إلى عشرات الأماكن الأخرى، ولكنّه لا يرجع بسرعة، وبعد أن يرجع كيف يمكن لصاحب البيت أن يستعدّ، ويتهيأ لاستقبال الضيف؛ حتى لا يقوم، ويذهب مرّة أخرى؟ وهذا هو معنى قولهم:

«كن على وضوء من الصباح إلى المساء».

وللذهاب إلى مقام الصلاة عليك أولاً أن تطهّر ظاهرك بالوضوء، حتى ورد عنهم عليهم السلام:

«يستحب الخلود إلى الفراش على وضوء، وكذلك النوم على وضوء»[1].

وإنّ كبار عبّادنا كانوا إذا ما وقعت أعينهم على غير مَحرم، أو لأقل تغّير في حالاتهم الروحية، فإنهم سرعان ما يقومون، ويتوضؤون، وبالطبع فإن هذا الوضوء يصنع الكثير؛ لذلك جاء التأكيد البالغ في الدين الحنيف على الوضوء.

رغم أنه من السهل أن يصير الإنسان من أهل الفكر، ولكن من الصعب جدّاً أن يصير الإنسان من أصحاب القلوب.

فيجب أن يكون الإنسان مراقباً قلبه دائماً؛ حتى لا يرد إلى قلبه غير الحقّ،

---

١. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من تطهّر، ثم آوى إلى فراشه، بات وفراشه كمسجده**»، مستدرك وسائل الشيعة، ج١، باب٩، ح٢.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لا ينام المسلم وهو جنب، ولا ينام إلا على طهور، فإن لم يجد الماء، فليتيمم بالصعيد، فإن روح المؤمن تروح إلى الله عز وجل، فيلقاها، ويبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في مكنون رحمته، وإن لم يكن أجلها قد حضر بعث بها مع أمنائه من الملائكة، فيردّها في جسده**»، وسائل الشيعة، باب ٩، ح٤.

فيخرج الحقّ منه، وعليه أن يكون على حذر، ويهيّأ الكثير، ويتعب، ويجتهد من أجل ذلك، ويقول: «الله، الله» ويتلطّف له حتى يرجع ذلك الطائر[1] إلى عشّه، فما أكثر فقدان نعمة ورود الحقّ إلى القلب بسبب ورود الغير إليه.

هذا هو الوضوء، فإنّه يصفّي القلب حتى ـ إن شاء الله ـ يصير حرماً لصاحبه، وهو الحقّ تعالى، فإن القلب ليس لنا، بل هو أمانة عندنا، وصاحبه ومالكه الحقيقي هو الله تعالى.

▣ الوضوء يصيّر القلب حرم الله

«القلب» رقيق جدّاً بخلاف «الفكر»، وفي سبيل التمثيل: إذا قال صديق لصديقه فحشاً ولعشرات المرّات، مع ذلك فإن الإنسان يقول مع نفسه في مقام الفكر: «لأنه صديقي، وأنا رفيقه، فهذه المرّة لا مشكلة فيها ـ أيضاً ـ أنا لا أستطيع أن أزعجه»، ويُقنع نفسه بهذا الشكل حتى لا يكن الضغينة لصديقه، ولكنه لا يستطيع أن يُقنع القلب؛ لأنه رقيق، وحسّاس إلى درجة أنه يصعب إرجاعه إلى الإقبال على شخص بعد الإدبار عنه؛ لذا فعلى الرغم من أن طريق القلب أقصر الطرق، إلا أنه ضيّق وكثير الانقباض، وعلى الرغم من أن مسير الفكر طويل ومليء بالتعرّجات والمنعطفات، ولكنّه في الحال عينه سهل جدّاً، وفي قبال ذلك فإن طريق القلب قريب جدّاً؛ لأنه بمجرّد أن يلتفت القلب إلى الحقّ، فإنه يأتي إليه ويحلّ فيه، ولكنّه رقيق إلى الدرجة التي يتركه الحقّ لمجرّد تدنّس ما مهما كان قليلا؛ لأن الحقّ يريد أن يعشعش فيه؛ ولذلك هو «واحد»؛ ولذا لا يقبل الشريك معه في القلب، كما قال الصادق عليه السلام:

---

١. كناية عن الحقّ تعالى.

«**القلب حرم الله؛ فلا تُسكن في حرم الله غير الله**»[١].

ولم يقل عليه السلام «العقل حرم الله»؛ لأنه كم من إنسان يكون في مرحلة الفكر مع الله، ومع غيره أيضاً، بخلاف القلب فإنه إما أن يكون مع الله، أو مع غيره.

وقد قال حضرة الأستاذ العلّامة ـ روحي فداه ـ في نظمه للحديث المذكور:

(٣). هَلمَّ إلى سماع حديث عالِم القلب، من صاحب القلب الحي الذي جعل قلبه منزلاً للحقّ حقاً.

هكذا نطق بحر الحقائق الإمام الصادق عليه السلام بوصفه للقلب.

[قال]: إن القلب حرم الله وحده، فلا تعط هذا القلب لما سواه[٢].

فإذا كان شخص لا يملك إلا منزلاً واحداً، وأخرجوه منه، فأين سيذهب بعدها؟ قال الإمام الصادق عليه السلام: القلب منزل الله، فلا تُسكن غيره فيه؛ فيخرج الله تعالى منه، وإذا خرج منه، فأين يذهب؟ وعليك أن تتحسّس هذا الأمر بعقلك وقلبك؛ حتى تتذوّق طعمه ولذّته، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي:

«**لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[٣].

لذلك على المؤمن أن يكون قلبه دائماً لله، فإذا أخرجه منه، فأي مكان سيسعه حينئذ؟ لأنك إن أسكنت غيره فيه، سيكون الله تعالى من دون حرم، وعندها أين سيذهب؟

والإنسان ـ أيضاً ـ لا يسعه إلا الله تعالى، فلا يمكن أن تسعه السماء أو الارض، ولكن يسعه الله تعالى، فكأن الله تعالى يقول للعبد: إني خلقتُ

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٥.
٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.
٣. بحار الأنوار، ج٥٥، ص٣٩.

الأشياء لك، وخلقتكَ لأجلي، فأنتَ ليس لك أحد غيري، كذلك أنا ـ أيضاً ـ ليس لي أحد غيرك؛ لذا ورد في الحديث القدسي:

«...من قتلته فعليّ ديته، ومن عليّ ديته، فأنا ديته»[1].

و ورد في المناجاة:

«إلهي إن طردتني من بابك، فبمن ألوذ، وإن رددتني عن جنابك فبمن أعوذ...»[2].

كذلك الله تعالى يقول للعبد: إن أخرجتني من قلبك، فأي بيت يسعني بعدك؟!.

فضلاً عن ذلك، فإن الشيطان يدخل إلى قلب المؤمن لأدنى سبب كان ـ ولو لأقل غفلة ـ فعلى المؤمن أن يُخرجه بسرعة؛ حتى لا يطير ذلك الطائر منه، وإذا طار فلن يرجع إليه بسهولة، فعليك أن تقول لكل شيء: إن هذا القلب لله فقط، فليس فيه مكان لأي أحدٍ غيره.

وقد قلنا في شرحنا تلك الأبيات المتقدّمة:

«لا يوجد مكان للغير في قلب المؤمن؛ لأن صاحب قلبه ـ أي الحقّ تعالى ـ غيور، وبتجلّي غيرته لا يدع غيره في عالم القلب.

والسِرّ في أنه لا يوجد مكان لغير الحقّ في قلب المؤمن، هو إن العبد يرى الغيرة الإلهية، وظهور عِزة الحقّ، وسطوته، وعظمته في جميع الكلمات الوجودية ـ التي هي محلّ تجلّي أنوار الحقّ ـ متصلة بالوجود غير المتناهي الذي هو سلطان الوحدة الشخصية السَعية، والصمدية للوجود الواجب، ولا

---

١. مستدرك الوسائل، ج١٨، ص٣٠٥، باب نواد ما يتعلّق بأبواب العاقلة وغيرها، ح٢.
٢. مفاتيح الجنان، مناجاة التائبين.

يرى غير ذلك في عالم القلب، ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾[١]، فيرى أن هذه الدولة والسطوة قاهرة، والخلق ـ الذين هم كالسراب ـ مقهورون، فيكون حينئذ كقوله تعالى: ﴿...**يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء**...﴾[٢]، وجاء في «الهى نامه» لحضرة الأستاذ:

«إلهي: «أنا» مِنْ قَدَمِي إلى قِمَّة رأسي غريق في نورك «يا نور السماوات والأرض» أَنْعَمْتَ فَزِدْ»[٣].

وهذا النور هو نفسه نور الوجود ذاك، فإن نور وجه الله ـ الذي هو الصادر الأول ـ سطع على ما سواه.

وقد خرج أصحاب القلوب من ضلالة «الأين»، والبحث، وفازوا بحيرة «الهو»، وليس لهم في دار التوحيد، ومحضر العالم كلام عن دنس الكثرة، والممكنات[٤]؛ لذا وضع هذا الحقير في يوم الثامن من شهر رجب الأصبّ لسنة «١٤١٧ق» بعد الإجازة من محضر حضرة الحقّ اسم «دار التوحيد» لنظام العالم، وهذا مقتبس من كلام مولاي الأستاذ في تحفته الإلهية «إلهي نامه» حيث قال:

«إلهي، يريدون منّي برهان التوحيد، وأنا أريد دليل التَّكْثير»[٥].

وقال أيضاً:

---

١. الحديد: ٣.

٢. النور: ٣٩.

٣. الهى نامه، أي: «الرسالة الإلهيه»، ص٨، رقم: ٧.

٤. إشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما رأيت شيئاً، إلا ورأيت الله قبله...**»، شرح أصول الكافي للمازندراني، ج٨ ص١٣٥.

٥. الهى نامه، ص١١، رقم:٣٣.

«إلهي، يسألونني: «ما التوحيد»؟ وحسن يقول: «ما التكثير»[١].

وأصحاب القلوب هؤلاء كأنهم العرش العظيم لله، وهم يقولون صباحاً ومساءاً في محضر صاحب القلب:

«إلهي: وإنْ كنتُ درويشاً [أي زاهداً، وفقيراً]، ولكن مَنْ هو أغنى منِّي؟ لأنك رأس مالي [أو غِنَاي]»[٢].

و: «إلهي، البصر يتلذَّذ من مشاهدة الجمال، والقلب «يتلذَّذ» من لقاء ذي الجمال»[٣].

إنهم مستريحون دائماً على بساط قرب الحقّ، وليس لهم بساط غير «الآه»؛ لذا فقلوبهم منكسرة، وأجسادهم متعبة، ويقولون:

«إلهي، ماذا يفيدُ توجيه البدن إلى الكعبةِ مَنْ لم يُوجِّه قَلْبَهُ إلى ربِّ الكعبة؟»[٤].

لذا فقد أعطوا قلوبهم إلى جمال المطلق وليكن ما يكن، وبرؤيته وصلوا إلى مقام العالين من الملائكة، وحرّموا حَرَم القلب على الأوهام، والأراذل، والأوباش؛ لذا هم يرددون في العالم المليء بالنشاط والحركة «هو هو»، وسافروا من الأرض الخربة إلى ديار العشق العامرة، وصاروا برؤية جمال صاحب الجمال عباداً للجمال.

إنهم لم يجعلوا للأغيار مكاناً في قلوبهم، و«آهُ» قلوبهم كشعلة التنّور؛ ليضحوا قرباناً في منى كذبيح إبراهيم عليه السلام حينما وضع خدّه على الأرض،

---

١. الهى نامه، ص ١١، رقم: ٣٤.

٢. المصدر السابق، ص١٢، رقم: ٤٠.

٣. المصدر السابق، ص١٨، رقم: ٩٣.

٤. المصدر السابق، ص٢٢، رقم: ١٢٦.

واستعدّ للذبح، ومثَلهم كمثَل المرضى ينتظرون قدوم عيسى عليه السلام؛ ليداويهم، ويضع البلسم على جراحهم، وهم كالسكارى ليس لهم إلا تسليم القلب بيد الحبيب على أساس القبض والبسط الأسمائي. أحياناً مطمئنون، وأحياناً لا قرار لهم، ساعة يكونون كلمع البرق مبتسمين، وأخرى كالغيم ممطرين، تارة تنبسط وجوههم من نور وجه الله، وتارة ينعسون من نسيم جانبه، فقلوبهم في مقام «الايقفي» يأملون فيض الحقّ تعالى»[1].

والغرض هو إن حرم القلب لا يقبل أكثر من معشوق واحد، والله تعالى يقول: أنا ـ أيضاً ـ أريد حرماً واحداً، فإذا خصّصتَ ذلك الحرم لي، فسوف آتي، أمّا إذا أردتَ أن تُشرك معي آخر ـ ولو بقدر رأس الإبرة ـ فسأذهب من هناك.

ومكانة الوضوء هنا هي جعل القلب دائماً حرماً آمناً لله تعالى.

▣ الوضوء عند العمل بمنزلة التطهّر عند العبادة

أعزائي، إن عملكم عبادة أيضاً؛ لذا فقبل أن تذهبوا صباحاً إلى محل العمل، عليكم أن تسبغوا الوضوء، وتقولوا وانتم مُقبلون إلى القبلة: «يا الله»، بعد ذلك توجّهوا إلى العمل، لماذا؟ لأنه لا يمكن التعبّد من دون وضوء، كما إنه لايمكن الصلاة من دون وضوء، أو الحج من دون إحرام؛ ولأن محل العمل كالكعبة أيضاً، وقطرات العرق التي تتصبّب من جبينكم، وبدنكم هناك هي كفّارة لذنوبكم، وأي مقدار تتصبّبه من العرق حين العمل، فإنه يصفّي نفسك وينقّيها.

---

١. شرح دفتر دِل، أي: «شرح دفتر القلب»، ج٢، ص٧٤ و ٧٥.

إذن متى ما قمت للعمل في الصباح، توضأ، واتل ﴿**بسم الله الرَحمن الرَحيم**﴾ تسع عشرة مرّة بعدد حروفها المباركة؛ حتى يطهّركم ذلك الوضوء، وتدفع عنكم «**بسم الله**» الآفات، والبليات، وشعلات جهنّم الدنيا[1].

وعليكم أن تجعلوا محل عملكم محلاً للعبادة؛ لأن الكسب الحلال هو عبادة، ومن الحيف أن تؤدى تلك العبادة من دون وضوء.

واعلموا أن هذا الكسب سيكون بعد ذلك لقمة وطعاماً لأزواجكم، وأطفالكم، أو سيكون ذلك المال نطفة في أصلابكم، ونسلاً فيما بعد، أو مستقبلاً لكم ولأبنائكم، فحذار أن يكون ذلك المال من الحرام، أو من دون طهارة، وحذار أن تدخل لقمة غير طاهرة إلى جوفكم، أو جوف أهلكم وعيالكم، أو أن تكون نطفكم غير طاهرة؛ لأنها ستنمو في المستقبل شجرة غير طيّبة، فقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام استنصت جيش يزيد ـ لعنه الله ـ فأبوا أن يُنصتوا إلى أن قال الإمام عليه السلام:

«...ويلكم، ما عليكم أن لا تنصتوا لي؛ فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلّكم عاصٍ لأمري، غير مستمعٍ قولي، فقد مُلئتْ بطونكم من الحرام، وطُبعَ على قلوبكم، ويلكم! ألا تنصفونَ؟ ألا تسمعون؟ ألا تنصتون؟...»[2].

وما ذلك إلا لأن بطونهم قد مُلئت من الحرام، فإياكم أن تأخذوا العمل بسذاجة واستهزاء؛ فإن له مقاماً رفيعاً، إذ قال الإمام الباقر عليه السلام:

---

١. راجع الكلمة «٥٦١»، والكلمة «٦٣١»، والكلمة «٦٣٤» من كتاب «هزار ويك كلمه»، أي: «ألف كلمة وكلمة»، ج٦، للتعرّف على بعض أسرار ﴿**بسم الله الرَحمن الرَحيم**﴾.

٢. السيد محسن الأمين، لواعج الأشجان، ص١٢٧.

«قال رسول الله ﷺ: العبادة سبعون جزءًا، أفضلها طلب الحلال»[١].

فعليكم أن تلتفتوا إلى ذلك، واعملوا بالحلال وأنتم على طهارة؛ حتى يكون ذلك الرزق، وتلك اللقمة حلالاً طاهراً، فتثمر شجرة طاهرة، وتصيرَ أبناءاً وبناتٍ طاهرين وطاهرات، وطيّبين وطيّبات، ومؤمنين ومؤمنات ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ولاتتكئوا كثيراً على قدرتكم، فإن الرزق يُعطى من مكان آخر ـ كما قال الرسول الأكرم ﷺ ـ:

«دم على الطهارة يوسّع رزقك»[٢].

فكونوا دائماً من أهل الطهارة والنقاوة؛ حتى يوسّع عليكم في رزقكم.

وسنتكلّم فيما بعد ـ إن شاء الله ـ على أن الوضوء واحد من طرائق الحصول على الرزق.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١.الفيض الكاشاني، الوافي، ج٢، ص٢.

٢.مستدرك وسائل الشيعة، ج١، باب ١٢، ح٧.

المجلس الثالث

- ظاهر العالَم وباطنه يتأثّران ببعض
- التفاوت بين المال والرزق
- هل يَسألون عن الرزق؟
- البدن معيار تنظيم الرزق الظاهري
- دور الطهارة في تنظيم الرزق
- الدنس ليس له طريق إلى نظام العالَم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

لقد تحدّث سماحة الأستاذ عن الطهارة في رسالته الشريفة «الوحدة عند العارف والحكيم»، والتي سنجعلها متن مباحثنا هذه، فقال:

«نقول بشأن مراتب الطهارة: إن طهارة الأرواح والقلوب باعث على زيادة الرزق المعنوي، وتلقّي العطايا الإلهية على ما ينبغي، و﴿...يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]، وطهارة الظاهر ـ بحكم تبعية عالم الصور للأرواح في الوجود والأحكام ـ مستلزمة لزيادة الرزق الحسّي؛ لذا تجب الطهارتان الظاهرية، والباطنية...»[2].

▣ ظاهر العالم وباطنه يتأثّران ببعض

للطهارة، والنقاوة تأثّر وتأثير في مرتبة البدن، وكذلك في مرتبة الروح[3]، وفي نظام العالم ـ أيضاً ـ هناك ارتباط بين النشأة الظاهرية ـ التي هي عالم الطبيعة ـ والعوالم الوجودية المافوقية ـ التي هي عوالم الملائكة الإلهيين، والمجرّدات ـ وأي مقدار من التأثّر في أحد عوالم هذا الارتباط، فإنه يؤثّر في العالم الآخر.

---

١. الطلاق: ٣.

٢. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٠.

٣. تقدّمت الإشارة لذلك في المقدّمة فراجع.

كما قد جاء في باب الذنوب أنه إذا أذنب الناس، فستغضب السماء على الأرض، وحينها لن تضع الملائكة أقدامها في ذلك المحيط[١]، وكل ذلك يدل على نحو الارتباط بين هذا العالم الظاهري والعوالم الباطنية[٢]، وأن أي قدر من العمل هنا، فسيتأثّر ذلك الباطن، وأي مقدار من الأثر هناك، فإن هذا الظاهر سيتأثّر أيضاً.

وبيان ذلك هو: إن هناك رابطة بين بدن الإنسان وروحه، وأنتم ترون في بعض الأوقات أن بدنكم يكون سالماً؛ ولكن وبسبب انزعاج صديق لكم يَدخلكم الغم والحزن، أو لأنك سافرت إلى مكان ما، وتغربّت هناك، فينتابك القلق والاضطراب بسبب البعد والغربة، فبدنك ـ أيضاً ـ سوف يتكدّر، ويذبل. في قبال ذلك ـ وفي بعض الأحيان ـ أنت تفرح من رؤية صديق أو رفيق ما، فترى في تلك اللحظة أن بدنك يبتهج بسبب فرح الروح وسرورها، فهذه من جملة تأثيرات الروح في البدن.

وأحياناً لا تكون منزعجاً ولا فرحاً، ولا حزيناً ولا مسروراً، ولكن، وعلى أثر تعرّض بدنك لصدمة، أو ضربة، أوجُرح مثلاً، فسيؤثّر مرض البدن هذا في روحك ـ أيضا ـ وستنفعل الروح منه حينئذ، وهذا من تأثيرات البدن في الروح.

و«العالَم» أيضاً له بدن وروح، فروحه «باطنه»، وبدنه «ظاهره»، وإذا عمل بدن ظاهر العالَم شيئاً لم يكن مطابقاً لطبعه، فسيتأثّر باطنه من ذلك.

إذن، فالتأثير والتأثّر بين ظاهر العالَم وباطنه أمر مسلّم به.

وقد قال سماحة الأستاذ في مورد الطهارة: إذا طَهرت روحنا، فسيزداد

---

١. انظر: الوافي للفيض الكاشاني، ج٣، ص١٧٣.

٢. أمّا كيفية هذا الارتباط، فيبحث في محله.

رزقنا المعنوي، وكذلك إذا كان جسمنا الظاهري طاهراً، فسيزداد رزقنا المادّي أيضاً، فمن أراد أن يزداد رزقه وماله، فيجب أن يكون طاهراً ونقياً، فإن كان طاهراً ونقياً في ظاهره، فسيزداد رزقه الظاهري، وإن كان طاهراً ونقياً في باطنه، فسيزداد رزقه الباطني. وبيانه سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ

▣ التفاوت بين المال والرزق

يُقصد بـ «الرزق»: المال غير المادّي، وجاء في بعض الروايات أن الرزق مقسوم[1]، يعني: أن رزق كل شخص قد قُسّم، وأن الرزق لكل شخص قد قسّموه في باطن هذا العالم بمقدار سعته الوجودية ـ سواء كان في الأمور المادّية أم المعنوية ـ وإذا أجهد الشخص نفسه ـ وكان كالنحلة في العمل ـ وحصل على أكثر من ذلك القدر المعيّن، فهذا الزائد ليس رزقه، بل هو فقط «مال» حصل عليه؛ لأن الحصول على «المال» غير الحصول على الرزق.

«الرزق» هو ذلك المقدار الذي يحتاجه الشخص لكي يعيش ـ كالنَفَس؛ فإن البدن يجذب المقدار الذي يحتاجه منه لا أكثر ولا أقل ـ فكما أن الشخص يبني له بيتاً بمقدار «١٠٠٠» متر مربع، في حين أنه لا يحتاج إلّا جزءاً منها للعيش والسكنى، في هذه الصورة، فإن باطن هذا البيت لا يعدّ منزل ذلك الشخص، بل ذلك المقدار الذي يحتاجه ـ فقط ـ يعدّ منزله، وما بقي منه يعدّ زائداً عن حاجته، وهذا واضح.

كما أن ميزان عُمر كل شخص قد عُيّن في باطن العالَم، فبذلك المقدار قد نظّم رزقه ومعيشته، فالطفل حين يأتي إلى هذه الدنيا، ويضع ثدي أمّه في

---

١. عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**لو كان العبد في جحر لأتاه رزقه، فأجملوا في الطلب**»، الوسائل، ج١٢، ص٢٨.

فمه، فرزقه هو ذلك المقدار الذي يشربه من اللبن، وأما ما يتصبّب من فمه فهو ليس رزقه؛ لذلك فإن الرزق لا ينقص ولا يزيد أبداً، ومن غير الممكن أن يعيش الشخص مائة سنة، لكن الله تعالى يؤمّن له رزق ثمانين سنة فقط، ويكون في العشرين سنة الأخرى من دون رزق، لا ليس الأمر كذلك، بل الرزق يكون على قدر حاجة الإنسان، بدون زيادة أو نقصان، قال تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا**...﴾[1].

ويمكن لنا أن نعرّف «الرزق» بأنه ما صحّ أن ينتفع به المنتفع، وليس لأحد منعه منه؛ ولهذا قالت الآية: ﴿...**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾[2]، قال الطبرسي ﷺ في «مجمع البيان» في ذيل هذه الآية:

«وحقيقة الرزق هو ما صحّ أن ينتفع به المنتفع، وليس لأحد منعه منه، وهذه الآية تدل على أن الحرام لا يكون رزقاً؛ لأنه تعالى مدحهم بالإنفاق مما رزقهم، والمنفق من الحرام لا يستحق المدح على الإنفاق بالاتفاق، فلا يكون رزقا»[3].

والرزق ربما يوسع ويُبسط، وربما يضيق ويُقبض كما صُرّح في القرآن بذلك، قال تعالى: ﴿**اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**...﴾[4]، وأطلق الرزق أيضاً على ما يُرزق به الشخص يوم القيامة، فقد قال تعالى حكاية عن أهل الجنّة:

---

١. هود: ٦.

٢. البقرة: ٣.

٣. مجمع البيان، ج١، ذيل الآية ٣ من سورة البقرة، وللعلّامة الطباطبائي ﷺ بحث مفصّل حول الرزق يمكن لك مراجعته في الميزان، ج٣، ص١٥٨ فما بعد، كذلك ج١٠، ص١٤١ فما بعد، وج١٢، ص٣٦٣، وج١٨، ص٥٥.

٤. الرعد: ٢٦.

﴿...**كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ...**﴾[١]، وجاءت هذه المفردة في كثير من الآيات بصيغ مختلفة.

وقال صدر المتألّهين ﷺ:

«اعلم أنّ الرزق عند أهل الحقّ هو ما يتقوّى به الشخص، وينمو، ويزيد في تجوهره سواء كان من الجواهر الجسمانية أو الروحانية، فللأرواح ـأيضاـ أغذية كما للأبدان، وغذاء كلّ موجود من جنسه ومما يشابهه... أليس الرجل إذا منع عنه الطعام والشراب يموت... كذلك القلوب إذا منع عنها الحكمة والعلم ثلاثة أيّام تموت...»[٢].

والرزق في اللغة بمعنى «الحظّ» من المأكول وغيره، قال تعالى: ﴿...**كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللهِ**...﴾[٣]، والرزق ينزل من الله تعالى، والشخص يجعله حلالاً أو حراماً، كذلكَ القَبض والبسط في الرزق بيده تعالى؛ فهو ورسوله ﷺ يعلم سِرّ ذلك؛ ولهذا قال ﷺ:

«دم على الطهارة؛ يوسع عليك رزقك»[٤].

وقال المحقّق الطوسي ﷺ في «تجريد الاعتقاد»:

«والرزق ما صحّ الانتفاع به، ولم يكن لأحدٍ منعه منه، والسعي في تحصيله قد يجب، ويستحب، ويباح، ويحرم»[٥].

وشَرَحه العلاّمة الحلي ﷺ بما حاصله: إن الحرام لا يكون رزقاً، والغاصب

---

١. البقرة: ٢٥.

٢. تفسير القرآن، ج١، ص٢٩١، ذيل الآية ٣ من سورة البقرة.

٣. البقرة: ٦٠.

٤. مستدرك وسائل الشيعة، ج١، باب ١٢، ح٧.

٥. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، بتعليقة العلاّمة حسن‌زاده آملي، ص٣٤١.

إذا استهلك الطعام المغصوب بالأكل، فذلك لا يوصف بأنه رزق؛ لأن الله تعالى منعه من الانتفاع به ـ إلى أن يقول:

«والأرزاق كلها من قبله تعالى؛ لأنه خالق جميع ما ينتفع به وهو الممكّن من الانتفاع، والتوصّل إلى اكتساب الرزق... فالسعي في طلب الرزق قد يجب مع الحاجة، وقد يستحب إذا طلب التوسعة عليه وعلى عياله، وقد يباح مع الغنى عنه، وقد يحرم مع منعه عن الواجب»[1].

أقول: والطهارة تزيد البركة في الرزق، ولعلّها هي المعنية بتوسعة الرزق في المقام، فافهم.

▣ هل يَسألون عن الرزق؟

قال الأستاذ في عبارته المتقدّمة:

«**إن طهارة الأرواح والقلوب باعث على زيادة الرزق المعنوي، وتلقّي العطايا الإلهية على ما ينبغي...**».

وفي عبارة «على ما ينبغي» سِرّ عزيز، يعني أن ذلك المقدار الذي يستحقّه الشخص هو الذي يُعطى له، وذلك المقدار أيضاً هو «من حيث لا يحتسب»، ولا يُحاسب عليه أبداً، جاء في سورة التكاثر ﴿...**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾[2]، قال الإمام الصادق عليه السلام في ذيل هذه الآية:

«**إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به، ولا يمنّ بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجل ما لا يرضى المخلوقون به؟**، ثم قال عليه السلام: **ولكن النعيم حبّنا أهل البيت،**

---

١. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، بتعليقة العلاّمة حسن زاده آملي، ص٣٤١.

٢. التكاثر: ٨.

وموالاتنا...»[١].

فهناك يقال لنا: نحن أرسلنا لكم أهل البيت عليهم السلام، فكيف تعاملتم معهم؟.

و«الرزق» إذا كان بمقدار سعة الإنسان وظرفيته، فهو رزق «من حيث لا يحتسب»، ولا يحاسب عليه أبداً؛ لذا واحدةٌ من لطائف معاني «من حيث لا يحتسب»، هو إن الله تعالى خلق الإنسان محتاجاً إلى الطعام، فيجب أن يوصل له الرزق بالمقدار الذي يحتاجه، وإلا فمن غير اللائق بكرمه تعالى ـ وهو علّة الموجودات ـ أن يخلق الإنسان كذلك، ولا يوصل له طعامه وغذاءه، وبالتالي يموت بسبب ذلك، إلا إذا وصل عمر الشخص إلى نهايته، وحقّ عليه الموت، فلا يصل إليه الرزق حينئذٍ، وهذا بحث آخر.

فالطهارة إذن تنظّم الرزق الظاهري للإنسان، فإذا كان الإنسان طاهراً، فإن الله سبحانه يوفّقه للعمل بالمقدار الذي يحقّق منه رزقه، ورزق زوجته وأطفاله، فيكون مرزوقاً بذلك القدر، ولن يكون ذليلاً أمام الآخرين بسبب طلبه للرزق والمعيشة، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**المعونة تنزل من الله على قدر المؤنة**»[٢].

فلا يخاف على كثرة عياله، وهذا أيضاً «رزق من حيث لا يحتسب»، ولن يكتبه الله في حسابه أبداً، ولكنّه إذا عمل أقلّ مما يحتاج، وألقى نفسه في المجاعة، فسوف يكون معلوماً أن هذا الشخص كسول، وسيكون حينئذ مورداً للسؤال والمحاسبة، فيقال له: لماذا قصّرت عن العمل؟ نحن أعطيناك قوّة

---

١. بحار الأنوار، ج٢٤، ص٥٠، باب أنهم عليهم السلام نعمة الله، والولاية شكرها، وأنهم فضل الله ورحمته، وأن النعيم هو الولاية، والروايات في هذا الباب كثيرة جدّاً.

٢. بحار الأنوار، ج٧٣، ص٢٧٤.

الشباب، فلماذا لم تذهب لتعمل؛ حتى تدير جسمك، وتدبّر أمرك جيّداً؟.

وإذا عمل أكثر من الحدّ المعيّن، وصرف وقته من أجل تحصيل الرزق الظاهري فقط، فإنه سوف يُسأل أيضاً، فيقال له: لماذا أتلفت وقتك هكذا؟ نحن لم نخلقك من أجل هذا فقط، فتركض ليل نهار من أجل جسمك فقط! فأنت عندك روح، وروحك تطلب منك غذاءها أيضاً، وغذاء الروح يفترق عن غذاء البدن ـ كما سيأتي بيانه ـ فلماذا لم تسع لتحصيله؟.

▣ البدن معيار تنظيم الرزق الظاهري

يجب على الإنسان أن ينظّم رزقه طبقاً لجهاز المصنع الإلهي الذي هو بدنه المادّي، فجسم الإنسان محدود كبطنه التي هي «قِدْر» بدنه، وهذا القِدْر نفسه له برنامج منظّم لمقتضياته واحتياجاته، والله تعالى قد خلق مصنع جسم الإنسان بطريقة يُعلم فيها باحتياجه حين الجوع، ويقول: «أنا جائع، وأريد الطعام»، وإذا أعطيته غذاءه بمقدار احتياجه وأشبعته، فإنه حينئذٍ سيُعلمك بشبعه، وعدم احتياجه مجدّداً، وهذا ـ أيضاً ـ هو رزق «من حيث لا يحتسب»، وأمّا قبل إعلام البطن بجوعها، فإن الإنسان لا يحقّ له إعطاؤها الطعام؛ لأن ذلك المقدار ليس رزقه، وكذلك الحال بعد إعلامها بالشبع، فإنه لا يحقّ له إعطاؤها الطعام أيضا؛ لأنها أعلنت عدم احتياجها للطعام.

وذلك المقدار من المال الذي هو «على ما ينبغي»، هو رزق الإنسان؛ لذا ـ ففضلاً عن الجوع والشبع ـ فإن بدن الإنسان نفسه يُعلِم صاحبه بالتعب، والنعاس، والمرض أيضاً.

ولأن البدن صادق، فإن ذلك الذي يُعلِمنا به صباحاً ومساءاً هو مورد احتياجه في الواقع.

فعلينا أن نتركه ونفسه؛ حتى يُعلمنا بما هو مطابق لما خلقه الله تعالى عليه، وإذا عملنا على وفق تقريره وأمره، فإننا سوف لن نبتلي بالمرض، ولن نتورّط أبداً.

إن واحداً من عمدة أسباب أكثر أمراضنا، ومضايقاتنا الجسمانية هي إننا رتّبنا لبدننا ثلاث وجبات للطعام، والبرنامج الذي يضعه الإنسان لبطنه يكون حاكماً عليها؛ لذا يصير البدن مقهوراً للإنسان، وحيث إنّا لا نعلم مقدار حاجتنا للغذاء، ولا توجد عندنا القدرة على وضع ذلك البرنامج، وكذلك لا علم لنا بجزئيات آلات قوانا الجسمانية؛ لذلك فإنّا نخلق لبدننا الكثير من المشكلات والمتاعب بهذا البرنامج؛ فيجب أن يُعطى برنامج البدن للبدن نفسه، وأمّا في غير هذه الصورة، فإن الرزق الذي يحصل عليه سيكون غير طاهر.

و«الرزق الطاهر» هو ذلك الرزق الذي يكون منظماً من ناحية طبيعة البدن، فالإنسان الذي لا علم له بجسمه وبدنه لا يمكن له أن يضع برنامجاً دقيقاً وصحيحاً لتنظيمه، كما لو أن شخصاً اشترى من المصنع مضخة زراعية، فإن ذلك الشخص لا يمكن له أن يقول: لأني مالك هذه المضخّة، فإني أستطيع أن أضع لها البرنامج الذي أريد، واستفيد منها على وفق ذلك البرنامج، ومتى ما أردتُ أضع لها زيت التشحيم، حتى لو كان مخزنها مليئاً بالزيت، والشخص الوحيد الذي يستطيع أن يدّعي أنه هو القادر على وضع البرنامج الصحيح لمصنوع ما هو ذلك الذي يكون ـ أولاً ـ على إحاطة علمية بجميع جزئيات آلات ذلك المصنوع وأدواته، وـ ثانياً ـ يكون على علم فكري وشهودي بجميع أسرار جعل تلك الجزئيات.

لذلك فالإنسان ليس قادراً أبداً على أن يطّلع على جميع أسرار التكوينيات التي من جملتها بدنه؛ لذا فهو لا يمكنه أن يضع البرنامج الصحيح لأنزل مراتب

وجوده، ألا وهو جسمه الطبيعي، لماذا؟ لأن الذات الإلهية هي التي شكّلت جميع أسرار المكنونات، والمحدود لا قدرة له على الإحاطة باللامحدود، فافهم.

▣ دور الطهارة في تنظيم الرزق

لنرَ الآن هل توجد رابطة حقيقية بين الطهارة وتنظيم الرزق أو لا؟ ونرَ لماذا قالوا في الروايات ما معناه: «إذا كنتم على طهارة ظاهرية، فسنعطيكم طبقاً لمقدار رزقكم، وإذا كنتم على طهارة باطنية، فسيوسع رزقكم الباطني»؟ هذه من جملة المسائل التي يجب أن تُطرح في العرفان.

إن الطهارة هي منظّم الرزق الظاهري، وموجب لازدياد الرزق المعنوي أيضاً، لكنها لا تزيد المال المادّي أبداً؛ لأن البدن ـ الذي هو مصنع تنظيم الحقّ ـ لا يحتاج أكثر من مقدار الرزق المادّي ليطلبه؛ لذا فإن المال المادّي قد نُظّم بمقدار حاجة كل بدن، ويعطى بذلك القدر؛ ولأجل الطهارة؛ وتفضلاً من الله تعالى، فإنه يعطى ذلك الشخص الطاهر الرزق الكثير، ولكن فيما يخص روح الإنسان وسعة نفسه الناطقة، فقد قال العرفاء[1]: إن النفس الناطقة الإنسانية وعاء، ومهما ألقينا فيه من غذاء العلم، فإنّه سيتّسع بقدر ذلك الغذاء، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«كلُّ وِعاءٍ يضيقُ بِما جُعِلَ فيهِ، إلاّ وعاءَ العِلمِ، فإنَّه يَتَّسع بِهِ»[2].

فأنتم إذا كان عندكم وعاء مادّي بمقدار لتر واحد من الماء، فإنه سيمتلئ بعد أن تصبّوا فيه لتراً واحداً من الماء، وحينئذ لا يقبل أكثر من ذلك، وإذا صببّتم أكثر من سعته واستيعابه، فإن الماء سيتصبّب من ذلك الوعاء، ولكن

١. انظر: الأصل ٣٢ من الفصل الرابع من كتاب «الإنسان في عرف العرفان».
٢. نهج البلاغة، الحكمة: ٢٠٥.

روح الإنسان ـ التي هي ظرف ووعاء معنوي ـ لها قابلية استيعاب ذلك، وبمحض أخذها غذاء العلوم والمعارف، فإنها ستتّسع، وستطلب أكثر.

انظروا حين تأخذون أطفالكم إلى الصف الأول الابتدائي، ويُصبّ غذاء العلم في روحه خلال سنة كاملة مثلاً، ترى أن قدر روحه سيتّسع، وتحمّله سيزداد، وسيطلب منكم في العام القادم أن ترسلوه إلى صفٍ ومستوىً أعلى؛ لأن روحه توسّعت في هذه المدّة، واستعد للورود إلى الصف الأعلى، بخلاف ما لو أخذتموه إلى الصف العالي من البداية، فإنكم سترون أنه لا يملك طاقة تحمّل هكذا مرحلة أبداً، ونفس الإنسان أيضاً هي ـ نوعاً ما ـ كلّما صببتم فيها من العلوم والمعارف، فإنها ستتّسع بذلك القدر أيضاً، وهذا المقام هو ما يعبّرون عنه بمقام «لا يقفي النفس»[1].

والخلاصة هي: إن الطهارة منظّم للرزق الظاهري، وموجبة لازدياد الرزق الباطني؛ وذلك لأن البدن المرزوق محدود في الرزق الظاهري، فإن الطهارة، والوضوء، والنقاوة هي التي نظّمت هذا المقدار من الرزق، وتوصل له ما كان معلوماً ومقسوماً له في مقام قلبه وروحه، ولمّا كانت النفس غير متناهية، وكلّما رُزقت أكثر طلبت أكثر؛ لذا فالطهارة تكون موجبة لزيادة الرزق في مرتبة الظاهر أيضاً، إلى الحدّ الذي تكون فيه نفس الطهارة موجبة لتأمين رزق زوج الشخص الطاهر وأطفاله وحتى ضيوفه، بخلاف الأفراد الذين تكون أبدانهم دائماً غير طاهرة أو على غير وضوء، فإن مثل هكذا أشخاص يكونون دائماً في ابتلاء ومشقّة، وإلا هل يمكن أن ينام أنسان من الليل إلى الصباح ببدن جُنب، وفي صبيحة ذلك الليل يطلب من الله غذاءً «من حيث لا يحتسب»؟!

---

١. انظر: العيون ٢٤ و ٤٤ و ٤٥ من كتاب «سرح العيون في شرح العيون».

إن مثل هكذا شخص سيكون مجبوراً على أن يلهث وراء آلاف المتاعب والمشاق؛ حتى يحصل على المال.

▣ الدنس ليس له طريق إلى نظام العالَم

لذا يقولون في القواعد والدساتير الخاصّة بأن السالك ليس له الحقّ ـ أصلاً ـ في أن ينام بعد الجنابة ببدنٍ جنب إطلاقاً، إلا في مورد واحد، وهو بعد ملاقاة الزوج زوجته و«إنزالهم»، فالأفضل لهم ـ من الناحية الطبّية ـ في هذه الصورة ألا يغسلوا عوراتهم، ولا يستحمّوا قبل ساعتين من ذلك ـ في الأقل ـ إلا لأمر واجب كالصلاة والصوم، وأما في غير هذه الصورة، فمن اللازم على الشخص أن يسرع في رفع النجاسة عن نفسه.

وكما أن العالَم طاهر، وليس للنجاسة طريق إلى نظامه، انظر إلى نَظم نظام العالم، وانظر إلى الأشجار كم هي طاهرة، وكيف نظّمت بدقّة، فإذا أردت ألا تعطيها الماء، أو تعطيها أكثر من القدر اللازم، فإنّها ستجفّ أو تفسد، كذلك الحيوان الداجن الذي في منزلك إذا لم تعطه الطعام، فإنه يمرض ويموت، أمّا إذا أعطيته الطعام أكثر من المقدار اللازم له، فسيأكل بمقدار ظرفيّته وسعته فقط، ولا يوجد أي حيوان يأكل أكثر من مقدار احتياجه وبالتالي يؤذي نفسه.

وبتعبير آخر: يجب أن يُتعلّم الأكل من الحيوانات، كما يجب أن نتعلّم غير ذلك من الأعمال منها أيضاً، مثل بناء البيت، انظروا إلى الحيوانات كيف تصنع أعشاشها؟ إنها تصنعها بالقدر الذي تستطيع معه أن تضع أفراخها هناك وتدبّر معيشتها، لا أكثر ولا أقل.

إذن علينا أن نجعل الطيور وبناءها لأعشاشها معيارنا في بناء البيوت.

إن بلدنا وبجميع الإمكانات التي عنده يمكن أن يكون مكاناً لأضعاف السكّان الفعليين، ولا تكون عنده مشكلة من ذلك أبداً، بشرط أن تكون بيوتنا بمقدار احتياجنا لا أكثر، ولكن وللأسف فإن الهمّة كانت دائماً في أن نبني البيوت أضعاف ما نحتاج إليه من مساحة؛ لذا فحتّى إذا كان بلدنا بنصف السكان الفعليين الآن، فسترون أنه لن يكفي أيضاً.

لذا يجب أن نستفيد في أمور معيشتنا من الحيوانات، لماذا؟ لأن الحيوانات تستطيع أن تعلّمنا دروساً كثيرة، إنها علّمت حتى الأنبياء والأولياء العظام[١].

يُنقل أن أبا سعيد أبا الخير كان لسنوات في السير والسلوك، وتوالت عليه السنون من دون أن يتمثّل أو ينكشف له شيء من الحقائق الغيبية، أو يصل إلى مراده، وفي يوم من الأيام هام في الصحراء، وهو كئيب ومحزون، وفي الطريق رأى فلّاحاً يحرث الأرض، فقال في نفسه: لأذهب عنده، وأتحدّث معه؛ لعلّه يخفف من همّي وحزني، وبمجرّد أن وصل إليه، قال له ذلك الفلّاح: لا تحزن يا أبا سعيد؛ إذ لم تصل، واعلم أنك إن تصوّرت الأمر كذلك، وكان عندك مخزن بوسع هذا العالم، وهو مليء بالبذور، ويومياً يأخذ منه طيرٌ حبةً واحدة، ويأكلها، ويقال لك: عليك أن تصبر حتى يخلو ذلك المخزن، ويمتلئ هكذا إلى عِدّة مرّات، آنذاك ستصل إلى النتيجة، اصبر؛ فستصل إلى النتيجة.

وقد حكى الشيخ فريد الدين العطّار النيسابوري هذه الحكاية في كتابه «منطق الطير»[٢] بهذا الشكل:

---

١. في التعلّم من الحيوانات راجع كتاب «علم القلوب» لأبي طالب المكّي، وكذلك كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري، فإنها مفيدة في ذلك.

٢. العطّار النيشابوري، منطق الطير، ص١٨٤ و ١٨٥.

(٤). ألم بشيخ مهنه[١] ضيق عظيم، فمضى إلى الصحراء بقلب مفعم بالألم، وعين دامية الدمع، فرأى من بعيد شيخاً قروياً يشعّ منه النور، يسوق ثوراً، فاتّجه صوبه، وأقرأه السلام، ثم شرح له حال ضيقه بالتمام، وما إن سمع الشيخ ذلك حتى قال: يا أبا سعيد، إن يمتلئ العالم ـ من بطنان الأرض إلى العرش المجيد ـ بالذُرة ـ لا كرّة واحدة، بل مئات الكرّات ـ وإن يكن طائر يلتقط الذُرة حبّة حبّة لمدّة ألف عالم، ولو تكرّر ذلك لأزمنة عديدة، وجاءت مئات الطيور، وفعلت كذلك، فلن تجد الروح ريحاً من بابه حتى ذلك الوقت، فلِم العَجَلة، يا أبا سعيد الآن؟ إذ لا بد للطالبين من الصبر المديد، وليس كل شخص يطلب الصبر، وإن لم ينبع الطلب من الأعماق، فلن يظهر المسك من الدم في السرّة[٢]، وإن ينبع من الأعماق، فمهما كانت السماء، فستغوص في الدماء.

من لا طلب له سيظل أسير الحيرة، بل حاشى لله أن تكون له صورة من دون نفس، ومن عُدم الطلب، فهو جيفة ليس على قيد الحياة، بل مجرّد حائط أصمّ، وإن يصلك كنز من الجواهر، فلتكن أكثر حماسة في الطلب، أمّا من قنع بالكنز والجوهر، فقد أسّرَ نفسه بقيد الكنز والجوهر، ومن تعلّق بأي شيء في الطريق، أصبح صنمه ذلك الشيء، فليهنأ بصنمه، وإن كنت واهي اللب ضعيفاً، فسرعان ما تصبح ثملاً بالشراب، فاقداً عقلك، فحذار! ولا تسكر في

---

١. هو الشيخ أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير المهني النيسابوري، ولد سنة «٣٠٧» في قرية «ميهنه» من نواحي خراسان، وتوفي سنة «٤٤٠»، كان من أكابر الصوفية، وعالم بعلوم الظاهر والباطن. انظر: مصيبت نامه، للعطار النيسابوري، تصحيح الدكتور نوراني وصال، ص٣٩٩.

٢. غدّة كيسية في بطن نوع من الظباء، ويسمّى هذا الحيوان بغزال المسك.

النهاية بحبّة شعير واحدة، بل داوم الطلب، ما دام الطلب بلا نهاية[١].

نعم يمكن الحصول على رمز من كل شيء، يقول سماحة الأستاذ في رسالة «الهى نامه»:

«إلهي، البكاء لسان الطفل العديم اللِّسان، يحصل على كلِّ ما يريد عن طريق البكاء. ومنذ الطُّفولةِ علِّمتنا طريق الكسب...»[٢].

أترون كيف يتعلّم عالم دَرَس في الحوزة لعدّة سنوات من بكاء الطفل، ويقول: إلهي اللغة الوحيدة للطفل هي البكاء، فإذا كان جائعاً، أو عطشان، أو مريضاً، فإنه يُبلغ أمّه بذلك بهذا اللسان فقط، ولا يُعلمها بالكلام الظاهري أبداً، إذن فقد علّمتنا من هذا الطفل طريق كسب الرزق، فيجب طلب الرزق المادّي والمعنوي من الله تعالى بالبكاء فقط.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل:

«...**ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء**...»[٣].

و ورد ـ أيضاً ـ عن عبد الرحمن بن السائب قال: ...إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«**إن القرآن نزل بالحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا**...»[٤].

والخلاصة أيها العزيز، هي: يجب أن نلتفت جيّداً إلى هذه النكتة، ونسعى لأن نحقّقها في أرواحنا، وهي أن نعتقد بصدقه تعالى ونطمئن له، أمّا لو قلنا:

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. الهى نامه، ص١٩، رقم: ١٠٦.

٣. مفاتيح الجنان، دعاء كميل بن زياد.

٤. مجمع البيان، ج١، نهاية الفن السابع من المقدّمة.

«غير معلوم»، «ربما يعطوننا من هناك، وربما لا يعطوننا»، إذا قلنا هكذا، فسنخرّب ونُفسد كل شيء، فالله تعالى يقول أيضاً: كن طاهراً، أعطك رزقك ومعيشتك، فإن ذلك الذي ينظّم الرزق الظاهري هو الطهارة، وهي منظّمة الأمور، وعلى المخلوق أن يطمئن بالخالق الرازق، وإذا عمل الإنسان بخلاف ذلك، وجعل لـ «لعل»، و «ممكن» طريقاً إلى قلبه، وأخذ يلهث وراء كسب أكثر للمال؛ حتى يزداد ماله، فقد خرّب برنامجه التنظيمي، ويجب أن يكونَ هو نفسه مسؤول أعماله، وهنا سوف ترون أنه سيسعى ليلاً ونهاراً، ويشقى ويتعب، ولكنه ـ أيضا ـ سوف يملك شيئاً، ولا يملك عشرة، وسبب ذلك هو فقط عدم الاطمئنان بالله تعالى، إنه يريد أن يتّكأ على ذراعه فقط، ويسعى لأن ينظّم برامجه بنفسه، فالله تعالى ـ أيضاً ـ سيتركه لنفسه، ويقول له: الآن، وحيث إنك تريد هكذا، فاذهب، ونظّم برامجك بنفسك.

«والحمد لله ربّ العالمين»

المجلس الرابع

- مراتب الطهارة: الطهارة الظاهرية: طهارة البدن
- نكات مهمّة في الطهارة الظاهرية للبدن
- مسؤولية الآباء تجاه الأبناء
- طهارة الحواس: اللسان
- طهارة العين
- كيفية تطهير العين

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ مراتب الطهارة: الطهارة الظاهرية: طهارة البدن

كما أن هناك تناسباً بين ظاهر العالَم وباطنه، وهما يتأثّران ببعض، كذلك هناك ارتباط تامّ وكامل بين روح الإنسان وبدنه، فالبدن يؤثّر في الروح، والروح تؤثّر في البدن، وإذا روعيتْ الطهارة في مرتبتي البدن والروح، فسيؤثّر ذلك في الإنسان كثيراً، والطهارة لازمة للإنسان في مرتبتي الظاهر[1] والباطن[2].

ويجب أن تُجعل طهارة البدن مقدّمة لطهارة الروح؛ ولذا قال جناب الأستاذ في ابتداء بحث الطهارة:

«...**أمّا الطهارة الظاهرية: فهي طهارة البدن من الأدناس والقاذورات، وطهارة الحواس من الخوض في الإدراكات التي لا حاجة إليها...**»[3].

وطهارة البدن من الأدناس والقاذورات، هي نفسها طهارته من النجاسات الظاهرية، يعني أن الإنسان وبعد دفع الفضلات والنجاسات عن نفسه يجب

---

١. كطهارة البدن واللباس.

٢. كالطهارة في مقام النفس، والعقل، والخيال، والوهم، والسّر، والتي سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

٣. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٠.

عليه أن يطهّر نفسه.

والحمد لله؛ فمجتمعنا اليوم وجد طريقه، وهو يسعى أكثر لرعاية طهارة البدن، واللباس، وبالتنمية، والثقافة الصحيحة فإن عدداً من المشكلات التي كانت موجودة سابقاً زالت اليوم إلى حدٍ ما.

▣ نكات مهمّة في الطهارة الظاهرية للبدن

يجب أن يلتفت الإنسان أكثر إلى بعض الموارد من أقسام الطهارة الظاهرية، واحدة منها هي طهارة البدن من الجنابة، فعليه أن يواظب على ألا يخلد إلى النوم ببدنٍ جنب[1].

بعض الجنود الأعزّاء يحتفظون بذكريات كثيرة عن أيام الحرب، كان من غير الممكن أن يجنب في الليل، ويبقى على الجنابة حتى الصباح، وحتى في برد شتاء أشدّ المناطق برودة، فإنهم يطهّرون أنفسهم في أنهار تلك المناطق القارصة البرودة.

إن طهارة البدن الظاهرية باعث على اعتدال البدن، وعلى الإنسان ألّا يفرط ولا يُفَرط في أموره الظاهرية؛ حتى تجد النفس طريقها إلى الاعتدال، والمهمّ هو إن للجنابة تأثيراً سلبياً جدّاً في روح الإنسان؛ لذا ينبغي التدقيق كثيراً في رفع هذه النجاسة طبقاً لما ورد في الفقه.

---

١. في الوسائل، ج١، باب ٩، ح٤، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لاينام المسلم وهو جنب، ولا ينام إلا على طهور، فإن لم يجد الماء فليتيمم بالصعيد، فإن روح المؤمن تروح إلى الله عز وجل، فيلقاها، ويبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر، جعلها في مكنون رحمته، وإن لم يكن أجلها قد حضر، بعث بها مع أمنائه من الملائكة، فيردّها في جسده**».

والنكتة الأخرى هي: إن على الإنسان أن يسعى لئلا يكون في مقابل الأشياء المحيطة به وهو عريان، في مقابل الشمس مثلاً، أو القمر، أو الحيوانات ونظائرها؛ لأنه فضلاً عن أن الموجودات لها شعور، فهي لها مراودة شهودية مع الإنسان، فتؤثّر به، وتتأثّر منه، وقد روي أنّ النبي ﷺ خرج إلى غنم له، وراعيها عريان يفلي ثيابه، فلمّا رآه مقبلاً لبسها، فقال له النبي ﷺ

«**امض فلا حاجة لنا في رعايتك...**»[1].

وقد قال الأستاذ العلّامة ـ حفظه الله:

«إن النفس الناطقة الإنسانية لشدّة لطافتها كلّما أقبلت على شيء فإنها سوف تظهر على صورة ذلك الشيء.

وقد قلتُ في غزل:

والنفس لشدّة لطافتها تصير نفس ذلك الذي تُقبل عليه من الانخفاض والارتفاع...»[2].

▣ مسؤولية الآباء تجاه الأبناء

كذلك على الأب والأم أن يكونا ملتفتين، ويراعيا بشدّة مجموعة من المسائل أمام أطفالهم، فإن مقاربة [مجامعة] الأب للأم بالقرب من مهد الطفل، أو الصغير، أو الأبناء ـ حتى لو كانوا في حال النوم ـ لها أثر سلبي كبير جدّاً عليهم، فضلاً عما إذا كان يرى ذلك، وحينها تكون الويلات الكثيرة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«**قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً غشي امرأته، وفي**

---

١. إرشاد القلوب، ج ١، ص ٣١١.

٢. الإنسان في عرف العرفان، الفصل الرابع، الأصل ٤١.

البيت صبيّ مستقيظ يراهما، ويسمع كلامهما ونَفَسَهما ما افلح أبدا...»[١].

ولهذا السبب فإن روحية كثير من الأبناء تفسد منذ هذا الوقت المبكّر، فكم من طفل اكتسب روحيةً وحالاً من أبيه وأمّه منذ ذلك الوقت ـ حتى ولو كان في حال النوم كما قلنا ـ ولا يمكن ـ حينئذ ـ لأي معلّم، أو مدرسة، أو منبر، أو مسجد، أو حسينية أن تطهّره بعد ذلك، وفي سبيل التمثيل انظروا إلى الورقة البيضاء والنظيفة إذا أخذ أحدكم القلم، ورسم عليها مجموعة من الخطوط المتعاكسة، والمتداخلة، والمتعرّجة إلى الحدّ الذي يجعلها سوداء وسخة من شدّة ما نقش عليها من الخطوط غير المفهومة ولا المقروءة، فهل يمكن لكم بعد ذلك أن تكتبوا شيئاً جميلاً في تلك الورقة؟! حتماً لا يمكن، إلا بعد أن تمسحوها وتنظّفوها، وكم سيحتاج ذلك من الوقت والجهد والعناء، وهل سترجع إلى نظافتها وطهارتها الأولى؟! وهنا تقع مسؤولية ذلك الأمر الخطير على عاتق الأبّ والأم.

فالحذر، الحذر، من ذلك أيها الأعزاء، واعلموا أن الكثير من العداوة بين الأبناء والآباء وعدم تأثير كلام وموعظة الآباء في الأبناء هي بسبب ذلك أيضاً، ويبدأ من هناك، والكثير الكثير من المفاسد الأخلاقية والسلوكية منشؤها عدم الاعتناء بما ذكرنا.

ويوجد الكثير من الخواطر هنا، فأذكرُ أنه في يوم من الأيام كنتُ في مجلس عام، فجاءني أبوان واشتكيا كثيراً من عداوة ابنتهما الوحيدة وبغضها لهما، وقد ابتليا بذلك على الرغم من أنهما لم يكونا مقصّرين معها، بل على العكس؛ إذ إنهما كانا يدللانها دلالاً كاملاً، فأردتُ أن أقول لهما إن ذلك

---

١. وسائل الشيعة، ج٢٠، ص١٢٩، ح٢٥٢٢٣. والروايات في ذلك كثيرة.

بسبب تلك النكتة التي تقدّمت الإشارة إليها، ولكن الحياء منعني.

وأقول هنا: إني أعتقد أن ستين في المائة من مشكلات المجتمع هي بسبب ذلك؛ إذ إن الكثير من الأحداث التي تقع في طفولة الإنسان تتخمّر في ذهنه، ونفسه، وقلبه، وبالتالي تجد طريقها إليه وإلى طبعه، وتظهر على سلوكه متى ما وجدتْ إلى ذلك سبيلا، فعلى الأعزّاء أن يلتفتوا جيّداً لهذا الأمر الخطير منذ البداية، وعليهم أن يجتنبوه، ويبتعدوا عنه بشدّة، وقد تقدّم أن هناك الكثير من المفاسد التي تترتب على هذا الأمر لا يمكن لنا أن نتفوّه بها هنا.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

---

١. النور: ٥٨ و ٥٩، قال الفيض الكاشاني رحمه الله في تفسير «الأصفى»: «**وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ**، الصّبيان من الأحرار. **ثَلاثَ مَرّاتٍ**، يعني: في اليوم والليلة. **مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ**؛ لأنّه وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النّوم ولبس ثياب اليقظة. **وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ**، يعني: للقيلولة. **مِنَ الظَّهِيرَةِ**، بيان للحين، أي وقت الظّهر. **وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ**؛ لأنّه وقت التّجرّد عن اللّباس والالتحاف باللّحاف. **ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ**، أي: ثلاث أوقات يختلّ فيها تستّركم، وأصل العورة الخلل. **لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ**، بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان. عن أبي عبد الله عليه السلام: «**ويدخل مملوككم وغلمانكم من بعد هذه الثّلاث عورات بغير إذن إن شاءوا**». **طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ**، أي: هم طوّافون، استئناف لبيان العذر المرخّص في ترك الاستئذان، وهو المخالطة وكثرة المداخلة. **بَعْضُكُمْ**، طائف على بعض هؤلاء للخدمة وهؤلاء للاستخدام، فإنّ الخادم إذا غاب احتيج إلى الطّلب، وكذا الأطفال

ففي المقطع الأول من الآية الشريفة خطاب وتأكيد للوالدين ـ باعتبار أن الأبناء في سن الحلم غير مكلّفين، فلا يتوجّه لهم التكليف ـ على تعليم أطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم[1] الاستئذان قبل دخولهم على والديهم، وهذا مطلب عجيب جدّاً، فالآية تقول لنا: لا تتركوا أطفالكم يدخلون عليكم متى ما شاءوا؛ فلربما تكون لكم في غرفة نومكم ـ مثلاً ـ هيأة خاصّة، أو ملابس خاصّة، أو كلام خاصّ، والغرفة ـ أيضاً ـ تكون على هيأة خاصّة، ليس في حال المقاربة فقط، بل في كل حال، وهذا سيتسبّب في التأثير السلبي على الأطفال ونفسيتهم، وسيستمر أثر ذلك حتى بعد أن يكبر الأطفال، ولا مشكلة في دخولهم عليكم في غير هذه الحال في أي وقت شاءوا؛ لأنكم تكونون في الحال المعتاد، وهذا لا بأس فيه.

والمقطع الآخر من الآية يقول: إن على من بلغ الحلم من أطفالكم أن يستأذنوا في كل وقت إذا أرادوا الدخول عليكم، وهذا تأديب من الله تعالى للأطفال.

والمسؤول عن تأديب الأطفال هم الآباء والأمّهات، فعلينا أن نؤدّب أطفالنا، ونربّيهم، ونعلّمهم تعاليم القرآن؛ حتى يصيروا قرآنيين.

ولكن للأسف الشديد هناك الكثير من الناس، ومن الآباء والأمّهات

للتّربية. **كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآياتِ**، أي: الأحكام. **وَاللهُ عَلِيمٌ بأحوالكم حَكِيمٌ** فيما شرع لكم. **وَإِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ** أيّها الأحرار **الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا**، يعني: في جميع الأوقات. **كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**، الّذين بلغوا من قبلهم من الأحرار المستأذنين في الأوقات كلّها. **كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**، كرّره تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**ومن بلغ الحلم منكم فلا يلج على أمّه، ولا على أخته، ولا على خالته، ولا على من سوى ذلك إلّا بإذن، ولا تأذنوا حتّى يسلّم؛ فإنّ السّلام طاعة لله عزّ وجلّ**». الأصفى في تفسير القرآن، ج٢، ص٨٥٦.

١. أي: الذين لا يفهمون، ولا يدركون بعد.

لايهتمون بهذا الأمر بالقدَر الكافي؛ ولذلك نحن نرى الكثير من المفاسد الأخلاقية عند الأطفال. فالأبّ والأم عليهم مسؤولية كبيرة، وعليهم أن يقوموا بهذه المسؤولية، ويؤدوها على أتمّ وجه؛ حتى لا يأتي اليوم الذي يندمون فيه ـ لا سمح الله ـ ولآت حين مندم.

وسنكمل الكلام على موضوع طهارة النطفة، والطهارة في تربية الأطفال في المجلس القادم ـ إن شاء الله تعالى.

▣ طهارة الحواس: اللسان

بعد طهارة البدن من النجاسات تأتي طهارة الحواس، يعني: طهارة العين، والأذن، والأنف، واللسان، واللمس، عن كل ما هو زائد، وهذه المرحلة ثقيلة وصعبة جدّاً.

وكما تعلمون أن الإنسان يجب أن يتوضّأ من أجل مسّ القرآن وتلاوته، ولمّا كان اللسان، والفم يمسان الحرف حين التلفّظ؛ لذا وجب أن يكون مسّ اللسان والفم هذا على أساس الطهارة ـ أيضاً ـ وكمثال على ذلك: إذا أراد شخص أن يتكلّم، وهو قادر على أن يوصل مفهوم كلامه بجملتين، ولكنّه استمر بكلامه من دون علّة، وبيّن مطلبه بعشر جمل زيادة على ما يحتاج، فسيُعلم عندها أن هذا اللسان لا طهارة له في الكلام، هذا فضلاً عن تكلّم الإنسان جزافاً، ومن دون فائدة.

إن نفس التكلّم هو من الرحمة الرحمانية للحقّ تعالى، أمّا الكلام الجيّد والحسن، فهو جزء من الرحمة الرحيمية والخاصّة لله تعالى، قال سماحة الأستاذ في «الهى نامه»:

«إلهي، برحمتك الرحمانية أعطيتني نطقي، فبرحمتك الرحيمية أعطني

سكوتي»[١].

فلا يلزم على الإنسان أن يفتح فمه من أجل كل كلام أراد، وخصوصاً أولئك الأشخاص الذين لهم عمل مع الحيوانات، ومن لهم ارتباط مع البقر، والخِراف كالرعاة مثلاً، فيجب عليهم أن يراعوا عفّة اللسان جيّداً، وفي غير هذه الصورة، فسيُهَيئون للسان أسباب التلوّث والتدنّس.

يتصور الكثير من الناس أن النجاسة هي البول والغائط فقط التي يضطر الإنسان لدفعها عن نفسه، والحال هو إن النجاسة لها معنىً عام، فتشمل الكلام الجزاف وغير المفيد ـ أيضا ـ والفم يتنجّس بواسطة ذلك، وبالتالي سيفقد لياقة قراءة القرآن، والفم الذي يُفتح للغيبة، والكذب، والفحش، والكلام غير المفيد هو فمٌ فاقد للطهارة، وهو علامة عن النجاسة الباطنية؛ لأن نجاسة الظاهر ناتجة عن نجاسة الباطن، فمن الممكن أحياناً أن يكون ظاهر البدن نجساً [بالنجاسة الظاهرية]، أمّا باطنه، فليس كذلك، ولكن في مورد البذيء اللسان والشخص الذي يلغو في كلامه يجب القول: إن باطنه كان نجساً، وسرى ذلك إلى ظاهره؛ ولذا جاء في الروايات ما مفاده: لا ترافقوا الفحّاش.

و ورد أيضا:

«إياكم والفحش؛ فإن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش»[٢].

قال سماحة الأستاذ في شرحه لقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا إنّ اللّسان بضعة من الإنسان...».

---

١. الهى نامه، ص٧٧، رقم: ٥٦٦.

٢. المستدرك، ج١، ص١٢، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«ألا أخبركم بشرار رجالكم؟** قلنا: بلى يا رسول الله، **قال: إن من شرار رجالكم البهات الجريء الفحّاش...»**، البحار، ج٧٢، ص١١٥.

«... إن قوى البدن كلّها جنود للنفس، وإن نسبة النّفس إلى البدن كنسبة الرّبان إلى السفينة، والمَلِك إلى المدينة، بل ألطف، وأدقّ، وأجلّ، وأشمخ من ذلك بمراحل لا يعلمها إلاّ الرّاسخون في العلم... وهو محقّق ومبرهن في الحكمة العالية،... .

«**ألا وإن اللّسان** إلخ»، أي: إنّ اللّسان آلة للإنسان يتصرّف بتصريفه إيّاه، فإذا امتنع الإنسان عن الكلام لعروض عارض، وصار لا يسعد، ولا يعين القول إياه، كما أن الإنسان إذا اتّسع عقله بالمعارف الحقّة الإلهية، والعلوم الرّبانيّة، والكمالات الإنسانية، وصار أمير الكلام لا يمهل النطق اللسان، بل يسارع إليه، وينحدر عنه انحدار السيل عن قُلّة جبل شامخ .

ثمّ إن اللسان لمّا كان بضعة من الإنسان، فيكون ما يصدر عنه بضعة، وأنموذجاً لما هو مستكنّ في ضميره، فإذا تكلّم، فيكون كلامه حاكياً عن سريرته؛ لأنه فائض منه، والظاهر عنوان الباطن، والمعلول يحكي عن العلّة بوجه ما على حدّ وجوده، وقال بعض الأدباء: «كما أن الأواني تختبر بضرب الأصابع عليها وتصويتها، كذا يعرف مقدار الرّجال بكلامه»، والمرء مخبوء تحت لسانه.

ولا يخفى أن لسان الإنسان، وكتابه، ورسوله، وسائر عمله كل واحد منها كأنه جزؤه، نشأ منه، وانفصل عنه كالثمر عن الشجر، والولد عن الوالد، والولد سرّ أبيه، فإن كان أصله طيّباً. فالبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه، وإن كان خبيثاً، فالذي خبث لا يخرج إلاّ نكدا.

ونعم ما قال الشاعر:

وكـلّ إنـاء بالذي فيـه يرشـح وينبي الفتـى عمّا عليه انطواؤه

وفي الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

من لم يكن عنصره طيّبا لم يخرج الطيب من فيه
أصل الفتى يخفى ولكنّه من فعله يعرف ما فيه

ونعم ما قال ابن الرّومي، أو القاضي التنوخي:

تخيّر إذا ما كنت في الأمر مرسلا
فمبلغ آراء الرّجال رسولها»[1].

أقول: إن اللسان المبارك للإنسان كسائر أعضائه موجود خلقه الله تعالى طاهراً نقياً، فإذا لم يسع الإنسان في حفظ طهارته، وأخذَ بالتكلّم كيفما أراد، ففضلاً عن نجاسة لسانه والصوت الذي يخرج من فمه، كذلك فإنه ينجّس ويلوّث أذن المخاطب وسمعه أيضا؛ ولذا فإن آية: ﴿**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[2]، جارية في كل هذه الموارد، خصوصاً أنتم الشباب؛ إذ يجب أنْ تسعوا من الآن في تأديب ألسنتكم، فحين تنادون بعضكم البعض تنادوا بألفاظ حسنة، وعلى إلامّ، والأب أن يجتهدوا أكثر ليعلّموا أطفالهم الكلام الحسن.

وسنتطرّق لهذا المطلب بشكل أكثر تفصيلاً في المجلس القادم ـ إن شاء الله تعالى.

▣ طهارة الحواس: العين

قال علماء الأخلاق في خصوص طهارة العين: حين تذهبون إلى منزل أحدكم، فعليكم ألا تفتّشوا، وتتفحّصوا عن أشياء ذلك المنزل ولوازمه؛ فما

---

١. منهاج البراعة، ج١٥، ص٣٦ ـ ٣٩، المختار ٢٣١، قوله عليه السلام: «**ألا إنّ اللّسان بضعة من الإنسان فلا يُسعده القول إذا امتنع، ولا يُمهله النّطق إذا اتّسع، وإنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه...**».

٢. الواقعة: ٧٩.

هو شأنكم أنتم بماذا وضعوا على الرف، أو ماذا وضعوا في الغرفة مثلاً؟!.

الشيخ أنصاري شيرازي واحدٌ من كبار أساتذة الحوزة العلمية، ومن كبار طلبة العلاّمة الطباطبائي ـ رحمة الله تعالى عليه ـ وهو رجل متواضع جدّاً، واحدة من حالاته الجميلة والعجيبة هي أنه لا يرفع رأسه في مجلس درسه أبداً من بداية الدرس إلى نهايته؛ حتى لا يرى مَن الذي حضر إلى درسه، ومن الذي لم يحضر، وأنا اشتركت في درسه مرّات كثيرة، وكنت أتساءل دائماً لماذا ينظر إلى كتابه فقط، ولا ينظر إلى طلاّبه أصلاً؛ حتى يرى هل جلس نفر واحد، أو عشرة، أو خمسمائة؟! وفي يوم من الأيام قال:

«إني أخفض رأسي؛ حتى إذا جاء شخص إلى درسي، ولم يعجبه يستطيع ـ ومن غير أن يخجل، ويُحرج ـ ألاّ يشترك في اليوم التالي؛ لأني إذا رأيتُ وجهه، وعرفته، فمن الممكن أن يستحي مني».

إن العظام أمثال هذا الشيخ اجتهدوا في صناعة أنفسهم وتهذيبها.

ويوجد هناك من يذهب إلى منزل الناس، وهو يريد أن يعرف كل شيء حتى يرى ماذا هناك، وهذا عمل قبيح جدّاً وغير مقبول، فمن أين لنا الحقّ حين نذهب إلى منزل صديقنا في أن نفتّش؛ حتى نرى كم كتاب عنده في مكتبته مثلاً؟! أو ماذا كتب في دفتره؟ وخصوصاً إذا كان شخصاً مشغولاً بكتابة شيء، ولا يرغب في اطلاع الآخرين عليه، فلا يحقّ أبداً لمن جلس

---

١. عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**من اطّلع في بيت جاره فنظر إلى عورة رجل، أو شعر امرأة، أو شيء من جسدها كان حقيقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا يتجسّسون عورات المسلمين في الدنيا، ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله، ويبدي عوراته للناظرين في الآخرة**»، مستدرك الوسائل، ج١، باب ٥٥، ح٢.

إلى جانبه أن ينظر إلى كتابته[١]، أو كم صورة موجودة في بيته؟ ولماذا لا توجد صورة فلان من بينها؟ وإذا نظر فقد ضيّع طهارة عينه، ولن تتأدّب هذه العين وصاحبها بسهولة.

يقول أحدهم:

«كنتُ يوماً اكتب رسالة لصديقي، وكان رجل يجلس إلى جانبي، وكان يسعى كثيراً لأن يرى كتابتي، فمسكتُ الورقة بالطريقة التي لا يمكن معها أن يراها، ومع ذلك لم يترك ذلك الرجل رغبته في النظر إلى الورقة، أنا ـ أيضاً ـ تركتُ كتابة الرسالة، ولكني بقيت مستمراً بالكتابة، فكتبتُ: صديقي العزيز، كنتُ أكتبُ، فنظر إلى كتابتي شخص غير مؤدّب، فتوقّفتُ عن الكتابة، وفي هذه الأثناء انزعج ذلك الشخص، وقال لي بغضب: أنا غير مؤدّب؟! قلتُ: لأنك رأيتَ ما كتبتُ، فأنت غير مؤدب، من أين لك الحقّ في النظر إلى كتابة الآخرين؟!».

وقد حكى الملا احمد النراقي الحكاية المذكورة بهذا الشكل:

«كان أحد الفضلاء يراسل صديقاً له، وحافظ أسراره، وكان يجلس إلى جنبه شخص يحاول قراءة رسالته بطرف عينه، وحين صعبت الكتابة على الفاضل المذكور كتب: لو لم يكن بجانبي سارق يقرأ رسالتي، لكتبتُ لك كل أسراري، فقال ذلك الرجل: والله إني ما قرأت رسالتك. فأجابه الفاضل: أيها السفيه، من أين عرفت هذا، فأجبتني عنه؟!»[٢].

وكذلك التنصّت على اتصال الآخرين، فإنه خلاف الأدب، والجلوس

---

١. بل قيل بحرمة النظر إلى مكتوب الغير كما في مرآة الكمال، ج٢، ص٥٠٥.

٢. الخزائن، ص٨٦.

خلف أبواب بيوت الناس، والتنصّت على ما يقولون، هو أيضا خلاف الطهارة[١]، علينا أن نكون بالشكل الذي لا يهمّنا إن قيل لنا: تعال، أو اذهب، فلا نخاف ونترقّب! وحينها تطهر الحواس من كل شيء زائد على الفهم والإدراك.

وإذا رغب الشخص في الورود إلى السير العلمي والعملي، فيجب عليه التدقيق جيّداً في مطلبين:

١. الطهارة.

٢. الأدب.

يجب على الإنسان الالتفات إلى هذين الأمرين بشكل كامل؛ حتى تتأدّب عينه، وسمعه، وجميع أعضائه وجوارحه، وتكون في مسير التكامل.

▣ كيفية تطهير العين

قلنا من قبل إن تطهير أي قوّة من قوى النفس هو بتنقيتها ومراقبتها، ومن أجل تطهير العين يجب صرفها عن النظر إلى ما هو حرام، أو ما كان من غير اللائق النظر إليه؛ حتى لا تخرج النفس من حالة الاعتدال، فيكون مانعاً لها من الطيران إلى العوالم العالية؛ لذا يجب أن نجعل دساتير الشرع نصب أعيننا، ونكون مطيعين لها دائماً.

ومن جملة ما يجب علينا مراعاته هو أن نمنع العين من النظر إلى ما هو معيب وغير لائق ـ كما قلنا ـ فإذا كان صاحب العين رجلاً، فيمنعها من النظر

---

١. عن أبي عبد الله عليه السلام قالَ: «**ثلاث يُعذَّبونَ يوم الْقيامة... والْمُسْتمع بين قَومٍ وهُم لَهُ كارهون يُصَبَّ فِي أذُنَيْهِ الآنُكُ، وَهُوَ الأسْرُبُ**»، البحار، ج٧٣، ص٣٥٠.

إلى المرأة الأجنبية[١]، وإذا كانت امرأة، فعليها أن تمنع عينها من النظر إلى الأجنبي، وعليهما أن يحكّما العقل على أنفسهما، وإلا فسيكون نظرهم نظراً حيوانياً، ولن يكون لهم أي امتياز من بقية الحيوانات.

وكذلك تطهير العين من كل نظرة بغير فائدة ـ كما مرّ في مطلع البحث ـ فلا ننظر إلى بيوت الناس إذا كانت أبوابها مفتوحة حين مرورنا من أمامها، أو إلى البيوت التي تكون أسيجتها قصيرة مثلاً.

والخلاصة هي: أن نمنع العين من النظر إلى كل ما هو زائد عن الحدّ المقبول والمسموح به شرعاً وأخلاقاً، وبهذا الطريق تستعدّ النفس وتُهيأ لاصطياد الحقائق والأسرار العلوية.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إياكم والنظر؛ فإنّه سهم من سهام إبليس**». وسائل الشيعة، ج١٤، باب ١٠٤، من أبواب مقدمات النكاح.

وفي الكافي، ج٥، باب النوادر، ح١١ عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام قالا: «**ما من أحد إلا وهو يصيب حظاً من الزنا، فزنا العينين النظر...**».

وفي الفقيه، ج٣، باب١٤٤، ح١٤٥٨ عن الصادق عليه السلام: «**من نظر إلى امرأة، فرفع بصره إلى السماء، أو غمّض بصره، لم يرتد إليه بصره حتى يزوّجه الله من الحور العين**».

المجلس الخامس

- الاعتدال والوسطية في الأمور العملية
- تطهير اللسان
- نقل واقعة فيها عِبرة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ الاعتدال والوسطية في الأمور العملية

قال سماحة الأستاذ في بحث طهارة الظاهر:

«...وطهارة الأعضاء من الخوض في التصرّفات الخارجة عن دائرة الاعتدال التي هي معلومة بحسب الشرع والعقل...»[1].

قد عُرّف السير العملي في الأمور الإنسانية بـ «المعيار»، وهو الحدّ الوسط في الأمور، ويُعبّرون عنه أيضاً بـ «الاعتدال» و«الوسطية».

و«الإفراط» و«التفريط» مبعدة للإنسان عن الحقيقة التي يعتقد أنها الغاية والنهاية لهدفه.

يعني: لا إفراط ولا تفريط في الأمور اليومية، بل إن أعضاء الإنسان وجوارحه لها حدّ اعتدال، وعليه أن يراعي ذلك الحدّ، وفي غير هذه الصورة سيكون غير طاهر.

والآن نورد أمثلة مرتبطة بأفراد المجتمع نوعاً ما:

إذا كان هناك عامل، ولم يعمل أصلاً، فقد فرّط، وكذلك إذا عمل كثيراً،

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٠.

وضَغطَ على أعضائه وجوارحه فقد أفرط، وكِلتا هاتين الصورتين ليستا بطاهرتين، ومعنى الطهارة في العمل هي ألا يكون الإنسان من دون عمل تماماً، فعدم العمل، والعزلة، والانزواء بزاوية في البيت باعتبار أن الاشتغال في المجتمع يمنعني ويصرفني عن الالتفات والتوجّه إلى المقصد، هذا الأمر يعدّ تفريطاً، والتفريط في الأمور يُعدّ مانعاً للإنسان من الوصول إلى الأهداف الإنسانية العالية، هذا أولاً، وثانياً إن ترك العمل، وعدم الضغط على الجسم، يعني عدم الاشتغال يومياً بكسب المال، والرزق، والقعود عن تحصيل الأمور الأخرى، مثل الاعتناء بالأمور المهمّة للزوجة والأطفال، أو الأمور الأخرى مثل تنظيم ساعتين ـ في الأقل ـ من أجل الدراسة، فهذا أيضاً إفراط، والإفراط مذموم بأي عنوان كان، وهو مانع للسالك من الوصول إلى كمالاته المتوقّعة.

والاعتدال في أمور كسب المال من أجل راحة الأهل والعيال، هو العمل طبق أوامر المعصوم عليه السلام، فيقسّم الإنسان يومه إلى ثلاثة أقسام، واحد منها من أجل كسب الرزق المادّي، والباقي يخصّ أموراً، منها النفقة، ومراعاة أمور الزوجة والأطفال، والتحقيق والبحث العلمي، والتفكّر في نظام العالم، وإظهار العبودية في محضر حقيقة نظام الوجود، والاستراحة.

---

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يرم معاشه، وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل**»، نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٠.

وجاء في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أن الإمام الحسين عليه السلام قال: «**سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا آوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزّأ جزءه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك بالخاصّة على العامّة، ولا يدّخر عنهم منه شيئا...**»، البحار، ج١٦، ص١٤٨.

والمراد من الطهارة هنا هو مراعاة حدّ الاعتدال المذكور أيضاً.

وكمثال على ذلك، فالعين واحدة من أعضاء بدننا؛ ولأنا لا نعلم ما هي الأشياء التي يجوز لنا النظر إليها في مرتبة إنسانيتنا، وما هي الأشياء التي لا يجوز لنا النظر إليها، فالشارع المقدّس بيّن لنا حدود ذلك، فالعين مجازة بالنظر إلى ما كان داخل دائرة الشرع، وحِفْظ محل ما كان النظر إليه مخالفاً للشرع المقدّس، والشرع لم يقل لنا أغلقوا أعينكم، ولا تنظروا إلى أي شيء، كما كان بعض أهل السير والسلوك القدماء، حيث كانوا في بداية الطريق يُعمون أعينهم.

كذلك لم يقل لنا افتحوا أعينكم، وانظروا إلى أي شيء أردتم، فالشرع بوصفه مُبيّناً لأسرار نظام الوجود قد بيّن لنا دائرة النظر، وإذا أراد الإنسان أن ينظر بعين البصيرة إلى نظام الطبيعة، مثل الحيوانات، والجمادات، والسماء، والأرض، ويتفكّر ويتأمّل في خلقها، فهذا مجازٌ له، فلينظر ويتفكّر بالقدر الذي أراد؛ إذ إن هذا النظر، لا إنه لا إشكال فيه فقط، بل هو مفيد أيضاً.

وفي الوقت عينه لا يجوز للعين أن تنظر إلى بعض الأشياء؛ لأنها إذا نظرت ستَخرُج النفس عن حدّ الاعتدال، على الرغم من أنه نظر ظاهري فقط، مثل النظر إلى غير المَحرم، أو إلى عورة الرجل، أو نظر النساء إلى عورات النساء وغير ذلك.

فالشخص الذي ليس لعينه طهارة النظر، قد أبعد نفسه عن أساس الإنسانية، وليس له قيمة وجودية إلا بمقدار الحيوان، والفرق الوحيد بين هذا الشخص، وذاك الحيوان هو إن ذاك الحيوان لا يستطيع أن يصير إنساناً، ولكن هذا الشخص يستطيع أن ينال مقام الإنسانية.

▣ تطهير اللسان

فيما يخصّ اللسان قال سماحة الأستاذ ـ حفظه الله:

«...ويختص اللسان بطهارتين، واحدة هي الصمت عمّا لا يعني، والأخرى مراعاة العدل فيما يعبّر عنه، فلا يجوز النقص في بيانه، ولا الزيادة عليه...»[١].

«الصمت عمّا لا يعني» هو السكوت عمّا لا ينبغي قوله، فالفم المفتوح، الذي يقول كل ما يريد يكون فاقداً للطهارة ،كذلك النفس التي يكون هذا الفم واللسان آلتها ـ كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك في المجلس الرابع ـ

وأما المراد من «الصمت عمّا لا ينبغي» الذي جاء في العبارة المتقدّمة فهو إن الإنسان لا ينبغي له أن يتكلّم بما لا يكون مورد قصد إنسانيته.

إن النفس معيارٌ جيد للإنسان، فيجب علينا أن نقيس محسوسات حواسنا الخمس بواسطة صعود أنفسنا وهبوطها، فإذا ارتقت أنفسنا بواسطة سماع كلام ما، فعلينا أن نكثر من سماع ذلك الكلام، وإذا هبطت، فلنبتعد عن ذلك. علينا أن نرى أن ذلك الذي نسمعه يثقلنا أم لا؟ هل يخرجنا عن حدّ الإنسانية أو لا؟ فما أكثر الذين يندمون سنين طويلة بسبب سماع كلام ما.

نقل المرحوم النراقي في «معراج السعادة» رواية فحواها هو إن أعضاء الشخص، وجوارحه يومياً لها محادثه تكوينية مع اللسان، وإذا صرنا أقوياء، فسنستطيع سماع هذه المحادثة.

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال:

«إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح، فيقول: كيف

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص ٥٠.

أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه، ويقولون: إنما نثاب، ونعاقب بك»[١].

وروي أيضاً عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله:

«ما من يوم، إلاّ وكل عضو من أعضاء الجسد يكفّر اللسان، يقول: نشدتك الله؛ أن نعذّب فيك»[٢].

إذن هل أنتم ملتفتون إلى أن كثيراً من المشكلات هي بسبب اللسان؟ لذا يجب أن يسكت اللسان، فطهارته تكمن في هذا السكوت.

إن هذه الرواية ليست للمثال فقط، بل ـ واقعاً ـ إن الأعضاء، والجوارح تتكلّم مع اللسان في كل صباح، وتطلب منه السكوت.

كما ذكر أستاذنا العلاّمة في كتابه القيّم «انسان در عرف عرفان»[٣] هذه الواقعة، حيث قال:

«في ليل الأحد ١٢ صفر سنة ١٣٩٨ق، حصلت لي واقعة في قم، وقد نظمتها في البند الثاني عشر من «دفتر دل»[٤] بهذه الصورة:

أقص لك قصة حصلت لي في زمان ما.

أغلقتُ الباب على نفسي ليلة، وجلست في زاوية من الدار.

كنت أفكّر ـ بحيرة وعمق ـ في المبدأ، والمعاد حتى ذُهلت تدريجياً عن نفسي.

---

١. معراج السعادة، ص٥٨٥ عن الكافي: ج٢، باب الصمت، وحفظ اللسان.

٢. المصدر السابق.

٣. أي: الإنسان في عرف العرفان، وقد وفقنا الله تعالى بمنّه وكرمه لترجمته، ونأمل أن يطبع قريباً إن شاء الله تعالى، (م).

٤. دفتر القلب، ص٣٣٦.

فرأيتهم يخيطون بالإبرة والخيط شفتي، وأنا أتحرّق جسماً وروحاً.

قالوا: إن هذا «جزاءاً وفاقاً» لمن يطلق للسانه حرية قول ما يشاء.

فإذا سيطرت عليه، فلا حاجة لخياطة شفتيك!.

لقد آذتني تلك الحالة، وذقت اللظى منها.

لقد جعلتني أرى جهنم، وأذوق العذاب البرزخي.

أيها العزيز، ما لم يُغلق الفم لا ينفتح القلب[١].

إلى أن قال الأستاذ:

تأمّل وتدبّر في هذا الحديث الشريف الذي هو من غرر الأحاديث «سفينة البحار، ج٢، ص ٤٩٣، مادّة «كلم»:

«إن آدم عليه السلام لمّا كثر ولده، و ولد ولده كانوا يحدّثون عنده، وهو ساكت، فقالوا: يا أبه، مالك لا تتكلّم؟ فقال: يا بنيّ، إن الله «جل جلاله» لمّا أخرجني من جواره عهد إليّ، وقال: «أقلّ كلامك، ترجع إلى جواري»[٢].

والآن إذا أردنا التكلّم، فما الذي يجب علينا فعله؟ نُقل في كتاب «درر الكلم» حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه»[٣].

وقال أيضاً:

«قلب الأحمق وراء لسانه، ولسان العاقل وراء قلبه»[٤].

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. الإنسان في عرف العرفان، الفصل الثالث، الواقعة ١٨.

٣. تصنيف غرر الحكم، ص٢١١، ح٤٠٧٦.

٤. المصدر السابق، ح٤٠٧٧.

يعني: أن الأحمق يتكلّم من دون أن يستشير القلب والفكر، ويتكلّم بكل ما يخطر بقلبه، إذن فلسان العاقل تابع لقلبه، وقلب الأحمق تابع للسانه، لسان الجاهل إمامٌ، وعقله مأموم؛ بخلاف العاقل إذ إن لسانه مأمومٌ، وعقله إمامه.

ودليل قول الإمام عليه السلام هو إنه حينما يريد العاقل أن يتكلّم في البداية يفكّر: هل أقول هذا الكلام أو لا؟ فإذا رآه حسناً، قاله، وإذا لم يره كذلك، سكت عنه؛ لأن التكلّم كالماء متى ما ألقي من الكأس، لا يمكن أن يُجمع مرّة أخرى؛ لذا فإذا أراد الإنسان أن يتكلّم بشكل مُتَعقّل، وزن كلامه، ثم تكلّم به، فخياله مرتاح دائماً، ولن يندم أبداً. وأمّا الجاهل، فهو على خلاف العاقل يُلقي الكلام من فمه، ويُطلقه من دون فكر وتأمّل، ويتكلّم من دون تفكّر، ومن الممكن أن يكون هكذا شخص نادماً عمراً بأكمله.

إذا أردنا أن نعرف أنّنا جَهلة أم عقلاء، فعلينا أن ننظر إلى أنفسنا، هل نتكلّم قبل التفكّر أو لا؟ فهذا معيارٌ جيّد جدّاً، فإن الشخص الذي يفكّر أولاً، ثم يتكلّم هو شخص عاقل، وكل شخص يتكلّم أولاً، ثم يفكّر فهو شخص جاهل. حتّى إذا أراد ان يبيّن كلاماً حقّاً، ولكن قبل ذلك لم يفكّر فهذا جاهل.

وهذا هو الذي جاء في الرواية ما معناه: «العالِم الحكيم هو الذي إذا سُئل، وكان يعرف الجواب، لم يُجب سريعاً»، بل يجب على العاقل أن يصبر، ويتأمّل قليلاً بعدها يُعطي الجواب، وقد قالوا في علامة العاقل: «التأمّل حريم جواب السؤال».

والنتيجة هي: إنه إذا سألتم عالِماً، وسمعتم الجواب متأخّراً، فيجب عليكم ألا تنزعجوا، بل اعلموا أنه بذلك يريد أن يجيبكم بتعقّل؛ لأنه ليس من التعقّل

أن يُجاب السائل سريعاً[١].

والنكتة الأخرى هي: لا تقولوا في الجواب الذي يكون بعد التأمّل: «نظري هذا»، أو «هذا الذي أقوله صحيح مطلقاً»، بل قولوا: «يحتمل أن يكون هكذا»، أو «يبدوا هكذا»؛ فربما لا يكون هكذا في الواقع[٢].

يجب دائماً أن تفكّروا قبل الجواب، ثم تبيّنوا جميع الاحتمالات التي ترونها، وتقولوا: « في الجواب يوجد عِدّة احتمالات، فكّروا، واختاروا الأفضل، واعملوا به»، فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«يُستدلّ على نُبل الرجل بقلّة مقاله، وعلى تفضّله بكثرة احتماله»[٣].

وهذا النوع من الجواب يكون باعثاً على أن مخاطبكم لن يكون كلاً عليكم؛ لا، بل إنه سيكلّف نفسه قليلاً، ويأكل من عمل يده.

ويلزم التذكير أيضاً بأن جميع تلك النكات التي ذُكرت ما خلا كلام الأستاذ مع تلميذه، والمولى مع عبده، والله مع خلقه، فهذه الموارد لها بحث آخر، فذلك الذي بيّناه مرتبط بالمحاورات المتعارفة بين الناس.

وخلاصة البحث هي: إن الإنسان إذا فكّر، وتكلّم بعد التفكير، يطلق على هذا «ما يعني»، أي الكلام على أساس القصد، والإرادة، وهو الكلام الذي يجري على لسان العاقل، أمّا إذا تكلّم من دون تفكّر، فسيطلق عليه «ما لا يعني»، أي الكلام

---

١. أمّا في مورد المسابقات التي تعطى فيها الجائزة للجواب السريع، فيجب القول إن هناك فرقاً بين هذه المسابقات التي تريد أن تقوّي الحافظة، ويبن مورد بحثنا هذا.

٢. طبعاً هذه النكتة لا تكون صادقة وحسنة في كل مكان؛ لأن بعض المواضع تقتضي من الإنسان أن يبيّن جوابه بشكل محكم وثابت، ولا يتلفّظ بكلمة «احتمال»، و «ربما» وهذا غير ما نحن فيه أيضاً.

٣. تصنيف غرر الحكم، ص٢١١، ح٤٠٨٩.

الذي يأتي على اللسان من دون قصد وإرادة، وهذا مختصّ بالجاهل.

وإذا كان الأمر كذلك، فعلى الجاهل أن يغلق فمه في جميع الأمور، حتى في مورد الكلام الحقّ، إلا إذا فكّر بكلامه أولاً، ثم بيّنه، وفي هذه الصورة يقال له: عاقل، لا جاهل.

الآن وبالالتفات إلى هذه الضابطة، انظروا في المجتمع، فكم عاقلاً تستطيعون أن تجدوا؟! وهنا يقول أحد الشعراء:

(٦). في ذلك اليوم، وفي الوقت الذي أشرقت الشمس، وأضاءت كل العالم، آخذ الشمعة بيدي، وأطوف باحثاً، وحين يسألون: عمّاذا تبحث؟ أقول في الجواب: أبحث عن إنسان؛ لأرى هل يدقّق في كلامه، أو لا؟![1].

والطهارة الثانية للسان هي رعاية «الاعتدال» فيما يورده على لسانه.

يعني: أن على الإنسان أن يراعي الحدّ الوسط في كل ما يريد بيانه.

في بعض الأحيان يدعون المنبري «الخطيب» من أجل القراءة في مجلس الفاتحة، وقلوبهم ترغب في أن يتكلّم حول ميّتهم بالشكل الذي يعتقد الجميع بأن الميّت قد وصل في حياته إلى عرش الله، والحال أنه لم يكن كذلك في الواقع، والكلام بهذه الطريقة هو خلاف العدل، وعلامة على جهل المتكلّم، لماذا؟ لأن الإنسان في مقام بيان أحوال الآخرين، لا حقّ له في الزيادة أو النقصان، وهنا نرى ـ أيضاً ـ أنه في وقت الانتخابات كم من الأفواه تتنجّس بسببها! فكل شخص تريده قلوبهم يرفعونه فوق، وكل شخص لا يقبلونه

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية، وقد نُسب هذا الكلام إلى الفيلسوف اليوناني «ديوجين الكلبي» حينما سُئل: ما يصنع بمصباحه؟ وكان يدور به في بياض النهار، فقال: «أفتّش عن إنسان».

يضربون به الأرض.

هذا وإذا دقّقنا في أنفسنا، فسنكتشف الكثير من الرذائل والمعايب فيها.

والمهمّ هو أن نعلم أن علينا أن نجلس سنوات طويلة بين يديّ أستاذ؛ لكي نتعلّم منه التكلّم الصحيح، والاستماع الصحيح؛ فإن الإنسان إذا أمكنه أن يتكلّم بشكل صحيح ـ في الأقل ـ فسيكون موفّقاً في كثير من أموره، وستكون بركات كثيرة من نصيبه، فإن مثل هكذا شخص يستطيع أن يغيّر المجتمع بكلمة واحدة فقط، وإذا بيّن جملة واحدة تكون حاوية لأسرار ورموز كثيرة، ولفهمها يجب أن يأتي المفكّرون، ويفكّروا بتلك الجملة، ويعطوا آراءهم حولها.

وعادة فإن الذين يتكلّمون بعد التفكّر يكون كلامهم مطبوخاً، وجاهزاً، وتامّاً، وفي قبال ذلك فإن الأشخاص الذين يتكلّمون سريعاً، وفي أي وقت أرادت قلوبهم، فإنك إذا غربلت كلامهم لخمسين سنة ربما لا تحصل حتّى على خمس كلمات جيّدة.

وكان الأئمة الأطهار عليهم السلام يتكلّمون بعد الفكر والروية، وعند الكلام يفكّرون في كلامهم.

وقد ذكر جناب الأستاذ مائة معنى لحديث واحد فقط، هو الحديث الشريف: «**من عرف نفسه، عرف ربّه**»[1]، قد أُدرجت رسالة في كتاب «هزار ويك كلمه»[2]، والقرآن ـ أيضاً ـ كذلك؛ فقد جاء عنهم عليهم السلام أن كل كلمة من القرآن لها باطن، ولباطنها باطن آخر إلى سبعة أبطن، ولكل واحد من هذه السبعة أبطن سبعون بطناً، وكل واحد من هذه السبعين بطناً، له بطن إلى

١. تصنيف غرر الحكم، ص٢٣٢، ح٤٦٣٧.

٢. المجلد الثاني، ص١٨٩، الكلمة: ٣٣٠.

سبعمائة بطن[١]، وإذا كان الحال هكذا، إذن علينا أن نتعلّم الكلام من القرآن الكريم، وأهل البيت عليهم السلام، و هذه هي طهارة اللسان أيضاً.

إن الأُذن قناة وارداتنا، واللسان قناة صادراتنا، والعين قناة وارداتنا وصادراتنا أيضاً.

يعني: إنّا إذا أردنا أن نبرز ما في داخلنا، يجب أن نبرزه من مجرى اللسان، وإذا أردنا أن نورد إلى داخلنا ما هو في الخارج، فإننا نورده عن طريق الأذن، والعين تقوم بهذين العملين معاً.

والمهمّ هو أن نعلم ما هي حدود إدراك هذه الثلاثة، يعني ما الذي أجازه الشرع؟ وما الذي لم يجزه لنا من ادراكات هذه الثلاثة؟.

اسمحوا لي بمناسبة البحث أن أذكر لكم خاطرة:

في إحدى الليالي في قم المقدّسة كنت واقفاً على الجادّة انتظر السيارة، بعد مدّة ـ ومن دون أن أرفع يدي، وأشير ـ وقفتْ سيارة، حينما صعدتُ السيارة، مدّ السائق يده إلى المذياع، وأخفض صوت الموسيقى، ولكنّه لم يطفئه، وكان مقدار من صوته يصل إلى السمع، وبعد حين سألني السائق: ما حكم الاستماع للموسيقى، أهو حلال أم حرام؟ سكتُ قليلاً، ثم قلتُ له: افترض أن الاستماع لهذه الموسيقى حلال، وليس حراماً، فأنا سائلك: أليس من المؤسف أن تسمع إذنك المباركة مثل هذا الصوت؟ ألا يحيفك أن يتلوّث سمعك الطاهر بهكذا صوت، وينزّلك من مقام الإنسانية الشامخ؟. وهنا رأيتُ أن السائق قد خجل، فمَدّ يده مرّة أخرى إلى المسجّل، وأطفأه تماماً.

يجب أن نعلم أن كثيراً من الأشياء حلال، ولكن حلّية الشيء، ليست دليلاً

---

١. انظر: تفسير الصافي المقدّمة الثانية، وسفينة البحار مادّة «بطن».

على الإتيان به، مثلاً «القهقهة بصوت عالٍ» في الشارع حلال لنا، ولكنّا لم نفكّر، ولم يخطر أبداً في ذهننا أن نفعل ذلك ولو لمرّة واحدة؛ لأنّا إذا دقّقنا لرأينا أن هذا الفعل قد يهتك كرامتنا، وسيقول الآخرون: إن فلاناً قد جُن، مع ذلك فإن «القهقهة بصوت عالٍ» ليست حراماً.

إذن عليكم أن تعلموا أن حلّية فعلٍ ما ليس دليلاً على الإتيان به.

وقد عُيّنت حدود بعض الأفعال في الشريعة الإسلامية، مثلاً قد أوجب علينا الشارع المقدّس الإتيان ببعض الأعمال، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و...، وكذلك حُرّمت علينا أخرى، كالكذب، والغيبة، والتهمة، والنظر إلى الأجنبية، والسرقة، كذلك عُدّت بعض الأفعال مستحبة، كالنظر إلى آيات القرآن، وفي قبال ذلك عُدّت بعض الأفعال مكروهة، كما قالوا لنا: إذا أردتم السير في مسير ما، ولم تطمئنوا إليه، فلا تضعوا أقدامكم فيه، وغير ذلك كثير، كذلك عُدّت الكثير من الأعمال مباحة، يعني: لا فرق بين الإتيان بها، وعدمه في نظر الشارع المقدّس.

ففي تلك الحدود التي شخّصها الشارع يكون تكليفنا واضحاً، وأما تلك الحدود التي ألقى الشارع تركها، أو فعلها إلينا، فيجب علينا أن نفكّر، ونتأمّل هل نترك أو نفعل؟ وهنا يتشخّص عقل العقلاء، وجهل الجهلاء.

أنت المزارع الذي تراقب أرضك من الصباح إلى المساء؛ حتى لا ينقص، أو يزيد ماؤها، لماذا لا تراقب لسانك، فتتكلّم بكل ما أراد؟! لأي سبب تفتح سمعك الشريف لكل شيء؟! أليست روحك مزرعة لك؟! أليست حقيقتك ونفسك الناطقة مزرعة إلهية؟! لماذا تغفل هذه الأرض في وقت البذر؟! إذا كنّا نراقب أنفسنا بالقدر الذي راقبنا به مزرعتنا، فسنجني من أرواحنا فواكه عظيمة

جدّاً، لماذا لا نراقب أرواحنا في الحال الذي فيه الأفاعي والعقارب تريد أن تُبيدها؟! لماذا لا نحرسها؟! لماذا اعتدنا النسيان في هكذا أمور؟! أإنّا إلى الآن لم نسمع نداء ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾[1]، لماذا نسينا أنفسنا إلى هذا الحدّ؟!.

النكتة التي نرى أنه من اللازم التذكير بها هنا هي إن الطهارة، والنجاسة التي تُطرح هنا هي غير الطهارة، والنجاسة التي تُطرح في الفقه، فإنّا حين نقول: إن الشخص الذي يتكلّم كثيراً، فإن فمه نجس، وذلك الذي يتكلّم مع التعقّل، فمه طاهر، هذه الطهارة، والنجاسة هي غير الطهارة، والنجاسة الفقهية، هذه النجاسات أخلاقية، وإنسانية، فإذا فُتحت عين قلب الشخص، فسيغلق فمه عن الكلام الزائد الذي هو نجسٌ، حتى إذا كان كلاماً حقّاً.

إذا كان الشخص ـ والعياذ بالله ـ يتكلّم من الصباح إلى المساء بكلام لا معنى له، فسيرى أهل القلوب أنه تخرج من فمه الرائحة النتنة، وإذا صلّى، ستتنزّل الملائكة في ذلك المكان، وتكتب له صلاته في ميزان الذنوب؛ لأن الملائكة ـ أيضاً ـ تستشعر تلك الرائحة؛ لذا يجب أن يراقب الإنسان لسانه جيّداً؛ حتى يحفظه طاهراً دائماً، في الوقت الذي يقف في الصلاة، ويقول ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾، يجب أن يمرّ هذا الكلام من قناة طاهرة وسليمة؛ لأنه في بعض الأحيان يكون الماء طاهراً، ولكن القناة والمجرى الذي يمرّ منه ذلك الماء يكون ملوّثاً؛ فيتلوّث الماء أيضاً.

إنّ ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ طاهرة، ولكن لأن فم ذلك المصلّي ولسانه تلوّثا، فحتّى هذه الآية الشريفة عند عبورها من ذلك المجرى، فإنّها ستخرج

---

١. الحشر: ١٩.

من الطهارة وتتلوّث أيضاً؛ لذا فإن صلاته لن تعطي أي نتيجة، أو أنه يصوم شهراً كاملاً، ولكن لا فرق بين يوم صومه ويوم عيده، فيُعلم هنا أن المجرى كان ملوّثاً، ولم يكن طاهراً.

لذا ورد عنهم عليهم السلام: الصائم لا تجوز له الغيبة والكذب واتّهام الآخرين، فضلاً عن حرمة تلك الأمور في غير ذلك من الأوقات[1].

نعم إن فم الإنسان ولسانه منبع ماء الحياة الإنسانية وكوثرها، و واسطة ظهور المغيبات من الغيب إلى الشهادة، فانظروا إلى فم الكوثر الإنساني لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم كيف أخذ الحقائق من الغيب، ونطق بها بأمر الله تعالى، وكيف أظهر هذا النوع من المعارف الباطنية المكسوّة بكسوة الآيات القرآنية على أساس الوحي الإلهي؟.

إذن الفم هو برزخ بين الغيب والشهود، وحاكي عن سِرّ الشخص، حيث جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«المرء مخبوء تحت لسانه».

وعنه عليه السلام:

«اللسان ترجمان الجنان».

وأيضاً:

«اللسان ترجمان العقل».

---

١. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه»**، أصول الكافي، ج٢، باب الغيبة والبهت، ح١.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: **«سُئل النبي صلى الله عليه وآله: ما كفّارة الاغتياب قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلّما ذكرته»**، المصدر السابق، ح٤.

وأيضاً:

«اللسان ميزان الإنسان».

وأيضاً:

«الألسن تترجم عمّا تجنّه الضمائر».

وأيضاً:

«المرء يوزن بقوله، ويقوّم بفعله؛ فقل ما ترجح زنته [زينته]، وافعل ما تجل قيمته»[1].

فكما أنه ينبع من العين الظاهرية ماء حياة الأبدان، كذلك يجب أن ينبع من الفم الطاهر والحقيقي للإنسان حقائق ماء حياة النفوس المشتاقة إلى الكمال وأسرارها، كالفم المبارك لصاحب المرتبة الختمية ﷺ الذي هو منبع عين ماء حياة المعارف الإنسانية، فانظر ماذا يصدر عن فمك.

▣ نقل واقعة فيها عِبرة

وفي نهاية هذا البحث أرى من المناسب أن أنقل هذه الواقعة عن أستاذنا العلاّمة حسن حسن زاده آملي ـ حفظه الله ـ التي ذكرها في كتاب «الإنسان في عرف العرفان» أيضاً، إذ قال سماحته:

«في سحر ليل الأحد ١٢/ ج١/ سنة ١٣٨٩هـ‍ـق، وبعد أداء نافلة الليل وفريضة الصبح جلست للتوجّه، وذلك في الأربعين المتمثّلة بتلاوة ذكر لفظ الجلالة «الله» بعدد خاصّ كل يوم بعد صلاة الصبح، فجأة حصلت لي جذبة وذهول، ما جعل البدن يرتجف، ويصدر عنه صوت شبيه بصوت

---

١. انظر: تصنيف غرر الحكم، ص٢٠٩.

«الشاحنة الكبيرة» التي تسير على الحصى في طريق غير مُعبّد، فرأيت أن روحي قد فارقت بدني، وعرَجَت، وأمست في بدن شبيه ببدن لطيف، وصعدتْ قليلاً إلى الأعلى، ثم رأيت أني في وسط بيت، أعمدته خشبية منحوتة، ولكني فيه مثل الطير المأسور في بيت مغلق الأبواب، وهو يتنقّل من هذا الجانب إلى ذاك، ولا سبيل أمامه للخروج.

بقيت أسيراً هناك ما يقرب من ربع ساعة، متنقّلاً من جهة إلى أخرى من دون فائدة، فجأة سمعت صوتاً من شخص لا أبصره، قال لي: إن حبسك هذا جرّاء كثرة كلامك الذي لا فائدة من ورائه، لماذا لا تراقب كلامك؟.

وأنا في تلك الحال أقسمت عدّة مرّات على الله تعالى بنبيه الخاتم ﷺ، وأخذت بالتضرّع والأنين، فجأة وقعت عيني على جهة الشمال من المنزل، فرأيتُ منفذاً ـ يمكن لشخص واحد فقط الخروج منه ـ قد فُتح، فخرجتُ من هناك، وبعد الخروج طرتُ لبعض الوقت باتّجاه المشرق، ثم انطلقتُ باتّجاه القبلة.

ولحظة الخلاص من ذلك الحبس ـ يعني وقت الخروج من ذلك المنزل ـ رأيت أنه منزل كبير وفخم جدّاً، قد بُني في وسط حديقة لا نهاية لها، فيها من الأشجار المختلفة المليئة بالبراعم البيض، التي لم أر مثلها في عمري.

ورأيتني أسيرُ في الهواء بقدر ارتفاع الأشجار، بشكلٍ كانت فيه جميع مقاديم بدني باتّجاه السماء، وظهري باتّجاه الأرض، واصعد، وانزل بإرادتي، وهمّتي، وأمري، وأقسمت على الله تعالى كثيراً بالنبي الخاتم ﷺ، وجميع الأنبياء عليهم السلام أن يهب لي كشف الحقائق، ثم ـ وأنا في هذا الحال ـ رجعتُ إلى نفسي.

لقد ترك ذلك الحبس ـ عِدّة دقائق ـ أثراً سيئاً جدّاً في نفسي بالشكل

الذي صار بدني متعباً، ومرهقاً، وسبّب لي ذلك ألماً شديداً في رأسي وعاتقي، وازدياداً وسرعة في خفقان القلب.

أيها العزيز، ضع هذه النكتة من كتاب «هزار ويك نكته»[1] حلقة في أذنك جيّداً، وهي:

«تشرّف شخص من أهل الولاء ـ وكان لي معه موالاة ـ في مراقبةٍ بلقاء «**من رآني فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثّل بي**»[2]، وطلب من جناب الرسول الأكرم ﷺ ذكراً، فقال له ﷺ: «**أنا أعطيك ذكر السكوت**».»[3].

وفق الله الجميع للعلم والعمل الصالح.

«والحمد لله ربّ العالمين»[4]

---

١. هزار ويك نكته، النكتة رقم:٣٢٠.

٢. البحار، الطبع الكمباني، ج١٤، ص٤٥٥.

٣. الإنسان في عرف العرفان، الفصل الثالث، الواقعة السادسة.

٤. لله الحمد والمنّة. تمّت ترجمة هذا المجلس، وشرعتُ في الذي يليه صباح الثلاثاء ٢٠١٢/١/١٠م، في جوار مولاي الهمام الإمام الرؤوف الرضا عليه آلاف الصلاة والتحية والسلام، أسأل الله تعالى بحقّه أن يوفقّني لإتمام ترجمة هذا الكتاب المستطاب، وأن يتقبّل منّي هذا الإهداء القليل بحقهم ﷺ بلطفه وكرمه، (م).

المجلس السادس

- الطهارة حين انعقاد النطفة
- مجموعة إرشادات للأزواج
- الطهارة في تربية الأطفال

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ الطهارة حين انعقاد النطفة

نُخصّص هذا المجلس لبحث موضوع يُعدّ من أهمّ وأخطر المواضيع في حياة المجتمع، ألا وهو موضوع الزواج، وطهارة النطفة، وتربية الأطفال، وهنا مجموعة من الإشارات والنكات نتحدّث عنها تباعاً بعد أن ننقل هذا الحديث الشريف الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته للوصي أمير المؤمنين علي عليه السلام.

حيث ورد عن أبي سعيدٍ الْخُدري قال: أَوْصى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال:

«يَا عَلِيُّ، إِذَا دَخَلَتِ الْعَرُوسُ بَيْتَكَ، فَاخْلَعْ خُفَّهَا حِينَ تَجْلِسُ، وَاغْسِلْ رِجْلَيْهَا، وصُبَّ الْمَاءَ مِنْ بَابِ دَارِكَ إِلَى أَقْصَى دَارِكَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَخْرَجَ اللهُ مِنْ دَارِكَ سَبْعِينَ أَلْفَ لَوْنٍ مِنَ الْفَقْرِ، وأَدْخَلَ فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ لَوْنٍ [سَبْعِينَ لَوْناً] مِنَ الْبَرَكَةِ، وأَنْزَلَ عَلَيْكَ سَبْعِينَ رَحْمَةً تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِ الْعَرُوسِ حَتَّى تَنَالَ بَرَكَتُهَا كُلَّ زَاوِيَةٍ مِنْ بَيْتِكَ، وتَأْمَنَ الْعَرُوسُ مِنَ الْجُنُونِ، والْجُذَامِ، والْبَرَصِ أَنْ يُصِيبَهَا مَا دَامَتْ فِي تِلْكَ الدَّارِ، وامْنَعِ الْعَرُوسَ فِي أُسْبُوعِهَا مِنَ الأَلْبَانِ، والْخَلِّ، والْكُزْبُرَةِ، والتُّفَّاحِ الْحَامِضِ مِنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ الأَشْيَاءِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يَا رَسُولَ الله، ولأَيِّ شَيْءٍ أَمْنَعُهَا مِنْ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الأَرْبَعَةِ؟.

قَالَ: لأَنَّ الرَّحِمَ تَعْقَمُ، وتَبْرُدُ مِنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ الأَشْيَاءِ عَنِ الْوَلَدِ، ولَحَصِيرٌ

فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ خَيْرٌ مِن امْرَأَةٍ لَا تَلِدُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا بَالُ الْخَلِّ تَمْنَعُ مِنْهُ؟.

قَالَ: إِذَا حَاضَتْ عَلَى الْخَلِّ لَمْ تَطْهُرْ أَبَداً طُهْراً بِتَمَامٍ، والْكُزْبُرَةُ تُثِيرُ الْحَيْضَ فِي بَطْنِهَا، وتُشَدِّدُ عَلَيْهَا الْوِلَادَةَ، والتُّفَّاحُ الْحَامِضُ يَقْطَعُ حَيْضَهَا؛ فَيَصِيرُ دَاءً عَلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ووَسَطِهِ، وآخِرِهِ؛ فَإِنَّ الْجُنُونَ، والْجُذَامَ، والْخَبَلَ يُسْرِعُ إِلَيْهَا وإِلَى وَلَدِهَا، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ بَعْدَ الظُّهْرِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكُونُ أَحْوَلَ الْعَيْنِ، والشَّيْطَانُ يَفْرَحُ بِالْحَوَلِ فِي الْإِنْسَانِ، يَا عَلِيُّ، لَا تَتَكَلَّمْ عِنْدَ الْجِمَاعِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ أَخْرَسَ، ولَا يَنْظُرَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَى فَرْجِ امْرَأَتِهِ، ولْيَغُضَّ بَصَرَهُ عِنْدَ الْجِمَاعِ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْفَرْجِ يُورِثُ الْعَمَى فِي الْوَلَدِ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ بِشَهْوَةِ امْرَأَةِ غَيْرِكَ؛ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ أَنْ يَكُونَ مُخَنَّثاً، مُؤَنَّثاً، مُخَبَّلاً، يَا عَلِيُّ، مَنْ كَانَ جُنُباً فِي الْفِرَاشِ مَعَ امْرَأَتِهِ، فَلَا يَقْرَأِ الْقُرْآنَ؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمَا نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَتُحْرِقَهُمَا، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ، إِلَّا ومَعَكَ خِرْقَةٌ ومَعَ أَهْلِكَ خِرْقَةٌ، ولَا تَمْسَحَا بِخِرْقَةٍ وَاحِدَةٍ، فَتَقَعَ الشَّهْوَةُ عَلَى الشَّهْوَةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْقِبُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَكُمَا، ثُمَّ يَرُدُّكُمَا إِلَى الْفُرْقَةِ، والطَّلَاقِ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ مِنْ قِيَامٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْحَمِيرِ، وإِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ كَانَ بَوَّالاً فِي الْفِرَاشِ كَالْحَمِيرِ الْبَوَّالَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ فِي لَيْلَةِ الْفِطْرِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْوَلَدُ إِلَّا كَثِيرَ الشَّرِّ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ فِي لَيْلَةِ الْأَضْحَى؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ لَهُ ستُّ أَصَابِعَ، أَو أَرْبَعُ أَصَابِعَ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ جَلَّاداً، قَتَّالاً، عَرِيفاً، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعْ أَهْلَكَ فِي وَجْهِ الشَّمْسِ وتَلَأْلُئِهَا، إِلَّا أَنْ

يُرْخَى سَتْرٌ فَيَسْتُرَكُمَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ لَا يَزَالُ فِي بُؤْسٍ وفَقْرٍ حَتَّى يَمُوتَ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعْ أَهْلَكَ بَيْنَ الْأَذَانِ والْإِقَامَةِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ حَرِيصاً عَلَى إِهْرَاقِ الدِّمَاءِ، يَا عَلِيُّ، إِذَا حَمَلَتِ امْرَأَتُكَ، فَلَا تُجَامِعْهَا إِلَّا وأَنْتَ عَلَى وُضُوءٍ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ أَعْمَى الْقَلْبِ، بَخِيلَ الْيَدِ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعْ أَهْلَكَ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ مَشُوماً، ذَا شَامَةٍ فِي وَجْهِهِ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعْ أَهْلَكَ فِي آخِرِ دَرَجَةٍ مِنْهُ [مِنَ الشَّهْرِ] إِذَا بَقِيَ مِنْهُ يَوْمَانِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ عَشَّاراً، أَوْ عَوْناً لِلظَّالِمِ، ويَكُونُ هَلَاكُ فِئَامٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى يَدَيْهِ، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعْ أَهْلَكَ عَلَى سُقُوفِ الْبُيُوتِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ مُنَافِقاً، مُرَائِياً، مُبْتَدِعاً، يَا عَلِيُّ، وإِذَا خَرَجْتَ فِي سَفَرٍ فَلَا تُجَامِعْ أَهْلَكَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ، وقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾، يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعِ امْرَأَتَكَ إِذَا خَرَجْتَ إِلَى سَفَرٍ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ولَيَالِيهِنَّ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ عَوْناً لِكُلِّ ظَالِمٍ عَلَيْكَ.

[وأمّا الأوقات المناسبة للجماع]

يَا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِالْجِمَاعِ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ يَكُونُ حَافِظاً لِكِتَابِ اللهِ، رَاضِياً بِمَا قَسَمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، يَا عَلِيُّ، إِنْ جَامَعْتَ أَهْلَكَ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ، فَقُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ، فَإِنَّهُ يُرْزَقُ الشَّهَادَةَ بَعْدَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، ولَا يُعَذِّبُهُ اللهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، ويَكُونُ طَيِّبَ النَّكْهَةِ مِنَ الْفَمِ، رَحِيمَ الْقَلْبِ، سَخِيَّ الْيَدِ، طَاهِرَ اللِّسَانِ مِنَ الْغِيبَةِ، والْكَذِبِ، والْبُهْتَانِ، يَا عَلِيُّ، وإِنْ جَامَعْتَ أَهْلَكَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ، فَقُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ، فَإِنَّهُ يَكُونُ حَاكِماً مِنَ الْحُكَّامِ، أَوْ عَالِماً مِنَ الْعُلَمَاءِ، وإِنْ جَامَعْتَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ عَنْ كَبِدِ السَّمَاءِ، فَقُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقْرَبُهُ حَتَّى يَشِيبَ، ويَكُونُ فَهِماً، ويَرْزُقُهُ اللهُ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ والدُّنْيَا، يَا عَلِيُّ،

فَإِنْ جَامَعْتَهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وكَانَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ، فَإِنَّهُ يَكُونُ خَطِيباً، قَوَّالاً، مُفَوَّهاً، وإِنْ جَامَعْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مَعْرُوفاً، مَشْهُوراً، عَالِماً، وإِنْ جَامَعْتَهَا فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ لَكُمَا وَلَدٌ مِنَ الأَبْدَالِ إِنْ شَاءَ اللهُ. يَا عَلِيُّ، لاَ تُجَامِعْ أَهْلَكَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا وَلَدٌ لاَ يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ سَاحِراً، مُؤْثِراً لِلدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ، يَا عَلِيُّ، احْفَظْ وَصِيَّتِي هَذِهِ كَمَا حَفِظْتُهَا عَنْ جَبْرَئِيل»[1].

وجاء عن الرضا عليه السلام:

«فلا تقرب النساء من أول الليل صيفاً ولا شتاء؛ وذلك لأن المعدة، والعروق تكون ممتلئة، وهو غير محمود، ويتولد منه القولنج، والفالج، واللقوة، والنقرس، والحصاة، والتقطير، والفتق، وضعف البصر، ورقته.

فإذا أردت ذلك، فليكن في آخر الليل؛ فإنه أصلح للبدن، وأرجى للولد، وأزكى للعقل في الولد الذي يقضي الله بينهما. ولا تجامع امرأة حتى تلاعبها، وتكثر ملاعبتها، وتغمز ثدييها؛ فإنك إذا فعلت ذلك غلبت شهوتها، واجتمع ماؤها؛ لأن ماءها يخرج من ثدييها، والشهوة تظهر من وجهها وعينيها، واشتهت منك مثل الذي تشتهيه منها.

ولا تجامع النساء إلا وهي طاهرة، فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً، ولا تجلس جالساً، ولكن تميل على يمينك. ثم انهض للبول إذا فرغت من ساعتك شيئاً؛ فإنك تأمن الحصاة بإذن الله تعالى. ثم اغتسل، واشرب من ساعتك شيئاً من المومياثي بشراب العسل، أو بالعسل منزوع الرغوة، فإنه يرد من الماء مثل الذي خرج منك»[2].

---

١. أمالي الصدوق، المجلس الرابع والثمانون.

٢. بحار الأنوار، ج٥٩، ص٣٢٧، عن الرسالة الذهبية.

وقال الصادق عليه السلام:

«تعلّموا من الغراب ثلاث خصال: استتاره بالسفاد، وبكوره في طلب الرزق، وحذره»[١].

وفضلاً عن التأكيد على أهمّية الزمان، كذلك جاء في الروايات التأكيد الشديد على المكان، والتوجّه إلى أي جهة [من الجهات الست] عند المجامعة.

من ذلك قولهم عليهم السلام:

«لا يجامع الرجل زوجته مقبلاً إلى القبلة، أو مدبراً لها»[٢].

وحكمته هي إن التوجّه لأي جهة كانت له خاصّية معيّنة، فإن التوجّه إلى جهة القطب الجنوبي، ونجم السهيل مؤثّر جدّاً في سهولة الولادة، والتوجّه إلى القطب الشمالي، ونجم بنات النعش مفيد جدّاً في صحة العين، وتقويتها.

من هنا يمكن لنا أن نفهم بعضاً من أسرار التوجّه إلى الكعبة حين الصلاة؛ إذ يكون موجباً لتوجّه النفس إلى عالم القدس.

وجاء في بعض الروايات ـ أيضاً ـ لا يكون أحدكم حين المجامعة، وفي يده خاتم نُقش عليه اسم الله.

وجاء في خزائن النراقي رحمه الله:

«سر بعد الطعام ولو خطوة، نم بعد الحمّام ولو لحظة، بُل بعد الجماع ولو قطرة»[٣].

وفي «مكارم الأخلاق» عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

---

١. البحار، ٦١، ص٢٦٢.

٢. مكارم الأخلاق، ج١، ص٤٥٩.

٣. الخزائن، ص١٣.

«لا يحلُ لامرأةٍ أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها...»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّ امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وآله [لبعض] الحاجة، فقال لها: لعلّك من المسوّفات، فقالت: يا رسول الله، وما المسوّفات؟ فقال: المرأة يدعوها زوجها لبعض الحاجة، فلا تزال تسَوفه، حتى تنقضي حاجة زوجها، فينام، فتلك لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها»[٢].

وأعلموا أن منشأ كثير من التنافر، والاختلاف الحاصل بين الرجل والمرأة في البيت هو بسبب عدم أرضاء كل منهما، أو أحدهما لرغبة الآخر؛ فلذا يجب على الطرفين إجابة رغبة زوجه متى ما دعاه لها.

من هنا نفهم تأكيد بعض الروايات على استحباب الجماع، وهذا باعث على زيادة المحبّة والألفة بين الزوجين، ولكن يجب الالتفات إلى ألّا تصل كثرة ذلك إلى الحدّ الذي يوجب ضعف قوّة الزوجين، أو عدم امتيازهم من الحيوانات، فتصير الشهوة لهم ملكة كالديك؛ فيصبحان شهوانيين.

وعليكم الرجوع إلى كتاب «مكارم الأخلاق» للطبرسي رحمه الله؛ فإن فيه الكثير من هذه التوصيات المعصومية، التي هي منار يضيء لنا الدرب إلى الله سبحانه، ومن ثم يكون بناء الأسرة بناءاً محكماً ـ إن شاء الله تعالى ـ

وفي آخر مطلب نقدّمه للأزواج الأعزاء هو إذا لم يثمر زواجهم، ولم يولد لهم طفل، فعليهم ألّا يقطعوا الأمل، ولا يجرّهم ذلك إلى اليأس من رحمة الله، وعليهم ألاّ يُعطوا أنفسهم إلى الأطباء تماماً، وتعاطي الأقراص، والعلاجات

---

١. مكارم الأخلاق، ج١، ص٥٠٨.

٢. المصدر السابق، ص٤٦٩.

الكيميائية؛ لأن ذلك ـ لا أنه لايعالج المسألة فحسب ـ بل إن ذلك العمل يميت رحم الأمّ، وربما ينجرّ إلى العقم؛ لأن كثيراً من الأرحام تحمل بعد سنين طويلة من الزواج، وإن النبي إبراهيم[1]، والنبي زكريا عليهما السلام[2] لأنموذجان كاملان لإثبات هذا المدّعى؛ فإن كلا هذين النبيين صار أباً بعد سنين من عدم الإنجاب من قبل زوجتيهما.

واعلموا ألّا وجود للمرأة والرجل العقيمين بشكل طبيعي إطلاقاً، إلا إذا كانا حاملين لعلامات ذلك، وهي عدم حصول العادة فيما يخصّ المرأة، وعدم وجود الشعر على العانة فيما يخصّهما، ففي مثل هذه الصورتين ـ فقط ـ يمكن أن يكونا عقيمين، ولم يبق لهما طريق للإنجاب، ويمكن لكل من كان غير ذلك أن ينجب مهما تمادت به السنون.

▣ مجموعة إرشادات للأزواج

١. على الأخوات والأمّهات الابتعاد عن أكل الكزبرة، وما جاء في الحديث الذي نقلناه عن «أمالي الصدوق» في مقدّمة هذا البحث.

٢. من اللازم أن يعرض الرجل والمرأة أنفسهما على الحمّام قبل المجامعة.

٣. لا يحبَّذ الجماع على التعب، كذلك لمن يعاني من انتكاسة نفسية، أو عصبية.

٤. فائدة الجماع تكمن في وصوله إلى النهاية.

٥. يكره للمتزوّج ترك مجامعة زوجته أكثر من أربعة أيام، ويُحرم تركه

---

١. انظر: ابراهيم: ٣٩، والحجر: ٥٤

٢. انظر: آل عمران: ٣٨ ـ ٤١، ومريم: ٨.

أكثر من أربعة أشهر.

٦. على الحامل أن تواظب على قراءة سورة يوسف، وسورة مريم المباركتين طوال مدّة الحمل.

٧. أفضل طريق لمنع الحمل هو إلقاء الرجل ماءه خارج رحم الأم، وعليكم الابتعاد، والحذر من الأقراص المانعة للحمل.

٨. الابتعاد عن الرغبة في تقليل الأطفال، وعلى الأخوة والأخوات الذين تزوّجوا حديثاً إكثار النسل، وخصوصاً السادة الأجلاّء من ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فإن تقليل نسل الشيعة ظلم عظيم لرسول الله، وآله الأطهار عليهم السلام، فعليكم بتكثير نسل مولاتنا الزهراء ـ صلوات الله عليها ـ إلا لمن كان له عذر، وحجّة أمام الله تعالى.

٩. اتركوا الطفل يولد متى ما جاء وقت ولادته، وعلى المرأة الابتعاد عن تناول الدواء لتقريب موعد الولادة، أو تبعيده.

ولتعلم أن الألم المصاحب للولادة له من الفوائد، والأسرار على جسمها، وروحها ما لا يمكن لعقل الإنسان أن يحيط به.

١٠. البصل مفيد جدّاً لتقوية كل البدن وأعصابه، وخصوصاً رحم المرأة.

وأخيراً أقول ـ وكما قال الأستاذ[١]: على الرجل والمرأة أن يعلما أن الزواج هو لإنشاء الصورة الإنسانية، لا لإطفاء الشهوة الحيوانية؛ ولذا عليهم الانتباه قبل الزواج وبعده، ومراقبة جميع تصرّفاتهم بالشكل الذي ينتهي إلى هذا المقصود، وهذه الغاية؛ لأن جميع الكيفيات النفسانية، والمزاجية، والأحوال الظاهرية والباطنية للوالدين لها دخل في كيفية ومزاج واستعداد النطفة، وحتى

١. شرح فص حكمة عصمتية في كلمة فاطمية، ص٣٣.

حالات الأم، وطعامها، وشرابها في أثناء مدّة الحمل له دخل في ذلك.

وعلى الجميع مراعاة دساتير المعصومين عليهم السلام، وأوامرهم في كل شؤون الحياة؛ فهي الطريق الناصع والصحيح لرفاه دنيانا، وسعادة أخرانا.

▣ الطهارة في تربية الأطفال

يجب أن تحفظ الطهارة في جميع حالات الإنسان وشؤونه؛ فقد تقدّم في الرواية أنه إذا فكّر الرجل بعرض الآخرين حين المجامعة مع زوجته، فسيكون الطفل الذي انعقدت نطفته في تلك اللحظة فاقداً الطهارة المعنوية[1].

يجب أن يولد الإنسان، وينمو بالشكل الذي يكون فيه «شجرة طيّبة طوبى»، شجرة يستفيد منها كل من جلس تحتها نحواً من الاستفادة، فتكون ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[2]، بالشكل الذي يأنس أحدهم بكلامه، وثانٍ يتعلّم من مشيه، وثالث ينتفع من أخلاقه الحسنة.

قال تعالى: ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...**﴾[3]، الأب مُزارع، والأم مزرعة، والأرض حرث، ومن يزرع الأرض، فهو حارث، ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...**﴾، إذن، فأنتم تزرعون، وتبذرون في نسائكم، وقال تعالى في خصوص مريم عليها السلام، وطهارة منبتها: ﴿...**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً**﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً...**﴾[5]، وكما أن

---

١. انظر: مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٥٥.

٢. إبراهيم: ٢٤.

٣. البقرة: ٢٢٣

٤. آل عمران: ٣٨.

٥. الأعراف: ٥٨.

المزارع يراقب محل زراعته؛ حتى لا يقلّ ماؤه، أو يزداد عن الحدّ مثلاً، ويراقب أموراً أخرى أيضاً؛ حتى لا يفسد عمله وزراعته، كذلك يجب أن يراقب الرجل زوجته، ويحافظ عليها بذلك القدر، بل أكثر من ذلك بمراتب، وكذلك يجب على المرأة أن تراقب تلك المزرعة التي بذرت فيها البذور، وتحافظ عليها إلى الدرجة التي جاء في بعض الروايات أنه: يجب ألا تكون المرأة في مدّة الحمل بذيئة اللسان، ولا تكذب، ولا تسيء الظن، وتكون دائماً على طهارة، وعليها أن تحتاط عن أكل الحرام[١]، فإن السعيد، من سعد في بطن أمه، والشقي، من شقي في بطن أمه[٢].

وعلى المرأة أن تسعى حتى تُعطي من مزرعتها للمجتمع «شجرة طيّبة»، شجرة تعطي الفاكهة الجيّدة والمفيدة، ويستفيد وينتفع منها الجميع.

وحتّى إذا اضطرّت المرأة إلى الجلوس في البيت مدّة ثلاث سنوات، أو حتّى سبع، فعليها أن تكون جليسة بيتها، ولا تخرج إلا بقدر الضرورة، وتتفرّغ لتربية أطفالها؛ فإن الأمر يستحقّ، ويستحقّ كثيراً[٣]؛ لأن الطفل يجب أن يكون ذا أخلاق وطبائع طاهرة.

وعلى الأم أن تقدّم للمجتمع إنساناً صالحاً؛ لذلك عليها أن تسعى، وتجدّ، وتجتهد من أجل هذه الغاية الرفيعة، والله تعالى قد ادّخر لها الأجر؛ فقد ورد عن النبي ﷺ:

---

١. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كسب الحرام يبين في الذرية**»، الوسائل، ج١٢، ص٥٣.

٢. كنز العمال، ح٤٩٠.

٣. وخير أنموذج لنا في ذلك هو كيفية انعقاد نطفة الزهراء عليها السلام؛ إذ أمر النبي ﷺ وخديجة عليها السلام أن يعتزلا الناس، فكان جبرائيل عليه السلام يأتيهم بالطعام. وانظر كتاب: تربية الطفل، للشيخ مظاهري، ص٧٣.

«إنّ المرأة إذا حملت، كان لها من الأجر كمن جاهد بنفسه، وماله في سبيل الله عز وجل، فإذا وضعت، قيل لها: قد غفر لك ذنبك فاستأنفي العمل، فإذا أرضعت، فلها بكل رضعة تحرير رقبة من ولد إسماعيل»[1].

هذا، وعلى الأم التي تريد أخذ طفلها إلى الحمّام أن تراعي الطفل في عدم جلوسه مقبلاً، أو مدبراً للقبلة، وإذا لم تراع ذلك، فقد ارتكبت حراماً، وسيترك هذا الفعل أثراً في الطفل، وقد جاء في الروايات ما معناه أنه إذا جلس الطفل مقابل القبلة، وهو في حال التخلّي، فلا تنهروه؛ لأنه لا يفهم، إلا إذا رأيتم الصلاح في تعليمه، فعلّموه، وكل ذلك يكون باعثاً على اعتدال نفس الطفل، وقليلاً قليلاً تتحرّك نفسه باتّجاه الطهارة الروحية، وتحقيقها.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١. بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٢٥٢.

المجلس السابع

- طهارة القوى العملية للنفس
- دور الدساتير الشرعية في طهارة قوى النفس
- الفقه مقدّمة لتهذيب الأخلاق
- ظهور الطهارة في البدن، وتشكّل ملكة التسليم في النفس

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ طهارة القوى العملية للنفس

طرحَ سماحة الأستاذ في الكتاب الشريف «وحدت از ديدگاه عارف وحكيم»[1] المرتبة الأخيرة من الطهارة الظاهرية، وهي طهارة مراتب القوى العملية للنفس؛ لأن النفس لها قوى كثيرة مثل قوّة الباصرة، والذائقة، والشامّة، والغضبية، والشهوية و...، وهي تقوم بأعمالها من خلال هذه القوى.

جاء في هذا القسم من الكتاب[2]:

«...والطهارة الظاهرية في مراتب القوى العملية للنفس هي مرتبة التجلية؛ فإن النفس، وبالمراقبة الكاملة تُدخل قوى وأعضاء البدن تحت انقياد وطاعة الشرع، والنواميس الإلهية، فتصير طاعة الأوامر واجتناب النواهي الشرعية على نحو أكمل؛ حتى تتجلّى النقاوة الصورية، والطهارة الظاهرية في البدن، وقليلاً قليلاً تتحقّق في النفس صفة الانقياد، وملكة التسليم لإرادة الحقّ، ولحصول هذه المرتبة فإن علم الفقه طبق الطريقة الجعفرية الحقّة كافٍ ومتعهد لهذا الأمر بالنحو الأكمل، والفقه مقدّمة

---

١. أي: الوحدة عند العارف والحكيم.

٢. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٠ و٥١.

لتهذيب الأخلاق، والأخلاق مقدّمة للتوحيد...».

▣ دور الدساتير الشرعية في طهارة قوى النفس

إن الدساتير الشرعية في المسائل الفقهية هي من أجل تطهير النفس في جميع قواها، و واحدٌ من أسرار الأمر بالصلاة، والصوم هو تطهير قوى البدن الظاهرية، وكذلك من أجل تأديب أعضاء البدن عند العبادة.

وإذا دقّقتم في الصلاة سترون إلى أي حدٍّ أن هذا العمل موجب لتأدّب البدن، من أول الوقوف، إلى الجلوس، والحركة، والتسبيح، والحمد، وقراءة السورة، و.... ـ وعليكم أن تراجعوا في هذا المطلب الكتب التي كتبت في خصوص الصلاة، مثل كتاب «الآداب المعنوية للصلاة» للإمام الخميني ﷺ ـ فإذا أراد الشخص أن يصلّي، فكيف يجب عليه أن يراعي الآداب، وكيف يجب عليه أن يؤدّب أعضاءه وجوارحه؛ حتى يؤدي حقّ الصلاة في مرتبة الظاهر؟!.

كذلك الصوم له آدابه، فالصوم باعث على السيطرة على قوّة الإنسان الشهوية؛ لأن دوام وصول الطعام إلى النفس يساعد على غليان القوّة الشهوية، والصوم باعث على تعديل تلك القوّة، فإذا أراد الإنسان أن يأكل كثيراً، فسيكون ذلك سبباً لتقوية قواه النفسية، وسيكون من الصعب عليه أن يقف أمام مشتهياتها وطلباتها، ولكن إذا نُظّم ذلك الطعام بواسطة دستور العمل الشرعي، فالنفس في تلك القوى ستتروّض تدريجياً، وفي هذه الحال لن يصعب الوقوف أمامها، وأمام مشتهياتها[1].

---

١. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا معشر الشباب، عليكم بالباه، فإن لم تستطيعوه فعليكم بالصيام فإنه وجاؤه**»، وعن عثمان بن مظعون قال: قلت لرسول الله ﷺ: أردت يا رسول الله، أن اختصي، قال: «**لا تفعل يا عثمان، فإن اختصا أمّتي الصيام**»، راجع سنن النبي ﷺ

وكثيراً ما قال سماحة الأستاذ:

«النفس جامحة إلى الدرجة التي لو أن مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ذُبحوا أمامها، وطلبوا منها أن تتركنا، لما رفعت يدها، وتركت الإنسان، إلا أنهم قالوا: الصيام يسيطر على النفس».

لذا فالأحكام الشرعية هي من أجل تأديب قوى النفس وتطهيرها، وخصوصاً القوّتين الشهوية، والغضبية، فإذا استطاع الإنسان أن يسيطر على هاتين القوّتين، فإنه سيرتقي كثيراً.

كما أن بعض الأحكام شُرّعت لتقريب الإنسان، وارتباطه بخالقه، وجاءت بعض الأحكام ـ أيضاً ـ لتقريب الإنسان من أفراد نوعه، مثل الأحكام التي وردت في خصوص الخمس، والزكاة، ومساعدة الفقراء، وكيفية التعامل بين طرفين، وبعض الأحكام الشرعية هي من أجل تنظيم الروابط بين الشخص ونظام الوجود، وهي باعث على انسجامه، وتكيّفه مع العالم، لا أنه يعمل كيفما يحب ويشاء، مثل أحكام أوقات الصلاة، والصوم، فوقت صلاة المغرب والعشاء عند غروب الشمس، ووقت صلاة الظهر والعصر عند زوالها، وكذلك يجب الإمساك ـ في نهار الصوم ـ عن الأكل والشرب وغيرها من المفطّرات من ابتداء الصبح إلى حين الغروب، وكذلك من سعى وراء ازدياد التوفيق والارتقاء، عليه أن يكون مستيقظاً في الأسحار[1].

ومجموع هذه الأمور تدلّ على انسجام الشخص وتكيّفه مع نظام العالم[2]؛

الباب الثالث: استحباب الصوم عند غلبة شهوة الباه، وتعذّره حلالا.

١. قال تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾، الإسراء: ٧٩.

٢. ومن باب ارتباط أكثر بنظام العالم، ولتشخيص الزوال، وتشخيص الصبح والمغرب

لأن الإنسان يسعى من أجل الإطّلاع أكثر على العالم، فأحياناً ـ ومن أجل الحصول على هذه الروابط ـ يجلس الإنسان للتفكّر، وأن جميع تلك الأمور لها التأثير الكبير في صناعة الإنسان، وإذا ما أتينا بالأحكام الشرعية على الوجه الدقيق، فإن قوى النفس ستعتدل.

قال سماحته:

«...والطهارة الظاهرية في مراتب القوى العملية للنفس هي مرتبة التجلية...».

«**التجلية**»: هي جلاء النفس، فأصل النفس ليست موجوداً وجد وخُلق بواسطة الصلاة، أو الصوم، بل إن النفس حقيقة خلقها الله تعالى، وظهرت إلى الوجود،

والعشاء، والمسائل الأخرى المرتبطة بنظام الوجود أيضا.

قال سماحة الأستاذ في النكتة «٥٨٢» من كتاب «هزار ويك نكته»: «لا يخفى على من اعتبر أمور الدين الاسلامي ولو قليلاً ما وقع بين بعض أحكام الشريعة الاسلامية في العبادات، وبين بعض الظواهر الفلكية من الارتباط الواضح الجلي، أن اوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد إلى بلد، ومن يوم إلى يوم، فيقتضي حسابها معرفة عرض البلد الجغرافي، وحركة الشمس في فلك البروج، وأحوال الشفق الاساسية. ومن شروط الصلوة الاتجاه إلى الكعبة، فيستلزم ذلك معرفة سمت القبلة، أي: حل مسألة من مسائل علم الهيأة الكروي مبنية على حساب المثلثات، ومن وجوب صلوة الكسوف يحصل حسن التأهّب لها قبيل انكساف الشمس أو القمر، فلا يمكن ذلك الا بمعرفة حساب حركات النيّرين، واستعمال الازياج المتقنه. وكذلك لا تخلو أحكام انقضاء النذور، وفرض الصوم، والفطر عما يحث الناس على الحسابات الفلكية؛ لأن ابتداء صوم رمضان، وانتهاءه يؤخذان من روية الهلال.

إن أحكام الشريعة في الصوم حملت الفلكيين على البحث عن المسائل العويصة المتّصلة بشروط رؤية الهلال وأحوال الشفق، فبرزوا في ذلك، واخترعوا حسابات وطرقاً بديعة لم يسبقهم اليها أحد من اليونان، والهند، والفرس».

وبعد ذلك جعل الله جلاءها بواسطة الأحكام الشرعية، مثل البناء الذي يُبنى أولاً، ثم يقولون لنا: زيّنوه، واطلوه، وجمّلوه، إذن بناء البناية شيءٌ، وتجليته، وتزيينه شيءٌ آخر؛ ولأنّا لا نعلم كيف يجب علينا أن نقيم ارتباطنا مع عالَم الخلق في نظام الوجود، فمن اللازم أن يكتب خالق نظام العالَم بالقلم نفسه الذي خلق به العالَم دستوراً ينظّم به الرابطة بين الإنسان والعالَم، والإنسان وربّ العالَم، وتنظيم الارتباطات بمنزلة تلوين النفس الناطقة وتزيينها؛ حتى نصل إلى الأصل الشريف بأن العلم والعمل جوهران يصنعان الإنسان.

إذن فتعبير «النور» في الروايات كما في: «الوضوء نور، الصلاة نور، الصوم نور، الحج نور» يدل على أن إنارة منزل القلب وتزيينه، وتجلية بناء النفس الناطقة، لا يتحقّق إلا بواسطة مراعاة الأحكام الشرعية.

ويطلقون على أصل إيجاد الموجودات «التكوين»، وأما «التشريع»، فهو مما يخص الإنسان وتزيينه؛ لذا قيل: «مرتبة التشريع تخص الإنسان في مرتبة تجليته».

والأحكام الشرعية موجبة لدخول قوى النفس في طاعة الإنسان، فإذا صام الشخص، فستطيعه القوّة الشهوية، وسيستعصي عليها، بخلاف الشخص الذي يملأ بطنه يومياً، ويأكل كل ما تشتهي نفسه، فإن مثل هكذا شخص لا يقدر ـ أبداً ـ أن يسيطر على قوّته الشهوية؛ لأنه ليس من العقل أن يعطي الإنسانُ سكّيناً لمجنون، ثم يقول له: لا تضرب؛ فإنها خطرة؛ إذ إن نفس إعطائك السكّين له هو رفعٌ للنهي؛ لأنه مجنون، وسيضرب بها، وهو لا يدرك نهيك إياه، والنفس قبل الإصلاح ـ أيضاً ـ كالمجنون إذا أراد أحد أن يعطيه السكّين قبل الدستاتير الشرعية، فسيكون خطراً.

ومن أجل نزع سلاح النفس الناطقة يجب أن نقتلع منها قوّتي الغضب

والشهوة ـ بالقدر الذي يكون ضاراً ـ وأفضل الطرق لذلك هو الصوم، والجوع؛ فالنفس إذا كانت جائعة تكون مطيعة.

والنكتة المهمّة الأخرى هي: إن الشارع المقدّس أرسل الأحكام الشرعية لدفع الذنوب، لا لرفعها؛ لأن هناك فرقاً بين الدفع والرفع، فإذا ذهب شخص للدكتور قبل عروض المرض، أو كان على أعتاب المرض، وأخذ منه التعليمات من أجل دوام سلامته، وقال له الدكتور: إذا أردت ألا يصل لك المرض، فاعمل بهذه التعليمات، فهنا يقال للعلاج قبل الوقوع في اصطلاح العرب «دفع»، كتلقيح الأطفال، فهو بمنزلة تقوية بدن الطفل، وتحصينه في قبال الأمراض المستقبلية، ولكن إذا انتظر الشخص حتى يمرض، ثم فكّر بالعلاج، فيقال لهذه الصورة في اصطلاحهم «رفع» المرض، إذن «الدفع» هو العلاج قبل المرض، و«الرفع» هو العلاج بعده، والشريعة المطهّرة هي من أجل دفع الأمراض الروحية عن الإنسان، ولا تترك روحه حتى تمرض؛ لذا فهي أصدرت التعليمات للأب والأم منذ ابتداء تكوّن النطفة بأنكم إذا أردتم أن يكون عندكم أطفال، فلا تتقاربوا في الليل الكذائي، أو تستقبلوا القبلة، وانتم في تلك الحال، أو لا تتقاربوا على الجوع الشديد، أو الشبع الشديد، وعشرات التعليمات الأخرى في هذا الخصوص[1]، وإذا لم تراع هذه التعليمات، فإنها ستؤثّر في روحية الطفل تأثيراً سلبياً، وستسبّب له الكثير من المشاكل.

عزيزتي الأم، إن بطنك في مدّة التسعة أشهر من الحمل أمين نظام العالَم، يصير فيها رحمك عرش الله، ولوحه المحفوظ، وبتعبير جناب الأستاذ:

«إن الله تعالى يجعل كل العالَم في بطن الأم الذي هو كجلد صناعة

---

١. يمكن مراجعة كتاب «مكارم الأخلاق» للإطّلاع على التوصيات في هذا المجال.

الزبد، ويأخذ النطفة ـ بوصفها عصارة نظام الخلق وزبدته ـ ويؤمّنها عند الأم؛ ومعلوم مكانة الأم في نظام الوجود، فإن الله يجعل العالَم خلاصة ويعطيه للمرأة، ويقول لها: اصنعي من هذه الخلاصة إنسانا».

إذن أيتها الأم، كوني في هذه التسعة أشهر من الحمل على الطهارة، وذكر الله، ولا تغتابي، ولا تعتادي الكذب؛ حتى لا تثمر شُجيرة روحك وزوجك ثمراً فاسداً، وعندها ستنجبي للدنيا طفلاً صالحاً.

وكما قلنا إن الدساتير الشرعية ـ نوعاً ما ـ هي لدفع الأمراض الإنسانية، ولكن الإنسان يقع في بعض الأحيان في الخطأ والاشتباه، ولا يراعي الأحكام الفقهية؛ لذا فقد فتح الله له باباً باسم «التوبة»، فالتوبة هي لرفع الذنب، لا لدفعه، وهنا يتولّى الفقه مسائل التشريع هذه.

فإذا لم يستطع الإنسان أن يقف أمام نفسه بواسطة الأحكام الشرعية، حينذاك يتكفّله علم الكلام، ويفتح له باب التوبة، وعندها لا يستطيع الفقه أن يجيبه، الفقه فقط يقول: أنا أعطيتك الحكم، ولكنك لم تعمل به، فأنت الآن لست بعهدتي، كما يقول المعلّم لتلميذه: إذا أردت النجاح، فإن توصيتي هي أن تقرأ بهذا الشكل، وتأتي للدرس بهذا المقدار، وإذا لم تراع ذلك، فأنا لن أكون مسؤولاً، بل أنت تتكفّل بنفسك.

لذا فالفقيه ـ من حيث كونه فقيها ـ لا يتكفّل بذنوب الناس أبداً.

ونتيجة ذلك هي: إذا التزم الإنسان بالأحكام الشرعية، فإن قوى النفس ستطيعها، وستجعل النفس مطيعة له أيضاً، وعلى أساس انقياد قوى النفس لها ستظهر الطهارة في النفس.

▣ الفقه مقدّمة لتهذيب الأخلاق

جاء في عبارة الأستاذ:

«...**علم الفقه طبق الطريقة الجعفرية الحقّة كافٍ ومتعهد لهذا الأمر بالنحو الأكمل...**».

لمّا كانت أكثر مسائل فقهنا قد بُيّنت على اللسان المطهّر للإمام الصادق، والإمام الباقر عليهما السلام؛ لذلك عُبّر عنه بـ«الفقه الجعفري»، أو «الفقه الباقري»؛ لأن من بين الأئمة عليهم السلام فقط هذين الإمامين عليهما السلام تمكّنا من بيان أكثر المسائل الفقهية؛ لأنهما كانا يعيشان في شرائط زمانية مناسبة لذلك، وقد شكّلا حوزة علمية، وربّيا الطلبة، وعلّما الأحاديث لزرارة وأمثاله؛ ولهذا سمّي فقهنا باسم «الفقه الجعفري»، على الرغم من أن مذهبنا عُرف بـ«المذهب المحمدي» أيضاً.

وقال الأستاذ أيضاً:

«...**الفقه مقدّمة لتهذيب الأخلاق، والأخلاق مقدمة للتوحيد...**»[1].

من يُرد الدخول إلى بلاط التوحيد، ومعرفة الله تعالى، يجب عليه ـ أولاً ـ العمل بالدساتير الفقهية، وبعدها يجب أن يصير صاحب أخلاق حسنة، والأخلاق متفرّعة عن الحكمة، والحكمة متفرّعة عن التوحيد، والأخلاق أصل الفقه، والتوحيد أصل الحكمة، والحكمة أساس الأخلاق؛ لأن المقدّمة فرع، وذي المقدّمة هو الأصل دائماً؛ لذا فطريق الشريعة هو أول مرتبة السير الإنساني.

والفقهاء ـ بما هم فقهاء ـ هم بمنزلة القوى الظاهرية، والحكماء والعرفاء

---

١. وهذا الحكم الحكيم مأخوذ من العارف المتألّه محمد البهاري رحمه الله كما صرّح بذلك العلّامة نفسه في النكتة «١٣٠» من كتاب «هزار ويك نكته».

بمنزلة القوى الباطنية للإنسان، وهو يحتاج إليهم جميعاً في تجليته، وتخليته، وتحليته، والفناء في الله، وبالله، والبقاء به.

ويجب القول إن الأحكام الشرعية باقية بعد دخول الإنسان إلى مرتبة تهذيب الأخلاق، ومعرفة الله، وتبقى جارية إلى آخر لحظات حياة الإنسان، ولا تُرفع اليد عنها أبداً، وعلى الإنسان أن يُراعي الدساتير الفقهية دائماً؛ بوصفها مرقاة النفس والروح لتطهير الباطن ومراتبه الوجودية.

وهذا البحث يحتاج إلى بسط أكثر ﴿**لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً**﴾[1].

▣ ظهور الطهارة في البدن، وتشكّل ملكة التسليم في النفس

حينما يجد الإنسان الطهارة في ذاته ونفسه، فإن هذه الطهارة ستظهر في بدنه، إذ ترون أنه إذا كان الشخص مُصلّياً وصائماً ـ حقيقياً ـ فإنها ستؤثّر في وجهه، وتُجمّل ظاهره، قال تعالى: ﴿...**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**...﴾[2]، وعلى هذا المنوال ـ أيضاً ـ يرجع ظاهر الأشخاص في المجتمع، فيكون متطابقاً مع ذنوبهم إذا كانوا من المذنبين.

والوجه يُخبر عن الباطن دائماً، كما في الآية المتقدّمة، فإذا كان الشخص عاملاً بالشريعة الإلهية، فإن ظاهره سيكون مطابقاً لأعماله الحسنة، ويُخبر عما في باطنه.

ثم قال حضرة الأستاذ:

«...**وقليلاً قليلاً تتحقّق في النفس صفة الانقياد وملكة التسليم لإرادة**

---

١. الطلاق: ١.

٢. الفتح: ٢٩.

الحقّ...».

إن تمام هدف السالك هو أن يسلّم نفسه إلى الله تعالى، وإذا لم يستطع الشخص أن يهذّب قواه، فلن يستطيع أن يسلّم لله تعالى، فعليه أن يتثبّت بالأحكام الشرعية؛ حتى تصير الطاعة، والتسليم ملكتين عنده.

و«**المَلَكة**» هي صفة راسخة في النفس، فإذا استخدم الشخص «السيجارة» ـ مثلاً ـ إلى القدر الذي لا يستطيع معه أن يتركها، فسيقال لهذا الشخص حينئذٍ: «إن السيجارة صارت عنده مَلَكة»، بخلاف الشخص الذي شرع للتو في التدخين، فإنه ـ بسهولة ـ يستطيع أن يتركها.

والصفة التي صارت مَلَكة ستتجذّر في النفس، وعندها سيصعب على الإنسان رفعها وقطعها، وبتعبيرنا نقول: «ترك العادة يوجب المرض»، أو كما حُقّق في محله من أن «تكرار الأفاعيل يوجب حدوث الملكات»[1].

والأمر هكذا أيضاً في الأمور المعنوية، فأحياناً تترسّخ صفة الجود والكرم في الشخص، بحيث إذا مرّ عليه يوم من دون إكرام وجود، فإنه سيكون منزعجاً، أو إذا كان شخصاً مضيافاً، فإذا مرّ عليه يوم لم يحضر إلى منزله ضيف سينزعج أيضاً، والنفس كذلك، فإنها بمراعاة الأحكام الشرعية، والدوام عليها، فإن قواها ستُسلّم لها، وتؤمّن الطهارة الظاهرية للبدن، وأما إذا ترك الشخص العمل بالأحكام الشرعية، فإن قواه ستتمرّد عليه، وسيتنجّس ظاهره مرّة أخرى.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. انظر: سرح العيون في شرح العيون، العين«٦٤»، ص٩٦٣.

المجلس الثامن

- الطهارة الباطنية: طهارة الخيال
- السيطرة على قوّة الخيال يبدأ من الطفولة
- تطهير قوّة الخيال من الظنون الفاسدة
- في أن مناماتنا هي تمثّلات ملكاتنا
- تطهير قوّة الخيال من جولان الآمال والأماني

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ الطهارة الباطنية: طهارة الخيال

قال الأستاذ في بحث مراتب الطهارة:

«...وأمّا الطهارة الباطنية: فهي طهارة الخيال من الاعتقادات الفاسدة والتخيّلات الرديئة، ومن جولانه في ميدان الآمال والأماني...»[1].

إن على الإنسان أن يطوي مراتب الطهارة الظاهرية؛ حتى يصل إلى مرتبة الباطن، والطهارة الباطنية على مراتب، إذ تبدأ من طهارة الخيال، وتنتهي إلى طهارة الروح، والسِرّ، وإن أهمّ مراتب الطهارة وأخطرها، هي مرتبة قوّة الخيال، لماذا؟ لأنه يجب على الإنسان أن يطهّرها من التخيّلات العَبَثية، وسوء الظن و... .

وتوجد روايات كثيرة في باب سوء الظن، والتهمة، والغيبة وأمثال ذلك[2]، وهي تؤكّد على عدم إساءة الظن بالآخرين، فيجب أن تكون اعتقادات الإنسان على أساس العقل المحكم، وفي غير هذه الصورة ستتحكّم قوّة الخيال باعتقاداته قطعاً، مثلما لو رأى الإنسان أن نظام العالم كالبناية، وخالقه كبنّاء هذه البناية، فهنا تخدعه قوّة الخيال؛ فيقول: كما أن بنّاء هذه البناية

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥١.

٢. وقد مرّ قسم منها في المجلس الخامس فراجع.

مخلوق لآخر، إذن يجب أن يكون خالق نظام الوجود مخلوق لآخر، ويطرح السؤال: من أين أتى الله؟ وهو صُنع من؟! وما شابه ذلك من الأسئلة، فيُعلم عندها أن قوّة خيال ذلك الشخص قد فتحت له طريقاً معوّجاً، وعلى أساس هذا النَظْم من السؤال، فإن السائل مهما تقدّم وترقّى في المسائل العلمية، فإن قوّة الخيال هذه ستعبث به، وتضلّه أيضاً.

وحينما يكون ـأحياناًـ مشغولاً بقراءة القرآن، ويقرأ: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾ ـأي القرآنـ فيتصوّر بواسطة قوّة خياله تلك، كما أن المطر ينزل من السماء، كذلك فإن كتاباً منفصلاً باسم القرآن ينزل من خلف السماء ـحيث يكون الله تعالىـ بواسطة الملائكة على النبي في نشأة الطبيعية، وحينذاك يواجه عشرات الأسئلة من قبيل: إن الله بهذا الشكل في أي سماء هو؟ ومن رآه؟ و... .

وأصل كل هذه الأسئلة هو إن اعتقاداته بُنيت على أساس قوّة الخيال لا العقل؛ لأن العقل يرى الوحدة، ولا يرى ـأبداًـ أن نظام العالَم، وكثرته منفصلة عن العلّة التامّة، بخلاف قوّة الخيال التي لا ترى إلا الكثرة.

ولأن الناس مستأنسون بالكثرة؛ فمن السهل لقوّة الخيال السيطرة عليهم، كما لو جاء ـالآنـ إلى مجلسنا شخص مشاكس، فسيستطيع أن يخرجنا من هنا بسهولة، إنها خلفية أنسنا بالكثرة، أو مثلما إذا أراد الأستاذ أن يفهّم تلميذه مطلباً صعباً، فإنه يوضّحه له على شكل مثال وهيأة مجسّمة، وعادة ما يستفاد من المثال لتفهيم المسائل العميقة؛ لأن عقول أكثر الناس قاصرة عن الفهم العقلي.

إذا سمع شخص مطلباً ما، وقال: «لم أفهم؛ اضربوا لي مثالاً حتى أفهم»، فسيُعلم أن هكذا شخصا ـإلى الآنـ يعيش في قوّة الخيال، ولم يصل إلى العقل؛ لأن العقل يرى الوحدة والبساطة ولا يحتاج المثال.

إذن على الإنسان أن يطهّر قوّة خياله من الاعتقادات الفاسدة.

والآن كيف يمكن تطهير قوّة الخيال من هذه الاعتقادات؟.

إذا أراد الشخص أن يقوّي نفسه في هذا الأمر، فعليه حين يفكّر بالمبدأ، والمعاد، والوحي، وإنزال القرآن، والرسالة، والإمامة، أن يخرج كلّياً من قوّة الخيال، والخروج من هذه القوّة وسيطرتها في هذا الأمر يحتاج إلى سنوات من الاستماع للأستاذ، والجدّ، والتعب، والجهاد في هذا الطريق، وحتّى لو طال ذلك بالإنسان عشرين سنة مثلاً فإنه سيكون قد جاء بشيء كثير.

المرحوم السيد مهدي بحر العلوم قدس سره قد طهّر خياله بعد أربع وثلاثين سنة، بعد ذلك صلّى ركعتي الشكر، وقال:

«إلهي، أشكرك؛ لأني استطعت أن أطهّر قوّة خيالي بهذه السرعة».

والمرحوم المُلا حسين قُلي الهمداني قدس سره طهّرها بعد أربع وعشرين سنة من المشقّة، وبذل الجهد.

وفضلاً عن هذا الأمر فإن على الإنسان أن يطهّر قوّة خياله من التخيّلات الرديئة والرذيلة أيضاً، كذلك عليه أن يطهّرها من سوء الظن الذي يؤثّر في علاقته مع رفاقه ويكدّرها، فإذا طهّرنا قوّة خيالنا، فإنا لن نحتاج إلى شرطة، ولا إلى القضاء، فإن القضاء، وقوّة القهر، والغضب فقط لأجل تطهير قوّة خيال الناس، فإذا درس جميع الناس هذه المباحث، وطهّروا هذه القوّة حينئذ لا تلزم أي قوّة غضبية لكبح جماح قوّة الخيال، ولو وُفّق الناس لتطهير قوّة خيالهم، لمَا خلق الله جهنّم، إن نار جهنم خُلقت لتطهير الناس؛ لأنه جاء في الروايات أن نار جهنّم تُحرق كنار الدنيا، ولكن إحراق تلك يكون لأجل الإصلاح، إن جهنم لا تُحرق فقط لأجل التخويف، بل تُحرق لتصنع، كما أن

الطبيب يشق بطن المريض لمعالجته، نعم إن جهنّم مأدبة الحقّ[١].

▣ السيطرة على قوّة الخيال يبدأ من الطفولة

جاء في الروايات ـفي خصوص الأطفال: اتركوهم سبع سنين[٢]؛ حتى يقوّوا أنفسهم في ثلاثة موارد:

١. يأكلون جيّداً.

٢. ينامون جيّداً.

٣. يلعبون جيّداً.

وعلى الأب والأم ـفقط ـ الالتفات؛ لئلّا يُفرط أطفالهم في ذلك، كالفلّاح والبُستاني الذي يزرع النبتة، ويتركها لتتنفّس، وتتغذّى، وتنمو، ولا يسقيها الماء أكثر من الحدّ؛ فتتعفن، وتفسد جذورها، ولا يعطيها السماد أكثر من الحدّ الازم؛ فتجف، فعلى الأب والأم أن يراقبوا أطفالهم؛ لئلّا يأكلوا أكثر من اللازم.

بالطبع إن الأطفال في هذه السنين ـمن حين الولادة إلي السنة السابعة ـ عادة لا يأكلون أكثر من الحدّ، وعادة ما يصير الطفل ـوبشكل عام من السنة السابعة فما فوق ـ كثير الأكل، وإذا كانت فطرة المولود هي كثرة الأكل، فَسيُعطى حينئذ ثدياً مليئاً باللبن، فيشرب إلى أن تتمزّق بطنه، ولكن ترون على الرغم من أنه في هذه المدّة يعطى الحليب بالإجبار، فإنه لا يشرب إلا بقدر احتياجه، ولا يقبل الباقي، إن طبيعة الطفل قد نظّمت بشكل كامل، وكثرة

---

١. يعني: مكان التأديب.

٢. فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**دع ابنك يلعب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلا فإنه من لا خير فيه**»، الوسائل، ج٨ باب استحباب ترك الصبي سبع سنين أو ست، ثم ملازمته...، ح١.

أكل الأطفال تبدأ من الأيام التي يتصوّر في مخيّلته الأكل، ويفهم مقدار الطعام الذي عليه أن يتناوله.

قالوا عليهم السلام: اتركوا أطفالكم سبعاً؛ ليلعبوا جيّداً، وكونوا مراقبين لهم فقط؛ حتى لا يتعلّموا الكلام البذيء وغير ذلك من المضارّ، لا تمنعوا الأطفال من اللعب أبداً، فإذا لم يُخرِج الطفل في هذه المدّة ما في قدرته من اللعب، والأكل، وغيره، فإن هذه القدرة ستتجذّر فيه، وحين يكبر سيصبح لعوباً وأكولاً؛ لأن الإنسان إذا لم يُخرج ما في داخله، لا يستطيع أن يتركه، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«دع ابنك يلعب سبع سنين...»[1].

أيها الأعزاء اذهبوا الآن واشتغلوا باللعب، فسترون أنكم ستلعبون بمقدار الطاقة التي عندكم، وبعدها ستتعبون، ولكن شاهدوا الأطفال؛ فإنهم إذا لعبوا من الصباح إلى المساء وبشكل متواصل، فإنهم لا يتعبون أبداً، وسِرّ ذلك هو أن هناك قوّة اللعب عند الأطفال، ويجب عليهم أن يصرفوها كلّها في مدّة السبعة سنوات، ويلقوها خارجاً، فإذا ألقوها خارجاً، فإنهم يكونون قد أنهوا مدّة اللعب.

وللأسف نحن الآن نمنع الأطفال من اللعب؛ لهذا نرى أطفالنا يكونون مشغولين باللعب حتى بعد سن السابعة، ولا يتركونه، ولو كنّا نقول لهم قبل سن السابعة: لا تلعبوا، فإنهم كانوا سيسمعون كلامنا ولا يلعبون، ولكن الآن حيث صاروا كباراً، فإنهم يتشيطنون، ولا يسمعون الكلام؛ لذا فإن الطفل إذا أكل جيّداً، ونام جيّداً، ولعب جيّداً في هذه السنين، فستنتهي كثرة لعبه، وكثرة أكله، وكثرة نومه، وسيصبح معتدلاً، مثلما لو أنكم هيأتم مقداراً من الطعام،

---

١. مكارم الأخلاق، ج١، ص٤٧٧.

وأردتم أن تطعموه أحداً ذرّة ذرّة، فإنه في هذه الصورة سيأكله كلّه بالتدريج، ولكن إذا وضعتم الطعام كلّه أمامه، وقلتم له: كل ما تستطيع أن تأكله، حينئذٍ سيأكل بمقدار احتياجه، بعد ذلك سيعزف عن الطعام، كذلك لو قلنا للطفل: العب قليلاً قليلاً، فإنه سيبقى يلعب حتّى السبعين ولا يشبع، ولكن إذا قلنا له ـإلى سن السابعة: العب بما في وسعك، فإنه بعد السابعة سيترك اللعب؛ لأنه يشبع باستفراغ الوسع في اللعب.

إن السيطرة على قوّة خيال الطفل سهلة قبل سن السابعة، ولكنها تصير صعبة بعدها، ترون بعض الأطفال يشاغبون، ولا يستطيع أحد أن يمنعهم، عادة ما يصير هذا الطفل هادئاً بعد أن يكبر؛ لأنه قد ألقى كل ما عنده من الشيطنة والشغب خارجاً، أو إنكم ترون أن أكثر الأطفال يُغضبون الآخرين، وسرعان ما يصالحونهم، ويراضونهم، فمعلوم أن قوّة خيالهم لم تصل إلى كمالها.

وقليل هم الأطفال الذين يغضبون في اللعب، ويدوم غضبهم. يغضبون، ولكن غضبهم لا يدوم طويلاً، بخلاف الأطفال الأكبر من سبع سنوات.

ونتيجة الكلام هي: إن غرس الأطفال إذا لم يُدارى جيّداً، فإنه سينمو منحرفاً، وإن انحرف فلن يشتغل بتهذيب نفسه وصناعتها، هذا أولاً.

وثانياً إنهم حتى لو اشتغلوا بتهذيب أنفسهم وصناعتها، فإنهم سيتعبون أكثر؛ حتى يُقوّموها، ويُعدّلوها.

▣ تطهير قوّة الخيال من الظنون الفاسدة

وأنت أيضاً يجب عليك أن تطهّر قوّة الخيال من الظنون السيئة.

متى ما رأيت أنك أسأت الظن بالآخرين؛ فاعلم أن قوّة الخيال نزلت إلى

الميدان: لأن العقل لا يتشاءم، ولا يُسيء الظن أبداً، العقل بالفكر الصحيح لا بالمغالطة، إذا رأيت شخصاً يسير جانباً، لا تقول مع نفسك: «لأنه يقصد سوءاً ذهب من هناك»، فإن هذا تمثيل قوّة الخيال، كن عاقلاً، وقل لنفسك: «قطعاً إنه يقصد خيراً؛ فذهب من هناك و...».

للأسف في بعض الأحيان تكون قوّة خيال الشخص مريضة، ولا يستطيع تلقين نفسه، وأخذ الجانب الإيجابي، وهنا تراه يورّط نفسه ويورّط الآخرين أيضاً، مثلاً يسلّم على أحدهم، ولكن لأنه ردّ عليه السلام متأخراً قليلاً يقول في نفسه: «لماذا ردّ سلامي متأخّراً»؟! ويُشغل نفسه، ويعطلّها عِدّة أيام بسبب هذه المسألة على الرغم من أنه يستطيع أن يريح نفسه بجملة واحدة فقط، فيقول: «حتماً لم يكن ملتفتاً»، ولكنّه لم يفعل ذلك، وأثار القضية، وقال في نفسه: «معلوم أن فلاناً لا يرتاح لي، ويريد بهذه التصرّفات أن يقول لي إنه لا يحبّني، وليس له رغبة في الارتباط بي، فإذا كان الحال هكذا، فمن الغد لن أسلّم عليه إذا رأيته». وإذا تلاقيا غد ذلك اليوم، لا يسلّم هذا الشخص على ذاك، وحينما يراه ذاك هكذا يقول في نفسه أيضاً: «عجيب! كأنه يستنكف أن يسلّم عليّ؛ لأني...»، وسترون ما الذي سيحدث، وكل هذا يدل على أن قوّة خيالنا تصرّفت، وعبثت بنا.

جاء في بعض الروايات أنه كان بعضهم يقف أمام الإمام علي عليه السلام ويسبّه، ولكن الإمام لم يكن ليرد عليه، وكان يقول له: «حتماً كنت تقصد علياً آخر».

انظروا هذا هو كلام العقل.

وشخص آخر يأتي إلى الإمام السجاد عليه السلام، ويتجاسر عليه بشكل فاحش جدّاً، فكان يجيبه عليه السلام: «إن كنتُ أستحق هذا الذي تقوله، وكنتُ من أهل النار

يوم القيامة، فسيكون حالي أسوء مما قلت، وإن لم يكن كذلك، فالأمر على خلاف ما قلت»، والطرف المقابل وبمجرّد سماع كلام الإمام عليه السلام يخجل كثيراً، ويطرق برأسه إلى الأرض.

هذا هو العقل، ليكن لكم تتّبع في الروايات بخصوص هذا المورد؛ حتّى تروا بماذا أوصانا الأئمة عليهم السلام.

إذا أراد شخص أن يعرف أإنه في طريق صناعة النفس وتهذيبها أم لا؟ فعليه أن يعرف أإنه يسيء الظن برفاقه أم لا؟! فإذا كان يسيء الظن بهم، فليعلم أنه ليس في المسير الإنساني.

إنّ أول مرحلة ـ من مراحل تهذيب النفس ـ يكون فيها الإنسان هي عدم اساءة الظن بالآخرين، فلنتفحّص أنفسنا من الآن، فإذا وجدناها تسيء الظن بالآخرين، وتتشاءم منهم، فلنصمّم على أن نكون في أول مرحلة من مراحل تهذيب النفس وبنائها، ونحسن الظن بالآخرين، ومتى ما رأينا أنّا نسيء الظن بهم، فلنأخذ خلاف ظنّنا فيهم.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«**ضع أمر أخيك على أحسنه**»[1].

قال الإمام عليه السلام: «**على أحسنه**» ولم يقل: «على حسنه»؛ والنكتة في ذلك هي: لو أن شخصاً لم يردّ عليك السلام، فتستطيع أن تفسّر ذلك تفاسير كثيرة، منها:

١. تفسره بصورة سلبية، وتقول: لأنه حَقَدَ، وغَضبَ عليّ، لم يردّ أن يردّ عليّ السلام.

٢. أو تقول في نفسك: إنه لم يكن ملتفتاً، وإلا لردّ عليّ السلام، وهذا هو

١. وسائل الشيعة، ج١٢، ص٣٠٢.

حمل فعل الأخ على حسنه.

٣. أو نقول في أنفسنا: إنه لم يكن غير ملتفت فقط، بل إنه ـ أيضاً ـ كان يفكّر في حل مشاكل الآخرين؛ ولذا لم يردّ علي السلام.

وهذا هو حمل فعل الأخ على أحسنه؛ إذ قال الإمام عليه السلام:

«ضع أمر أخيك على أحسنه».

قال سماحة الأستاذ:

«ذات مرّة كنت قد جئت ماشياً من «إيرا» إلى «أسك»[1]، فنظمت شعراً في الطريق».

فكم من شخص ربّما مرَّ من جانب الأستاذ في ذلك اليوم، ولكن لمّا لم يكن الأستاذ في هذا العالَم أصلاً لذا لم يلتفت لسلامه؟.

والآن أنتم قولوا: هل سوء الظن هنا جائز أو لا؟ صدّقوا إن سوء الظن في هذه المسائل ليس غير جائز فقط، بل يجب أن نحمل أمر الآخرين على أحسنه، لا على حسنه.

يعني: يجب أن نسعى لحمل ما يرد إلى أذهاننا من أمور الصديق، والجار، والأب، والأم، والأقرباء، وحتى الأعداء على أصحّ وجه، حينها ستنزل البركات والنِعَم وفيرة علينا، لماذا؟ لأن قوّة الخيال بمنزلة المرآة تستطيع أن تعكس باطن العالَم[2]؛ لذا يجب إزالة سوء الظن، الذي هو كالصدأ من على تلك المرآة، وتُصقَل تلك المرآة؛ حتى ينعكس فيها ملكوت العالَم، وترى المنام الجيّد والجميل في الليل، وحينها سوف يرى في المنام ذلك الشخص ـ الذي

---

١. منطقتين في مدينة آمل.

٢. انظر: الأصل ١٢ من الفصل الرابع من كتاب «الإنسان في عرف العرفان».

مرّ عليه ولم يردّ سلامه ـ على أفضل وجه، أمّا إذا أساء الظن بهذا الشخص، فلن يرى في المنام غير الأفاعي، والعقارب، والذئاب.

▣ في أن مناماتنا هي تمثّلات ملكاتنا

إن جميع الأحلام التي نراها في النوم هي تمثّلات المَلَكات والخيالات التي استقرّت في النفس، وإن أكثر ما نراه في منامنا من الحيوانات الوحشية هو بسبب سوء ظنّنا بالآخرين، فإذا أزال الشخص سوء الظن من ذهنه، فسوف تقلّ كوابيسه، ولن يرى ما يقلقه بعد ذلك، وحينها سيكون كثيراً ما يرى الحقائق على صورة منامات جميلة، فيصير نومه عبارة عن مصيدة للاصطياد، ويذهب بنومه إلى اقتناص الحقائق والمعارف، ويرى الإمام المعصوم، ويأخذ الشفاء لعشرات المرضى، ويحلّ مشاكل مئات الأشخاص، ولكن ـ وللأسف ـ فإن من كثرة ما مُلئت أذهاننا من سوء الظن، فإذا مرض شخص لا يستطيع آلاف الأشخاص الذين قد اجتمعوا من حوله أن يجدوا له العلاج!.

▣ تطهير قوّة الخيال من جولان الآمال والأماني

والقسم الآخر من أقسام تطهير قوّة الخيال، هو تطهيرها من جولان الآمال والأماني.

«طهارة الخيال من الجولان في ميدان الآمال والأماني»[1].

---

١. ورد في ذم إتّباع الهوى وطول الأمل روايات كثيرة، منها ما عن أبي محمد الوابشي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من إتّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم**»، أصول الكافي، ج٢، باب إتباع الهوب، ح١، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنما أخاف عليكم اثنتين إتّباع الهوى وطول الأمل، أمّا إتّباع الهوى فإنه يصد عن الحقّ وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة**»، المصدر السابق، ح٣.

ترون أن بعضهم يتمنّى أن يصل إلى مقام ما؛ ليتمكّن عندها من الانتقام من شخص آخر، ويُنزِل به العقاب، أو يتمنّى أن يبني بناية ما، ومن أجل تحقيق أمنيته يقع في الحرام.

إن أساس كل هذه الأمنيات أعوج، ويجرّ الإنسان إلى الانحراف.

أو إنكم ترون الآباء والأمهات يتمنون أن يروا عرس أبنائهم قبل الموت، واللطيف أنهم يرون ذلك، ولكن تبقى قلوبهم غير مستقرّة، وترغب في رؤية عرس أحفادهم أيضاً، فيُعلم حينها أن قوّة الخيال عندهم تؤثّر فيهم.

فماذا نفعل حتى لا تكون أمنياتنا وآمالنا سيّئة، ولا نطلب العمر من دون فائدة؟ وعادة حينما يشيخ الناس يتجدّد عندهم شيئان، الحرص، وطول الأمل، يزداد عندهم الحرص، فيكثر عتابهم لأبنائهم، فيقولون لهم مثلاً: أنتم لا قوّة لكم، حينما كنّا بعمركم كنّا نضرب بالعصا عشرة، وعشرين نفراً و...، وهم لا يعلمون أن هذا حرص، وليس أدباً، أو تعليماً للأدب.

الأدب هو أن نقول لهم: يا بني، حينما كنتُ قوياً، كنتُ أقدر على ضرب الكثيرين بالعصا، ولكنّي تحمّلت عشرات العصي والألفاظ السيئة، ولم أرفع يدي على أحد.

تحصل مثل هذه الأماني كثيراً لأولئك، وعليهم أن يبعدوها عن وجودهم.

ونتيجة الكلام هي:

١. أن نزيل سوء الظن من أذهاننا، ونطهّر قوّة خيالنا من كل شيء فاسد، ورديء.

٢. أن نصرف النظر عن الأماني الباطلة، وغير النافعة حتى تطهر قوّة الخيال.

أخي العزيز، أنت على دستورٍ من إمامك عليه السلام، حيث قال: «**ضع أمر أخيك**

على أحسنه»، والله من ورائهم محيط، وإن كان أخوك يكيد لك، ويمكر بك ـ والعياذ بالله ـ فعليك الالتفات إلى قوله تعالى: ﴿...**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[١]، وتمسّك بالحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«عجبتُ لمن فزع من أربع كيف لا يفزع إلى أربع؟!

عجبتُ لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله: ﴿حَسْبُنَا اللهُ و نِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٢]، فانّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[٣].

وعجبتُ لمن اغتمّ كيف لا يفزع إلى قوله: ﴿أَن لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظَّالمينَ﴾[٤]، فإنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ﴿نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنينَ﴾[٥].

وعجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله: ﴿أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصيرٌ بِالْعِبادِ﴾[٦]، فإنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ﴿فَوَقيهُ اللهُ سَيِّئَاتِ ما مَكَرُوا﴾[٧].

وعجبت لمن أراد الدّنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله: ﴿مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللهِ﴾[٨]، فإنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول بعقبها: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ

---

١. الأنفال: ٣٠.
٢. آل عمران: ١٧٣.
٣. آل عمران: ١٧٤.
٤. الأنبياء: ٨٧.
٥. الأنبياء: ٨٨.
٦. غافر: ٤٤.
٧. غافر: ٤٥.
٨. الكهف: ٤٩.

مالا وَ وَلَداً فَعسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾[1]، **وَعَسى مُوجِبَة»**[2].

واعلم أن هذه الأذكار الأربعة من القرآن الكريم التي استخرجها الإمام الصادق عليه السلام مفيدة جدّاً لدفع الفزع، وإن جعلتها في قنوت صلاتك، فجيّد جدّاً.

١. «**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**»، لدفع الغمّ والهمّ.

٢. «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»، لدفع الخوف.

٣. «**أفوّض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد**»، لدفع المكر وسيّئاته.

٤. «**ما شاء الله، لا قوّة إلا بالله**»، لدفع الدنيا وزينتها.

وكن مع الله، فإن الله معك.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. الكهف: ٣٩ و ٥٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٩٠، ص١٨٤.

المجلس التاسع

- تطهير قوّة الخيال من الاعتقادات الباطلة
- الباعث على تطهير قوّة الخيال
- تطهير قوّة الخيال من الظنون الفاسدة
- سهولة تطهير قوّة الخيال عند بعض الناس
- البصيرة بعد تطهير قوّة الخيال
- في أن جزاء العمل يُرى في الدنيا قبل الآخرة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ تطهير قوّة الخيال من الاعتقادات الباطلة

طَرَحَ الأستاذ طهارة الخيال في ثلاثة أقسام:

الأول: في قسم الاعتقادات الباطلة.

والثاني: في قسم التخيّلات الفاسدة.

والثالث: في قسم جولان قوّة الخيال في ميدان الآمال والأماني.

وإنّ كل واحد من هذه الثلاثة هو ملوثٌ لقوّة الخيال.

إنّ عموم الناس ـ ولكونهم يتعبّدون باعتقاداتهم، فعلى أساس ذلك التعبّد ـ لا يسمحون لقوّة الخيال أن تؤثّر في اعتقاداتهم إلا قليلاً؛ لأنهم قبلوا ـ تعبداً ـ المبدأ، والمعاد، والوحي، والنبوة، والرسالة، والإمامة، فهم يعتقدون أن هناك إلهاً واحداً، ولكنّهم لا يعرفون هو واحد بأي معنىً؟ هل هو واحد بالوحدة العددية؟ أو هو واحد بالوحدة الصمدية؟ فهم لا يعتنون بهذه المسائل، وهذا المقدار كافٍ بالنسبة لهم، وإن كان الأعلى أفضل[1]، ومهما يقل لهم المخالفون،

---

١. أي: أن الاعتقاد بالتوحيد بالوحدة العددية هو من الاعتقادات السطحية، وعليهم أن يرتقوا إلى التوحيد الصمدي الذي جاء التصريح به في كثير من الآيات والروايات، والمهمّ لنا في مقام تطهير قوّة الخيال في باب الاعتقادات هو الوصول إلى أقصى مراتب التوحيد

فإنهم لا يرجعون عن اعتقاداتهم.

وأمّا مقدار عملهم على أساس اعتقاداتهم، فهذا بحث آخر، ولكن عادةً ما لا يصغي عوام الناس إلى الشبهات العلمية في مورد العقائد من المبدأ إلى المعاد.

ولعلّ عموم الناس على فطرتهم الإلهية، ويعتقدون بالوحدة الصمدية للحقّ تعالى، وإن كانوا عاجزين عن بيانها، والاستدلال عليها.

والأشخاص المبتلَون بالشبهات العلمية عادةً ما يكونون من الطلبة، والذين يريدون أن يحقّقوا في اعتقاداتهم، فإن أولئك؛ وبسبب تفرّق خواطرهم وأفكارهم، فإنهم يبتلون بالإشكالات العلمية، وعليهم أن يطهّروا قوّة خيالهم.

وطريق تطهير قوّة الخيال عند هؤلاء هو: عليهم أن يقرأوا الرياضيات، وبعدها يردون المباحث المنطقية، ثم يطوون المباحث الفلسفية، ثم مباحث العرفان النظري، وبعده يردون العرفان العملي، هذا ما يرتبط بالمحصّلين الذين يريدون أن يطهّروا قوّة خيالهم في مسير التحصيل، وفي هذا المسير يصبح العقل قوياً بالتدريج، وتصير قوّة الخيال مقهورة له.

أمّا الناس من غير الطلبة، فهم ليسوا بحاجة ماسّة إلى تطهير قوّة الخيال في قسم الاعتقادات، إنهم تعلّموا الصلاة من آبائهم، وعبدوا الله، ولا يوجد عندهم شك ولا شبهة في ذلك، إننا لم نر ـ أبداً ـ آباءنا يقولون: إذا كان للعالَم إلهان، فماذا سيحصل؟ فإن هذا الإشكال وأمثاله لم يخطر لهم في ذهنٍ أبداً، فمن المعلوم أن قوّة خيال عوام الناس طاهرة في قسم الاعتقادات[1]، وعليهم

الافعالي، والصفاتي، والذاتي كما بُين في محله.

١. أي: إنها طاهرة بهذا المقدار لا أكثر، فإن فطرتهم ترشدهم إلى التوحيد بالوحدة غير العددية، وإن كان تصوّر هذا البحث صعباً على أذهانهم.

أن يلتفتوا إلى القسمين الآخرين، وهما:

الأول: سوء الظن، والتخيّلات الفاسدة.

والثاني: طول الأمل.

وأمّا الخواص، الذين هم في طريق تحصيل العلم، فإنهم فضلاً عن هذين القسمين عليهم ـ أيضاً ـ أن يطهّروا قوّة خيالهم من الاعتقادات الفاسدة ـ كما مرّ ـ وفي غير هذه الصورة فإنهم سينحرفون؛ لأن طريق التحصيل لهم سيكون غير مُنجٍ، بل إنه سيخلق لقوّة خيالهم مشكلات كثيرة أيضاً.

▣ الباعث على تطهير قوّة الخيال

إننا من الصباح إلى المساء على ارتباط بقوّة الخيال، وبها نعمل، إذا قصدنا النوم، فالباعث لذلك هو قوّة الخيال، وإذا أردنا في الصباح أن نذهب إلى محل عملنا، أو محل درسنا، فإن ذلك يكون على أساس قوّة الخيال.

والنساء ـ أيضاً ـ على أساس قوّة الخيال يعملن في المنزل، وبشكل كلّي فإن القيام بجميع الأمور الجزئية على الشكل الخاصّ هو بمباشرة قوّة الخيال، لا قوّة العقل؛ لأن العقل هو قوّة لأدراك الكلّيات، ولا دخل له بالجزئيات، نعم له دخل غير مباشر.

العقل ـ أبداً ـ لا يقول: هذه أرضٌ، تلك سماءٌ، هذه شمسٌ، ذلك قمرٌ، هنا محل عملي، أو دراستي و...، فإن كل هذه الأمور تقوم بها قوّة الخيال والوهم. العقل يفهم الحقائق الكلّية، ويعطي البرنامج الكلّي فقط؛ لهذا يعبّرون عن قوّة الخيال بـ«جهاز تصوير النفس الناطقة»، كما يأخذ المصوّر بواسطة الكاميرا صوراً للشجرة، والحيوان، والإنسان، ثم ينظر إلى تلك الصّور؛ حتى يرى هل

هي مطابقة للواقع أو لا، فإن قوّة الخيال كذلك بمنزلة «كاميرا» لتصوير نفس الإنسان، والإنسان عن هذا الطريق يأخذ صوراً للموجودات، وبها يدرك.

فقوّة الخيال واسطة بين نشأة المادّة وعالَم العقل، العقل يصوّر عن طريق قوّة الخيال، وبذلك ـ أيضاً ـ يدرك الإدراكات العقلية، ولكن ـ للأسف ـ أن عموم الناس، وقبل أن يجعلوا قوّة الخيال واسطة للإدراكات العقلية، فإنهم يأتون، ويستفيدون من وهميات قوّة الوهم، وعادةً ـ وبسبب استئناسهم بالكثرات ـ فإنهم لا يستفيدون من الإدراكات العقلية إلا قليلاً، مثلما إننا نمر ـ ولسنوات ـ من جانب المزارعين، ولكن لا يخطر في أذهاننا ـ أبداً ـ أن نقول: أيها المزارع، ازرع بشكل جيّد.

(٧). رأيتُ الفلاحين في حقول الرز ينظّفون الأرض من الحشائش الزائدة والمضرة بشكل مرتّب وجيّد، وكأنهم قالوا لي: انظر أيها الأخ العزيز، كيف نعتني بهذا الزرع، فإذا أنت زرعت في روحك الخير، فعليك أن تقلع منها ما هو زائد ومضرّ؛ لئلا يؤثر ذلك على ما زرعت[1].

إن هذه النكتة تحصل بواسطة مشاهدة المزارع في المزرعة.

ويجب أن تُزرع الأخلاق الحميدة في روح الإنسان، ويحافظ عليها جيّداً.

والعقل يقول: أنا آخذ الصورة من الخارج، وأحكم عليها بالأحكام العقلية.

هذا، وكلّما كانت قوّة الخيال أكثر طهارة، كانت تمثّلات النفس أكثر صفاءاً؛ لأن هذه القوّة في النفس ـ وكما قلنا سابقاً ـ هي بمنزلة «الكاميرا» لتمثيل المعاني، بمعنى أن النفس في التمثّلات، والمكاشفات الباطنية تأخذ

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية، وقد أنشد العلّامة هذه الأبيات حين رأى المزارعين مشغولين بإحتشاش الأرض في أثناء عودته من طهران إلى آمل.

المعاني الكلّية، والحقائق المرسلة والملكوتية، وتجسّمها في مرتبة هذه القوّة، وإذا كانت هذه القوّة غير طاهرة، فستنعكس فيها تلك المعارف والحقائق على غير ما رأته النفس في مقام العقل والروح، وكلّما كانت ـ تلك القوّة ـ طاهرة أكثر،كانت الصور المنعكسة صافية أكثر؛ فلهذا ربّما تشاهد النفس الحقائق الملكوتية بقوّتها الروحية والعقلية بشكل جيّد، ولكن إذا أقبلت قوّة الخيال إلى تلك المعارف لتصويرها، وعكسِها للحسّ المشترك[1] في الكشف

---

١. قال صدر المتألّهين ﷺ في تعريف الحسّ المشترك: «هي قوّة مودعة في مقدّم الدماغ عند الجمهور، وعندنا قوّة نفسانية استعداد حصولها في مقدّم الدماغ، بل في الروح المصبوب فيه، يتأدّى إليها صور المحسوسات الظاهرة كلّها، والحواس بالنسبة إليها كالجواسيس الذين يأتون بأخبار النواحي إلى وزير الملك». الأسفار، ج٨، ص٢٠٥.

وفرقها عن قوّة الخيال بوجوه منها: أن الحسّ المشترك له قوّة قبول الصّور، والخيال له قوّة حفظها، وقوّة القبول غير قوّة الحفظ. انظر: المصدر السابق، ص٢١١.

وأمّا فيما يخصّ رؤية الحقائق الملكوتية، فالأمر فيها يكون بعكس إدراك المادّيات؛ إذ إن رؤية تلك الحقائق تكون بواسطة قوّة الروح أولاً، ثم تنزل إلى العقل، فقوّة الخيال، ومن ثم ينعكس ما رأته في الحسّ المشترك، بعدها ينزل إلى الحواس الظاهرة، فيراه النائم، أو المكاشَف متمثّلاً في حواسه، وهذا بعكس الإدراك في المادّيات، حيث يبدأ بالحواس الظاهرة، ويصعد منها إلى الحسّ المشترك، فالخيال الذي هو حافظ تلك الصور حتى يصل إلى الروح.

ولهذه النكتة قال سماحة العلاّمة حسن زاده آملي في العين «٣٠» من كتابه العرشي الموسوم بـ «سرح العيون»، ص٥٢٩: «...ويسمّى الحسّ المشترك من وجهين: **أحدهما** أنه مصبّ مدركات الحواسّ الظاهرة كلّها، وهي كالجداول المتّصلة به تؤدي اليه ما اقتنصته، **وثانيهما** أنه كمرآة ذات وجهين ينتقش فيه ما يصطاده الإنسان من الشهادة والغيب، فوجه منه متوجّه إلى هذه النشأة، ويرتسم فيه صور المحسوسات، و وجهه الآخر متوجّه إلى النشأة الأخرى، ويتصوّر فيه ما صوّرته المتخيّلة؛ لأن قوّة الخيال جُبلت على المحاكاة، وتصوير المعاني بصور مناسبة لها، فتلك الصّور ترتسم في الحسّ المشترك...»، وعليك بمراجعة

والمنام، فستكون تلك الصّور رديئة وغير واضحة؛ وما ذلك إلا لعدم طهارة تلك القوّة.

ولمّا كانت تلك القوّة في النفوس المكتفية المعصومة على أعدل الأمزجة، والصفاء، والتنوّر، فهي تصوّر الحقائق المأخوذة في مرتبة الروح على أحسن وجه وصفاء، وتعطيها للحس المشترك[1]، وأهل الفن يعبّرون عن هذا الأمر بـ«المراقبة» في مرتبة قوّة الخيال، وذلك عمل صعب جدّاً؛ لأن سوء الظن، وطول الأمل موجودان دائماً، وهما باعث على تلوّث قوّة الخيال.

من جانب آخر؛ ولأن الناس عادةً ما يكونون غارقين في الأمور الاجتماعية المتعارفة، وكل شخص يسعى وراء مصلحته المادّية، فإن قوّة الخيال هنا تتطهر متأخرة.

▣ تطهير قوّة الخيال من الظنون الفاسدة

قلنا ـ سابقاً ـ إن طريق تطهير قوّة الخيال من سوء الظن، هو أن يأخذ الإنسان الجهة المخالفة لظنونه دائماً، فحين يرى أنه أساء الظن بصديقه، أو رفيقه، أو جيرانه، أو أقاربه، أو أهل محلّته، أو أهل وطنه، فعليه أن يأخذ الطرف المقابل بسرعة، ويقول: إن شاء الله لا يكون كما ظننت، أنا أسأت الظن ـ إن شاء الله ـ هو إنسان جيّد، وأراد من العمل الكذائي قصداً حسناً و...، بهذه الصورة فقط تُطهّر قوّة الخيال سريعاً، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[2]، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

العين المذكورة؛ فإنها مفيدة جدّاً في المقام.

١. ولنا مجال آخر ـ إن شاء الله ـ لتوضيح هذا المطلب أكثر.

٢. الحجرات: ١٢.

«إذا اتهم المؤمن أخاه انماث[١] الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء»[٢].

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك [منه] ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملا»[٣].

وقد جاء في بعض الروايات ما معناه: «على الإنسان ـ لكي يطوي مسير الإنسانية ـ أن يأتي بمجموعة أمور، واحد منها هو ألا يرى محاسنه أبداً، فإذا صلّى، لا يقول في نفسه: عجيب كم كانت صلاتي جيّدة! يا لها من حالة! وكم أذرفت من دموع و...»[٤]، عليه أن يكون بعد صلاته مستاءاً من نفسه، ويقول: لماذا صلّيت هكذا؟ لماذا لم أستطع أن أصلّي بحال أفضل من ذلك؟ وإذا صام شهر رمضان، يستطيع أن يستقبل عيد الفطر بالفرح والسرور، ولكن من جهة أخرى يكون مستاءاً، ويعاتب نفسه لماذا اغتابَ مثلاً في بعض أيام هذا الشهر؟ ولماذا كان يسيء الظن بالآخرين؟ لماذا لم يلتذّ بالصيام؟ ولماذا لم يخف ولم ينزعج من انقضاء شهر رمضان؟ لأن الإنسان إذا فارق صديقاً،

---

١. أي: اختلط وذاب.

٢. أصول الكافي، ج٢، ص٣٦٢، باب التهمة وسوء الظن، ح١.

٣. المصدر السابق ح٣.

٤. انظر: أصول الكافي، ج٢، باب العجب، وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«أتى عالمٌ عابداً، فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يُسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له العالم: فإن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدل، إن المدل لا يصعد من عمله شيء»**، المصدر المذكور، باب العجب، ح٣. والمدل: المنبسط المسرور الذي لا خوف له من التقصير في العمل.

ومحبوباً، فإنه سيغتمّ لفراقه، والآن لماذا حين قالوا لي: إن هذا الشهر سينقضي أسرع بيوم واحد، فرحت، وسُررت من انقضائه سريعاً، ولم أشعر بالانزعاج؟! إذن معلوم أني إلى الآن لم أأنس، ولم أعشق شهر رمضان بشكل كامل، و... .

والخلاصة هي: أن يعاتب نفسه بعد كل عملٍ حسنٍ؛ أنّه لماذا لم يأتِ به على وجه أحسن من ذلك؟.

جاء عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: إن من عبادي المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى، والسعة، والصحة في البدن؛ فأبلوهم بالغنى، والسعة، وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم، وإن من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة، والمسكنة، والسقم في أبدانهم؛ فأبلوهم بالفاقة، والمسكنة، والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين، وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي؛ فيقوم من رقاده، ولذيذ وساده، فيتهجد لي الليالي، فيتعب نفسه في عبادتي، فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين؛ نظراً منّي له وإبقاءاً عليه، فينام حتى يصبح، فيقوم وهو ماقت لنفسه، زارئ عليها، ولو خلّي بينه وبين ما يريد من عبادتي، لدخله العجب من ذلك، فيصيّره العجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه حتى يظن أنه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حدّ التقصير، فيتباعد منّي عند ذلك، وهو يظن أنه يتقرب إليّ، فلا يتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي؛ فإنّهم لو اجتهدوا، وأتعبوا أنفسهم، وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي، والنعيم في جنّاتي، ورفيع درجاتي العلى في جواري، ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلي

فليفرحوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تداركهم، ومنّي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإني أنا الله الرّحمن الرّحيم، وبذلك تسمّيت»[1].

وجاء في النكتة «١٤١» من كتاب «هزار ويك نكته»:

«أورد الميبدي في الفتح الثالث من الفاتحة الثانية أن الشيخ سعد الدين الحموي كان راكباً فرساً، فلما وصل إلى نهر لم يعبر الفرس منه؛ فأمر أن يخلطوا الماء بالوحل، وعندما عبر الفرس من هناك قال الشيخ: ما كان ليستطيع العبور من هنا طالما كان يرى نفسه في الماء»[2].

والآخر من تلك الأمور هو أن يغوص في نفسه، ويجد عيوبه، ويقول: «أنا إنسان ذو أخلاق سيّئة، مقترف للذنوب، ودائماً أسيء الظن بالآخرين، ولساني لا قفل له، وهو يتكلّم بكل ما يريد، و...». فبدلاً من أن يبحث عن عيوب الآخرين، يبحث عن عيوب نفسه، وهذا العمل يكون باعثاً على تحقيق قوّة الخيال في متن ذات النفس، والتعرّف على نقائصها، فإذا عُرفت النقائص، فقطعاً سيشتغل الإنسان بمعالجتها، كما أن الطبيب يشخّص وجع المريض أولاً، ويعرف مكان مرضه، وبعدها يفكّر بالدواء.

أمّا فيما يخص الآخرين، فقد ورد[3]: اعمل معهم عكس ما تعمل مع نفسك، يعني: انظر أولاً إلى أعمالهم الحسنة، وبدلاً من أن تكون كالذبابة، وتجلس على القروح، وتفتّش عن عيوب الآخرين، انظر إلى حسناتهم، لا تقل: «إن

---

١. أصول الكافي، ج٢، باب الرضا بالقضاء، ح٤.

٢. هزار ويك نكته، النكتة رقم:١٤١، وعليكم الالتفات إلى أن الإنسان طالما كان يرى نفسه فإنه لا يستطيع السير فضلاً عن الوصول إلى المقصد.

٣. انظر: أصول الكافي، ج٢، باب من طلب عثرات المؤمنين، وعوراتهم.

فلاناً اشتبه هناك»؛ لأنه إذا اشتبه هناك، فإنه أحسن في أربعة أمور أخرى مثلاً، فكيف لا ترى تلك الأربعة، وترى هذا النقص فقط؟!.

هذا المطلب الذي عرضناه عليكم كان طريقاً لتطهير قوّة الخيال.

وعلى الإنسان أن يكون بالشكل الذي لو رأى فقيراً ـ مثلاً ـ لتألّم له، لا عكس ذلك، كما لو رأى صديقاً انتفع كثيراً من معاملة ما ـ مثلاً ـ فينزعج، ويقول في نفسه: لماذا أنا تضرّرت، ولم انتفع؟!.

إن كون الشخص على هذا الشكل باعث على عدم هدوء النفس أبداً، ويكون العقل دائماً أسيراً لقوّة الخيال.

إن العقل إذا حكم بين مُسلمَين اختلفا، فسيكون موجباً للإصلاح سريعاً، أمّا لو كان ذلك بين شخصين ملوّثي الخيال، فسيكون باعثاً على اشتعال نار الاختلاف بينها.

لقد جاء في قصة إبراهيم عليه السلام لمّا ألقوه في النار، كان هناك حيوانان مشغولان بالعمل، أحدهما النحلة، والآخر كان الوزغ، لمّا رأت النحلة أن النار اشتعلت، أخذت تُسرع في نقل الماء بفمها، وتُلقيه على النار، وجاء في الرواية أن جبرائيل سألها: تعلمين أن النار التي أقيمت لإبراهيم عظيمة، فكيف تريدين أن تُطفئيها بهذا الفم الصغير؟.

قالت: أنا لا علاقة لي بإطفاء النار، أنا اعمل بوظيفتي فقط، وبمقدار فمي أحضر الماء، وألقيه على النار، ولا شأن لي بشيء آخر، أيطفئها الله أم لا.

في هذه الأثناء كان الوزغ مشغولاً أيضاً، ولكن بماذا؟ إنه كان مشغولاً بحفر الأرض، ليذهب من تحتها، وينفخ على النار؛ حتى تشتعل، وتلتهب أكثر!.

البعض في المجتمع على صفة الوزغ، فبدلاً من الاشتغال بتطهير نفسه،

يسعى دائماً لإثارة مشكلات الآخرين؛ كمن يصب الزيت فوق النار، ولكن آخرين هم كالنحلة، ففضلاً عن أنهم يعطون العسل، هم دائماً يسعون لحل مشاكل الآخرين.

واعلم أيها الأخ العزيز، أن العالم شعورٌ كلّه، وليس من ذرّة فيه بغير شعور، فكذلك الدار الآخرة لهي الحيوان، والدار الدنيا ـ أيضاً ـ شعورٌ وحيوان، والله من ورائهم محيط.

▣ في أن جزاء العمل يُرى في الدنيا قبل الآخرة

اعلم أن من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره، يعني: في الواقع من يعمل مثقال ذرّة خيراً، أو شراً يره في هذا العالم المادّي الدنيوي، والحال نفسه في الدار الآخرة، ولكن عموم الناس يرون نتائج أعمالهم، وأعمال الآخرين في عالم الآخرة على نحو من الظهور، وأهل الله ـ وهم العارفون بالله ـ يرون تجسّد أعمال الناس في هذه النشأة الدنيوية بالصّور البرزخية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً**...﴾[1].

يعني: أن أكل مال اليتيم ظلماً هو عين النار في بطن الآكل، فالجزاء في طول العمل بل هو العمل نفسه، فكن موحّداً حقيقياً، واعلم أن الله يعلم السرّ وأخفى، وهو عالم بالخفيات، فتوكّل عليه، واصبر في صراطه المستقيم، ولا تخف من كيد المكّارين والحاسدين، والله يكفيك، واستعذ به كثيراً، والتفت إلى أن البلاء لأهل الولاء، وأن البلايا من ناحية الأغيار مثل كورة الحدّاد،

---

١. النساء: ١٠.

والله تعالى جعلها كورة لصنع الإنسان، وإن جهنّم بمنزلة سوط من الله تعالى لسوق الناس إلى الجنّة، فكن مع الحقّ فالحقّ معك، واصبر على سوء الاغيار وبلائهم؛ لأن الله تعالى قال: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم**»، فإذا صبرت، وطهّرت قوّة خيالك، فإن الله سيعطيك العوض، وهو الحقائق الملكوتية، والمعاني الروحانية، وأين هذا من ذاك؟!.

▣ سهولة تطهير قوّة الخيال عند بعض الناس

كما قلنا ـ سابقاً ـ إن قوّة الخيال إذا طُهّرت جيّداً، فستستطيع أن تكون جهازاً لتصوير ما وراء الطبيعة بيد النفس، فالشخص ـ هنا ـ الذي يرى الأشياء الحسنة، والتمثّلات الجميلة بشكل صافٍ، سيرى حقائق المستقبل، ويرى باطن الأفراد، ويعرف الناس بالاستشمام، وبعد ذلك يرتبط معهم.

يعني: أن العقل يستطيع بواسطة قوّة الخيال أن يأخذ صوراً لأسرار العالَم، وأسرار بواطن الناس، متى ما رأى الإنسان أنه لا يستطيع أن يعرف ما هو كامن في بواطن الناس، يكن معلوماً حينها أنه إلى الآن لم يُطهّر قوّة خياله؛ لذا ورد في خصوص الأنبياء عليهم السلام أنهم، وبمجرّد وضع اقدامهم في المجتمع، و ورودهم في جمع الناس، فإنهم يستطيعون أن يشخّصوا أيهم على الطريق، وأيهم منحرف، إنهم عليهم السلام يرون بواطن الأفراد بواسطة جهاز تصويرهم، ويعلمون أن هذا الباطن خرب، ولو كان ممن يصلّي في جوف الليل، وذاك الآخر طاهر، حتى لو كان ممن يشرب الخمر، أو لم يراع الحجاب الشرعي، هذا الذي كان يسعى لأجله عيسى عليه السلام، ويجتهد لاختيار الأصحاب من بين المتمرّدين والأشقياء على أساسه، فقال له بعض الخواصّ: «هل جننت؟ تعال لنا، وانتخب الصحابة منا».

فأجابه ﷺ: «لا، إن بين هؤلاء من لهم القابلية، ويجب أن يقعوا في شباكي».

ولذا كان بعض الحواريين من خواص عيسى ﷺ من بين العصاة، ومتمردي الغابات الذين دخلوا في شباكه ﷺ، فإذا كان الشخص صيّاداً، فيستطيع أن يصيد في العمل الصيد الجيّد.

إذا كان الشخص من أهل القلوب، ويريد أن يوصل الحقائق للآخرين، فإن من أفضل طرائق ذلك هو أن يحقّق في سائقي الشاحنات ـ والله وحده يعلم ما لبعض أفراد هذه المجموعة من الصفات والطباع ـ.

شخص من أولياء الله الذين نعرفهم عادة ما يسافر في الشاحنة [لأنه يرى أن في ذلك تبليغاً وهداية للآخرين]؛ ولأن أولئك السوّاق مشغولون من الصباح إلى المساء بنقل الناس، فإنهم عادة ما يكونون عصبيين جدّاً إلى الدرجة التي يصعب معها على الإنسان أن يجد بين ألف ألف منهم واحداً من أصحاب القلوب.

وبين صيّادي السمك ـ أيضاً ـ يمكن أن يكون للإنسان صيد هناك، وكذلك بين الأشخاص الذين يعيشون على سواحل البحار، أو أولئك الذين يعملون بالملاحة، ويسافرون في البحار.

وبين الطيّارين ـ أيضاً ـ أفراد كثر من أصحاب القابلية، ويمكن اصطياد الكثير من بينهم؛ وبشكل عام فإن من كان بعيداً عن دائرة عامّة الناس، ودائرة يومياتهم، ومعاشرتهم، وذهابهم، وإيابهم، فإنه يصبح قوياً، وتكون له القابلية.

ومعلوم أن أولئك المذكورين لديهم نسج وطباع معيّنة؛ لذلك أعطاهم الله تعالى ذلك العمل، مطابقاً لما هم عليه من تكوين؛ لأن جميع أعمال الأفراد في العالم تنظّم على وفق صفاتهم الداخلية، وهذا عجيب جدّاً.

وإذا قال شخصٌ: ليس الأمر كما تقول: لأني لا أملك علماً عمّا أنا أعمله، ولم يكن عندي أي تصوّر عنه، بل إني خرجت يوماً من محل دراستي، فوقف شخصٌ أمامي، واقترح عليّ هذا العمل، فقبلت، فانظر إني لم اختر عملي، ولم يكن عندي أي تصميم، وبرنامج له؟!.

نقول في جوابه: لا، إنك لا تستطيع أبداً أن تقول إني لم أكن اعلم؛ لأن عندك طباعاً ونسجاً تطابقا مع نظام العالم، وإنّ كلّ العالم شُكّل من أجزاء متصلة مع بعض، ونظمه العمومي عيّن لكل جزء من أجزائه عملاً خاصّاً، مثلاً العين إذا قالت: أنا عين، يقال لها: عملك الرؤية، والأذن إذا قالت: أنا أذن، يقال لها: عملك السمع، يعني: أن بين العين، والرؤية يوجد مناسبة، وكذلك بين الأذن، والسمع، فافهم!.

واحد آخر من الأعمال التي يمكن أن يوجد فيها أفراد من أصحاب القابلية هو عمل المعلّم؛ لأن المعلمين الذين على عاتقهم عهدة التعليم قد صاروا مجرى لفيض الحقّ.

وبالطبع فإن المعلّم الذي يستطيع أن يكون مجرى لفيض الحقّ، هو الذي يستطيع أن يدرك جيّداً حقيقة التعليم، والحمد لله؛ فإن ذلك صار قوياً و واضحاً بعد انتصار الثورة الإسلامية.

▣ البصيرة بعد تطهير قوّة الخيال

قلنا إن قوّة الخيال قد رُكّبت في الإنسان لأخذ صور حقائق نظام العالم، والأسرار الباطنية للناس، ولكن الله جعل تطهيرها صعباً جدّاً؛ حتى تقوى روح الإنسان أولاً، ثم تنفتح عينه، ويشاهد حقائق نظام الوجود، حتى يقول:

«إلهي، الجميع يَرَوْن الحيوان المفترس في الجبل والغابة، وحَسَن «يراه»

في المدينة والقرية»[١].

وفي الحال عينه يحصل على روح قوية، فيقول بعد رؤية الحقائق: «**ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله فيه...**»، ولا يمدّ يد التصرّف إلى أي شيء، يكون مع الخلق، ويعاشرهم، وفي الوقت نفسه لا يكون مع أي أحد.

إذا طُهّرت قوّة الخيال، فستكون أسرار الناس مكشوفة له، وحينها لا يتضرّر من المجتمع، وبالتعبير الشريف لجناب الأستاذ: يشم، ثم يتكلّم، يشم، ثم يذهب ضيفاً، يشم، ثم يستضيف، و...، فالله بعد تطهير قوّة الخيال يعطي قوّة الاستشمام هذه للإنسان.

وعليكم التدقيق في هذه الأحاديث الرقراقة والتي هي من غرر الأحاديث، فعن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال:

«**قال أمير المؤمنين عليه السلام تعطّروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب**»[٢].

وعن عبد الله بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال:

سألته عن الملكين: هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنة؟.

فقال: «**ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟**».

قلت: لا.

قال: «**إن العبد إذا همّ بالحسنة خرج نَفَسه طيّب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد همّ بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فأثبتها له، وإذا همّ بالسيّئة خرج نَفَسه منتن الريح فيقول صاحب**

---

١. الهي نامه، ص٤٣، رقم: ٢٥٤.

٢. بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢.

الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد همّ بالسيّئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فأثبتها عليه»[١].

أمّا إذا لم تُطهّر قوّة الخيال، ولم تكن كما أرادت الشريعة، فإنها ستجرّ الإنسان إلى الانحراف، كالمرتاضين الهنود؛ فإنهم يصرفون مقداراً كبيراً من عمرهم على تعلّم بعض الأعمال التي لم ترخّص الشريعة أي شيء منها، ثم يأتون المجتمع، ويخدعون الناس، وبسبب الطرائق المرموزة يوقعون الناس في الشبهة، ويقومون بأمثال قراءة الفال والشعوذات.

إن مسير تطهير قوّة الخيال عن طريق الدساتير الشرعية هو مسير الأنبياء والأئمة عليهم السلام؛ إذ كان عندهم العلم بالباطن وأسرار الناس، ولكنهم عليهم السلام لم يفشوا تلك الأسرار إطلاقاً، وبعنوان المثال إذا رأوا شخصاً على صورة الضبع مثلاً، فإنهم عليهم السلام لا يقولون له ـ أبداً: أنت ضبع، بل للترغيب والتحريك يذكّرونه بشكل عام، ويقولون: إذا كان الإنسان عنده هكذا صفة، فإنه يكون على الصورة الكذائية، كما ورد عن المعصوم عليه السلام ما معناه: «الشخص الذي يتّصف بالمكر والخداع، فإنه يكون على صورة ابن آوي، وتكون صورته الباطنية كذلك واقعاً»، وهنا يجب أن تطهّر قوّة الخيال في المسير الإلهي، وتكون في خدمة العقل؛ حتى لا يُفشي ما يراه من أسرار الناس؛ لذلك صَعّبوا انفتاح عين القلب، و لا يمكن لأي كان أن يحضى بذلك بسهولة.

على الإنسان ـ أولاً ـ أن يصير مظهراً لـ «ستّار العيوب»؛ حتى يُعطى له ذلك المقام، وللوصول إلى ذلك المقام، عليه أن يدعو صباحاً ومساءاً، وينادي

---

١. بحار الأنوار، ج٥، ص٣٢٥، ويمكن تشبيه ذلك بالبيت الذي تشتعل داخله نار والدخان يخرج منه.

الله تعالى باسم «ستّار العيوب»، ويُغطّي عيوب الناس، حتى ينفتح عليه هذا الاسم الشريف بالتدريج، وعليه بالصبر الجميل، كما أن يعقوب عليه السلام رأى نيّات أبنائه، وقال كما حكى عنه القرآن[1]: «إني أخاف أن يأكله الذئب»، وحينما جاءوا إليه عشاءً يبكون، وجاءوا على قميصه بدم كذب، قال: «بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون».

فعلى البصير ـ أولاً ـ أن يصبر صبراً جميلاً، ثم الاستعانة بالله تعالى على أن يحفظ لسانه من الإظهار.

والشاهد في أن ذلك الذي أوردناه في معنى الرواية المتقدّمة من تغطية عيوب الآخرين، وعدم النظر والالتفات إليها هو هذا الذي نقصده هنا.

وتمعّنوا جيداً بهذه القصة:

«يُنقل أن العلامة السيد المرتضى، والعلاّمة السيد الرضي ـ صاحب نهج البلاغة ـ وكانا أخوين، ومن طلبة الشيخ المفيد، وكلاهما كان مجتهداً مُسلّماً، وصاحب كمال، وكان السيد المرتضى إمام جماعة، وكان أخوه السيد الرضي يقتدي به، وذات يوم، وحين كان السيد المرتضى قاصداً المسجد لصلاة الجماعة استوقفته امرأة، وسألته مسألة في الحيض، فقال لها السيد المرتضى: لا يحضرني الجواب الآن، اسمحي لي أن أراجع الرسالة العملية هذه الليلة، وغداً أعطيك الجواب، بعدها دخل المسجد، وشرع في صلاة الجماعة، فانشغل بتلك المسألة، وهو في حال الصلاة، في هذه الأثناء رأى السيد الرضي بعين القلب أن أخاه يصلّي وهو غارق بالدماء؛ لذا قطع الاقتداء بأخيه، وأتمّ صلاته فرادى، وحينما سأله بعد ذلك، قال: هذا صحيح

---

١. يوسف: ١١ ـ ١٨.

حيث اشتغلتُ بالتفكير في تلك المسألة، وأنا في الصلاة»[١].

هذا أنموذج من تطهير قوّة الخيال، فإن تمّ تطهير هذه القوّة جيّداً، فسيكون صاحبها مطّلعاً على أحوال الناس، وسيكون ـ أيضاً ـ مُجازاً من الله تعالى في الإخبار عن الأمور الماضية، والأمور المستقبلية.

كان هذا مختصراً عن المطالب الموجودة في بحث قوّة الخيال، وسنستمر بطرحه ـ إن شاء الله ـ في الجلسات القادمة، ولكن من اللازم التذكير هنا بأن المباحث المرتبطة بتمثّلات ما وراء الطبيعة، وتنزّل القرآن الكريم والوحي، ونزول الملائكة ـ بأحد المعاني ـ يجب أن تُفهم من خلال هذا البحث.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١. التنكابني، قصص العلماء، ص٣١١، وذكرت في القصص العجيبة للسيد دستغيب رحمه الله القصة «٣٨»، مع بعض الاختلاف.

المجلس العاشر

- قوّة الخيال محل تجلّي القوّة العاقلة في النفس
- دور الأستاذ في تطهير الخيال
- أدب الطالب مع الأستاذ
- نقل قصّة فيها عِبرة
- في تنزّل الحقائق
- جواب من ينكر تلك الحقائق
- الأحاديث البرزخية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ قوّة الخيال محل تجلّي القوّة العاقلة في النفس

وصل البحث إلى أن قوّة الخيال هي جهاز التصوير للنفس، كما أن نفس الإنسان تستطيع، وبواسطة قوّة الخيال أن تأخذ صورة لموجودات نشأة الطبيعية، كذلك تستطيع أن تضعها مرآة في يد العقل؛ لتعكس حقائق عالَم الملكوت، والمهمّ هو إن الطريق الصحيح لذلك يكمن في تطهير قوّة الخيال.

إن للعقل نوعين من الإدراك: فهو إمّا أن يدرك صُور الموجودات العقلية المجرّدة، التي نعبّر عنها بالملائكة؛ لأنها موجودات عقلية متحقّقة في عالم وسيع، اسمه «عالم العقل»، أو «عالم الملائكة»، أو يدرك المعاني العقلية الكلّية التي هي ما وراء هذا العالم.

وقوّة الخيال هي محل ظهور العقل في نفس الإنسان، وقوّة الخيال تقابل العقل، وتصوّر في مرتبة الظاهر ما أدركه العقل، وإذا كانت قوّة الخيال طاهرة، فستستطيع تصوير ما أدركته القوّة العاقلة من الملائكة والموجودات العقلية الأخرى، وتمثّلها على شكل إنسان حسن الوجه، أو تُظهر ما أدركه العقل من المعاني الكلّية بأفضل عبارة؛ ولذلك يرى الإنسان في الرؤيا عبارة جميلة، أو يسمع كلاماً حسناً.

ولو أردتم الآن أن تُظهروا للآخرين ما في عقولكم بعنوانه إدراكاً عقلياً، فيجب أن تُحضروه إمّا على صورة شكل ما، وتُروه للآخرين، أو على صورة عبارة ما، وتبلغوها لهم.

فإذا طهّرت قوّة الخيال، فستصير مرآة للعقل.

والنتيجة هي: إن العقل إذا أدرك الذوات النورية ـ ذوات عالَم العقل المطهّرة ـ فقوّة الخيال تستطيع أن تُجلّي ذلك على أفضل صورة، وهي صورة الإنسان، وإذا كانت ادراكات العقل هي المعاني الكلّية، فقوّة الخيال تستطيع أن تحُضر ذلك بأجمل عبارة.

▣ دور الأستاذ في تطهير قوّة الخيال

من أجل تلقّي الحقائق الملكوتية على أفضل شكل، ولأجل توجيه قوّة الخيال، يجب أن تفوّض قوّة الخيال إلى يد أستاذ في هذا الطريق، وحين تُطهّر قوّة خيال الإنسان بيد الأستاذ، عندها سيشاهد جميع حقائق ملكوت العالَم في قالب ذلك الأستاذ، كما أنه إذا كان ذلك الطالب لائقاً، فإن الله تعالى سُيري أستاذه الحقائق الملكوتية للعالَم على شكله وقامته، فإذا رأى الأستاذُ الطالبَ في الرؤيا، فيُعلم أن الحقائق الملكوتية أقبلت عليه، وإذا رأى الطالبُ الأستاذَ في عالم الرؤيا ـ أيضاً ـ يُعلم أن باب الفيوضات الإلهية قد فُتحت له، وهنا على الطالب أن يعرض رؤاه ـ أعمّ من الرؤيا والصور التَمثّلية ـ على أستاذه؛ حتى يعبّرها له، كما كان يفعل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد قال:

«رأيتُ الخضر في المنام قبل بدر بليلة، فقلت له: علّمني شيئاً أنتصر به على الأعداء.

فقال: قل «يا هو، يا من لا هو إلا هو».

فلما أصبحت، قصصت على رسول الله ﷺ

فقال: يا علي، عُلّمت الاسم الأعظم.

فكان على لساني يوم بدر»[1].

كذلك دقّقوا في قوله تعالى حكاية عن النبي يوسف عليه السلام حين رأى ذلك المنام، فجاء، وعرضه على والده يعقوب عليه السلام، حيث قال تعالى حكاية عنه: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ**...﴾[2].

والمراد من «التعبير» هو إن الأستاذ ينقله من تلك الأشكال المحدودة إلى ما وراء الطبيعة.

مثلاً يقول له: «هذه الرؤية تدل على أنك تسعى في طلب العلم، وسترد عليك الحقائق العلمية سريعاً إن شاء الله»، أو كما جاء في الحديث المتقدّم من أن تلك العبارة كانت هي الاسم الأعظم، حيث أخذه الأمير عليه السلام في الرؤيا.

وإذا اصطادت القوّة العقلية لهذا الشخص ـ الذي هو تحت نظر الأستاذ ـ المعاني العلمية في ملكوت العالم، فإن قوّة خياله ستحوّل له تلك المعاني على صورة كلمات أستاذه وعباراته، وسيصير الأستاذ هو تمام معياره، وسيكون مع الأستاذ في كل الأحوال في اليقظة والمنام.

والآن التفتوا جيّداً لهذه الرواية حيث قال النبي الخاتم ﷺ لعلي عليه السلام:

«...**إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا إنك لست بنبي ولكنك**

---

١. مجمع البيان، ج١٠، ذيل سورة الإخلاص.

٢. يوسف: ٤ و ٥.

وزير...»[١].

كما قال الرسول الأكرم ﷺ:

«لمّا كانت ليلة المعراج نظرت تحت العرش أمامي فإذا أنا بعلي بن أبي طالب قائماً أمامي تحت العرش يسبّح الله، ويقدّسه...»[٢].

يعني: قد رأيت في ليلة المعراج حقائق المُلك والملكوت على شكل أمير المؤمنين علي عليه السلام ومثاله.

إن من أكثر الأشكال التي كان النبي ﷺ يستأنس بها، وبشكلها، وطبعها، وكان ذلك هو الأقرب له والأكثر أنساً به، هو شكل علي عليه السلام وصورته، وقد ورد عن عبد الله بن عمر أنه قال: سمعت رسول الله وقد سُئل بأي لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟.

فقال ﷺ: **«خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عليه السلام، وألهمني أن قلت: يا ربّ، أخاطبتني أنت أم علي؟.**

فقال: يا أحمد، أنا شيء ليس كالأشياء، ولا أقاس بالناس، ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري، وخلقت علياً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك، فلم أجد على قلبك أحب من علي بن أبي طالب؛ فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك»[٣].

ولذا فإن كل ما شاهده وسمعه النبي ﷺ في ليلة المعراج، فقد رآه على شكل علي، وسمعه بصوته عليه السلام.

---

١. بحار الأنوار، ج١٤، ص٤٧٦.
٢. المصدر السابق، ج٣٩، ص٩٧.
٣. المصدر السابق، ج١٨، ص٣٨٦.

فيجب أن تكون الرابطة بين الأستاذ والطالب صميمية إلى هذا الحدّ، فإن الشخص يُحشر مع من يُحب كما في الخبر عن النبي ﷺ[١]، فيملئ الطالب تمام القناة الوجودية للأستاذ، ويملئ الأستاذ تمام صفحة روح الطالب، وللمزاج دخل في هذا الأمر أيضاً.

▣ أدب الطالب مع الأستاذ

وعلى الطالب أن يفنى في الأستاذ إلى الدرجة التي يكون فيها هو ذكره، وفكره صباحاً ومساءاً، إذا مشى، يمشي بنور الأستاذ، وإذا تكلّم، يتكلّم بنور الأستاذ، وإذا رأى، فيرى بنور الأستاذ، وإذا سمع، يسمع بنور الأستاذ. وكذلك إذا جلس بين يدي الأستاذ عليه أن يُسلّم نفسه إليه، ولا يطلب شيئاً من الله تعالى مباشرة؛ لأن ذلك يكون خلاف الأدب مع الله؛ إذ إن الأدب مع الله يستلزم الأدب مع الرسول ومع الأئمة، فللشخص أن يقول أنا أريد أن آخذ من الله من دون الرسول ﷺ، ومن دون أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذا سيكون خلاف الأدب.

طيّب من هو الأستاذ؟ الأستاذ هو الإنسان الكامل المعصوم عن كل خطأ.

ففي الواقع الأستاذ الأصلي هو المعصوم عليه السلام، ومن ناب عنه، ومشى على ميزانه ـ كما هو واضح ـ وللطالب متابعته ما دام متمسّكاً بالدساتير الشرعية، وفانياً فيها، وهذا مقتضى الأدلة التي دلّت على وجوب متابعة الأئمة عليهم السلام ونوّابهم بالحقّ، ولمّا وجب متابعتهم عليهم السلام بذلك وجب متابعة نوّابهم كذلك أيضاً، لا أن يذهب هنا وهناك، ويتّخذ ما شاء، وكيفما شاء من الأساتيذ.

---

١. ورد عنه ﷺ قوله: «**المرء مع من أحب**»، البحار، ج٧، باب ثواب حبهم عليهم السلام، ص٣٧٧، وراجع في هذا المطلب «سرح العيون»، ص٩٦١ و ٩٦٢.

وعليه البحث عن الأستاذ الواجد لشرائط الأستاذية كما أوصى بها المعصوم عليه السلام، حتى لو استدعى منه ذلك البحث نصف العمر ـ كما نُقل عن المرحوم العارف آية الله القاضي رحمه الله[١] ـ وربما كان هذا هو سرّ قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**﴾[٢].

فالأستاذ هو وساطة بين الطالب وبين الله تعالى؛ لذا فلينظر الطالب إلى من يجعله وساطته بينه وبين الله، فمتى ما كانت تلك الوساطة معصومة وطاهرة، يكن وصول الفيض لذلك طاهراً وزلالا، وإلا فلن يكون كذلك.

وعقيدة الطالب هي الطلب من الله بهذا الشكل: «إلهي، أعطيتني الأستاذ، وهو واسطة الفيض لي، فأطلب منك أن تعطي ما قرّرته لي من البركات والنعيم لأستاذي أولاً، فإذا كان صلاحاً، أعطنيه من تلك الناحية، وإذا لم يكن هناك صلاح، فلا تعطنيه».

وللطالب متابعة الأستاذ ما دام متمسّكاً بالدساتير الشرعية، وفانياً فيها ـ كما قلنا ـ ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**...فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٣]، وقول الإمام السجاد عليه السلام:

«**هَلَكَ من ليس له حكيم يرشده**»[٤].

ويمكن لكم أن تراجعوا في هذا المطلب قصّة موسى والخضر عليهما السلام التي

---

١. انظر: روح وريحان، ص١١٧ و ١١٨، ولسان الصدق، ص٢٠٥.

٢. الكهف: ٦٠.

٣. الأنبياء: ٧.

٤. البحار، ج٧٥، ص١٥٩، وللتفصيل أكثر يمكن الرجوع إلى رسالة «لب اللباب» للعلّامة الطباطبائي رحمه الله، ورسالة «السير والسلوك» المنسوبة إلى السيد بحر العلوم رحمه الله.

ذُكرت مفصّلاً في سورة الكهف.

فإذا فنى الطالب في الأستاذ هكذا، فإن كل ما ستلتقطه قوّة خياله، ستلتقطه عن طريق القناة الوجودية للأستاذ؛ إذ من غير الممكن أن يطلب أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً من الحقّ تعالى، ولا يكون ذلك عند الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فأي شيء يطلبه الطالب، فهو يطلبه عن طريق أستاذه[1]، وسيكون هذا سبباً لجريان البركات، والفيوضات الإلهية في وجود الطالب؛ لأنه من الممكن ألّا يكون للطالب لياقة إدراك ذلك الفيض حينما يطلب من الله تعالى مباشرة، وهنا على الأستاذ ـ

---

١. ومن هذا كان ذهاب الإمام الحسين عليه السلام إلى المدينة، وحضوره عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذ الإذن منه قبل الخروج إلى كربلاء، ورؤيته النبي صلى الله عليه وآله في منامه، وقوله له: «**إن لك مقاماً عند الله تعالى لن تناله إلا بالشهادة**».

فقد جاء في البحار، ج٤٤، ص٣٢٧ : «إن الحسين عليه السلام أقبل إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله، وصلّى ركعات، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: «**اللهم هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحب المعروف، وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى، ولرسولك رضى**». قال الراوي: ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى، فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه حتى ضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل بين عينيه وقال: «**حبيبي يا حسين، كأني أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء، من عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين، إن أباك، وأمّك، وأخاك قدموا عليّ، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة**». قال: فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلى جدّه، ويقول: «**يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا؛ فخذني إليك، وأدخلني معك في قبرك**». فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله «**لابد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك، وأباك، وأخاك، وعمّك، وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة، حتى تدخلوا الجنة**».».

بوصفه مجرى الفيض ـ أن يتحقّق من صفحة روح ذلك الطالب، ويعطيه اللائق له؛ لأن الأستاذ لا يبخل، ولا يُمسك أبداً، وهو مظهر جود الحقّ تعالى؛ لذا على الطالب أن يطلب عن طريق القناة الوجودية للأستاذ.

▣ نقل قصّة فيها عِبرة

كنت موفّقاً هذا العام أن تشرفت بزيارة أحد أولياء الله في «نجف آباد»، رجل حصل على الدكتوراه في الجامعة، ودرس في الحوزة ـ أيضاً ـ إلى حدّ الاجتهاد، وكذلك اشترك في دروس حضرة الأستاذ العلاّمة حسن‌زاده آملي لأكثر من «١٥» سنة، هناك قال لي ذلك الرجل جملة أثّرت فيَّ كثيراً، قال:

«أنا ليلاً ونهاراً أمشي بنور الأستاذ. وأنام بنوره، وإذا ذهبت إلى البستان، أكون معه».

هو يملك مزرعة يعمل فيها من الصباح إلى الظهر، ويأكل من كدّ يده وعرق جبينه، وعلى الرغم من كونه رجلاً كبير السن ناهز السبعين من العمر، إلا أنه يأتي على درّاجته الهوائية من مزرعته إلى المنزل، فيتوضأ، ويلبس عباءته، ويضع الـ «عرق چين» على رأسه، ويأتي المسجد يؤم الناس للصلاة، وبعد صلاة المغرب والعشاء له درس معهم، وحينما يصلّي ترى أن صلاته طبق الدستور الشرعي، وكثير من الشيوخ والشباب يأخذون منه برنامج العمل، وكلّهم يرتقون على وفق البرنامج، فهو من أهل العلم والعمل، وكذلك طلبته؛ فهم إمّا بزّاز، أو بقّال، وإمّا فلاح، أو عامل، وإمّا كاسب، أو معلّم، وإمّا طالب جامعة أو حوزة، والخلاصة هي: إن طلبته من جميع الطبقات، إذا أرادوا أن يخرجوا صباحاً من المنزل، فإنّهم يكونون على وضوء، ويردّدون «**بسم الله الرّحمن الرّحيم**» تسع عشرة مرّة، ولكل واحد منهم ذكر، ودستور، وبرنامج،

وطريقة آذانهم وصلاتهم هي مع أذكارها المستحبة.

ثم قال لي ذلك الرجل:

«كنت قد سافرت إلى مشهد، وحين تشرّفت بزيارة الإمام ثامن الحجج عليه السلام قلت للإمام عليه السلام: سيّدي، أنا جئت من طريق بعيد، وأريد منك «عيدية»، ولكن لا أريد أن تعطيها لي، بل تعطيها لأستاذي، فإذا رأى فيها صلاحي يعطينيها[1]، وحين رجعتُ من السفر إلى قم رأيتُ أن تلك الهدية التي كان يجب أن تصل لي قد وصلتْ إلى جناب الأستاذ، وقال لي: أعطونا هذه الهدية، ونحن ـ أيضاً ـ نقدّمها لك».

هذا هو تطهير قوّة الخيال.

فإذا كانت بين الطالب والأستاذ رابطة روحية وقلبية بهذا الشكل، فحين يمرض الأستاذ سيمرض الطالب أيضاً، إذا تألّم سن الأستاذ، الذي في شرق العالَم، فسيتألّم سن الطالب الذي هو في غرب العالَم، وإذا تأذّى مزاج الأستاذ من شيء ما، كذلك سيتأذّى مزاج الطالب، والعكس ـ أيضاً ـ صحيح.

ويمكن القول إن الأستاذ بمنزلة القلب، والطالب بمنزلة البدن، فإذا تألّم البدن، سيتأذّى القلب، وإذا تعذّب القلب، فسيتألّم البدن أيضاً، وبشكل عام تصير بين قوّتي الخيال هاتين تأثير وتأثّر متقابل، حينها تُنظِم تلك الرابطة التي بين الأستاذ والطالب العمل بالطريقة التي يكون فيها الأستاذ هو «الأصل»، والطالب هو «الفرع»، بهذا الترتيب، وهو كلّما أراد أحدهما شيئاً، فسيأخذه عن طريق القناة الوجودية للآخر، وأولئك الذين هم من أهل العمل يحصلون على الحقائق من هذا الطريق.

---

١. هذا الذي نقول إن كل ما يصل إلى الطالب يجب أن يصل عن طريق الأستاذ.

وإن الرابطة التي كانت بين سيد الشهداء عليه السلام وبين أصحابه وأبنائه كانت ـ أيضاً ـ رابطة بين الأستاذ والطالب؛ لذا فجميع الطلبة في كربلاء قد طلبوا الفيض من ناحية الإمام الحسين عليه السلام قدماً بقدم، ولم يتكلّم أي طالب حين شهادته واحتضاره مع الله سبحانه مباشرة، جميعهم ينادون أولاً «يا حسين»، وهو عليه السلام ينظّم لهم ارتباطهم مع الله بحسب ارتباطه به تعالى، فيتلقّى الفيض من الحقّ تعالى، ويعطيهم إياه بحجره؛ ولهذا كانوا جميعهم يحبّون أن يسلّموا أرواحهم لله تعالى في حِجر الأستاذ.

وهذه الرابطة بين الأستاذ والطالب بقيت محفوظة في كربلاء، وعلينا نحن أن نتعلّم هذه الأمور جيّداً من واقعة كربلاء.

وربما يُشكِل أحدٌ فيقول: إن هذا منافٍ للتوحيد؟.

فنجيبه بالقول: بل إن هذا هو مقتضى التوحيد الحقيقي حيث أمرنا البارىء تعالى أن نأتيه من طريق محدّد، ومخصوص، ونبتغي إليه الوسيلة[1]، لا من أي طريق شئنا، وعلينا أن نسلّم لأمر الله تعالى، لا أن نتحجج أمامه بأنّا من طلّاب التوحيد، ومن ثم نخالف حتى الأوامر الإلهية، ونُشرك به كما فعل إبليس اللعين حينما أمره الله بالسجود لآدم[2].

وأنتم تعلمون أن كل شيء هو مظهر من مظاهر الله تعالى، لا أنها مستقلّة عنه سبحانه، وقد جاء في القرآن نسبة الأفعال إلى الأشخاص، ونسبتها إليه سبحانه في الوقت عينه، كقوله تعالى: ﴿...**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ**

---

١. كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾، المائدة: ٣٥، والإسراء: ٥٧، كذلك الأحاديث الآمرة بتولّي العترة الطاهرة، والتمسّك بهم، كحديث الثقلين مثلاً، والأحاديث الآمرة بالرجوع إلى نوّابهم عليهم السلام.

٢. الأعراف: ١٢.

رَمَى...﴾[١]، كذلك في قضية قبض الروح، فنسبها تارة إلى مَلك الموت[٢]، ونسبها أخرى إلى الله تعالى[٣]، ومن هنا نفهم حقيقة قوله سبحانه: ﴿...**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**...﴾[٤]، يعني: أن الله تعالى مع كل شيء، لا أنه مقابل كل شيء، فتكون الأشياء مستقلّة عنه مقابلة له، وعليه نحدّ الله بحدٍ، ونجعل له ثانيا! لا، بل هو تعالى مع كل شي، ومحيط بكل شيء، فهذا هو مقتضى التوحيد الحقيقي القرآني، ومن يشك في ذلك، فعليه التدقيق في توحيده جيّداً، فمشكلته تكمن هناك، فافهم.

▣ الأحاديث البرزخية

إذا طُهّرت قوّة خيال الشخص، فإنه سوف يرى في المنام صوراً حسنة وعبارات جميلة، ويطلقون على هذه العبارات «الأحاديث البرزخية»، كما أشار الأستاذ إلى ذلك في كتاب «هزار ويك كلمه»، حيث قال:

«...يُقال في اصطلاح العرفان لهذا النوع من الإلقاءات السبّوحية «الأحاديث البرزخية».»[٥].

إن جميع حقائق نظام العالَم قد تمثّلت في قوّة خيال رسول الله ﷺ على صورة القرآن، كما تمثّلت جميع حقائق ما وراء نظام الطبيعة، التي هي ملائكة الله في قوّة خياله ﷺ على شكل علي عليه السلام، ولنظام العالَم حقائق يمكن مشاهدتها

---

١. الأنفال: ١٧.

٢. السجدة: ١١.

٣. الأنعام: ٦٠، يونس: ١٠٤، النحل: ٧٠.

٤. الحديد: ٤.

٥. هزار ويك كلمه، ج١، الكلمة ٣٨.

على صورة المعاني الكلّية، وإذا أردنا أن ننزّل تلك الحقائق في نشأة الطبيعة، فيجب علينا أن نخرجها على صورة كتاب أو عبارة ـ كما تقدّم ـ

إن قوّة الخيال الطاهرة لرسول الله ﷺ قد قابلت قوّته العقلية، وتلقّت تلك المعاني الكلّية المرسلة لما وراء الطبيعة من أسرار العالَم على صورة القرآن الكريم من الله تعالى، وبلّغها إلى الآخرين بأمره؛ لذا فالقرآن ليس كتاباً منفصلاً عن الإنسان، القرآن تمثّلٌ لرسول الله ﷺ بجميع أسرار العالَم، وقد خرج على أفضل العبارات.

وبعبارة أخرى: إن القرآن هو الحديث البرزخي للنبي ﷺ الذي أخذه من الله تعالى بالوحي التشريعي، وحفظه بشكل كامل، وبلّغه للناس بأمر الله، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿...**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى... ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى... لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾[1].

ثم إنه إذا رأى شخصٌ في المنام أنه يقرأ القرآن، فليعلم أنه قد أعطي شيئاً من حقائق الملكوت، والحقائق، والمعاني الكلّية لعالَم العقل بالشكل الذي تنزّلت على الخاتم ﷺ، وأنها تنزّلت عليه بتوسطه ﷺ.

وصحيحٌ أن القرآن بمعناه الأتمّ نزل عليه ﷺ، ولكن ومن أجل أن نرتقي ونصعد أنا وأنت، علينا أن ننزّل القرآن في وجودنا، فإذا قويت عقيدتنا وإيماننا، ووسع حدّنا الوجودي ـ إن شاء الله ـ سنرى في الرؤيا، أو في اليقظة أن تجلّيات من القرآن تُنزّل علينا[2].

---

١. النجم: ٣ ـ ١٨.

٢. انظر: الفصل «١٧» من كتاب «شرح فص حكمة عصمتية» لسماحة العلّامة الأستاذ.

▣ في تنزّل الحقائق

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[١]، ويُطلق ـ بمعنى من المعاني ـ على قوّة الخيال المُطهَرة «ليلة القدر»، إذا طهُرت قوّة الخيال، فستصير ليلة القدر، وسينزل القرآن فيها، وستُكشف له حقائق نظام العالَم، طبعاً بالالتفات إلى هذه النكتة، وهي إن قوّة الخيال لكلّ فرد عبارة عن جدول للخيال المطلق لرسول الله ﷺ، فافهم[٢].

وللأستاذ شعر في ديوانه يشبه تنزّل الحقائق القرآنية، وهو تمثيل لكيفية تنزّل الحقائق على من طهّر خياله ونفسه، إذ قال سماحته ـ حفظه الله:

(٨). كان في ليل حال، ويقظة، وبكاء، وحضور، واذكار.

في سحر ذلك الليل الجميل خرجتُ من البيت...

ورفعتُ رأسي إلى الأعلى، فتحيّرتُ من صنع الباريء.

---

١. القدر: ١.

٢. **يعني**: لا يمكن للإنسان أن تنزّل عليه الحقائق، إلا بتوسط رسول الله ﷺ، ولا يمكن أن ينكشف له شيء إلا مما انكشف للخاتم ﷺ وهو الذي فاق الجميع، فصار ﴿**قاب قوسين أو أدنى**﴾، فلا يمكن لغيره أن يصل إلى ما هو ممكن له من دون واسطته ﷺ وعليك أن تتمعّن في هذه الأحاديث الشريفة فعن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**لولا أنّا نزداد لأنفدنا**»، قال: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله ﷺ؟ قال: «**أما إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله ﷺ ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا**».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ليس يخرج شيء من عند الله عز وجل حتى يبدأ برسول الله ﷺ ثم بأمير المؤمنين عليه السلام، ثم بواحد بعد واحد...**»، تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٣٩٧، وراجع الفصل «١٣» و «١٤» من كتاب «شرح فص حكمة عصمتية» للعلاّمة حسن زاده آملي؛ فإنه ينفعك كثيراً في المقام.

رأيتُ النجوم كأنها عسكر لا يُعدّ، والقمر صاحب الراية[١].

ورأيتُ مجرّة «فَرْساوُس» تحمل رأس «الغول الغدّار»[٢].

ثم يقول بعد ذلك: نظرتُ إلى النجوم، واستخرجتُ نسقها على شكل شعر:

(٩). كأن كل تلك النجوم كالعسكر المستعد بيد الله.

كلها على نظم، وترتيب، وحدّ ومعيار خاصّ.

كلها مصطفة، وفي حالة الاستعداد[٣].

شبّه جميع نظام العالَم باللواء، أو العسكر الجاهز، والحاضر بيد قائد نظام الوجود، فالجميع حاضر في محضر الحقّ، ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[٤]، تنتظر ماذا يطلب القائد؟.

(١٠). كلّها متّحدة متّفقة تنتظر أمر الله تعالى ليقوم كل بعمله.

وأنا المسكين جليس طريق الإستجداء، واقفٌ انظر لها[٥].

إنها واقفة تنظر إليّ من الأعلى، وأنا انظر إليها من الأسفل.

(١١). من كثرة النظر إلى تلك النجوم صار نظري نظر المريض العاجز عن نفسه[٦].

يقولون: «نظر المريض العاجز» إذا استيأس المريض من صحّته.

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. فرساوش، ورأس الغول الغدّار من أسامي صور الكواكب الفلكية التي بُيّنت في كتاب «صور الكواكب» لعبد الرحمن الكوفي الصوفي.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٤. الفتح: ٤.

٥. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٦. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

يقول الأستاذ: من كثرة ما نظرتُ إلى السماء، ورأيتُ ما عندها من الأسرار، وأنا غافل عنها، خجلت منها، وصرتُ كالمريض العاجز عن نفسه، ليس لي إلا النظر إليها فقط.

(١٢). قلتُ يا خالق الطُهر، أنت الحقيق بالمُلك[١].

المُلك حقيق بك أنت يا إلهي، أنت نَظَّمت السماء، أنت نَظَّمت النجوم، أنت الذي أعطيتها العظمة.

(١٣). لا قلب له من لا ليل له، ولا حضور له ولا يقظة[٢].

وإلا فهل من الممكن أن يمضي السحر على الإنسان، ولا يكون من أهل الحضور، واليقظة؟!.

ويستمر سماحته قائلاً:

(١٤). بعد ذلك رجعتُ إلى البيت والمصلّى[٣].

يقول الأستاذ: رأيتُ جميع موجودات العالم مشغولة بالقيام، والركوع، والسجود في المحضر الإلهي، كانت إمّا واقفة وذاكرة، وإمّا منحنية وراكعة، أو واضعة رأسها على الأرض وساجدة. فلماذا أكون أنا من غير عمل؟.

(١٥). صرتُ كالطائر الجائع، والعطشان أسعى للحصول على الماء والحبّة[٤].

المراد من الماء، والحبّة هو الحقائق الملكوتية التي يجب أن يتلقّاها الإنسان

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.
٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.
٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.
٤. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

في السحر[١].

(١٦). في حضور معشوقي الواحد صرتُ عاشقاً للثنائية[٢].

من الركوع، والسجود، ومن شدّة الشوق صرتُ عاشقاً.

نار العشق صيّرتني هكذا، فصرتُ منها كالشعلة.

فاضطرب القلب مرّة أخرى، وصرتُ كالطفل الباحث المتحجج بالأعذار.

فياليتني لم أخرج من حالتي تلك، واتصلتُ بالمُلك، وصرتُ خالداً[٣].

▣ جواب من ينكر تلك الحقائق

عزيزي، إن ذلك الحال جميل ولذيذ جدّاً، لا تقل: لماذا يقول لنا العظماء ذلك؟ إذا كان مقرّراً أن يخبرونا عن تلك الحقائق، فالنبي ﷺ أولى وأحقّ بإخبارنا بها؟

هذه الحقائق هي للمشتاقين للعلم والتحصيل، والذين يرغبون في نيل الملكوت، وهذا البيان باعث على تهييجهم وتشويقهم.

فإذا قال شخص: أنا لا أقبل ذلك، متى ذهبتم، ومتى شاهدتم؟ فسيقولون

---

١. والعجيب أن القرآن ذكر كثيراً من حالات الأنبياء عليهم السلام، وتلقّيهم المعارف والحقائق في الليل، فدقّق في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾، الإسراء: ١.

وانظر كذلك: طه: ١٠، والنمل: ٧، والقصص: ٢٩، وكذلك دقّق في قصة النبي إبراهيم عليه السلام التي وردت في الآيات ٧٦ ـ ٧٩ من سورة الأنعام حيث كان يتأمّل في النجوم، والكواكب حتى اهتدى إلى المعرفة اليقينية بالله تعالى، وقد كان بعض ذلك في الليل طبعاً.

٢. كناية عن صلاة الليل حيث تصلّى ركعتين ركعتين، إلا ركعة الوتر.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

في جوابه: نحن ذهبنا، ورأينا، أنت تعال ـ أيضاً ـ وأعطنا يدك؛ حتى نأخذك إلى فوق.

يُنقل أنه جاء شخص إلى المرحوم السيد محمد حسن إلهي الطباطبائي أخي العلّامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، وقال له: هذا الكلام الذي تقوله أنت، من الذي ذهب، ورأى ذلك؟ نحن لا خبر لنا، إذن، فذلك لا واقعية له أصلا.

فقال له السيّد:

«أعطني يدك بإخلاص لأسبوع واحد فقط؛ حتى أقول لك ما الخبر».

وقال متضلّع كتوم يملك من الأسرار الكثير:

«قلتُ لذلك الرجل: ليس أسبوعاً، إذا كنتَ صادقاً فيما تقول، فأعطني يدك لليلة واحدة؛ حتى أقولُ لك ما الخبر».

ولكن ـ للأسف ـ نحن لا نذهب، ولا نعطي أيدينا لهم.

(١٧). من شدّة لذّة تلك الحال تتوهمني صرت سكراناً.

كسرتُ القفص، وخرجتُ كطائر فرّ من قفصه[١].

ويقول الأستاذ في «الهى نامه»:

«إلهي، دراويشك العديمي الشأنِ في زاوية الخلوة يسيرون في آفاق العوالم من دون ألم القدم ـ [أي: من دون معاناة وتعب]ـ والحال لا يتيسّر للأثرياء خَطْو خطوة واحدة [منها]»[٢].

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. الهى نامه: ص١٧، رقم: ٨٢.

وقال سماحته في شعر له بالطبري[١] ما معناه:

«أقوم في منتصف الليل أتوضأ، وأصلي، وآخذ بالطيران على الرغم من أني لا جناح لي، ويا له من طيران؟!».

السيارات، والطائرات، والمركبات الفضائية كلّها تخضع في محضر الإنسان الكامل الذي عنده طيّ الأرض.

(١٨). عند ذلك تجلّتْ لي سورة الأنبياء، واستغرقتُ بنورها[٢].

هذه واحدة أخرى من صور الإنسان البرزخية التي تحدث بواسطة تطهير قوّة الخيال والتفكّر في نظام الوجود، وهذه فائدة أخرى من فوائد التفكّر لمن يسأل عن فوائده، وواحد من معاني قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**

---

١. للعلّامة أكثر من خمسة آلاف بيت باللهجة الطبرية والمحلّية المازندرانية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية، وقد ذكر العلّامة هذه الحادثة بشكل مختصر في العين «٦٤» من كتابه القيّم «سرح العيون»، ص٩٦٣، حيث قال: «...في واقعة أخرى رأيتُ سورة الأنبياء بتمامها مكتوبة في سرّ ذاتي بخط حسن جلي، وقد كنتُ حفظتها في مدى أيام، وقرأتها عن ظهر قلب، وبعدما عادت النفس عنها إلى حالها المألوف تذكّرتُ قوله عليه السلام: **المرء مع من أحب**».

وقد ذكر الأستاذ العلاّمة الكثير من مكاشفاته وتمثّلاته في كتابه الشريف «الإنسان في عرف العرفان»، فراجع، وقد منّ الله تعالى علينا بتوفيق ترجمته إلى اللغة العربية، (م).

٣. البقرة: ١٦٤.

لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[1].

ثم قال الأستاذ:

(١٩). وجدتُ ـ أنا الذي لا قيمة له ـ قبساً من قبسات جماله.

فتوجّهتُ إلى أقليم العشق، وانعزلتُ عن الكل.

لذا ترنمتُ بهذا الشعار: هو الكل ولا أحد غيره، واحدٌ تجلّى فظهرت الكثرات، [ليس في الدار غيره ديّار][2].

حتى ذلك الحين، الذي أنت فيه في نشأة الطبيعة، وتعيش مع الكثرات ترى أنها جميعاً تقول:

(٢٠). هو الكل ولا أحد غيره، واحد تجلّى، فظهرت الكثرات، [ليس

---

١. آل عمران: ١٩٠، والروم: ٢٢، والجاثية: ٥، وقد ورد في فضيلة التفكّر الكثير من الأخبار، منها قول الإمام الصادق عليه السلام: «**تفكّر ساعة خير من عبادة سنة...**»، مستدرك الوسائل، ج٢، ص٢٨١، ح٢.

وعن العسكري عليه السلام: «**ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله**»، المصدر السابق، ح٣.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**التفكّر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين**»، المصدر السابق، ح٨.

وعنه عليه السلام أيضاً: «**التفكّر في آلاء الله نعم العبادة**»، المصدر السابق، ح٩.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية، والمعنى اشارة إلى كثير من الآيات القرآنية، والروايات الشريفة، منها قوله تعالى: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**...﴾، الزمر: ٦٩، وقوله: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**...﴾، الحديد: ٣، وقوله: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾، فصلت: ٥٣ وغيرها، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما رأيت شيئاً، إلا ورأيت الله قبله...**»، شرح أصول الكافي للمازندراني، ج٥، ذيل الحديث الأول من باب المعبود.

في الدار غيره ديار][1].

وكما قال الفارابي:

«هو الكل في وحدته»[2].

وحين تذهب إلى ما وراء الطبيعة لا ترى غير هذه الكلمة أيضاً.

(٢١). ثم طلع الفجر الكاذب، وبعده بان الخيط الأبيض من الأسود.

كأنه نَفَس عيسى يحيي الأموات جماعات جماعات.

أو نفْخ إسرافيل في الصور، فقامت القيامة الكبرى[3].

وعند الصبح يستيقظ الناس من النوم، وكلّنا نفكّر، ونقول: متى تقوم القيامة، ويخرج الناس على أشكال مختلفة؟ والحال أنه حين يقومون من النوم كل صباح هم في قيامة حقيقية.

(٢٢). بسبب هبوبه[4] من بعيد ارتجفت كل الأشجار، والأراضي الخضر، والصحراء[5].

ومقصود الأستاذ من «هبوبه» أي: هبوب «نسيم الصبا»، وهو ريح يهب من المشرق، وفي اصطلاح العرفاء هو الفيض الذي يُقبِل على الإنسان مِن

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. فصوص الحكم، الفص١١، ونقله العلاّمة في الدرس ٩٨، من «دروس معرفت نفس»، ص٣٨٣. وللتوضيح أكثر عليك الرجوع إلى ما في المصدرين المذكورين، فهو مفيد جدّاً في المقام.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٤. ويمكن أن يكون المعنى: بسبب نفخه ـ أي اسرافيل ـ من بعيد ارتجفت كل الأشجار، والأراضي الخضر، والصحراء.

٥. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

ملكوت العالم.

(٢٣). كأنّه تحقّق من ذلك الحال العجيب مثل آية «**وزلزلت الأرض زلزالها**»[١].

وقت الصبح كأن الأرض أخذت تهتز، واستيقظ الجميع؛ حتى يتحركوا إلى أعمالهم، وأسواقهم، ومزارعهم، ودراستهم.

(٢٤). من جهة أخرى تضجّ كل الطيور، والحيوانات بالحركة، والجلبة[٢].

واستيقظتْ جميع الحيوانات أيضاً.

ويجب أن يُعلم أن الإنسان إذا نام من الليل إلى الصبح، ثم استيقظ بعد طلوع الشمس، وهو لا يعلم ماذا جرى في العالم؛ فقد صيّر نفسه حيواناً لا أكثر.

وقت الصبح يُؤَذن مرتين: إحداهما المرّة التي يؤذّن فيها فوق المأذنة، والأخرى يؤذّن الديك فيها في صحن البيت.

وعجيب كيف يعلم الحيوان بوقت أذان الصبح، وفي الليل يسكن في عشّه ولا يصدر له صوت، ولكنّه حين يحين وقت أذان الصبح يشرع مجدّداً في الأذان!.

(٢٥). ذاك المؤذّن يُعلِم الخلق بالتكبير، والتهليل[٣] من على المأذنة.

وهذا ـ الديك ـ مع الطيور الأخرى بالتسبيح، والتقديس في آذانها[٤].

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٣. أي: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله لا إله إلا الله... .

٤. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

ذكر الديك هو: «يا سبّوح يا قدّوس»، وهو يصيح ويهتف كل صباح.

(٢٦). لا أولئك فقط، بل كل عوالم الامكان من العقل الأول إلى الهيولى الأولى على ذلك الهيجان. كل واحد منهم يتحدّث عن كمال توحيده بلسان فصيح، [ويقول]: هو الكل ولا أحد غيره، واحد تجلّى؛ فظهرت الكثرات، ثم طلعت راية الظفر من طلوع الطليعة البيضاء[١]، راية كأنّها الورد الأحمر[٢]، أو من نوع اللؤلؤ [النفيس]، ولما اختفى الفجر الكاذب بعدها لاح المنظر المرئي، [والشمس] كأنها غزال من النار يطوف العالم في الأفق، كأن الشمس مظهر من مظاهر الحور العين، والله تجلّى في هذا المجلى، وأزاح البياضُ البردةَ السوداء من على وجه الأرض، وصارت القيامة ظاهرة كأنها يوم تبلى سرائر الأشياء[٣].

ينشر الليل ستار ظلامه على الأرض، والصبح تأتي الشمس من الأفق تزيل ذلك الستار الأسود من على الأرض، وقبل هذا القيام تستيقظ جميع الحيوانات، إلا مجموعة هم في الظاهر على شكل الإنسان، ولكنهم في الباطن أحقر من كل حيوان. هؤلاء ينتظرون حتى تطلع الشمس فيستيقظوا؛ لذا ورد ما معناه: «أن جميع الحيوانات تستيقظ قبل الآذان، إلا الكلب»؛ ذلك لأنه مشغول بالحراسة من الليل إلى الصباح، وعند الصبح يأخذه النعاس.

ما تراه في هذه النشأة فهو ظلّ داره الأخرى

إذا أردتَ أن تعرف ما هي القيامة الكبرى؟ ابق مستيقظاً من الليل إلى الصباح؛ سترى أنه قبل أذان الصبح قد قامت قيامة، وبعد أذان الصبح تقوم

---

١. كناية عن طلوع الشمس.

٢. كناية عن الحُمرة المشرقية.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

قيامة المصلين، وعند طلوع الشمس قيامة أخرى، هي قيامة من نهض للتو من النوم.

ثم يقول الأستاذ:

(٢٧). فصار لون الصحراء بنفسجياً، ورفعت الجبال أعناقها الزعفرانية، ونسيم الريح يهب على البحر، فيتحرّك، كأن يد داود ألبسته درعاً من النسيم، كل ما لا يُرى وما يُبصَر فيه آيات ربّه الكبرى[١].

كل ما تراه بناظريك هو دليل الحقّ.

إلى أن يقول أيضاً:

(٢٨). هو الكل ولا أحد غيره، واحد تجلّى؛ فظهرت الكثرات، [أي: ليس في الدار غيره ديار][٢].

«والحمد لله ربّ العالمين»

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

المجلس الحادي عشر

- كلام في ضرورة إصلاح النفس
- في أهمّية كتاب «الهى نامه»، و«ديوان العلّامة»
- وجوب محاسبة النفس
- برنامج للعمل
- الأصول الخمسة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ كلام في ضرورة إصلاح النفس

كلامنا الأول والأخير معكم أيها الأعزاء، هو إنه عليكم أن تشتغلوا بإصلاح أنفسكم وتهذيبها، انظروا أنتم أين، وأين تكونون؟ واعلموا أن الكلام الأول والأخير لنظام العالَم معنا هو أن نعثر على أنفسنا، ونرى ماذا نفعل؟ وأين يجب علينا أن نكون؟ وأن تمام هدف الخليقة هو الإنسان ـ أيضاً ـ ؛ فعليه أن يعرف نفسه.

نُقل أنه حينما حضر المير سيّد شريف الموت طلب ابنه منه أن يعظه، فقال له: «بُني عليك نفسك».

وعليك أيضاً أن تصل إلى روحك، وذلك الذي يريدونه منّا هو أن نرى «ماذا نحن»، وماذا علينا أن نعمل؟! هل لدينا ـ في ليلنا ونهارنا ـ زادٌ أو لا؟! أنحاسب أنفسنا على أعمالها أم لا؟! هل نحاسب أنفسنا كما نحاسب أموالنا؟!.

وبالتعبير الشريف للأستاذ في رسالته «الهى نامه»:

«إلهي: إلى كعبة وِصالِك [يوجد] فراسخُ، وفي الطريق أحجار كبيرة [أي: موانع ضخمة]، وهذا الأَعْرج أقلَ من السَّرطان [أي: سرطان البحر] بمراتب، [وقد] قالوا للسرطان إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الصين وغير

الصين، فقالوا: بِمَشْيَتِكَ وطريقَتِكَ هذه؟!»[١].

تريد أن تطوي طريق ملكوت العالم بتعاستك ومشاكلك هذه؟! أنت لا تتحرّك، ولا تعمل طوال ليلك ونهارك، وتريد أن تكون من أهل الباطن، وتسافر، وتطوي السموات؟! إذا نظر الإنسان إلى نفسه حقيقة، سيرى أنه تعس، وبائس إلى حد كبير.

إن كل المفكّرين، والعلماء المادّيين والطبيعيين هم في صدد فهم العالم، واكتشافاتهم تزداد كل يوم، وهم في مقابل العلم غير المتناهي لنظام العالم جهلة ليس أكثر، ومعلوماتهم في مقابل مجهولات العالم التي خفيت عنهم بمنزلة النقطة في مقابل اللامتناهي، وبتعبير أستاذنا العزيز ـ روحي فداه:

«نحن نهدر من عمرنا الغالي الكثير، ولا نحصل في المقابل على شيء».

▣ في أهمّية كتاب «الهى نامه»؟، و«ديوان» العلّامة

أعزائي، خذوا كتاب الأستاذ «الهى نامه»[٢] واقرأوه؛ فهو بيان لسيرة الإنسان؛ لأن القلب دائماً في حالة انقلاب، وتقلّب.

(٢٩). تارة يكون على الأفق الأعلى [فيطّلع على الكثير من الحقائق]، وأخرى لا يرى ماتحت رجله[٣].

إن كتاب «الهى نامه» مشتمل على عبارات صدرت عن فمٍ مبارك لإنسان

---

١. الهى نامه، ص١٤، رقم: ٦٠.

٢. أي: الرسالة الإلهية، وقد تُرجم الكتاب وطبع في ذيل كتاب «السير إلى الله» في دار المحجّة ببيروت. (م).

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية، يعني: أن القلب دائماً في تقلّب، فتارة يرتقي إلى أعلى المراتب الممكنة، وتارة ينزل إلى أدنى المراتب الروحية.

رأى وشاهد جميع الحالات، وطوى جميع المراحل، وترشّحت منه تلك الجمل مطابقة مع كل حالة وقعت له ـ حفظه الله؛ لذا يجب أن يكون كتاب «الهى نامه» كتاب سفركم وحضركم، ويكون دائماً في جيبكم؛ حتى لا تغفلوا عن أنفسكم.

▣ وجوب محاسبة النفس

هذه الليلة هي ليلة عاشوراء، ويجب أن نحاسب أنفسنا بدقّة، ماذا فعلنا من ليلة عاشورا للسنة الماضية، وإلى هذه الليلة؟! علينا هذه الليلة أن نأخذ دستور السير والسلوك لهذا العام من سيد الشهداء عليه السلام، نحن لا نقدر على شيء، ولا يوجد عندنا شيء، غير أن نقتطف فرعاً من روضة عظمائنا، ونتزوّد منه.

في عصر هذا اليوم ـ الذي كان عصر تاسوعاء ـ جاءوا، وحاصروا أبا عبد الله عليه السلام وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فقال الإمام سيد الشهداء عليه السلام لأبي الفضل العباس عليه السلام: «اذهب، وقل لهؤلاء الناس: أمهلونا هذه الليلة»، لم يكن ذلك لكي يبقى الإمام عليه السلام يوماً آخر على قيد الحياة، بل قال: «أنا أحب القرآن، والصلاة، والدعاء، وأريد أن أقضي الليل الأخير معها».

▣ برنامج للعمل

إن المناجاة مع الله سبحانه لها لذّة، وحلاوة خاصّة، وخصوصاً المناجاة الخمسة عشر للإمام زين العابدين عليه السلام، الواردة في «الصحيفة السجادية»، و«مفاتيح الجنان».

اسعوا أيها الأصدقاء؛ لأن تقرأوا واحدة كل يوم ابتداءاً من أول كل شهر قمري إلى خمسة عشر يوماً منه، هذه الأدعية تعطي العشق، والحرارة للإنسان، وتجعله يتحرّك، اسعوا لأن تنظّموا أوقاتكم بحيث تكون هذه المناجاة هي

تقويماً لكم، كلّما أردتم أن تعرفوا اليوم كم في الشهر، القوا نظرة في «مفاتيح الجنان»، وانظروا اليوم نوبة أي من هذه المناجاة؛ حتى تعرفوا ذلك اليوم.

والبرنامج الجيّد الآخر الذي قاله جناب الأستاذ، الذي يمكن لكل شخص أن يعمل به، هو أن القرآن ثلاثون جزءاً ـ كما هو معلوم ـ فإذا كان عندكم الوقت، والقدرة، فقسّموه على الشهر، أي إلى ثلاثين يوماً، واتلوا كل يوم جزءاً واحداً منه، وهذا العمل أيضاً سيكون باعثاً على جعل القرآن تقويماً يومياً للإنسان، وإذا لم تستطع بهذا القدر، فاقرأ يومياً صفحة واحدة منه، ولكن عليك أن تأنس وتستأنس بهذه الصفحة، وأعطها نفسك، واعرضها عليها، وقل: «يا أيها القرآن، أنا لا اعلم كم هي جميلة طلعتك؟! ولا أعرف كيف أحضى بزيارتك، أنا أسلّم لك نفسي، وأنت اعرض لي ما تجد فيه الصلاح؛ حتى أراه».

ومن أجل هذا ليس المهمّ كثرة الصفحات، بل المهمّ هو أن تعرض نفسك على القرآن.

اسع كل يوم بعد صلاة الفجر، أو في الليل حين تريد النوم أن تقرأ صفحة واحدة من القرآن الكريم؛ فهذا سيكون باعثاً على تنظيم نوم الإنسان مع القرآن.

للأسف تمضي علينا سنوات، ولا نرى حتى أربعة منامات حسنة، فهل هذه إنسانية؟!.

إن أفضل طرائق معرفة الشخص نفسه هو نومه، انظروا هل ترون في النوم أفاعي، وعقارب، أو أزقّة مليئة بالضجيج والصخب؟ أو ترون ملكوت العالم الذي تنكشف لكم منه الحقائق؟.

يقول سماحة الأستاذ:

«جلستُ يوماً عند شجرة، وكنت مترقّباً أي درس أستطيع أن آخذ منها،

في هذه الأثناء، رأيتُ حيواناً حال بيني وبين تلك الشجرة، فوقع في ذهني أنه في هذه اللحظة اجتمعتْ ثلاثة موجودات متفاوتة مع بعضها، الشجرة التي هي نبات، والحيوان الذي هو حيوان طبعاً، وأنا الإنسان، ثم خطر في ذهني أن أصل الشجرة، وجذرها، ورأسها في الأرض، وهي تأخذ الغذاء من هذا الجانب، ثم رأيتُ الحيوان الذي حال بيني وبين الشجرة على شكل أفقي، يعني رأسه لا هو إلى السماء، ولا إلى الأرض، وهو يتغذّى بين هذين الجانبين، ثم قلتُ لنفسي: لأنك إنسان، ورأسك إلى الأعلى، إذن عليك أن تأخذ غذاءك من جانب السماء»[1].

واحدٌ آخر من الأشياء التي يجب أن نقرأها دائماً هو ديوان أشعار حضرة الأستاذ؛ لأنه ما من شيء يكون على أساس الحال، إلا وهو يصنع الإنسان.

أول غزل الديوان هو «غزل الطائر القدسي» يعني «النفس الناطقة الإنسانية»، فإن حقيقة الإنسان هي طائر قدسي، كما أشار شاعر آخر إلى أن النفس الإنسانية هي «مَلَك»، أي: موجود مجرّد من عالم العقل والفردوس، ولكنه تنزّل إلى عالم المادّة الخرب.

(٣٠). كنت مَلَكاً، وكان مقامي الفردوس، وأنت [خطاب لآدم من جهة بدنه المادّي] أتيت بي إلى هذه الخربة[2].

إن حقيقتك عبارة عن طائر ملكوتي، وبحسب قول الشاعر:

صنعوا لي قفصاً من بدني لبعض الأيام[3].

---

١. دروس معرفت نفس، ص ٣١٠، الدرس «٨٢»، بتصرّف.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٣. وإن كان المطلب في حدوث النفس، وروحانيتها، أو جسمانيتها أدقَ من هذه الأشعار، ولكن هذا للتقريب والتنبيه ليس أكثر، وللبحث مكانه الخاصّ به.

الآن أنت في قفص بدنك، ولن يمضي وقت طويل حتى تطير من هذا القفص، وتسافر إلى عالم الملكوت، فحذار أن تبقى إلى ذلك الوقت من دون ريش وجناح.

الويل لنا إذا فُتح أمامنا طريق الملكوت، ولم نكن من أهل الطيران.

(٣١). يا أيها الطائر القدسي، في هذه الخربة كثيرة الكمائن الشيطانية، والحيوانات المفترسة، وقطّاع الطرق[١].

أيها الإنسان، إنك طائر ملكوتي العالَم، وعليك أن تسافر إلى ملكوت العالَم؛ وانتبه فإن في أنقاض نشأة الطبيعة هذه العشرات من قاطعي الطريق، ويجب أن تعبر من كل هؤلاء.

(٣٢). أيها الطائر، أين تكون آمناً في هذا المكان المخوف؟ اعبر من هذا المكان، وأقبل إلى ذلك الجانب الآمن[٢].

الإنسان العاقل لا يصنع بيته في مكان خطر ومخيف، ولا يسكن في مثل هكذا مكان أبداً، ولو فرض وكان في هكذا مكان، فسيسعى جاهداً للفرار منه.

لا نقول: لا تكونوا من أهل الدنيا، كونوا من أهلها، ولكن اجعلوا الدنيا من أجلكم، لا تجعلوا أنفسكم لها.

(٣٣). ماذا وقع لك من الموانع في هذا الشارع، وفي هذه المحلّة ولم تذهب، واكتفيت بحبّة، أو حبّتين من هذا التل من الحبوب؟![٣].

«تل الحبوب» كناية عن الحقائق الملكوتية التي يعطونها للإنسان في

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.
٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.
٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

منتصف الليل، إذ في البداية لا يرى الإنسان الحقائق إلا في منتصف الليل، أمّا بعدما يتعب بمقدار ما، ويأخذ بالحركة في مسير الإنسانية، فسيصير الليل والنهار، وكل أبعاد نظام العالَم مكاناً لصيده وتلقّيه الحقائق، وعندها يصبح الإنسان صيّاد العالَم، وتكون قوّته العاقلة مصيدة يصيد بها حقائق العالَم، لا إنه يصير صيداً للعالم.

(٣٤). فهل نسيت في هذا الطين، والوحل، والأتون ذلك الروح، والريحان، والحديقة، والبستان؟![1].

«الأتون» هو بيت النار، والمعنى هو: حذار أن تكون أتوناً؛ فتحرق روحك بها، وتفنيها.

ولكن ماذا نفعل حتى نخرج من هذا الأسر؟.

(٣٥). في السَحَر يأتي نسيم حبيبك، فعليك أن تجلس في طريقه عند كل وقت[2].

علينا أن نكون من أهل السَحَر، وبتعبير الأستاذ:

«الهي، من ليس له سحر، فليس له بنفسه خبر»[3].

نعم من ليس له سَحَر لا يعلم شيئاً عن نفسه، ولا عن العالم، ولا عن ربّ العالم.

عزيزي، اسع هذه الليلة لأن تكون مستيقظاً حتى الصباح، فإن للوحدة لذّة

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية، وهذا البيت إشارة إلى الحديث الشريف الوارد عنه ﷺ: «**إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها**»، البحار، ج٨٣، ص٣٥٣.

٣.الهى نامه، ص٢٧، رقم: ١٥٨.

كبيرة، وخصوصاً الخلوة في عتمة الليل، فلذّتها شيء آخر، العتمة، والخلوة، والسكوت، تُقيم القيامة على الإنسان[١]، وعندها يصل الإنسان إلى مرضه.

اجلس في السَحَر في صحن معشوقك، واجعل ذلك المكان محراب طهارتك وعبادتك، عليك أن تفتدي بكل المجتمع قرباناً للذّة السَحَر، عليك في السحر أن تنفض يدك عن «الغير»، وتشتغل بحقيقة نفسك فقط.

(٣٦). قد صارت آمالك الدنيوية حجاب قلبك، فكيف لهذا الدَيدن أن يرى الحقائق؟![٢].

المقصود بـ«الدَيدَن» هنا هو «الخُلق»، و«السلوك»، فإذا لم يحل فيك خلاف ذلك الخُلق، والسلوك لا تستطيع أن تُردّد ذكر الليل، ولا يكون عندك حرقة السَحَر، وهكذا لا تستطيع أن ترفع عن قلبك حجابه، وذلك هو:

(٣٧). لا تأتي الاستقامة بالهوس والتمنّي، إذ يجب التشمير عن ساعد الجدّ في هذا الطريق، كل صفاتك الرذيلة تصنع منك أفاعي، وخناجر، وإبراً ضارّة[٣].

تصبح جميع صفاتك الرذيلة، وملكاتك النفسانية أفاعي، وعفاريت، وهي تغور في روحك مثل الإبرة.

عليك أن تأخذ طريق العشق؛ إذ إنَّ العاشق لا قرار له، فهو يفكّر دائماً بمعشوقه في صباحه ومسائه، وفي كل وقت لا فكر له إلّا معشوقه.

---

١. لكل إنسان قيامة خاصّة به في ذاته لا يدركها إلا من قامت قيامة نفسه، وهي تقوم بمساعدة تلك الأصول الثلاثة.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

▣ الأصول الخمسة

إن أي شخص أراد أن يكون في مسير الإنسانية، عليه أن يعتني بخمسة أصول عناية كافية.

١. الجوع.

٢. السكوت.

٣. اليقظة.

٤. الخلوة.

٥. الذكر.

وقد قالوا:

(٣٨). الصمت، والجوع، والسهر، والخلوة، والذكر الدائم، تستكمل هذه الخمسة كل ناقص تمام[١].

عزيزي، ليس من الصحيح أن يكون بطنك ممتلئاً دائماً، صحيح أنه حينما تكون في عملك عليك أن تأكل بالمقدار الذي يعطيك الطاقة للعمل، ولكن لماذا تأكل كثيراً في كل وقت، ومن دون عمل؟! إن كثرة الأكل تكدّر القلب[٢]،

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إياكم والبطنة، فإنها مقساة للقلب، مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد**»، مستدرك الوسائل، ج٣، باب كراهة كثرة الأكل، ح٤.

وروي: «**من قلّ طعامه، صحّ بدنه، وصفا قلبه، ومن كثر طعامه، سقم بدنه، وقسا قلبه**»، المصدر السابق، ح٧.

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «**ما ملأ آدمي وعاءاً شرّاً من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه**»، المصدر السابق، ح٩.

وعن الصادق عليه السلام: «**وليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين: قسوة**

وبتعبير الأستاذ:

«جَرِبْتُ أن البطن طالما يكون دائراً يكون القلب بائراً...»[١].

إن «الجوع» يبعث الباطن، وما أكثر ما يأتون للإنسان بالغذاء من ملكوت العالَم، ولكن بمجرّد أن يروا أن بطنه ممتلئ فإنهم يرجعون عنه.

والأصل الآخر: هو «التكلّم بمقدار الضرورة»، لا نقل: لا تتكلّم أبداً، ولكن: قلل الكلام، وانتخبه، وتكلّم كالدرّ، سيمتلئ العالم من كلامك القليل المنتخب ذاك.

والأصل الثالث: هو «السَهَر»، بمعنى «اليقظة».

واليقظة هنا ليست بمعنى عدم النوم في الليل مطلقاً، إذ لا شبهة في أن ذلك لازماً وضرورياً للإنسان، وإنما هي بمعنى اليقظة، والوعي، والتوجّه، والالتفات، وعدم الغفلة.

كن يقظاً في كل حال؛ حتى لا تغفل، ولا تندم، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿**يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا**﴾[٢]، وقالَ أيضاً: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾[٣].

وعن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال:

القلب، وهيجان الشهوة، وقال عيسى بن مريم عليه السلام: ما مرض قلب بأشدّ من القسوة»، المصدر السابق، ح١٢.

١. الهى نامه، ص١٠، رقم: ٢٣.

٢. الهى نامه، ص٢٧، رقم: ١٥٨.

٣. الإسراء: ٧٩.

«إنّ الوصول إلى الله سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل»[١].

والأصل الرابع: هو «الخلوة»، و«العزلة»، و«المحاسبة».[٢]

---

١. بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٨٠.

٢. **الخلوة**: عبارةٌ عن التَوجّه الخالص لله عند العبادة والذّكر، والابتعاد عن الضَوضاء، وعوامل تشتيت القلب والخيال. فقد روي أنه ﷺ كان يحب الخلوة بنفسه للذكر، والتفكر، والتأمل، ومراجعة أمره، انظر: أخلاق النبي، خ٦٤.

وفي الرواية: «**يُباهي اللهُ تَعَالَى الْمَلاَئِكَةَ بِخَمْسَة: بِالْمُجَاهِدِينَ، وَالْفُقَرَاء، وَالَّذِينَ يَتَوَاضَعُون لله تَعَالَى، وَالْغَنيِّ الَّذي يُعْطي الْفُقَرَاءَ وَلاَ يَمُنُّ عَلَيْهِمْ، وَرَجُل يَبْكي فِي الْخَلْوَةِ مِنْ خَشْيَةِ الله عَزَّ وَجَلَ**»، مكارم الأخلاق، ص٥١.

العزلة: قال تعالى حكاية عن أصحاب الكهف: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً**﴾، الكهف: ١٦.

وقال حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً**﴾، مريم: ٤٨.

وقال تبارك تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً**﴾، مريم: ١٦.

وقصة تعبّد رسولنا الكريم في غار حراء غير خافية على مسلم، وكلّها تشير إلى مطلوبية الاعتزال، بل مدخليته الأكيدة في تلقّي الحقائق، والفيوضات الإلهية، فتدبّر.

وعن الصادق عليه السلام: «**إن الله جل وعزّ أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل إن أحببت أن تلقاني غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً، غريباً، مهموماً، محزوناً، مستوحشاً من الناس، بمنزلة الطير الواحد، الذي يطير في أرض القفار، ويأكل من رؤوس الأشجار، ويشرب من ماء العيون، فإذا كان الليل آوى وحده، ولم يأو مع الطيور، استأنس بربّه، واستوحش من الطيور**»، البحار، ج٦٧، باب العزلة عن شرار الخلق، والأنس بالله، ح١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أيها الناس، طوبى لمن لزم بيته، وأكل كسرته، وبكى على خطيئته، وكان من نفسه في تعب، والناس منه في راحة**»، المصدر السابق، ح٤.

وقال ﷺ «**ثلاث منجيات: تكف لسانك، وتبكي على خطيئتك، وتلزم بيتك**»، المصدر

والأصل الخامس: هو «الذكر الدائم»، قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾[1]، عليك أن تكون ذاكراً دائماً، وليس المقصود بالذكر هنا أن تأخذ المسبحة، وتردّد: يا الله، يا الله فقط من دون أن تتأمّل وتتمعّن فيما تقول، إنما عليك أن تجعل جميع أعضائك وجوارحك مع الحقّ، اسمع بالحقّ، وقل بالحقّ، واذهب بالحقّ، وفي أعمالك ـ في الليل والنهار ـ لا تخالف دساتير الحقّ تعالى.

والخلاصة هي ألّا ترى في دار التوحيد غير الحقّ.

«والحمدلله ربّ العالمين»

السابق، ح٥.

وقال عليه السلام: «**صاحب العزلة متحصن بحصن الله، ومحترس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرّد به سرّاً وعلانية**»، المصدر السابق،ح٩.

المحاسبة: عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «**ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً، استزاد الله، وإن عمل سيئاً، استغفر الله منه، وتاب إليه**»، أصول الكافي، ج٢، ص٤٥٣، باب محاسبة العمل،ح٢.

وعن الإمام علي عليه السلام وقد سُئل عن كيفية محاسبة النفس، فقال: «**إذا أصبح، ثم أمسى، رجع إلى نفسه، وقال: يا نفس! إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً، والله سائلك عنه فيما أفنيته، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدتيه؟ أقضيت حقّ أخ مؤمن؟ أنفّستَ عنه كربته؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلما؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنه جرى منه خير، حمد الله عزّ وجل وكبّره على توفيقه، وإن ذكر معصية، أو تقصيراً، استغفر الله عزّ وجل، وعزم على ترك معاودته**»، البحار، ج٦٧، ص٧٠.

١. البقرة: ١٥٢.

المجلس الثاني عشر

- الطهارة موجبة لزدياة الرزق
- الباعث الصحيح على العمل الصالح
- الأدب مع الله تعالى
- معنى حقّ الطالحين، وحقّ الصالحين علينا، والتولّي والتبرّي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ الطهارة موجبة لزيادة الرزق

إن طهارة الانسان في الظاهر والباطن موجبة لزيادة الرزق، فإذا كانت طهارة ظاهرية، فستكون موجبة لإزدياد الرزق الظاهري، وإذا كانت طهارة باطنية، فإنها ستكون موجبة لإزدياد الرزق الباطني، غاية الأمر يجب الالتفات إلى نكتة في بحث الرزق، وهي إننا نُعبّر عن مقدار الأمور المادّية التي يحتاجها الإنسان في مرتبة ظاهره ـ وليس فيها زيادة أو نقص ـ بالرزق؛ لأنه يجب أن يُفرَق بين حساب الرزق وحساب المال؛ لأن الإنسان إذا حصل على أقل أو أكثر مما يحتاجه لمعيشته ـ في مرتبة الظاهر ـ من المال، فإن ذلك لا يسمّى رزقاً حينئذٍ؛ إذ إن الله تعالى تكفّل له بمقدار حاجته فقط من الرزق[1] ـ كالنفقة الواجبة على الزوج لزوجته ـ إلا إذا سرقه الآخرون منه.

فإذا زاد الرزق الظاهري، حينها يصير معلوماً أن المصرف الظاهري للشخص قد ازداد أيضاً، ويرافق ذلك ازدياد سخائه على الغير مثلاً، وفي هذه الصورة، فإن الشخص يؤمّن مصارف من يكون تحت رعايته، فضلاً عن تأمينه مصرفه الشخصي، وهذا ـ أيضاً ـ سيكون بمنزلة الرزق، كما لو كنتَ

---

١. قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا...﴾، هود: ٦.

أنت معيل المنزل، فعلى الرغم من أن غذاءك في الليل والنهار بمقدار معيّن، ولكن، ولأن زوجتك وأطفالك معك في المنزل، فإن رزقك سيزداد، ويؤمَّن رزقهم من خلالك أنت، ويكون في حسابك أنت؛ إذ أنت المعيل والمسؤول عنهم، وإذا وسّع الإنسان مصروفاته؛ ليؤمّن رزق جاره الفقير مثلاً، ففي هذه الصورة سيزداد مدخوله، وهذه الزيادة هي زيادة رزقه لا زيادة ماله؛ لأنه أصبح مسؤولاً عن أكثر ممّا كان، ولكن إذا جمع أكثر ممّا يحتاج من المال حينئذٍ يكون ذلك زيادة ماله، لا رزقه.

إن معنى زيادة الرزق الظاهري هو إنه إذا كان الشخص من أهل الطهارة، فستقتضي حلّية ماله أن ينتفع منه الآخرون؛ لأن الإسلام وقف بوجه التضخم المالي، خصوصاً المال الحرام؛ إذ إن المال الحرام ليس رزقاً، لا للحاصل عليه، ولا رزقاً لذلك المتصدَق به عليه.

وأمّا الرزق الباطني، فلم يقدّر بمقدار إطلاقاً، بل إنه كلّما ارتقت الطهارة الباطنية، ازداد الرزق الباطني، وحتى لا يقول أحد: أنا أقوم بالأعمال العبادية؛ حتى أصل إلى الدرجة الخامسة من الإيمان ـ مثلاً ـ وأقف! فلماذا لا يرتقي ذلك الشخص إلى الدرجة السادسة؟ أو لماذا لا يرتقي إلى الدرجة العاشرة؟ لماذا يتوقّف؟ لماذا لا يواصل السعي؟ وهنا قالوا: إن طريق ازدياد الرزق الباطني مفتوح؛ لأن الرزق الباطني مرتبط بروح الإنسان، والروح حقيقة غير متناهية القابلية؛ لذا فإن كل ما زيد على الرزق الباطني، فإنه سيكون غذاء الروح، كما أن الشجرة كلّما أخذت من الماء والتراب، فإنها ستكبر وتتوسّع، وعندها تستطيع أن تظلل على أفرادٍ أكثر.

والنكتة الأخرى هي: إن تظليل الشجرة ليس هو المقصود الأصلي لنمو الشجرة، بل مقصود الشجرة هو التوسّع والنمو والارتقاء، بعد ذلك يستفيد

الآخرون، وينتفعون من نموّها.

والشجرة لا تقول أبداً: أتغذى حتى أعطي للآخرين، بل تقول: أنا أتغذى لنفسي، وحينما أصبح قوية، فسينتفع منّي الآخرون تلقائياً، والنفس الناطقة الإنسانية مرزوقة بالرزق الباطني أيضاً، ولا تتقيّد بحدٍ خاص أبداً، بل هي موجودٌ بلا نهاية، وترتقي بواسطة تلقّي الرزق، واستعدادها، واستيعابها يتوسّع تدريجياً، وبعد ذلك سينتفع منها الآخرون تلقائياً.

▣ الباعث الصحيح على العمل الصالح

قلنا: إن الرزق الباطني مرتبط بنفس الشخص، وأمّا في الرزق الظاهري، فعلى الرغم من أن الآخرين ينتفعون منه، ولكن في النهاية ترجع الفائدة إلى الشخص نفسه؛ لأن الرزق الظاهري ينبع من الجود والسخاء والصفات الإنسانية الأخرى لذلك الشخص نفسه، وبعد إتيانه هذه الأفعال سيشاهد أن جوهره النفساني سيشتدّ، وسيحصل على ما بإزاء ذلك، فمثلاً لو أنه أكرم غيره اليوم، فسيُكرَم هو غداً.

والآن لننظر هل يمكن أن يعمل الشخص عملاً حسناً؛ رجاءاً لما يقابل ذلك من خير؟ كما لو أن شخصاً يقول: أنا أرحم غيري؛ لكي يرحمني الله، أو أعطي؛ حتى يعطيني الله؟ للأسف إن أعمالنا الحسنة لو لم يكن هناك ما يقابلها من جزاء لما صدرت عنّا إطلاقاً، ولما أعطى وأحسن أي أحد أبداً، وأن الباعث، والداعي إلى العمل الحسن عند أكثر الناس هو انتظار ما يقابل ذلك من الله.

أمّا باعث أمير المؤمنين عليه السلام، والمعصومين الآخرين، فلم يكن كذلك أبداً، وإطلاقاً، إنهم عليهم السلام يقولون: نحن نهب كما يهب الله تعالى، أي: إننا نريد أن

نتّصف بصفات الله تعالى.

قال الشيخ الرئيس في النمط السادس من الإشارات: «الجود هو العطاء بلا عوض»

والله كذلك أيضاً، فهو يعطي بدون أن ينتظر مقابل ذلك، ولا حاجة له بالعوض، فهو لا تنفعه عبادة العابدين، ولا تضرّه إساءة المسيئين، بل يقول: إن صفاتي الذاتية هي الجود والكرم، كما تقول العين: فطرتي الذاتية المجعولة هي الرؤية، وتقول الإذن: طبيعتي الذاتية المجعولة هي السمع، وتقول الشمس: طبيعتي ونسجي الذاتي المجعول هو الإشراق.

إن موجودات العالم جميعها تعلّمت من الحقّ، وهي جميعاً تقول: إن فطرتنا التكوينية المجعولة هي أن نشتغل بعملنا، ولا نطلب شيئاً قباله، والإنسان فقط ـ من بين تلك الموجودات ـ يتقاضى العوض مقابل أعماله.

طبعاً لا نقول إن ذلك قبيحاً، بل إن هذا نظراً متوسّطاً، أي لا نقول: قبيح، ولا نقول: حسن، ونقول فقط: إن مثل هكذا شخص إذا أعطى لا يكون جواداً حقيقياً؛ لأن الجواد الحقيقي هو الذي لا يطلب شيئاً مقابل جوده، ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً**﴾[1]، كالشخص الذي أخذ بأيدي الناس عشرات المرّات، وحين يسقط لا يكون عنده أي انتظار من الآخرين ـ غير الله تعالى ـ أن يأخذ بيده، هذا الذي علمتنا إياه آيات القرآن الكريم، وسيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وهذا ما تشير إليه الآية السابقة، وقد روي في سبب نزولها أنه في يوم من الأيام مرض الإمام الحسن، والإمام الحسين عليهما السلام، وقد نذر الإمام علي عليه السلام، والزهراء عليها السلام أن يصوما ثلاثة أيام إذا

---

١. الإنسان: ٩.

تعافى ابناهما.

ومن اللازم ذكره هو إن هذا الأمر يُلفت انتباهنا إلى دستور قرآني للعمل، ونكته أخلاقية عظيمة، وهي إن أمير المؤمنين عليه السلام، والصدّيقة الكبرى عليها السلام على الرغم من أنّهما كانا معصومين، ومن أولياء الله تعالى، والعالَم كلّه تحت اختيارهم، ويستطيعون أن يشفوا المريض بإشارة واحدة فقط، ولكنّهم لم يفعلوا ذلك، ونذروا الصوم ثلاثة أيام؛ حتى يُشفى مريضهم، فعندئذٍ نعرف أنهم عليهم السلام أرادوا بذلك أن يعلّمونا دستوراً للعمل، وهو إنكم إذا أردتم شفاء مرضاكم، فتستطيعون أن تنذروا الصوم ثلاثة أيام، وإلا فهم عليهم السلام يستطيعون أن يشفوا المرضى بكل سهولة، وبإشارة واحدة فقط.

▣ الأدب مع الله تعالى

النكتة الأخرى هي إنّنا كنّا قد بيّنا في المباحث السابقة أن الشخص الذي تقوى نفسه، يقلّ تصرفه في نظام العالَم، مثلاً لم يقل حضرة الوصي أمير المؤمنين عليه السلام: لمّا كنتُ ولي الله، وابن عمّ رسوله، ونفس نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا يجب عليّ أن أجلس وأسكت، ولا أشفي ولديّ الحسن، والحسين بإشارة منّي؟ كلّا، فإنه عليه السلام لم يقل ذلك، إنه قال: كما يقضي الآخرون حاجاتهم بالنذر مثلاً، نحن ـ أيضاً ـ ننذر من أجل سلامة أبنائنا، فإذا أراد الله، فهو يشفيهم.

ففضلاً عن أنهم عليهم السلام علّمونا الأدب، كذلك هم يواسونا من أجل مواصلة الطريق، كما لو كنتم رأيتم شخصية مهمّة تقف في محطة السيارات، ويكون حاله حال الآخرين الذين يريدون السفر، ولكنّه لا يسافر بالطائرة، أو بسيارة شخصية، بل يسافر كما يسافر الآخرون، فهو بهذا العمل يعطي الآخرين درساً في الأدب، والأخلاق.

كذلك الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ كان مريضاً في كربلاء، ولكنّه لم يتصرّف تكوينياً ـ إطلاقاً ـ لشفاء نفسه؛ لأنه يعلم أن إرادة الله تعالى تعلّقت بمرضه، وليس له أي وجه في أن يطلب منه تعالى شفاءه عن طريق التصرّف في نظام الكون.

وأنتم ـ أيضاً ـ إذا رأيتم شخصاً مريضاً، فلا يجب أن تطلبوا شفاءه من الله تعالى بأي شكل من الأشكال ـ ولو على الرغم من الإرادة الإلهية ـ فإذا كان مقرّراً أن يبقى مريضاً فلا تعترضوا، طبعاً لا بأس بالدعاء له، والشفقة عليه، أو أخذه إلى الدكتور، ولكن لا يكون ذلك بمعنى أن يُشفى ذلك المريض ولو بالقوّة، والحتم؛ لأنّا لا يمكن لنا أن نأمر الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ

وبعبارة أخرى: «إن الله يأمر، ونحن نطيع، لا أنّا نأمر، وهو ينفّذ»، نحن ناقصون جداً في هذه الموارد، ولا نلتفت جيّداً إلى هذه المسائل، والأئمة عليهم السلام علّمونا ذلك الأسلوب الراقي، وقد ورد عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال:

«ينبغي لمن عقل عن الله ألا يستبطئه في رزقه، ولا يتّهمه في قضائه»[1].

ولهذا نذر الإمام علي عليه السلام، والصديقة الطاهرة عليها السلام إذا شُفي ابناهما، فإنهما سيصومان ثلاثة أيام، فشُفي الإمامان الحسن، والحسين عليهما السلام، وكلّهم صاموا ثلاثة أيام، وعند الإفطار في اليوم الأول طرق مسكينٌ باب بيتهم، وطلب مقداراً من الطعام، فأعطوه غذاءهم[2]، وفي اليوم التالي صاموا أيضاً، ووقت الإفطار طرق

---

١. أصول الكافي، ج٢، باب الرضا بالقضاء، ح٥.

٢. والله تعالى ـ أيضاً ـ يمتحن الإنسان امتحاناً صعباً ـ يتناسب وقدر ذلك الإنسان ـ في بعض الأوقات، صحيح أن الإنسان محتاج في ذلك الوقت، ولكن الله يمتحنه ليرى هل ينفق أو لا؟ الفضل هو أن يكون الإنسان جائعاً، ويعطي للآخرين، لا أنه عنده وينفق، على الرغم من أن ذلك ليس قليلاً أيضاً.

يتيمٌ باب البيت، وطلب منهم طعاماً أيضاً، فقالوا عليهم السلام: الليلة أيضاً نعطي طعامنا لهذا اليتيم، ونكتفي بالماء، في اليوم الثالث كذلك جاء أسير، وطرق الباب، فأعطوه طعامهم، وقالوا عليهم السلام: على الرغم من أنّا جياع نعطي طعامنا، ولا نطلب أي شيء مقابله أبداً، حتى الشكر والثناء ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً**﴾[1]. وهذا أمرٌ رفيع جدّاً أن الإنسان يعطي كثيراً للآخرين، ولا ينتظر منهم أي شكر وجزاء، فإذا تعلّمنا من أهل البيت عليهم السلام هذا الأدب الذي

---

١. الإنسان: ٩. وفي الكشّاف للزمخشري، ج٤، ص٦٧٠ عن ابن عباس: «أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر علي، وفاطمة، وفضة جاريتهما ـ إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام ـ فشفيا، وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة عليها السلام صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه، وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا، ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم، فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا أبصرهم، وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: **ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم**، فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها؛ فساءه ذلك، فنزل جبريل، وقال: خذها يا محمد، هنّأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة».

قال العلّامة الطباطبائي رحمه الله بعد نقل الرواية المذكورة: «أقول: الرواية مروية بغير واحد من الطرق عن عطاء عن ابن عباس، ونقلها البحراني في «غاية المرام»، عن أبي المؤيّد الموفق بن أحمد في كتاب «فضائل أمير المؤمنين» بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، وعنه بإسناد آخر عن الضحاك عن ابن عباس، وعن الحمويني في كتاب «فرائد السمطين» بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، وعن الثعلبي بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس، ورواه في «المجمع»، عن الواحدي في تفسيره». الميزان ج٢٠، ص١٣٣.

يصنع الإنسان ويهذّبه، وطبّقناه، فإنّا سنتنوّر بشكل كامل.

وبشكل كلّي يجب علينا أن نقوّي خصلة حسنة في وجودنا، وهي ألا ننتظر شيئاً من غير الله تعالى، ألا ننتظر شيئاً من أصدقائنا، من جيراننا، من رفاقنا، من إخواننا وآبائنا، وحتى من أبنائنا، ولا نلقّن أنفسنا أننا نربّي ونكبّر أبناءنا؛ حتى يأخذوا بأيدينا حين يكبرون؛ فهذه ليست صفة إنسانية حسنة، الحسن هو ألا ننتظر من الآخرين شيئاً حتى لو كان بقدر رأس الإبرة، وهذا الأمر سيكون باعثاً على راحة الإنسان وهدوئه دائماً، وعدم النظر لأيدي الآخرين، وإذا قُدّمت أحياناً خدمة في مقابل خدمة، فاسعوا لأن تقدّموا خدمة في إزائها، وإذا لم ير شيء ما في مقابلها، فلا يحقد في قلبه، ولا ينزعج.

إن الوصول إلى هذا المقام ليس عمل سنة، أو سنتين، على الإنسان أن يكون من أهل الهمّة، والمثابرة؛ حتى يصل إلى ذلك المقام.

تعالوا نصمّم من اليوم على أن نكون هكذا، إذا شُكرنا على خدمة نكون ممنونين لذلك، وإذا لم نُشكر نكون ممنونين أكثر، بل علينا أن نذهب إلى أكثر من ذلك، ولا نتوقّع عدم الخدمة فقط، بل نتوقّع عكس ذلك وخلافه.

كنْ كالنخيل عن الأحقادِ مرتفعاً يُؤْذى بـرجم فيعطـي خيرَ أثمارِ

وأعلم أن هذا سيكون باعثاً على ازدياد الرزق المعنوي للإنسان، وحينئذٍ سترون ماذا سيكون لكم.

للأستاذ ـ حفظه الله ـ كلمة في كتاب «هزار ويك كلمه» يقول فيها:

«كلّما يُنقل عن سيرة حياتي، فكلّه عن ظن وحدس، البعض يقول: العالِم ذو الفنون، وآخر يقول: العارف الكذائي، وكل واحد منهم ينسب إليّ شيئاً بحسب ظنه، ولكن لا يمكن لأحد أن يبيّن ما عندي حقيقة.

وبقول المولوي:

(٣٩). ظن كل أمرء أنه صار رفيقي، لكنّه لم يطّلع على ما في داخلي من أسرار[١].

ثم يقول:

وأنا أُبيّن لكم شيئاً مما عندي:

(٤٠). أن للطالحين حقّاً في أعناقنا بمقدار ما للصالحين[٢]»[٣].

وهذا كلام عالٍ جدّاً، مثلاً حين يقول شخص: يمكن أن يكون لنمرود ـ الذي هو أسوء شخص يمكن أن يوجد في المجتمع ـ حقّ في أعناقنا بالمقدار الذي لإبراهيمعليه السلام ـ الذي هو أفضل شخص يمكن أن يكون في ذلك المجتمع ـ أنتم كيف تحلّون هذه المسألة؟ وكم سيستغرق الإنسان إذا أراد أن يصل إلى سرّ هذا الكلام، وحقيقته؟! ومن أجل أن نفهم ظاهر هذا الكلام بقدرٍ ما نقول:

قال سماحة الأستاذ:

«إنّا نعتقد أنه إذا شتمنا، أو أساء إلينا، أو لم يحترمنا أحد، فإنه سريعاً ما ينفتح في وجوهنا من ذلك الجانب باب رحمة».

فهل هذا قليل؟!.

أعزائي، على الإنسان أن يصلّي، ويتعب كثيراً حتى يُفتح له ذلك الباب،

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٣. هزار ويك كلمه، ج٢، كلمة ٢٢٧، وفي كلمة ٢٩٩ أضاف هذا البيت العربي من قصيدته ينبوع الحياة: «وأنّى لك الخُبْرُ بحالي، وأنما تَرى جُدَّتي، لَستَ تَرى ما بلُجّتي».

أليس كذلك؟ كم على الإنسان أن يجتهد إذا أراد أن يُفتح له باب ذلك العالم، وتنفتح عين قلبه ليرى الحقائق؟ ولكن انظروا شخصاً يسيء إلى شخص آخر، ويكسر قلبه، فيقول تعالى:

«أنا عند المنكسرة قلوبهم»[١].

وإن لم يكن كذلك، فكم نحتاج من عمل، ومن سنين حتى نصل إلى هذا الحال، وهذا المقام؟! أمّا هذه الرواية، فتقول لنا: بمجرّد أن ينكسر قلبك، فستجد الله عندك.

وعليكم الالتفات إلى أن هذا المقام هو غير المقام الذي تحكيه الآيات من أن الشهداء عند ربهم يُرزقون[٢]، أو دعاء زوجة فرعون[٣]، فهناك يكونون هم عند الله، أمّا هنا، فهو سبحانه عند المنكسرة قلوبهم، دقّقوا ما أرفع هذا المقام؟ فالله تعالى بعظمته اللامتناهية وباسمه الجامع لجميع صفات الكمال والجمال «الله» يكون عندهم، فافهم.

كذلك عليكم التدقيق في الروايات التي تحكي حضور جميع الأنبياء، والأئمة عليهم السلام، والملائكة[٤] عند قبر المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والحديث

---

١. سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله أين الله؟ فقال: «**عند المنكسرة قلوبهم**»، البحار، ج٧٠، ص١٥٧.

٢. كقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾، آل عمران: ١٦٩.

٣. قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾، التحريم: ١١.

٤. قال أبو عبد الله عليه السلام: «**أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شعث غبر يبكونه إلى يوم لقيامة، رئيسهم مَلَك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلا شيّعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته**»، كامل الزيارات، الباب «٤١» دعاء الملائكة لزوار قبر الحسين عليه السلام، ح١. وانظر الأحاديث والروايات الأخرى

الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«...من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كان كمن زار الله في عرشه»[١].

كذلك الحديث القدسي:

«من أهان لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة، ودعاني إليها»[٢]، فتدبّر.

فانظروا كم من الخدمة التي يقدّمها المسيء لمن أساء إليه؟ ولهذا يقول سماحة الأستاذ:

«إلهي إذا كسرتَ قلبي مرّة، فيالسعادتي من ذلك»[٣].

وأنتم ترون السياسيين ـ مثلاً ـ وكم يؤذي بعضهم بعضاً، فإذا كان أحدهم من أهل العمل، فإلى أي حدٍ سينتفع من هذه الفرصة، كذلك نرى في الانتخابات أن ذلك الشخص إذا فاز، فسيشتغل، وينشغل بالحفل والاحتفالات حتى يموت قلبه، في حين أن الناس قد جاءوا إلى باب حضرة أمير المؤمنين عليه السلام، وأظهروا رغبتهم وإرادتهم، وقالوا: إننا اخترناك خليفة لنا، لكن ماذا قال عليه السلام؟ قال:

«والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله سبحانه على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم

في هذا الباب وغيره.

١. كامل الزيارات، الباب «٥٩» أن من زار الحسين عليه السلام، كان كمن زار الله في عرشه، وكتب في أعلى عليين، ح١، وغيره.

٢. بحار الأنوار، ج٤، ص٦٥، ومثله عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال: **«من عادى أوليائي، فقد بارزني بالمحاربة...»**، المصدر السابق، ج٢٧، ص٢٠٥.

٣. نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور، ص٩.

دنياكم هذه عندي أزهد من عفطة عنز»[١].

نعم إخواني، إن تلك الأمور تعكّر القلب، وتقسّيه، ويجب أن تُغتَنم الفرص، وعلى ذلك الذي انكسر قلبه أن يستفيد من انكسار قلبه وحزنه، ويتحرّك، ويسعى، ويعمل، هذا بعنوان المثال، وإلا فالأمر ينطبق على كل من ينكسر قلبه، ويحتسبه بعين الله، وصحيح أن الأمام علياً عليه السلام قد قال:

«**صبرت** [أربعاً وعشرين سنة] **وفي العين قذى، وفي الحلق شجى**»[٢].

ولكن كان ذلك باعثاً على أن يدخل المُلك والملكوت في خدمته عليه السلام، كما أن عداوة ذلك العدو قد صارت سبباً في أن يوصل الله تعالى سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ إلى الشهادة، ويكون ذلك سبباً في حضور كل المؤمنين، بل كل العوالم بأسرها بخدمة الإمام الحسين، وأصحابه.

واعلموا أنه متى ما أدبر الناس عنكم، فستُقبل البركة إليكم، وسُتفتح لكم أبواب الرحمة إن شاء الله تعالى.

(٤١). إن للطالحين حقّاً في أعناقنا، بمقدار ما للصالحين، فكل ما رأيتُ من جروح الزمان [عليّ]، كان سبباً لنزول الفيض عليّ[٣].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية، وعليكم أن تلتفتوا إلى أن هذا المقام الذي تكلّم عنه الإمام عليه السلام هنا هو غير مقام الإمامة والوصاية والخلافة الإلهية الثابت له عليه السلام بلا كلام، ولا حاجة له في ذلك المقام إلى بيعة الناس؛ لكي يكون حاكماً ظاهرياً، فذاك مقام منيع منصوص من الله تعالى كما في قوله: ﴿...**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**...﴾، البقرة: ١٢٤، وغيرها من الآيات، والروايات الشريفة، فهو جعلٌ من الله سبحانه، ولا دخل للناس فيه أصلاً، ولهذا البحث مقام آخر في مطاوي الأبحاث العقائدية، والقرآنية.

٢. المصدر السابق.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

▣ معنى حقّ الصالحين، وحقّ الطالحين علينا، والتولّي والتبرّي

لمّا جاء ـ هنا ـ التبرّك بذكر الإمام الحسين عليه السلام؛ واقتضاءاً للبحث، فمن المناسب أن نتعرّض لهذه النكتة، وهي إن علينا أن نبحث عن حقّ معرفة الصالحين كالإمام علي، والإمام الحسين، وأبي الفضل العباس ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وحقّهم علينا؛ ليتسنّى لنا تعظيمهم بما يتناسب ومقامهم الرفيع، كذلك علينا أن نبحث عن حقّ معرفة الطالحين كشمر، ويزيد، وعمر بن سعد ـ لعنة الله عليهم ـ وعلى رأسهم معاوية ـ عليه لعنة الله ـ ليتسنّى لنا التبرّي منهم حقّ التبرّي، وأن أفضل طريق لمعرفة ذلك هو الإمام عليه السلام نفسه، الذي يعرف نفسه، وآباءه الطاهرين، وأمّهاته المطهّرات جيّداً جداً، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«نحن أهل بيت الرحمة، وشجرة النبوة، ومعدن الحكمة، وموضع الملائكة، ومهبط الوحي»[1].

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال:

«أيها الناس، إن أهل بيت نبيكم شرّفهم الله بكرامته، واستحفظهم سرّه، واستودعهم علمه، فهم عماد لدينه، شهداء علمه، برأهم قبل خلقه، وأظلّهم تحت عرشه، واصطفاهم، فجعلهم علم عباده، ودلّهم على صراطه، فهم الأئمة المهدية، والقادة البررة، والأمّة الوسطى، عصمة لمن لجأ إليهم، ونجاة لمن اعتمد عليهم، يغتبط من والاهم، ويهلك من عاداهم، ويفوز من تمسّك بهم، فيهم نزلت الرسالة، وعليهم هبطت الملائكة، وإليهم نفث الروح الأمين، وآتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، فهم الفروع الطيّبة، والشجرة المباركة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وهم أهل بيت

---

١. بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٥٣.

الرحمة والبركة، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا»[١].

وكذلك عرّف الإمام الحسين عليه السلام يزيد ـ لعنه الله ـ حيث قال:

«...ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله...»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً:

«...إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بليت الأمّة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان...»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إن أبي حدّثني عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى! فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً، والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرائيل عليه السلام بهذه الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[٤]**، يعني بني أمية.**

قال: يا جبرائيل! أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك... فما رئي صلى الله عليه وآله ضاحكا حتى مات صلى الله عليه وآله»[٥].

هذا هو حقّ معرفتهم، أي: نعرف أن هذه الشجرة الخبيثة في مقابل تلك

---

١. بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٥٣.
٢. المصدر السابق، ج٤٤، ص٣٢٥.
٣. المصدر السابق، ص٣٢٦.
٤. الإسراء: ٦٠.
٥. البحار، ج٥٥، ص٣٥٠، و ج٣٣، ص٢٠٩.

الشجرة الطيّبة.

إن أداء حقّ تلك الشجرة الطيّبة هو بإرسال السلام الإلهي، والصلوات، والتعظيم، والتكريم لهم، وأداء حقّ الشجرة الخبيثة التي اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار باللعن عليها، وطلب الانتقام، والتعذيب لها من الله تعالى؛ لذا أُمرنا بلعن أولئك الخُبثاء.

إذن، فلأولئك الطالحين حقّ في أعناقنا وحقّهم هو إنهم يطلبون منّا اللعن، والويل، والبراءة، وأن نطلب من الله تعالى، ونقول: «**اللهم اللعن قتلة أمير المؤمنين**عليه السلام»[1]، و«**اللّهُمّ خُصّ أنت أول ظالم باللّعن منّي وابدأ به أولاً ثمَّ العن الثّاني، والثّالث، والرّابع، اللّهُمَّ العنْ يزيدَ خامساً، والعن عُبيد الله بن زياد، وابن مَرجانة، وعُمر بن سعد، وشمراً، وآلَ أبي سُفيان، وآلَ زياد، وآلَ مروان، إلى يوم القيامة**»[2].

إذن، صار واضحاً أن حقّ الصالحين علينا هو أن نقترب منهم، ونسير على خطاهم، وفي ركابهم، ونتوسّل بهم كي نتشبّه بهم في جميع أمور حياتنا من أول انعقاد النطفة وطهارتها إلى الولادة وتربية الأطفال، ونراعي جميع دساتيرهم الشرعية، ونحاول أن ننزّلها، ونطبّقها في متن الواقع.

وحقّ الشجرة الخبيثة هو الابتعاد عن الظالمين، والنأي عن جانبهم، وألا نتشبّه بهم، ولو حتى في أصغر جزئيات حياتنا.

فالعمدة، والمهمّ هو ألا نصير شمراً، أو يزيد، وألا نتّبع سيرتهم القذرة، ولا نقترف الذنوب والمعاصي، ونُخرج الصفات الرذيلة من أنفسنا، ونجعل

---

١. كما جاء ذلك في أعمال يوم شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. كما جاء في زيارة عاشوراء.

الصفات الإنسانية محلّها.

إذن، يا عزيزي، لا تكن كالشمر، ولا تكن كيزيد، ولا تكن كعمر بن العاص المكّار، لا تخن أخاك في الدين، ولا تتواطأ عليه، ولا تكن صيداً للدنيا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّك، كن إنساناً إلهياً قرآنياً، وطبّق الدساتير الإلهية، والقرآنية في وجودك ومجتمعك، فإذا حلّت الدساتير الشرعية، وسيرة النبي وآله الأطهار عليهم السلام في مجتمعنا، فعندها يصير ذلك نحواً من أنحاء الظهور المرتقب لصاحب الأمر عليه السلام، فإن هذا واحد من معاني الظهور، يعني أن يكون مجتمعنا مجتمعاً عَلَوياً، وفاطمياً، وحسينياً، وزينبياً، لا أن يكون يزيدياً، وشمرياً، ومكراً، وخداعاً، وعدم تراحم، وبحثاً عن عيوب الآخرين، وفاقداً للورع والتقوى.

أعزائي، عليكم أنفسكم، وانظروا ـ أنتم في الباطن ـ مع أي فرقة؟ فهل أنتم مع الحسين عليه السلام حقيقة؟ وتتحلّون بآدابه وأخلاقه ورأفته وإنسانيتة وفضائله، وملتزمون بتطبيق أوامره، أو أنتم في الظاهر فقط تلطمون وتبكون وتقيمون المجالس على الحسين عليه السلام، ولكن في الحقيقة أنتم على الصفات الرذيلة ليزيد والشمر لعنهم الله؟!.

إذن، فحقّ الصالحين في أعناقنا هو أن نكون في طريقهم، ونتشبّه بهم في الظاهر والباطن، وكما أنّا نتبرّأ من أعدائهم بلساننا الظاهر، كذلك علينا ألّا نكون معهم في الباطن؛ لذا فحقّ شمر، ويزيد، والخبثاء الآخرين علينا هو أن نتبرّأ منهم في الظاهر والباطن.

«التولّي» يعني الاتصاف بأوصاف الإنسان الإلهي، و«التبري» هو الابتعاد عن أوصاف الرذيلة، والإنسان الشيطاني الخبيث، وكِلا هذين الأمرين حقّ في

أعناقنا، فإذا لم نكن في الظاهر مع أهل الخبث والشجرة الخبيثة، ولكن في الباطن مثلهم، فعندها لم نؤد حقّ التبري.

لذا قال الأستاذ: كل جرح وألم رأيته من أهل الزمان [يعني من أهل الدنيا الذين لم يختاروا طريق الآخرة، والتجرّد عن المادّيات] كل هذه الإساءة، وتجريح الألسن كان سبباً لسوقي، ورقيي إلى الحقّ المتعال، وعلّمني ذلك ألا أكون مثلهم من أهل هذه الدنيا الدنيئة، علّمني ألا أكون من أهل هذا العالم، وأن أرتقي، وأصل إلى ألمي، وأن أفهم أنا أين، وأتولّى مَن؟ وأذهب إلى أين؟ وأتبرّى مِن مَن؟ وأن أتعلّم الأدب ممن لا أدب له؛ فلا أكون مثله، وأتعلّم الأدب من الأديب، وأتشبّه به، وأصير من أهل ذاك العالم.

فالتولّي هو الصيرورة من أهل ذاك العالم، والتبرّي هو عدم الصيرورة من أهل هذا العالم، والابتعاد عن كل قبيح وسيء، فكم رأيتُ في جزر ومدّ زماني من السيئين، وعلّموني أن أتبرأ منهم، وألا أكون مثلهم، وأن أذهب وراء الكمالات الإنسانية الإلهية.

إذا كان الإنسان من أهل التعلّم كما قال القرآن، فسيستطيع أن يأخذ درساً من كل شيء، ومن كل شخص في هذا العالم، وأن يتلقّى الفيض الإلهي؛ فإن الله تعالى جعل العالم مأدبة لنا لتعلّم الأدب، وقرآنه مأدبة أيضاً؛ لذا فهو بيان لحالات الإنسان الإلهي، وسيرة الأراذل أيضاً، وأهل التعلّم يتعلّمون من هذا وذاك، فيتولّون حزب الله، ويتبرأون من حزب الشيطان؛ لذا فللحزبين حقّ في أعناقنا، غايته علينا أن نفهم الحقّين جيّداً.

لذا فحزب الشجرة الخبيثة يطلب منّا اللعن، إذ هم يطلبون البعد عن فيض الحقّ؛ لأنهم أدبروا عن الأناس الإلهيين، والأنبياء، والأئمة المعصومين عليهم السلام،

الذين هم وسائط الفيض الإلهي، وأعرضوا عنهم، فهم ـ باطناً ـ لا يطلبون فيض الحقّ، بل هم استفادوا من الرحمة الرحمانية الإلهية التي هي اختيارهم، وابتعدوا عن الله، وابتلوا بقهره وغضبه.

إذن، فسرّ اللعن عليهم يرجع في الباطن إلى طلبهم الابتعاد عن الحقّ، ومعنى «اللعن» هو البعاد والبُعد، فاللعن هو البعد عن الحقّ والحقيقة؛ لذا فإن لم نلعنهم، نكن غير مؤدّين لحقّهم.

وفي عقيدتنا يجب أن يتعلّق هذا اللعن بنفس الملعون عينه، على الرغم من أنه بصورة عامّة وشامل لهم، وقد صدر اللعن عن النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام بحقّ أشخاص معيّنين ـ أيضاً ـ، وجاء ذلك في كثير من الروايات، كما أن الإمام الحسين عليه السلام لعن عمر بن سعد، وشمر، ويزيد في يوم عاشوراء وهو صاحب عصمة، وكلامه، وفعله، وتقريره حجّة.

وهناك ـ أيضاً ـ أدلّة أخرى على جواز اللعن لمستحقّه، يمكن أن تُطلب من مضانها.

«والحمد لله ربّ العالمين»

المجلس الثالث عشر

- المجتمع الخيالي، والمجتمع العقلي
- النوم مبيّن الصورة الحقيقية للإنسان
- طريق الرشد في كل مكان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ المجتمع الخيالي، والمجتمع العقلي

قلنا ـ سابقاً ـ إن أولى مراتب الطهارة الباطنية هي طهارة قوّة الخيال، وقوّة الخيال في نفوس عامّة الناس هي القوّة التي تُدرك أمور الإنسان اليومية أعمّ من الحب، والبغض، والكسب، والمعاشرة، وغيرها، وإذا لم يُطهّر الإنسان هذه القوّة، فسيقع في المشاكل في جميع أموره.

والحبّ مثلاً عادة ما يكون على أساس هذه القوّة، وقليل هم الأفراد الذين يتحابّون على أساس القوّة العاقلة، وللأسف فإن أكثر الزيجات أيضاً هي على أساس الحب الخيالي لا العقلي؛ ولأن الخيال ـ غير الطاهر ـ مخادع، فمن دون العقل نرى أنه لا يطول الأمر حتى تنجرّ هذه الزيجات والمحبّة إلى الانفصال، وأن أكثر العداوة التي بين الناس ـ أيضاً ـ هي على أساس قوّة الخيال لا العقل؛ ولذا لا يمكن الاطمئنان لا لمحبة عوامّ الناس، ولا لعداوتهم؛ لأنها على أساس قوّة الخيال المخادعة، فإنهم يتحابّون قليلاً، ولمجرّد أدنى شيء يرجعون، ويتباغضون، وهكذا.

إن أساس مجتمعنا إنما شكّلته قوّة الخيال.

وهنا يُطرح بحث، ويُتناقل كثيراً على الألسنة تحت عنوان «المجتمع

المدني»، وقد جذب الكثير من أذهان الحوزويين والجامعيين، وعلينا أن نعلم أنه لا يمكن إلا لمجتمع واحد أن يكون إنسانياً، وهو المجتمع الذي ارتكز على أساس العقل الإلهي، فأناس هذا المجتمع يكونون كملائكة السماء، ولا يوجد بينهم أي اختلاف أبداً، وإلا فإن أي مجتمع يتشكّل من دون العقل، فسيكون خيالياً، ولن يُطرح أبداً بوصفه مجتمعاً إنسانياً حتى يبحث الإنسان: أإن المجتمع مدني أم غير مدني؟! لأنه حين لا يحكم العقل، فلن يتحقّق مدار الإنسانية وملاكها أصلاً؛ لأن الإنسانية مبنية على أساس العقل، وحينها سيكون المجتمع مجتمعاً عقلياً، وأفراده قد طهّروا قوّة خيالهم في الاعتقادات، والتخيّلات، وميدان الآمال والأماني، وأمّا في غير هذه الصورة، فإذا أردنا أن نطلق اسم «المدني» على المجتمع، فعلينا أن نقول: «المجتمع المدني الحيواني»؛ لأن حيوانات الغابة أيضاً لها مجتمع مدني، وهم مرتبطون مع بعض؛ ولو كان بين أفراد ذلك المجتمع من هو من أهل القلب والباطن، فسيرى أن جميع الناس على شاكلة حيوانات الغابة.

قال سيدنا الأستاذ:

«إلهي: الجميع يَرَون الحيوان المفترس في الجبل والغابة، وحسن يراه في المدينة والقرية»[1].

غايته أن الفرق بين مجتمع حيوانات الغابة ومجتمع حيوانات المدينة، هو أن ذاك ليس عنده الاستعداد للوصول إلى المجتمع العقلي أبداً؛ لأن مَواطن تحقّقها ـ تلك الحيوانات ـ فقط في مرتبة الوهم والخيال وسلطان تحقّقها هو الوهم؛ لذا فمجتمعها وهمي، ومجتمع حيوانات المدينة عنده استعداد

١. الهى نامه، ص٤٣، الرقم: ٢٥٤.

الوصول إلى الكمالات الإنسانية، ولكنّهم لم يصلوا أبداً؛ لأنهم توقّفوا في مرتبة الحيوانية؛ لذا فمجتمع حيوانات المدينة أذلّ، وأخسّ بمراتب من مجتمع حيوانات الغابة، قال تعالى: ﴿...**أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ**...﴾[1]، وأنتم ترون في بعض الأحيان أن الذئاب الشرسة التي في الشوارع تفعل بعض الأمور التي لا يجرؤ أي حيوان في الغابة على أن يأتي بها، كالكذب، والنفاق، والخيانة، والغش، وسحق الآخرين من أجل الوصول إلى الرئاسة و...، فإذا لم تُطهَّر قوّة الخيال، فستصبح قاطع طريق العقل، وستأسره تحت إمرتها، والعقل المشوب بقوّة الخيال كالشيطان، وهو مورد لوم أهل المعرفة وعتابهم.

يمكن أن نذكر جبهات الدفاع المقدّس كمثال على المجتمع المدني الإنساني، هناك كان مَن عنده القدرة على القيادة يحاول أن يعطيها للآخرين، ويقنع بأن يكون من الرماة في مقدّمة الصفوف، أمّا الآن فإن الشخص، ومن أجل أن يصل إلى الرئاسة والمنصب، فإنه يسعى لأن يتخطّى الآلاف ممن هم أكفأ وأفضل منه مع عدم الاعتناء بهم، ومهما فعل. فهل هذا المجتمع مجتمع مدني إنساني؟!.

ويوجد الكثير من كُتب علم الاجتماع التي تدرّس في الجامعات، والمراكز العلمية، وكلّها في مقام بيان المجتمعات الإنسانية وأنواعها، ولم يأت في أي من هذه الكتب كلام على ما هو أساس تلك المجتمعات؟ هل هو العقل، أو قوّة الخيال والوهم؟ وإذا كان مقرّراً أن أساس المجتمع هو العقل، فلن نجد في نظام الوجود أكثر من مجتمع واحد ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**...﴾[2]،

---

١. الأعراف: ١٧٩.

٢. آل عمران: ١٩.

وبعد هذا فلا معنى لعلم الاجتماع فيما يخصّ المجتمع، وإلا فهم ـ علماء الأجتماع ـ وردوا هذه المباحث على أساس قوّة خيالهم؛ حتى يدّمروا أفراد هذا المجتمع، وفي الحقيقة هذا عبارة عن محاربة قوّة خيال مع قوّة خيال أخرى.

عادة أينما وقعت معركة ونزاع، فإن لقوّة الخيال دوراً هناك، إمّا من طرف واحد، أو من طرفين.

في مكان مثل كربلاء كان العقل أحد طرفي المعركة، والطرف الآخر هو الخيال، العقل لم يكن في معركة مع قوّة الخيال؛ لأن العقل حقيقة «فوقية»، وما هو في المرتبة العالية لا يدخل في معركة مع السافل أبداً، إن طبيعة الشخص العالي هي أن يقول للسافل: أنت ـ أيضاً ـ تعال إلى الأعلى، ولكن المشكلة كانت في الخيال الذي لم يُطهّر.

هذا هو أساس التكامل، وأساس القيمة الإنسانية التي وصلت إلى هذا المقام، ولكن لمّا كان الذين هم في الأسفل لا يعلمون شيئاً عمّا هو فوق، فإن قوّة خيالهم ستتدخّل، وستجرّهم أنفسهم الأمّارة إلى الدنيا، تقول قوّة الخيال: حذار أن يؤثّر هذا الشخص في دنياكم، ويأخذ منكم امتيازاتكم؛ ولذا فهي تؤسّس للحرب، ولكن العقل دائماً هو في صدد تعديل قوّة الخيال وإصلاحها؛ حتى يعطيها دستور العمل؛ لذا فالحرب التي تقع بين العالِم والجاهل، هي حرب من طرف واحد دائماً، العالِم يريد فقط أن يرفع جهل الجاهل، ويجعله عالِماً مثله، فإن حقيقة العلم نورٌ، والنور لا خلاف ولا حرب له مع الظلمة؛ ولذا فإن في الآخرة التي هي مظهر علم الحقّ لا يكون هناك حرب أبداً، أمّا الدنيا فهي ظلمة؛ ولأنه لا يُرى الآخر في الظلمة؛ لذلك يحصل التصادم هنا، فتقع الحرب والمعركة، وطهارة قوّة الخيال ترفع هذه الظلمة، ولكن للأسف؛

فإن أكثر الناس لا يوفّقون في هذا المورد إلا واحداً بعد واحد من الذين يستطيعون أن يطووا هذا المسير الصعب، ويرقوا إلى المراتب العالية.

▣ النوم مبيّن الصورة الحقيقية للإنسان

إذا أردنا أن نرى: هل نحن في مرتبة العقل، أو الخيال، فعلينا أن نرجع إلى نومنا، فإن النوم أفضل معرّف للإنسان.

إن النفس في النوم، وبواسطة قوّة الخيال تُخرج كل ما كان في داخلها ـ أعمّ من الصور، والأشكال، والطبائع المختلفة ـ إلى الخارج، وتشاهده، وكل ذلك مرتبط بك أنت، حتى لو رأيتَ صور الآخرين وأشكالهم على نحو سيّء، فإن ذلك ربّما يكون مرتبطاً بك أيضاً، يعني إذا استيقظ الشخص، وقال: رأيتُ فلاناً على شكل ذئب، فليعلم أنه ربما يكون قد رأى نفسه هو بذلك الشكل وعلى تلك الهيئة.

ومن الممكن أحياناً أن يرى ـ بعد سنوات كثيرة ـ رؤيا جيّدة، ويأخذ بحكاية تلك الرؤيا للآخرين؛ ولذلك فإن أثرها سيختفي، ويتبدّل إلى ظلمة.

إن بيان ذلك، وعدم كتمانه هو سبب لفقدان الأشياء الجيّدة، ويوقع الإنسان في الخطر، وكم عليه أن يتعب مجدّداً؛ حتى يوفّق لأن يرى رؤيا جيّدة أخرى.

والرؤيا من الممكن أن تكون عقلية أو خيالية.

في يوم من الأيام تشرّفنا بزيارة سماحة الأستاذ فقال:

«كنتُ بالأمس لأكثر من ساعة في خدمة العلّامة الشعراني، ولكن لم يكن ما أريد».

وكان ذلك بعد وفاة العلّامة الشعراني قدس سره.

فإذا نحن رأينا هذه الرؤيا، فماذا سنقول؟ أولاً: يمضي علينا الكثير من السنين، ولا نرى مثل هكذا رؤيا، ثانياً: إذا رأينا هكذا رؤيا، فسرعان ما نحكيها للآخرين، ونقول: حتماً كانت رؤيانا عقلية.

▣ طريق الرشد في كل مكان

صحيح أن الوصول إلى العقل صعب جدّاً، ولكن لا تقولوا لا نستطيع، كن في كل عمل، ولكن كن عاقلاً، ليس طريق الإنسانية هو حتمية الذهاب إلى الحوزة، والجامعة، والدرس، أنا أقول لكم إن الشخص إذا جاء إلى الحوزة لن يستطيع أن يجد الطريق للإنسانية بهذه السرعة، لا تفرحوا كثيراً، هذا حجاب لنا فقط؛ إذ إنّا نفكّر بأنه من أجل الحصول على طريق الإنسانية يجب علينا الرجوع إلى المركز الفلاني، كل نظام العالم هو مكان لصيرورتك إنساناً، المزرعة هي مكان لأن يصير الفلّاح إنساناً، والحوزة العلمية كذلك للطالب، وورشة الميكانيكي كذلك للميكانيكي، والحديقة للبستاني، وهكذا بقية الأعمال والحرف.

إذا أراد كل الناس ـ أعمّ من الطبيب، والبقّال، والفلّاح، والسائق، والأفراد الآخرين ـ أن يذهبوا إلى الحوزة من أجل تهذيب أخلاقهم، فلن يبقى هناك أي شخص يعمل للناس، وبعيدٌ على الله تعالى الربّ الحكيم أن يجعل في كل نظام الوجود نقطة واحدة، ومكاناً واحداً فقط لصناعة الإنسان، وتهذيبه، إن الله تعالى نظّم البرنامج بالشكل الذي يكون فيه مسير حياة كل شخص واضحاً وناصعاً، أعطى لواحد ذوق العمل، ولآخر ذوق البزّاز، ولثالث ذوق البقالة، ولرابع ذوق الفلاحة، ولخامس ذوق الدراسة، و...، ونظّم البرنامج على قدر جميع الأعمال الموجودة في المجتمع، فإذا لم يدرس الطالب، فسيتلكّأ

العمل، وإذا لم يعمل الفلّاح فستصعب المعيشة، وإذا رفع العامل يده عن العمل، فلن تعلو الأبنية، وهكذا بقية الأمور.

عزيزي، إن تنظيم كل هذه الأمور هو من الملكوت، وأنا وأنت لا نفهم شيئاً عن ذلك أصلاً، إذا أردنا أن نأخذ برنامج تنظيم نظام الوجود لعدّة أيام، فسنخرّب جميع العالم، وبعد كل هذا هل من الصحيح من هذا الإله الذي جعل استعدادات الناس مختلفة بهذا الشكل؛ حتى لا يختلّ عمل الناس والمجتمع، ولو بقدر رأس الإبرة، هل من الصحيح أن يجعل مركز صناعة الإنسان، وتهذيب الأخلاق محصوراً في نقطة واحدة، ومكان واحد فقط؟! لا ليس كذلك أبداً

إن يد الولاية سارية في جميع أنحاء العالَم، ومشغولة بالعمل في كل مكان.

وكمثال على ذلك، النفس الإنسانية التي لها الولاية على كل مملكة البدن، ويد الولاية هذه تشغل كل الأعضاء والجوارح، ونرى في الظاهر أن العين ترى، والأذن تسمع، والأنف يشم، ولكن في الحقيقة أن النفس هي التي شغّلت الجميع من الأفق الأعلى، فترى بالعين، وتسمع بالأذن، وتشم بالأنف؛ وأنها إذا انفصلت للحظة واحدة، فسيتوقّف الجميع عن العمل.

هذا ما يعبّرون عنه بـ«ولاية النفس على البدن»، ويد الولاية هذه نظّمت البرنامج بالشكل الذي لا يعرف أي أحدٍ من الأعضاء والجوارح أن الآخر أيضاً نُظّم كذلك، وهو مشغول بالعمل الآن.

والآن إذا أرادت العين أن تصنع نفسها، وتكمّلها، فسلامتها، وكمالها في أي شيء؟ اطمأنوا أن ذلك لا يكون إلا بالرؤية، كذلك سلامة الأذن بالسمع، وسلامة الرجل بالسير، وسلامة اليد بالعمل، وكل شخص في المجتمع، وفي أي عمل، ومكان كان، فإن ذلك العمل والمكان هو محل إنسانيته، وصيرورته

إنساناً، فالله تعالى نظّم له برنامجه في ذلك المكان، وجعل في أرض الزراعة أسراراً بالقدر الذي لو أنفق الفلّاح كل عمره من أجل الوصول إلى تلك الأسرار التي جعلها الله في شغله وأرضه، لما استطاع أن يصل إليها جميعاً، وهكذا في جميع الأعمال والأشغال.

هنا نذكر أنموذجين من الموارد التي تبيّن أن إمكانية الرشد والوصول إلى الكمالات الإنسانية هي في كل مكان:

الأول: يقول العلّامة الطباطبائي رحمه الله:

«في يوم من الأيام كنتُ أعبر الشارع، فرأيتُ بنّاءاً على سُلّم مشغول بالبناء، فجأة رأيتُ أن رجل ذلك البنّاء ارتجفت، وأراد أن يسقط مِن الأعلى إلى الأسفل، في هذه الأثناء، نظر العامل الذي كان في الأسفل إلى البنّاء، وقال: لا تقع، فرأيتُ أن البنّاء نزل بهدوء من الأعلى إلى الأسفل.

يقول العلّامة:

فذهبتُ خلف ذلك العامل؛ لأرى من هو هذا الشخص [الذي له مثل هذه القدرة]، وأشغل نفسه بالعمل، بعد ذلك فهمتُ أنه شخص يتشرّف كل يوم برؤية إمام العصر ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف».

والأنموذج الثاني: هو إن «الأمير پازواري» ـ وقصّته معروفة ـ كان يعمل فلاّحاً لمولاه، ذلك المولى كان عنده بنت قد عشقها أمير پازواري[1]، وكان اسمها

١. طبعاً لم يكن ذلك العشق عشقاً محرّماً؛ فإن هذه الأمور دوّنت في نظام العالم بهذا الشكل، وهو أن يوجد بين المرأة والرجل علاقة وتمايل من أحدهما تجاه الآخر، هذا الميل هو من طبيعة النفس، بشرط أن يكون ضمن دائرة الشرع، ولا يخرج عنها، وإذا رجعنا إلى القرآن، فسنرى أنه جاء في سورة يوسف عليه السلام أنه حينما غلّقت زليخا الأبواب، ودعت يوسف إلى نفسها، كان هناك ميل من كل منهما إلى الآخر، ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن**

«گوهر»، وكانت هذه الفتاة تُحضر له الطعام كل يوم، وفي يوم من الأيام، وحين كان أمير في العمل رأى أن فارساً يأخذ بعنان جواده رجل آخر، أقبلا نحوه، وكان معهم راع، وهم يسيرون باتّجاه البستان، تقدّموا، وسلّموا عليه، وقالوا: هل عندك، البطّيخ فتحضر لنا؟ قال أمير: البطيخ زُرع للتو، وهو لا ينضج في هذا الوقت من السنة، فقال الفارس: اذهب الآن إلى داخل البستان في الزاوية التي زرعتَ فيها البطيخ، وأحضر لنا واحدة حتى نأكل سوياً. فوراً ذهب أمير، فوجد أن البطيخ قد نضج، وصار جاهزاً للأكل، فقطف واحدة، وأتى بها إلى الفارس، فأخذها الفارس، وقطّعها عِدّة قطع، وأعطى لأمير قطعتين، وأعطى الراعي واحدة، وأعطى ذلك الشخص الذي كان يقود الحصان قطعة أخرى، و أخذ هو واحدة. احتفظ أمير پازواري بقطعة لـ«گوهر»، وأكل الأخرى، ثم ودّعه الفارس، وذهب، واشتغل الراعي بعمله، وإلى الآن لم يعرف أمير من هو ذلك الفارس، بعد لحظات جاءت «گوهر»، وأحضرت الغذاء لأمير، فأعطاها تلك القطعة من البطيخ، فسألته عنها، وعن وجود البطيخ في مثل هذا الوقت من السنة، فأخبرها بكل ما جرى، وهنا أخبرته: إن ذلك الفارس كان هو أمير المؤمنين علي عليه السلام[1]، وذلك القائد كان قنبر، اسرع واذهب وراءهم.

صدّقوا إنه إذا كان العشق والعلاقة بين الفتاة والشاب صادقة وعقلانية، وتدور حول محور الولاية والشرع، فإن نفس هذا الارتباط والعلاقة سيكون

رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ... *«يوسف: ٢٤»، هنا يقول الأستاذ: «إن سرّ هذا البيان هو لئلا يقول أحد إن يوسف كان عنيناً، ولم يكن له ميل، وإذا كان الشخص كذلك، ولم يفعل الفاحشة، فإنه لم يفعل شيئاً ذا بال: لذا فمن أجل ردّ هذا التوهّم قال القرآن: *وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا...* *، ولكنّه عليه السلام تعامل مع الموقف بمقتضى عقله؛ فعصمه الله تعالى عن الخطأ».

١. وكم هو جميل أن كليهما كان يلقّب بـ «أمير».

هادياً لهما إلى غاية التقوى الإنسانية؛ لذا ترون أن هذا الميل نفسه إلى الفتاة قد هدى أمير پازواري إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

والخلاصة هي: يجب رؤية ماذا يريد الإنسان؟ كان أمير پازواري ـ في الظاهر ـ عاشقاً لفتاة باسم «گوهر»، ولكنّه في الباطن كان عاشقاً لأمير المؤمنين عليه السلام.

ثم أسرعَ أمير وراءهم.

وبعد مدّة من الجري وصل إلى الراعي، واستعلم منه عن جهة ذلك الفارس، وكأن أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطى الراعي قطعة من البطيخ؛ ليدلّ أمير پازواري في هذا المكان.

فقال له الراعي: إنهم ذهبوا بهذا الاتجاه ـ وأشار إليه ـ فأوصل أمير نفسه بسرعة.

وفجأة رأى أن مقابله نهراً من النار، وفي الجهة المقابلة أمير المؤمنين عليه السلام في حال الذهاب، فألقى بنفسه في نهر النار وخرج من الطرف الآخر، وتعلّق بسيده، هناك أصبح شاعراً، ونبعت روح معشوقته التي كانت باسم «گوهر»، وانفتحت قريحته الشعرية، و وصل كلاهما إلى العلوم والمعارف.

إن العلم يوجد على شكل كل حقيقة، ويجب السعي خلف ذلك، حتى لو كان على صورة الابتلاء والضعف المادّي والمشاكل.

كان أمير پازواري متعطّشاً لحضرة أمير المؤمنين عليه السلام، وبعشقه قطع نهر النار؛ لذا فقد تشّرف مرّات كثيرة بمحضر المولى عليه السلام.

وفي كل أشعار أمير تمثّلات فريدة للإمام عليه السلام.

جاء في سيرته أنه بعد هذه الواقعة؛ ولأن «گوهر» كانت باعثاً على وصل أمير بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت هي معشوقته؛ لذا كان أمير متى ما أراد أن

يذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام، يذكر اسم «گوهر» مكانه.

فكم على المحقّق أن يدقّق في شعر أمير پازواري حينما يذكر كلمة «گوهر» هل يقصد بها أمير المؤمنين عليه السلام، أو اسم معشوقته؟ وأن الحقائق الموجودة في أشعار أمير تبهر الإنسان[1].

والغرض هو إن أمير كان فلّاحاً، ووصل إلى هذه المدارج، وحينما كان يضيق صدره لا يقر له قرار، ويأخذ بالبكاء والضجيج حتى يرى سيّده.

ولهذا الموضوع صلة وعلاقة ببحث «أن التمثّلات مطابقة لأغراض السلاّك»، ويمكن لكم الرجوع إليه في كتاب «الإنسان في عرف العرفان»[2].

نعم هنا نكتة، وهي إن المساجد، والحسينيّات محل دراسة الأكابر، والمنابر هي في الواقع مكان لصناعة الأكابر، وعلى كل شخص ـ في أي مهنة كان ـ أن يرتبط بعالِم محلّته، ويستفيد منه، ويأخذ منه معالم دينه، ويتخلّق بأخلاق الله تعالى، وكأن تلك المراكز جامعات لعموم الناس، وقد سمعنا كثيراً ما صُنع في تلك المراكز أشخاص إلهيون أفضل من الذين درسوا في الحوزات العلمية، والجامعات المعروفة.

أعزائي، «أينما كنتم عليكم بالتفكير بأنفسكم»، وإلا ففي واقعة كربلاء، هل كان جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام قد قرأوا، ودرسوا؟!.

المفارقة هي إن كثيراً من الدارسين والمتعلّمين والمفكّرين في تلك الفترة لم يتقاعسوا عن نصرة الإمام عليه السلام فحسب، بل وقفوا ضدّه أيضاً!.

---

١. وللأسف فإن بعض الناس ممّن كان له طبع الشعر قد تلاعب، وغيّر في أشعار أمير، وحتى إنهم ـ أحياناً ـ نسبوا أشعارهم إليه.

٢. انظر: الإنسان في عرف العرفان، الفصل الرابع، الأصل ٤٠.

إذا أردتَ أنتَ أن تصل إلى مرضك، فعليك ـ أولاً ـ أن تخدم عباد الله بكل ما تستطيع.

وعليك ـ ثانياً ـ ألا تكون منتظراً لجوابهم وشكرهم أبداً.

يعني: لا تتوقّع منهم شكراً وأجراً على خدمتك لهم.

وفي كلمة واحدة، اسعَ لأن تكون سيّداً دائماً، ولا تظن أن من يُقدّم لك الخدمة هو عبدك، في الواقع فإن كثيراً ممن يُظهر أمامك الاحترام والعبودية، إنما هو يقول في السِرّ: إنه هو عبدي. إنهم يغرّونك، ويخدعونك، أينما كنتَ عليك نفسك؛ فقد تأخر الوقت.

كان صفوان الجمّال من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وكان جمّالاً ـ كما هو واضح من لقبه ـ وكم عانى أولئك الذين كانوا من أهل الحقيقة حتى استطاعوا أن يُخفوا حقيقتهم، وكم هم كثر أمثال «بهلول العاقل» الذين يتظاهرون بالجنون.

في يوم من الأيام رأى صفوانُ شخصاً في البصرة من الشيعة كان مشتاقاً للإمام الصادق عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام في المدينة، والمسافة من البصرة إلى المدينة تبلغ ألف فرسخ، فقال له صفوان: هل تريد أن تصل الآن إلى إمامِك؟.

قال: بالطبع أريد.

فقال صفوان: أعطني يدك، وأغلق عينيك، وقل «بسم الله الرّحمن الرّحيم»، وفي اللحظة نفسها التي أغلق بها عينيه، رأى نفسه في المدينة.

فقال صفوان: اذهب، واطرق باب ذلك البيت، فإنه بيت الإمام الصادق عليه السلام.

فذهب ذلك الرجل وطرق الباب، ودخل، فرأى أن صفوان الجمّال جالس إلى جنب الإمام الصادق عليه السلام.

انظروا أن صفواناً هذا كان في الظاهر جمّالاً بسيطاً، ولكن العمل والصفة الاعتبارية أبداً لا تُبيّن الأحوال الباطنية للأفراد، المهمّ هو جوهر الأشخاص.

فأينما كنتَ عليك أن تفكّر بنفسك؛ فإنه من الممكن وفي كل حال أن تُطهّر قوّة الخيال.

«والحمد لله ربّ العالمين»

المجلس الرابع عشر

- تسخير قوّة الخيال بواسطة القوّة العاقلة
- في رؤية الإنسان حالاته في النوم
- في تجسّم الأعمال

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ تسخير قوّة الخيال بواسطة القوّة العاقلة

واحدة من النكات المهمّة في بحث طهارة قوّة الخيال ـ الذي علينا أن نبحثه ـ هو وجوب ألّا تكون قوة الخيال كالكلب المسعور؛ فتتهجم على الآخرين، بل يجب أن تُعلّم لتكون ككلب الصيد؛ حتى تصير مصداقاً لـ «الكلب المعلّم».

وببيان آخر: لتطهير قوّة الخيال يجب أن نسخرّها تحت نظر العقل، وأفضل طريق لتسخير قوّة الخيال بواسطة العقل هو التفكّر.

جاء في الفقه: أنّا عندنا عِدّة أنواع من الكلاب، بعضها معروفة باسم «كلب الحائط»، هذه الكلاب تحرس أبواب المنازل وأسيجتها؛ حتى لا يدخل أحد من دون إذن صاحب المنزل، فإذا أجازه صاحب المنزل، وقال للكلب: لا تنبح؛ فإنّي أجزتُ له بالدخول، ترون أن الكلب سيسكت، ويذهب إلى زاويته ويجلس، ويكتفي بالنظر إلى ضيف صاحبه، هذا الكلب تَعَلَّم بعض الأمور، وهو يدرك ويشعر.

النوع الآخر: هو كلب القطيع؛ وبوصفه كلباً للراعي عليه أن يحرس القطيع من الذئاب، وهذه الكلاب هي تحت تصرّف أصحابها من الصباح إلى المساء، وهي تنبح على كل شيء يظهر في محيط قطيعها، إلّا في المواضع التي يسمح

بها صاحب القطيع، ولا يسمح صاحب القطيع عادة لأحد بالدخول في الليل؛ لهذا فإن هذه الكلاب تكون في الليل أكثر قلقاً، وإحساساً بالخطر من النهار.

ولكن مجموعة أخرى من الكلاب لا علاقة لها بالمنازل، ولا القطعان، وليس لها صاحب، وهي معروفة بـ «الكلاب المشرّدة»، هذه الكلاب تتسكّع على أبواب كل البيوت، وتأكل كل طعام، وتتعقّب كل شخص تريد؛ لماذا؟ لأنها ليس لها صاحب معيّن، فيعلّمها متى تنبح، ومتى تسكت.

إذن يجب ألّا تُترك قوّة الخيال مثل «الكلاب المشرّدة»، فتكون من الصباح إلى المساء وراء المؤامرات والدسائس، ولأجل منع ذلك الأمر يجب أن تضع العاقلة قوّة الخيال تحت تصرّفها.

نوع آخر من الكلاب هي «كلاب الصيد»، يعني أنه حين يصطاد الإنسان ـ بالسهم أو غيره ـ من بعيد طيراً مثلاً، فإنه يُرسل الكلب؛ ليُحضر ذلك الصيد، فالكلب أيضاً يذهب وراء الصيد ـ وعلى الرغم من أن الكلب لا حظّ له من ذلك الصيد ولكنه أمين ـ ويُحضره للصيّاد، غاية ما في الأمر على الصيادين أن يعملوا بالمروءة، ويعطوا من كل مجموعة من الصيد صيداً واحداً للكلب؛ لِئلا يكون الجوع دافعاً له على السرقة؛ لأنه عادة ما يكون البطن الجائع مربّياً على السرقة؛ ولذلك جاء في الشريعة المطهّرة عدم جواز قطع يد السارق في أيام القحط، والفقر، والجوع الشديد على التفصيل الذي جاء في الفقه.

إن قوّة الخيال بمنزلة الكلب إذا تركها العقل، فإنها سوف تتسكّع، وإذا حافظ عليها وطهّرها، فيمكن لها أن تكون على ثلاثة أنواع، فإمّا أن تكون مثل كلب القطيع فتحفظ القطيع فقط، وإمّا أن تكون مثل كلب المنزل يعلّمه حتى يحرس المنزل، أو أفضل الطرق، وهو أن يعلّم العقلُ قوّة الخيال كما

يُعَلَّم كلب الصيد حتى تستطيع ـ قوّة الخيال ـ أن تصطاد حقائق نظام العالم، ومع حفظ الأمانة تحوّلها إلى صاحبها؛ لأن العالَم عبارة عن عِلم متكدّس، وجميع كلمات نظام الوجود، وموجوداته عبارة عن مصيدة ـ ومكان اصطياد ـ للإنسان.

ويجب أن تُحضِر قوّة الخيال ما اصطاد العقل في مقام التفكّر، وتحوّله إلى الإنسان من دون أي نقيصة أو زيادة.

إن الحيوانات ـ على خلاف الإنسان ـ ليست في صدد فَهم العالَم، إنها تنام، وحين تستيقظ تذهب وراء الصيد والغذاء، ولكن الإنسان له خُلق يختلف عن جميع الموجودات، فهو ـ فضلاً عن لزوم إيصاله اللقمة إلى بدنه حتى لا يهلك ـ عليه أن يصرف ما بقي من وقته للصيد من أجل تغذية روحه، ولكن:

(٤٢). وأسفاه قد فاضت المزرعة والفلّاح يغط بالنوم[1].

للأسف نحن من الصباح إلى المساء لا فكر لنا إلا في ملئ بطوننا، والعجيب أنه مهما سعينا وتعبنا، فإنها لا تمتلئ.

إن واحداً من بطون معاني ما جاء في الرواية من أنه كلّما أكل أهل جهنّم من نارها لا يشبعون[2]، هو إن البطن مظهر جهنّم، فكلّما ألقيت فيه لا يمتلئ، وهو يطلب ألذّ الغذاء في كل لحظة، والحقيقة أن البطن ليس مقصّراً، إنه يأكل مقداراً من الطعام، ويقول: كفى، ولكن لمّا كنّا متعطشين للطعام، فإنا لا نترك هذا البطن يهدأ قليلاً.

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. وهو مضمون قوله تعالى في وصف أهل النار: ﴿...**لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ**﴾، الغاشية: ٦ و٧.

▣ في رؤية الإنسان حالاته في النوم

والغرض هو إنه يجب أن تُجعل قوّة الخيال ككلب الصيد؛ حتى تهدي للإنسان التمثّلات الحسنة في اليقظة والنوم، فإن هذه كلّها مختصّة بقوّة الخيال، وعليها أن تهيّأ التمثّلات للإنسان، وتجعل فهم الحقائق من نصيبه، وأن جميع أعمال الإنسان اليومية تعرض له في نومه بواسطة قوّة الخيال، وحين يستيقظ في الصباح، فإنه يتذكّر فيلم نفسه لعِدّة ساعات، وأن الفحش، والسبّ، والكلام السيّء، والبذيء جميعه يتصوّر، ويتمثّل في النوم على شكل الأفاعي والعقارب التي تسعى نحو الإنسان.

وبتعبير المولوي:

(٤٣). وكلماتك تلك التي تشبه الحيّات والعقارب، قد صارت «فعلاً» حيّات وعقارب تمسك بذيلك[١].

إن النوم تلفزيون النفس الناطقة الإنسانية، فإنك بمجرّد أن أغلقتْ عينك، وسمعك، وأطلقت قواك اللامسة، والذائقة، والشامّة، ونمتَ ستشرع قوّة الخيال بعرض فيملك الباطني، وكل ما تشاهده هو موجود في باطنك.

إنها معرض أعمالك التي ارتكبتها في يومك، فترى أنه قد جاء عِدّة أشخاص، وقيّدوا يديك، وقدميك، ويقولون لك: «نريد أن نلقيك من أعلى هذا الجبل»، إنك أنت الذي صنع ذلك الجبل، وأنت نفسك من أوجد أولئك الأشخاص.

إذن بيدك أنت سقطت إلى المنحدر، كل ذلك هو أعمالك أنت.

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

▣ في تجسّم الأعمال

أنعم النظر في هذه الرواية الواردة عن قيس بن عاصم، إذ قال:

«وفدتُ مع جماعة من بني تميم على النبي ﷺ فدخلتُ عليه،... فقلت: يا نبي الله، عظنا موعظة ننتفع بها، فإنّا قوم نعبر في البرية.

فقال ﷺ: **يا قيس، إن مع العزّ ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وإن لكل أجل كتاباً، وإنه لابد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تحشر إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح آنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك...**»[1].

والآيات والروايات الكثيرة دالة على ذلك.

وقد أورد العارف سعيد القمي رحمه الله في كتابه «الأربعينيات» هذه الحكاية، حيث قال:

«قد وصل إلينا ممّن يوثق به عن أستاذ أساتيذنا بهاء الملّة والدين العاملي «عامله الله بلطفه الخفي والجلي» أنه ذهب يوماً إلى زيارة بعض أرباب الحال، وهو يأوي إلى مقبرة من مقابر أصفهان، فلمّا جلس عنده ذكر ذلك العارف للشيخ الأستاذ أنه رأى قبل ذلك اليوم أمراً غريباً في تلك المقبرة، قال:

رأيتُ جماعة جاءوا بجنازة إلى هذه المقبرة، ودفنوا ميّتهم في موضع كذا، ورجعوا، فلمّا مضتْ ساعة شممتُ رائحة طيّبة لم تكن من روائح

---

١. بحار الأنوار، ج٧، ص٢٢٩.

هذه النشأة، فتحيّرتُ من ذلك، ونظرتُ متفحّصاً يمنة ويسرة لأعلم من أين جاءت تلك الرائحة الطيّبة، فإذا شاب حسن الهيأة، جميل الوجه في زيّ الملوك يمشي نحو ذلك القبر إلى أن وصل إليه خلف فصيل كان هناك، فتعجبتُ كثيراً، فلمّا جلس عند القبر افتقدتُه، وكأنه نزل إلى القبر، ثم لم يمض من ذلك زمان إذ فاجأتني رائحة خبيثة أخبث ما يكون، فنظرتُ، فإذا كلب يمشي على أثر الشابّ إلى أن وصل إلى القبر، واستتر هناك، فبقيتُ متعجّباً، إذ خرج ذلك الشاب ـ وهو رثّ الهيأة مجروح الجثّة ـ فأخذ في الطريق الذي جاء منه، فتبعتُه، والتمستُ منه حقيقة الحال.

فقال: إنّي كنتُ مأموراً أن أصحب هذا الميّت في قبره؛ لأنّي كنتُ عمله الصالح، وقد جاء هذا الكلب ـ الذي رأيتَه ـ وهو عمل غير صالح، فأردتُ أن أخرجه من قبره؛ وفاءً لحقّ الصحبة، وأداءً لدين الأخوّة، فنهشني، وأخرجني، ودفعني، وصيّرني إلى ما ترى، فلم أملك الوقوف هناك، فخرجتُ، وتركته يصحبه.

فلمّا أتى العارف المكاشف بتمام القصة، قال شيخنا ﷺ: قد صدقتَ فيما قلتَ، وحقاً قلتَ؛ فنحن قائلون بتجسّد الأعمال، وتصوّرها بالصور المناسبة بحسب الأحوال، وصدّقه البرهان والدليل، وأذعنه كشف أرباب الحال، وأبناء هذا السبيل»[1].

ونقل سماحة الأستاذ أنه قال بعض العلماء:

«كل من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا لرآه مشحوناً بأنواع المؤذيات، والسباع مثل الشهوة، والغضب، والمكر، والحسد، والحقد، والكبر، والرياء، والعُجب، وهي التي لا تزال تفترسه، وتنهشه إن سهى عنها بلحظة، غير أنّ

١. الأربعينيات لكشف أنوار القدسيات، ص٢٩٩.

أكثر الناس محجوب العين من مشاهدتها؛ لشغلهم بالأُمور الدنيوية، وبما يرد عليهم من الخارج من طرق الحواس، فإذا انكشف الغطاء، و وضع الإنسان في قبره، عاينها، وقد تمثّلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها؛ فيرى بعينه العقارب والحيّات قد أحدقت به، وإنما هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن في نفسه، وقد انكشفت له صورها الأصلية، فإن لكلِّ معنى صورةً تناسبه، فهذا عذاب القبر إن كان شقياً، ويقابله إن كان سعيداً»[1].

إذن، فيجب أن تكون قوّة الخيال تحت تصرّف القوّة العاقلة حتى تتعلّم منها، وعلينا أن نفكّر بأنفسنا أكثر؛ نحن نتلف من عمرنا سنوات كثيرة من أجل بناء عمارة، نحن أبناء أي مكان؟ وإلى متى نريد البقاء هنا؟ لماذا لا نستيقظ؟ نحن جئنا إلى هنا حتى نذهب لصيد العالَم، كيف لنا أن نفهم وندرك أسرار العالَم؟ علينا أولاً أن نرى هل صمّمنا على ذلك، أو لا؟ علينا أن نرى هل هذا مطلبنا حقيقة، أو هي لقلقة لسان ليس إلا؟!.

إذا أردتَ ـ حقيقةً ـ أن تذهب إلى صيد العالَم، عليك ـ أولاً ـ أن تُعطي نفسك إلى الصيّاد كي تتعلّم منه، كما لو أن شخصاً يذهب إلى المزرعة، ويقول للفلّاح: «أنا لا أعرف الزراعة؛ وقد أتيتك لأتعلّم ذلك منك»، فإذا كان هذا الكلام مجرّد لقلقة لسان، ولم يدخل ذلك الشخص إلى المزرعة، ولم يعمل، ولم يرَ ذلك الفلّاح عيوبه ليصلحها له، فهل يمكن لنا أن نقول: إن ذلك يريد أن يتعلّم الزراعة واقعاً وحقيقة؟!، تعرفون أنه بذلك لا يمكن له أن يتعلّم، عليه أن يطلب حقيقة، وعليه أن يسعى أيضاً، وكما لو أن شخصاً أراد أن يصبح مهندساً، حينئذٍ عليه أن يدرس لسنوات، ويُتعب نفسه لذلك

---

١. سرح العيون، العين ٥٣.

حتى يصل إلى مطلوبه، فكما أنه من أجل الحصول على الهندسة يجب التعب والمواصلة، كذلك إذا أردتَ أن تصبح آدمياً وإنساناً، وأمّا من دون أن تعطي نفسك لأستاذ إلهي، فإنك لن تصل إلى أي شيء إطلاقاً، وإذا قلتَ: «لا حقيقة لأي شيء أصلاً»، فإنك لن تصل حتى إلى المجاز، فضلاً عن الحقيقة؛ لأن المجاز طريق للوصول إلى الحقيقة.

قال جناب الأستاذ ـ روحي فداه ـ في ديوانه:

(٤٤). وصلتُ إلى الحقيقة، ولكن عن طريق المجاز، وكم كان طريقاً شاقّاً، وبعيداً، وطويلاً[١].

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿**وَكَذلِكَ نُري إبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾[٢]، ثم قال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾[٣].

يعني ابتداءاً عليه أن يشرع من الدرجة الأولى حتى يصل إلى اليقين.

ثم يقول سبحانه: ﴿**فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٤].

هذا هو السير الصعودي للإنسان، عليه أن يتحرّك؛ حتى يعطوه الطعام

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. الأنعام: ٧٥.

٣. الأنعام: ٧٦.

٤. الأنعام: ٧٧ ـ ٧٩.

قليلاً قليلاً، فيقوى بالتدريج.

إن مقصود الإنسان هو الله تعالى، والوصول إلى تمام حقائق نظام الوجود، ومن أجل ذلك لا يمكن الاكتفاء بسنة، أو سنتين، أو حتى عشرين سنة، علينا أن نضع برنامجاً لعمرٍ كامل، فالأمر مهمّ جدّاً، وخطير.

«والحمد لله ربّ العالمين»

المجلس الخامس عشر

- التفكّر في نظام العالم مِن أفضل طرق تطهير قوّة الخيال
- تقيّد الإنسان بالعقائد العامّية
- ديننا يصنع الإنسان وحاوٍ لكل ما يحتاج

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ التفكّر في نظام العالم مِن أفضل طرق تطهير قوّة الخيال

واحد من طرق تطهير قوّة الخيال هو أن يجلس الإنسان بعض الوقت؛ من أجل التفكّر بالموجودات من حوله، حتى يصل إلى مرحلة التفكّر في شخصه، وأفكاره، وأعماله، ويحاسب نفسه على ما عمله، وقام به في ليله ونهاره.

قلنا ـ سابقاً[1] ـ إن واحداً من أفضل طرق تطهير الخيال هو أن يحمل كل مايراه قبيحاً من الآخرين على أحسنه، ويأخذ بعكس ما يراه قبيحاً، وما نقوله هنا هو مكمّل لذلك البحث، فعلى الإنسان أن يفكّر في نظام الخلقة ليلاً ونهاراً؛ ولذلك جاء التأكيد على هذا الأمر في الآيات الكريمة، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ**

---

١. في المجلس التاسع.

٢. آل عمران: ١٩١.

يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٢]، وغيرها كثير[٣].

إن التفكّر ليس له حدود خاصّة، فيمكن التفكّر في الجمادات، في خلق السموات والأرض، في النجوم، والموجودات الأخرى، مَن الذي أوجدها؟ وكيف تقوم بوظائفها؟ و... .

نحن نرى في الظاهر أن حركات جميع موجودات نظام العالَم هي من دون علم وشعور، ولكن حينما نتفكّر فيها، نجد أن الأمر على العكس تماماً، وأن جميع الموجودات تتحرّك على أساس علم، وشعور، واطّلاع، إذن، فعليكم أن تكونوا مشتغلين بالتفكّر في جميع حالاتكم، فكّر بنفسك أي قوّة عندك في داخلك حيث تستطيع الحركه مادمت حيّاً، ترى، تسمع، تفكّر، تتخيّل، ولكن بمجرّد أن تنفصل النفس عن البدن، وتموت، عندها لا تستطيع الحركة، ولا الكلام، ولا التفكّر، ولا التخيّل، فما هي هذه الحقيقة؟، أي موجود أنت حيث تستطيع في آنٍ واحد أن تتكلّم، وتتذوق، وتشم، وتسمع، وترى، وفي نفس اللحظة تمشي، وتفكّر، وتتخيّل؟!، عليك أن تقول لنفسك دائماً: من أنا؟ وماذا أريد من الحياة؟ من أين جئت؟ وإلى أين أريد الذهاب؟ ما الهدف من الليالي، والأيام، والعمل اليومي؟ إن كل هذه الأسئلة موجبة لحرارة الإنسان وهيجانه في مقام التفكّر، وباعثة على تفجّر الينابيع من داخله.

في البداية سيكون التفكّر متعلّقاً بالأمور المحدودة، وينتهي وينقطع بسرعة، ولكن بعد مدّة سينبع هذا الطريق، وسيستمر.

---

١. الرعد: ٣.

٢. الجاثية: ١.

٣. الحشر: ٢١، الزمر: ٤٢، الروم: ٢١، النحل: ١١، و٤٤، و ٦٩، الرعد: ٣، يونس: ٢٤.

يمثّل سماحة الأستاذ في دروسه بهذا المثال:

«إننا في الشتاء نبتعد عن ينابيع المصايف، في ذلك الوقت تَسُد الثلوج طريق تلك العيون، وعندما نرجع في الربيع، ونرى أن طرق تلك العيون مغلقة، فإننا نزيل تلك الأملاح والرسوبات بالمجرفة، ونجري الماء، معلومٌ أن الماء في هذه المدّة كان موجوداً تحت تلك الترسّبات، ولكن كان طريق جريانه مسدوداً فقط».

إن عادتنا، واستئناسنا بالدنيا وموجوداتها صار باعثاً على جعل الشوك، والأحجار، والأخشاب في مسير تعقّل الإنسان، ولكن مع قليل من السعي والجهد يمكن أن نفتح مسير ممرّ التفكّر، وعندها ستنبع عيون أنفسنا، وبعد مدّة يصير التفكّر ملكة لنا، ولكن حتى نصل إلى هناك يحتاج ذلك منّا عملاً كثيراً.

▣ تقيّد الإنسان بالعقائد العامّية

إن عقائدنا العامّية، والسطحية في خصوص مسائل العقائد كالقيامة، والمعاد ـ أنه في المستقبل، وبصورة نسيئة، وإن لم ننكرها، بل نعتقد بها في الآتية ـ صارت مانعاً لنا عن النهل من فيض الحقيقة، ولم نجعل حقيقة الفهم عن طريق التعلّق؛ لأننا نعتقد ونتصوّر أن أكثر مسائل القيامة مرتبطة بالمستقبل، وننتظر اليوم الذي تكون فيه هذه الواقعة، إن هذا الاعتقاد ـ الانحصاري الزماني ـ ليس فقط لا يجعلنا في مسير صناعة الإنسان وتهذيبه، بل هو باعث على أسارتنا، وابتلائنا أيضاً، إن هذا الاعتقاد صار باعثاً على انغلاق طريق سمو أرواحنا وتعاليها، علينا أن نفهم معنى الجنّة وجهنّم في الواقع، يجب أن نحقّق، ونبحث في كتاب وجودنا، على الرغم من أن ديننا أفضل الأديان، وكتابنا أفضل الكتب، ولكن مع ذلك، فإن هذه العقائد العامّية، والسطحية المتعارفة

حول الدين وأسراره صارت سبباً لتخلّفنا نحن المسلمين، حتى إن كثيراً من علمائنا ومفكّرينا صاروا مبتلين بهذه العقائد الانحصارية، وهم لا يرون الوقت الحالي؛ لذا فنحن ما استطعنا أن نفهم هذه الحقائق حتى نبيّنها للناس بشكل صحيح، فابتلى الناس بذلك أيضاً.

لا يوجد أصل في الإسلام أهمّ من أصلي المبدأ، والمعاد، ويجب الالتفات إلى أن أصل النبوة، والرسالة، والإمامة يأتي في المرحلة التالية، ولكن للأسف أن هذين الأصلين بيننا ليس أكثر من اعتقاد عامّي، وفهمنا من ضغطة القبر هو هذه الحفرة التي يضعون جسمنا فيها بعد الموت، وليس لنا أي اطلّاع على حقيقة القبر، ولا علم لنا بحقيقة كثير من الآيات القرآنية كآية أكل مال اليتيم[1]، ودلالتها على النار المشتعلة الآن في بطن آكله، فصحيح أن ظاهرها أكل مال اليتيم، ولكن باطن ذلك هو النار الآنيّة في البطن؛ لذا يجب إرجاع الآيات الاقناعية إلى الآيات البرهانية، كما نرجع الآيات المتشابهة إلى المحكمة؛ لنحصل على معارف التوحيد، والمعاد بشكل واضح ودقيق، ونعلم أن قيامة كل شخص هي قائمة الآن، وحان حين حسابه؛ ولذا فتلك الآثار تترتّب على القعود عند ظواهر بعض الآيات؛ ولذا فلن نفهم المعاد الحقيقي؛ ومن ثم عدّ أهل التحقيق أن فهم حقائق التوحيد متوقّف على معرفة النفس.

وأنتم ترون أن بعضهم يفكّر بخصوص عالم البرزخ بهذا الشكل، وهو إنه يبدأ من ليلة الموت، ويستمر إلى يوم القيامة!.

---

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾، النساء: ١٠.
كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾، البقرة: ١٧٤.

وعلى الرغم من أن هذا المقدار صحيح، ولكن ليس هو كل شيء[١].

جيّد، إذا كان هكذا، فأين تقع هذه المدّة الزمنية؟ الشخص الميّت ترك جسمه، وليس عنده إلا النفس المجرّدة التي يتساوى عندها الأبد والأزل، فهل تقع هذه المدّة من عالم البرزخ في جسم الميّت، أو في نفسه المجرّدة؟ إذا كانت في الجسم، فإننا نرى أن هذا الجسم يتفسّخ بعد مدّة، ولا يبقى منه شيء، وإذا كانت في النفس المجرّدة، فهي مجرّدة، وليس لها زمان ومكان، فكيف يمكن لهذه المسألة أن تُحل؟.

كذلك لدينا في مسألة المبدأ اعتقادات عامّية كثيرة، وليس واحد منها مطابقاً للمعايير الدينية والقرآنية، نتصوّر أن الله منفصل عن الأرض، والسماء، والقمر، والشمس، مستقل عنها في الأعلى، ويقع الجميع تحت نظره، ثم نقول: إننا لا علم لنا بالله، والأئمة عليهم السلام ـ فقط ـ هم الذين يعلمون به، وهكذا نريح أنفسنا!.

حسناً، لماذا لا نستطيع أن نصل إلى حقيقة ذلك؟ ألم يقل الأئمة عليهم السلام تعالوا، وكونوا مثلنا؛ حتى تفهموا؟! ولكن للأسف نحن ظللنا الطريق، نصلّي لسنوات وإلى الآن لا نعلم لماذا يجب علينا أن نستقبل القبلة؟! بالطبع، لا نقول إن جميع اعتقاداتنا باطلة، لا أبداً، ولكنّها جميعها في مرتبة نازلة، وإذا قوينا قليلاً، فسيتجلّى لنا الله تعالى، والقيامة في المراتب العالية أيضاً.

والغرض هو أن التوقّف عند هكذا اعتقاد سطحي، وغير مستند إلى عمق الآيات القرآنية، صار باعثاً على تخلّفنا؛ فنصلّي حتى لا نُحرَج ونُفتضَح أمام أصدقائنا وأقاربنا، أو نخاف أن تكون القيامة وجهنّم التي يتكلّمون عنها حقّاً،

---

١. والمهمّ هو أن نعلم ـ ونحن هنا ليتسنّى تدارك أنفسنا ـ هل نحن من أهل حفرة من حفر النيران، أو من أهل روضة من رياض الجنّة؟.

وفي الصلاة ـ أيضاً ـ نحن من البداية إلى النهاية مع كل شيء إلا الله، حتى هذين النعلين، والعباءة، والعمامة لا تعمل في وقتها.

(٤٥). كم للوعّاظ من الظهور والتظاهر في المحراب والمنبر، ولكنهم سرعان ما يتغيّرون عندما يختلون بأنفسهم[١].

ترون أن الشخص حينما يكون في الخلوة، ولا يراه أحد، فإنه يعمل، ويفعل كل ما يحلو له، مثل بعض العمّال، فإنه يعمل جيّداً مادام صاحب العمل ينظر إليه، ولكنّه بمجرّد أن يغفل عنه، فإنه يرفع يده عن العمل، ويتركه.

ذلك الذي يصلّي صلاة الليل يكون في بعض الأحيان كالحيوان المفترس، هو يخمّس، ويزكّي، ويحج، ولكن في بعض الأحيان يفعل السوء والفحشاء.

لماذا هكذا؟! هنا يقول الشاعر حافظ الشيرازي:

«العارف، والصوفي، والشيخ كلّهم يزوّرون، ويغشّون».

غاية ما في الأمر أنه يجب أن يحضر زمانه حتى يصير بيّناً.

الآن نحن نجلس هنا، وكلّنا صالحون من حيث الظاهر، ولكن حينما نخرج من هنا، ونشعر بالجوع مثلاً، وإن وافق أن الطعام ليس كافياً لنا جميعاً، هناك علينا أن ننظر كم نفر سيؤثرون، ويعطون من طعامهم للآخرين؟! قرأنا أن «الإيثار» جيّدٌ وحسن، وسمعنا ـ أيضاً ـ بذلك كثيراً من على المنابر، ولكن بمجرّد أن نرى أن بستاننا، وأطرافه جفّ قليلاً، نسعى جاهدين لأن نأخذ الماء من كل البساتين، ونوصله إلى بستاننا، وغير ذلك من مظاهر حب الذات، والمصالح الشخصية.

هناك يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه جيّداً؛ لماذا من أجل إيصال مصلحة

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

قليلة لأنفسنا نخدع الآخرين، ونتشاجر، ونتسابب؟! ألم نُصلّ؟ أوليس الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[١]؟ فأين العيب إذن؟ لماذا نخون الأمانة إذا ائتمنّا على شيء ما مثلاً؟ لماذا ننقص ساعات العمل الذي ائتمنّا عليه، فنعمل أقلّ مما يراد منا؟.

روي عن حسين بن علي عليه السلام: أنه جاءه رجل، وقال: أنا رجل عاصٍ، ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة.

فقال عليه السلام:

«افعل خمسة أشياء، واذنب ما شئت:

فأول ذلك: لا تأكل رزق الله، واذنب ما شئت.

والثاني: اخرج من ولاية الله، واذنب ما شئت.

والثالث: اطلب موضعاً لا يراك الله، واذنب ما شئت.

والرابع: إذا جاء مَلَك الموت؛ ليقبض روحك، فادفعه عن نفسك، واذنب ما شئت.

والخامس: إذا أدخلك مالك في النار، فلا تدخل في النار، واذنب ما شئت»[٢].

نحن ليس لنا الحقّ بالتفكير بالمعصية أبداً؛ ذلك أن مجرّد نية المعصية تعد ذنباً أيضاً، على الرغم من أن الذنب لم يُقترف، ولكن بهذه النيّة يتأثّر القلب، ويسودّ.

وإذا وصلت إلى المعصية، ففي الفقه حكم ذلك، فإذا خرج السارق بنيّة

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، العنكبوت: ٤٥.
٢. بحار الأنوار، ج ٧٨، ص١٢٦.

السرقة مثلاً، ولكنّه لم يصل إلى هدفه، لا تترتّب عليه أحكام السارق، ولكنّه بذلك يجلب على روحه عذاباً أشدّ من قطع اليد، قال تعالى: ﴿...**إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ**﴾[١].

وورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لا تنظروا إلى صغر الذنب، ولكن انظروا إلى من اجترأتم [عليه]**»[٢].

وقال علماؤنا أيضاً:

«كل الذنوب كبيرة، وهي صغيرة بقياس بعضها إلى بعض».

▣ ديننا يصنع الإنسان وحاوٍ لكل ما يحتاج

والخلاصة هي: إن علينا أن نجد إشكالات أنفسنا وعيوبها، ونرى هل إنّنا سنبقى في غربال الله تعالى أو لا؟ علينا أن نتعرّف على علّة اعوجاجنا وانحرافنا، إن بهذا الدين الذي عندنا، أنا وأنت، ينبغي ألّا تكون لنا حاجة لأي نوع من أنواع الشرطة، أو قوّة حفظ الأمن، أو غيرها من القوى الأمنية الأخرى.

ينبغي أن تتحقّق المدينة الفاضلة كما في زمن ظهور الإمام الحجّة ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ

نحن نملك ديناً عزيزاً، وراقياً، وهو يعلّمنا أنّنا إذا كنّا في حرب مثلاً، وأُصبنا بجراح، وعطش شديد وصعب علينا حتى التنفّس، وأحضروا لنا الماء، فعلينا أن نسعى لتقديمه للآخرين، وتقديمهم علينا بذلك، ونتمثّل بحال جعفر الطيار ـ رضون الله عليه ـ وأخلاقه وإيثاره لغيره على نفسه.

---

١. البقرة: ٢٨٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص١٦٨.

نحن عندنا دين حاوٍ على البرنامج التامّ والكامل لجميع شؤون الحياة، حاوٍ حتى لبرنامج التخلّي وآداب ذلك، وجاء في الروايات حقائق وتعاليم كثيرة لو أنها طُبّقت بحذافيرها، لرفعت الإنسان عالياً، ولأوصلته إلى الدرجات الإنسانية الرفيعة، ولكن نحن إمّا تركنا العمل بها، أو إننا بسبب بعض الحيثيات الاجتماعية، والخوف من بعض الأمور، ورجاءاً لبعض العوائد الجزئية قد أعرضنا عن العمل بها.

يعني: أن كسب بعض المنافع صار باعثاً على تقيّدنا بالأحكام الشرعية ـ فنميل مع ذلك الباعث حيثما مال ـ فإننا لا نصلّي من أجل الله تعالى، والتقرّب إليه، وإنما نصلّي من أجل شفاء المرضى، والحصول على بعض الحاجات الدنيوية، وطبعاً إن الله تعالى بوصفه الرؤف الرحيم، الجواد، الكريم يتفضّل علينا بطلبتنا، ويرفع عنّا البلاء، ولكنّنا كأننا انغمسنا في الغفلة، وعدم الالتفات إلى الحقائق، فبدل أن نذكر، ونشكر النعم والهبات الإلهية، نُدخل عشرات الأغراض والمصالح الشخصية في نيّات أعمالنا العبادية؛ لذلك ابتلينا بالمشاكل والآفات في اعتقاداتنا الدينية، وإذا لم يصحّح هذا النحو من الاعتقادات، فإن حقيقة العقل لن ترتقي، وسيكون ذلك موجباً لكثير من أنواع الشقاء للإنسان.

إذن فعلينا أن نأخذ طريق العقل والتعقّل؛ لنرى لأي شيء خلقنا الله تعالى، وما هو سِرّ الخلقة؟ إنه تعالى يقول في الحديث القدسي:

«**كنت كنزا مخفياً؛ فأحببتُ أن اعرف، فخلقت الخلق لكي أُعرف**»[1].

فقد خلقنا الله سبحانه على أساس الحبّ، والمحبّة، وأراد منّا أن نعبده على

---

١. بحار الأنوار، ج ٨٤، ص٣٤٤.

ذلك الأساس ـ يعني على أساس المحبّة والشكر ـ وإذا كانت العبادة على أساس الحبّ والعشق، فسيتجلّى سِرٌ مكنون، وهو المناسبة بين العابد والمعبود، وإلا فستكون عبادتنا له تعالى على أساس الخوف والطمع بغيره من ثواب وجنّة، وعندها لن يتجلّى ذلك السرّ المكنون، ولن تظهر أنوار المناسبة بين العابد والمعبود، وذلك السرّ لا يمسّه إلا المطهرون، الذين على رأسهم أهل البيت عليهم السلام.

إذن فعلينا التفكّر، والتعقّل في نظام الخلقة؛ ليظهر لنا سِرّ الحبّ الذي كان يبحث عنه إبراهيم الخليل عليه السلام حينما قال: «أنا لا أحبّ الآفلين»[1]، ولتفكّره في نظام الكون، وصل إلى النتيجة والمقصد والهدف، فقال: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2]

إذن، فمراتب العبادة محفوظة.

وقد جاء في الروايات[3] تقسيمها على ثلاثة أقسام هي:

عبادة العبيد.

وعبادة التجّار.

وعبادة الأحرار والكرام.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجّار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة،

---

١. إشارة إلى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾، الأنعام: ٧٦.

٢. الأنعام: ٧٩.

٣. انظر: البحار، ج٤١، ص١٤.

فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار»[١].

ويجب البحث عن السرّ المكنون في القسم الثالث منها، فعلينا أن نقرأ، ونرقى، ولا نتوقّف عند الحدّ المتوسط، فضلاً عن السافل، ونكتفي به.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١. انظر: البحار، ج٤١، ص١٤.

المجلس السادس عشر

- التفكّر موجب لكشف الأسرار

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ التفكّر موجب لكشف الأسرار

قلنا ـ سابقاً ـ إن التفكّر ينجّي قوّة الخيال من التبعثر وانفلات الزمام، وكم هو جيّد أن يخصّص الإنسان وقتاً للتفكّر أول العمل، ويتفكّر في أطواره الوجودية، وموجودات العالَم، فيكون هذا باعثاً على أنس الإنسان بالعالَم، وإذا استأنس الإنسان بالعالَم، وصار له مَحرَماً، وارتبط معه برابطة الصداقة والمودّة، فهنا يمكن له أن يجد الطريق لأسراره؛ لأن الصديق لايخفي سِرّه عن صديقه أبداً.

من الممكن ـ أحياناً ـ أنكم لا تشعرون بالأنس ببعض الأقرباء والأهل، وحينئذ لا يمكنكم اطّلاعهم على أسراركم، ولكن شخصاً آخر على الرغم من أنه من غير الأقرباء، والأهل؛ ولأنه صار مأنوساً لكم، ولنقل: «صار مَحرَماً لكم»، فإنكم سوف تطلعونه على أسراركم.

نعم، فإن المعيار هو «الأنس، والمَحرَمية»، طبعاً «المَحرَمية الفقهية» شيء آخر، يقولون هناك: إن الأخت، الأم، العمّة، الخالة، الزوجة، أم الزوجة و... هن محارم الإنسان، ويستطيع الشخص أن ينظر إلى أبدانهن ـ ماعدا العورة طبعاً ـ ولكنّه لا يستطيع النظر لأبدان غيرهن[1]؛ لأن بدن المرأة عورةٌ، وكما أن

---

١. إلا ما عُفي عنه شرعاً كالوجه، والكفين ما لم يكن باعثاً على الإثارة والشهوة. وللوقوف

غيرة الإنسان موجبة لعدم كشف الشخص عورته مقابل الآخرين ماعدا زوجه، فكل البدن سِرٌّ بالنسبة لكل من كان غير مَحرَم، والإنسان العاقل لا يكشف له ذلك، والإنسان عنده أسراره الشخصية ـ أيضاً ـ وهو غير حاضر لكشفها للآخرين، إلا للمَحرَم فقط.

إننا حينما ننظر إلى ظاهر السماء والأرض نظن أن ذلك هو تمام حقيقتها، وكل ما هناك هو هذا الذي نرى ليس إلا، والحال أن السماء والأرض لها أسرار نحن عنها غافلون.

وبتعبير المولوي:

(٤٦). يسلّم الحصى على أحمد، وينقل الجبل الرسالة إلى يحيى.

وكلّها كأنّها تقول: نحن سميعون، وبصيرون، وفاهمون، لكنّنا معكم لأنكم عنا غرباء، صامتون.

وما دمتم تسيرون نحو جماد، فكيف يصير مسموحاً لكم بروح الجماد؟.

فامضوا من الجماد إلى عالم الأرواح؛ لكي تسمعوا صوت أجزاء العالم.

ويأتينك تسبيح الجماد عياناً، ولا تتخطّفك وساوس التأويل[1].

نحن نظن أن الحصى، والخشب، والطين ساكتة لا تبصر، ولا تسمع، ولا تفهم، ولكنها في الواقع تخاطبنا قائلة: أنتم لا تبصرون، ولا تسمعون، ولا تفهمون؛ لأننا في حال البصر، والتكلّم و...، ولكن لأنكم غير محارم لنا ـ بذلك المعنى الذي تقدّم ـ فإنكم لا تسمعوننا، ولا ترونا، كما لو كان بينكم شخص من غير المحارم، فإنكم ستحاولون أن تبعدوه عنكم، ولا تطلعوه على أسراركم.

على التفاصيل يرجع إلى الرسائل العملية.

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

إن التفكّر في نظام العالَم موجب لجعل الإنسان محرَما مع العالَم، وموجب لعرض موجودات العالَم أسرارها أمامه.

كيف يستطيع جهاز التسجيل، الذي صُنع من مجموعة معادن وغيرها أن يسجّل أصواتنا، ثم يرجعها إلينا، والأرض التي بهذه العظمة لا تستطيع أن تسجّل ذلك ؟! جاء في الرواية أن أمير المؤمنين عليه السلام قال ذات يوم، وهو يحكي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«...وكنّا نمرّ معه، فلا يمرّ بشعب، ولا شجر، إلاّ قالت: السلام عليك يا رسول الله؛ تحيّة له، وإقراراً بنبوّته»[1].

وروي عن جابر ـ رضوان الله عليه ـ أنه قال:

«كنتُ إذا مشيتُ في شعاب مكّة مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يمرّ بحجر، ولا شجر، إلا قال: السلام عليك يا رسول الله»[2].

كذلك روي عن أنس بن مالك أنه قال:

«أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ كفّاً من الحصى، فسبحن في يده، ثم صبّهن في يد علي عليه السلام، فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح في أيديهما، ثم صبّهن في أيدينا، فما سبّحت في أيدينا»[3].

هنا يقول المحقّق الداماد:

«يجب أن نرى هل كان ذلك من إعجاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنطقها، أم أنه صلى الله عليه وآله وسلم فتح بإعجازه سمع الصحابة، فجعلها تسمع ما لم تكن تسمع؟».

---

١. بحار الأنوار، ج١٦، ص٣٤٣، و ج ١٧، ص٣٠٩ و٣٨٨.
٢. البحار، ج١٧، ص٣٦٤.
٣. البحار، ج١٧، ص٣٧٧، و ج٤١، ص٢٥٢.

ثم يقول:

«الحقّ هو إنه ﷻ فتح سمع الصحابة بإعجازه، فجعلها تسمع صوت الحجر مثلاً، وإلا فالحجر، والشجر هي في حال التكلّم والاستماع دائماً، وإن جميع الموجودات باصرة، وسامعة، وفاهمة».

فإذا استأنس الشخص مع أرض ما مثلاً، وصار محرماً معها، فإنه سيستطيع أن يفهم جميع أسرار العالم؛ لأن الأرض تستطيع أن تُخبر ذلك الشخص بكل ما سمعته من أسرار العالَم، وهذا مبني على أساس الاتصال العام بين الأشياء، وارتباطها المطلق بعلّتها الأولى، وربّ العالمين، وقد قال تعالى: ﴿...**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**...﴾[1]، ونحن قلنا في المجلس السابق إن القيامة قائمة الآن، ولكنّا غافلون عنها، كما أن بناية الحسينية هذه تستطيع أن تُخبر الأجيال الآتية عمّن رأت من أفراد، وعمّا شاهدت من جلسات، وعمّا سمعت من كلام، وطبعاً يجب أن يتحقّق الشخص بحقيقة اليوم الذي هو ظرف ظهور الأشياء[2].

إن موجودات العالَم تسجّل الأسرار الإنسانية للأوّلين والآخرين، والموجودات الأخرى، وتجعلها في اختيار مَن صار محرماً لها.

وبتعبير سماحة الأستاذ:

«إذا كنتَ منكراً للحقيقة، يكفي عليكَ أن تعطي يدك لأهل الفن حتى ترى أن جميع هذه الأمور ممكنة، والمشكلة فقط هي في عدم محرَميتنا».

كان لأحد الأعزاء أمر ما، وقد انتفعتُ منه كثيراً، إنه قال:

«في ليلة عاشوراء من السنة السابقة كانت زوجتي مشغولة بغسل الأواني

---

١. الزلزلة: ٤.

٢. ولهذا الموضوع بحث مبسوط ليس الآن محل طرحه.

عند حوض المنزل، وكنتُ أنا أتمشّى قرب الحوض، وحينما فتحتْ حنفية الماء، سمعتُ فجأة أن الماء تكلّم، وقال: أنا ذهبتُ إلى كربلاء، وسعيت لأوصل نفسي إلى أبي عبد الله عليه السلام، ولكن لعن الله الأشخاص الذين حالوا بيني وبين الوصول، فتعجّبتُ كثيراً، وتقدّمتُ، فسألت الزوجة: هل تسمعين صوت الماء؟! قالت: لا، إلا صوت خريره».

(٤٧). نحن سميعون، وبصيرون، وفاهمون، لكنّنا معكم لأنكم عنا غرباء، صامتون[1].

إن التفكّر موجب لجريان فيض الحقّ، وهو من أفضل رموز كشف أسرار العالَم.

كان العلّامة الطباطبائي قدس سره عارفاً واصلاً، وعالماً بارعاً، ومفسّراً كبيراً، ومهندساً ماهراً، وفلّاحاً قوياً، فقد اشتغل بالزراعة لعشر سنوات في تبريز، وكان ماهراً بالزراعة إلى الدرجة التي لم يكن لأحد من مزارعي ذلك الزمان أن يصل إلى مهارته، كذلك كان قدس سره مهندساً بارعاً، فقد رسم خارطة بناية «المدرسة الحجتية» في قم المقدسة، يقول رضوان الله عليه:

«كنتُ في يوم من الأيام في البستان، وفجأة انتبهت إلى أن جميع الغربان التي كانت فوق الأشجار تقول: «الله، الله».».

نعم، إذا فُتحت أذن الروح، فإن الانسان يستطيع عندها أن يسمع حقائق العالَم.

ولننهل الآن مرّة أخرى من «ديوان» سماحة الأستاذ، حيث يقول:

(٤٨). كان في ليل حال ويقظة، وبكاء، وحضور.

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

في سحر ذلك الليل الجميل خرجتُ من البيت.

ورفعتُ رأسي إلى الأعلى، فتحيّرتُ من صنع الباريء[١].

وقد تقدّمت منا في المجلس العاشر الإشارة إلى تلك المكاشفات التي كُشفت للأستاذ في ذلك الليل.

أجل عزيزي، المهمّ هو ذلك الحال الجميل الذي يُقبِل إلى الإنسان في بعض المناسبات.

في يوم من الأيام ذهبتُ من قم إلى طهران، وفي الطريق صادفتُ أحد سائقي «التاكسي»، فأخذنا نتجاذب أطراف الحديث، وقليلاً قليلاً وردنا وادياً جميلاً من الكلام.

قال لي ذلك الشخص: «سيّدي، إن ظاهري كما ترى ليس مقبولاً كثيراً، وأنا أتكاسل في الصلاة، فماذا أعمل حتى لا أكون هكذا؟».

فتكلمتُ معه حول الموضوع.

ثم قال لي: «كنتُ يوماً قد اصطحبتُ مسافراً إلى كرمانشاه، وفي منتصف الليل حيث كنتُ في طريق العودة، وأنا في الصحراء شعرتُ بحالةٍ ما، فتوقّفتُ هناك، ونزلتُ من السيارة، وتوضأتُ، وشرعتُ بالصلاة، وجرى الدمع من عيوني كأنه السيل، أركع وأبكي، وأسجد وأبكي، وحينما كنتُ أقول: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده»، كنت أشعرُ بأن جميع مملكة بدني كانت ترتجف، وتقتلع من مكانها، والآن أنا أردد: «الله، الله»؛ حتى أشعر بتلك الحالة والروحية؛ لأصلّي كتلك الصلاة مجدّداً».

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

فقلتُ له: «أنا مستعد لأن أعطيك جميع صلواتي على أن تعطيني تلك الصلاة الواحدة فقط».

بعد ذلك قال: «سيّدي، أنا أحبّ جميع الأئمة عليهم السلام، ولكني لا أدري لماذا كلّما تذكرتُ مظلومية علي عليه السلام، لا أستطيع أن أتمالك نفسي من البكاء؟».

والخلاصة هي: إني رأيتُ أن ذلك الشخص ـ وبسبب ذينك الأمرين فقط ـ في حال العروج.

إن مثل هكذا شخص من أهل النجاة، وبتلك الصلاة قد نُظّم، وأُصلِح كل عمله، طبعاً ليس مقصودي أنه يستطيع أن يترك الصلاة، لا أبداً، بل إن الصلاة لازمة بوصفها واحدة من العناوين والبرامج الأصلية للسالك، ومن الأوامر الشرعية الواجبة، كما لو أنك في سنة من السنوات تزرع وتحصد وتنتفع جيّداً من ربح ذلك العام، وفي السنوات التالية تتمنّى أن لو كان لك مثل ربح تلك السنة، ولكن هذا لا يعني أنك إن لم تجن مثل ربح ذلك العام، فإنك سوف تترك الزراعة، لا ليس الأمر كذلك، بل عليك أن تسعى حتى تحصل على ذلك الربح.

والغرض هو إنه يجب أن يُقبِل «الحال».

إنكم ترون ـ أحيانا ـ أن آية واحدة تؤثّر في الإنسان أياماً كثيرة، ولا يستطيع الشخص أن يسيطر على نفسه مهما سعى لذلك، وقد مرّ معنا في المجلس العاشر شرح حال الأستاذ، والحالات التي كانت عنده في حال التوجّه العرفاني، وكيف تمثّلت له سورة الأنبياء.

والغرض هو إن التفكّر وسيلة لانكشاف الكثير من الأسرار للمتفكّر، فأيهما أفضل أن يطير الشخص طيراناً ظاهرياً إلى السماء، أم أن تنكشف له تلك

الحقائق على ذلك النحو؟.

إن العقل يريد غذاءاً عقلياً، لا غذاءاً ظاهرياً، يريد سَيراً أنفسياً، لا سَيراً آفاقياً فقط، العقل ينتقل من السير الآفاقي إلى السير الأنفسي، لا أن يذهب إلى السماء؛ ليرى النجوم الظاهرية، فعمل العقل هو السَير في المعقولات، لا السَير في المحسوسات؛ ولذا قلنا إن قوّة الخيال المُطهّرة إذا دخلت تحت طاعة العقل، فستصوّر وتشكّل وتمثّل له جميع المعقولات بأبهى صورة، وأجمل الألفاظ، وهذه الأمور بحاجة إلى الخلوة واليقظة في السَحَر، فعليكم أن تجدوا السهر في السَحَر، وقد قال القرآن: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾[1]، فقوّة الخيال تُلجَم وتدخل تحت السيطرة بواسطة الخلوة وعتمة الليل والتهجّد، وإن التفكّر في خلوة الليل يعطي القوّة والقدرة للعقل، فلا تضيّع من يدك غنائم الليل من دون اغتنام؛ فإن ماء الحياة الإنسانية يتجلّى بوضوح في ديجور الليل.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. الإسراء: ٧٩.

المجلس السابع عشر

- طهارة الذهن
- طهارة العقل

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ طهارة الذهن

في بحث أقسام الطهارة الباطنية، وبعد طهارة قوّة الخيال أشار الأستاذ إلى طهارة الذهن، فقال:

«...**وطهارة الذهن من الأفكار الرديئة، ومن التصوّرات غير الواقعية، وغير النافعة**...»[1].

إن عمل قوّة الخيال هو التقاط صور الأشكال، وعمل الذهن هو إحضار الأشياء التي يفكّر بها الإنسان في مقام التفكير، والله تعالى قد خلق الإنسان، وليس له أي علم بالأشياء من حوله، وأراد منه أن يتعلّم، ويعرف[2]، وإن شأن النفس الناطقة الإنسانية هو تحصيل العلوم والمعارف، وقد جعل الله فيها الاستعداد لذلك، وبموجب ذلك الاستعداد صارت النفس الناطقة قادرة على تحصيل تلك المعارف، وهذه المرتبة من النفس تسمّى بـ«الذهن»، فالذهن هو عبارة عن قوّة في النفس مستعدّة لاكتساب العلوم والمعارف.

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٤٣.

٢. قال تعالى: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، النحل: ٧٨

وهنا يجب منع الذهن من التفكير في الأمور الحقيرة، والأفكار غير الحسنة؛ إذ إن الذهن مشغول بالعمل دائماً، حتى حينما يكون الشخص نائماً، فإن الذهن يُحضر له ما كان يفكّر به في اليقظة.

وبشكل عام إن صرف الذهن عن التفكير بالأمور غير النافعة عمل شاقّ جدّاً، فأنتم تلحظون أن الذهن، وبمجرّد أن تقع العين على شيء ما، فإنه يأخذ بالتصوير والتفكير في كثير من الأشياء، كما لو أن هناك شخصين يجلسان بعيدَين عن بعضهما البعض، ولم يفكّرا بما كان عليهما قوله لو التقيا، ولكن بمجرّد أن يقول أحدهما للآخر: تعال نجلس جنباً إلى جنب، ونتجاذب أطراف الحديث، فإنهما، وبمجرّد الجلوس مع بعض، تراهم فجأة يغرقون في الكلام والخواطر المختلفة، وربّما يستحضرون حتى الأشياء غير المفيدة؛ وما ذلك إلا لأن الذهن لا يستطيع أن يهدأ ويرتاح، ولو للحظة واحدة، وعادةً ما يكون ذلك بيننا أيضاً، فحينما يقول شخص: حين رأيتُ الشخص الفلاني تذكّرتُ الأمر الفلاني، فهذا ـ أيضاً ـ راجع لما تقدّم.

والغرض هو من الضروري ألا نترك الذهن ينشغل في الأمور غير النافعة.

وكمثال على ذلك ما جاء ـ معناه ـ في الرواية: «إذا اقترب الرجل من زوجته عليه أن لا يفكّر بأعراض الآخرين...»، أو: «على المرأة ألا تفكّر بالأشياء القبيحة في فترة الحمل»[1]، فإن جميع ذلك يؤثّر في ذهن الطفل، وحينما يكبر الطفل، فإنه سيصعب عليه تطهير قوّة خياله من ذلك التشتّت، ويمكن هنا ذكر الكثير من الأمثلة.

كذلك يوجد في هذا المطلب روايات كثيرة نهت عن اختلاء الرجل

---

١. انظر: مكارم الأخلاق، ج١، ص٤٥٦، وص ٤٥٨.

بالمرأة في مكان وحدهما[١]، ولو كانت تلك المرأة غير المحرم، أياً ما كانت حتى لو كانت زوجة الأخ.

وبشكل عام إن تطهير الذهن من أصعب مراحل تطهير الباطن، وإن قاطع طريق ذلك التطهير لهو من أخطر قطّاع طريق تهذيب النفس؛ لأن الإنسان ـ على كل حال ـ يعيش في المجتمع، ويختلط مع أفراد وميادين مختلفة؛ لذا يجب تطهير الذهن من الأفكار السيّئة، ولماذا ـ أصلاً ـ نشغل ذهننا بأفكار، ليست غير مفيدة فقط، بل إنها مُضرّة لنا، والحال إننا نعيش في عالم بهذا الجمال، ونملك كل هذه الحقائق في نفوسنا وأرواحنا؟! لماذا لا نفكّر بموجودات نظام العالَم، ولا نرى ذلك الجمال؟!.

جاء في الرواية:

«أن عيسى عليه السلام والحواريين مرّوا على جيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب، فقال عيسى عليه السلام: ما أشدّ بياض أسنانه»[٢].

فلمّا كان مقرراً أن يكون الذهن بعملٍ دائم، لماذا لانجعله يعمل في جانب الكمال؟!.

نكتفي هنا بهذا المقدار، وننتقل إلى بحث طهارة العقل.

▣ طهارة العقل

قال سماحة الأستاذ:

«...**وطهارة العقل من التقيّد بنتائج الأفكار فيما يختص بمعرفة الحقّ سبحانه،**

---

١. انظر: مكارم الأخلاق، الفصل التاسع من الباب الثامن «في هنات تتعلق بالنساء»، ح٢٢.
٢. البحار، ج١٤، ص٣٧٢.

ومعرفة غرائب العلوم والأسرار المصاحبة لفيضه المنبسط على الممكنات...»[1].

المقصود «بالفيض المنبسط» هو «الرحمة الرحمانية» لله تعالى، التي هي الفيض المطلق للحقّ سبحانه، مثل رحمة المطر، فهو عام لجميع مجتمعات الإنسان وغيره من موجودات نظام العالم، أو الأرض التي هي لجميع المخلوقات ـ أعمّ من المسلم، والكافر، والمتديّن، وغيره ـ وأن المطر ـ قبل أن يدخل في حوض الإنسان وأرضه ـ هو لجميع الناس، وللجميع الحقّ في الاستفادة منه.

يعني: أن هذه الفيوضات غير خاصّة بمجموعة معينة، بل إن الله تعالى قد أطلقها؛ ليستفيد منها الجميع.

والفيض الإلهي الآخر هو مقيّد ومخصوص بأفراد خاصّين، ويعبّر عنه بـ «الرحمة الرحيمية» وهو تلك العلوم والأسرار والحقائق المخفيّة في نظام الوجود، كما أن المطر له أسرار وحقائق كثيرة في متنه، وليس لأي أحد الاطّلاع عليها[2].

قال سماحته في طهارة العقل: يجب إطلاق العقل من التقيّد والتوقّف؛ إذ إن العقل مأخوذ من «العقال»، وهو بمعنى التقييد والتحديد، والعرب يستفيدون من «العقال»، و «رباط الركبة» لتقييد وربط جمالهم؛ إذ إن استعمال العنان لذلك صعب جدّاً، فهم عندما يريدون أن يربطوا الجمل، فإنهم يأمرونه بالجلوس، وعندما يجلس الجمل على الأرض، يشدّون ركبته بالحبل، ويربطونها؛ فلا يستطيع بعدها أن يقوم، ويمشي، والعرب تعبّر عن ذلك الحبل، والرباط بـ «العقال».

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٤٣.

٢. وللاصطلاحين معان أخرى يمكن مراجعتها في كتب التفسير، والعرفان.

وكذلك سمّوا العقل بهذا الاسم؛ لأنه يتجوّل في محضر نظام العالَم لمعرفة الحقائق والعلوم وفهمها، ولكنّه في البداية ليس غير متناه، بل يكتفي بفهم بعض الحقائق، ويتقيّد بها، وطهارة العقل هي أن نخرجه من هذا التقيّد، ونقول له: عليك ألا تكتفي بإدراك بعض الحقائق، وتُمسك عن غيرها، بل عليك أن تنطلق، وتفكّر بجميع موجودات العالَم؛ فإن التفكّر يفتح الطريق للإنسان في كل آن، وله من البركات الكثير.

والخلاصة هي: علينا ألّا نقيّد العقل بفهم بعض الكلمات، فإذا أُطلق العقل في فهم كلمات نظام العالَم، فسيستطيع أن يأتي بحقائق الوَرد من روضته بهديّة في كل لحظة[1].

إذن، فكل من اكتفى بالقليل من العلوم، فقد عَقَلَ عقله، وقيّده، وإن التعبير بـ «نهاية الدراسة» بمعنى ربط العقل، وعقله، وتقييده ليس بصحيح، ومخالفاً لمبنى العقل؛ إذ علينا أن نكون من الدارسين إلى الأبد.

يقول سماحة الأستاذ العلّامة ـ حفظه الله: «أنا الآن أقوم بعمل عشرة طلّاب»، مع ملاحظة سنه الكبير «أطال الله لنا بعمره المبارك»، وما عنده من الأمراض «نسأل الله أن يمنّ عليه بالصحّة والسلامة الوافرة»، ولكنّه لم يكتف بالقراءة والكتابة لبعض السنين، ومازال مشغولاً بالتحقّيق إلى الآن.

قال سماحته: يجب أن يُطلَق العقل في معرفة الحقّ سبحانه من التقيّد؛ إذ إنه إذا قُيّد في معرفة الحقّ تعالى، فسيخرج بالوحدة العددية في باب توحيد الله تعالى، وهذا ليس محل البحث في هذا المطلب، والإشكالات عليه.

«غرائب العلوم»: يقال للعلوم المخفيّة التي لا تظهر لأيٍ من كان «غرائب

---

١. للتفصيل ارجع إلى الفص الشعيبي من «فصوص الحكم» وشرحه.

العلوم»، كما إن للأشجار أسراراً لا تظهر لعالِم النبات أبداً، وهو مهما حقّق لا يكون عارفاً إلا بظاهر النباتات، مثلاً كم تحتاج هذه النبتة من الماء والتراب كي تنمو، أو كم عندنا في الطبيعة من أنواع الأشجار، وما يناسب تلك الأشجار من التربة، وهكذا.

وأن موجودات نظام العالم لها من الأسرار التي لا تُظهرها لأي من كان، وقد قلنا من قبل: مالم يصر الإنسان محرَماً مع العالَم، فإنه لا يستطيع أن يأخذ من تلك الحقائق.

إذن، فالعلوم الغريبة هي علوم مخفيّة لا تظهر إلا للمحارم.

فيجب أن يُطلق العقل في ميدان فيض الله المنبسط؛ حتى يجد حقائق نظام العالم، وأسراره، فإن رحمة الله العامّة مرافقة للكثير من العلوم والأسرار، ولكن الناس ـ على الرغم من أنهم مرتبطون بهذه الرحمة ـ إلا أنهم لا خبر لهم من كلامها ولغتها، حيث إن السماء، والأرض، والشمس، والقمر، والفلك، والملك كلها تقول:

(٤٩). نحن سميعون، وبصيرون، وفاهمون، لكنّنا معكم؛ لأنكم عنا غرباء، صامتون[١].

ولهذا المطلب كثير من الشواهد القرآنية والروائية من قبيل قوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...**﴾[٢]، وقوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ**

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. الإسراء: ٤٤.

بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿[1]، وغيرها من الآيات، فعلينا أن نُطلق العقل للتفكّر في هذه الموجودات؛ لكي نصل إلى فهم منطقها، ومعرفة أسرارها.

نكتفي بهذا القدر من شرح العبارة، وسنكون بخدمة الأعزّاء في الدروس، والجلسات الأخرى إن شاء الله تعالى.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١. النور: ٤١.

المجلس الثامن عشر

- طهارة القلب
- قلب الإنسان في تقلّب دائم
- تشتّت القلب موجب لسلب الإرادة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ طهارة القلب

يشير الأستاذ في الطهارة الباطنية إلى طهارة القلب، فبعد أن تحدّث عن طهارة قوّة الخيال، والذهن، والقوّة العاقلة، قال:

«...**وطهارة القلب من التقّلب الناشئ من التشعّب، والتشعّب هو بسبب التقاعس الموجب لتشتّت العزم والإرادة، فيجب أن يكون للقلب همّ واحد.**

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«**قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه، فمن طهّر قلبه، نظر الله إليه**»[1]...»[2].

يعدّ موضوع طهارة القلب من المواضيع التي هي مورد سؤال ومراجعات الكثير من الأعزّاء؛ ولذلك نشرع في بحث طهارة القلب.

وعلى الأعزّاء أن يلتفتوا جيّداً، ويدقّقوا في البحث؛ حتى نستطيع أن نفصّله، ونبحثه بإيفاء.

---

١. تصنيف غرر الحكم، ص٦٧، ح ٩٠٦.

٢. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٤٣.

▣ قلب الإنسان في تقلّب دائم

إن مرتبة القلب واحدة من شؤون النفس الناطقة الإنسانية، و«القلب» بمعنى «التقلّب» و«الانقلاب»، وإن نفس الإنسان ليس لها حال واحد، بل هي في تقلّب دائم، تارة يكون لها حال جيّد، وأخرى يكون لها حال سيّء، تارة تكون في حالة خشوع ومناجاة في الصلاة وغيرها من العبادات، وتارة لا تكون كذلك، تارة تأخذ القلم، وتكتب جيّداً، وتارة لا تستطيع الكتابة مهما سعت لها، والأصدقاء، والمعاشرة، والذهاب والإياب، جميعها من الأمور المؤثّرة في حالات القلب المختلفة، تارة يرى الإنسان ـ ولمجرّد شرارة ما ـ تكون عنده حالات جميلة، وحسنة، ولكن بعد مدّة يلتفت إلى أنه ـ ولشرارة أخرى ـ يأفل ذلك الحال، ويفقده ـ كما نقلنا لكم تلك الخاطرة عن السائق في المجالس المتقدّمة ـ و«الحال» حينما ينقلب يكون إمّا جيّداً، وإمّا سيّئاً، وهذه المرتبة من النفس الناطقة يعبّر عنها بـ «القلب».

يصوّر أحد الشعراء حال يعقوب النبي عليه السلام مع يوسف عليه السلام فيقول:

«سُئل يعقوب عليه السلام يوماً: لماذا لم تشعر حينما ألقوا ابنك يوسف في البئر، على الرغم من قرب المسافة بينك وبين البئر، ولكنك استطعت بعد أربعين سنة أن تشم ريح قميصه على بُعد المسافة من مصر إلى اليمن؟!.

فقال عليه السلام في الجواب:

(٥٠). حالنا كبرق العالَم، تارة ظاهر، وأخرى مخفي.

تارة أكون على الأفق الأعلى؛ [فأطّلع على الكثير من الحقائق]، وأخرى لا أرى حتى ما تحت قدمي[1].

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

أعزائي، لا تقلقوا من هذه الحالة النفسية، فإن طبيعة الإنسان تكون هكذا قبل أن يصل إلى الطهارة الكاملة، والحضور التامّ، فيكون مدّة في مسير الحقّ، ويدرس، ويبحث، ويسعى وراء العلوم والمعارف؛ لذا يكون له حال حسَنة بضعة أيام، ولكنّه يبرد أياماً أخرى، ويخرج عن مسير الحقّ، ويندم و... .

جاء عن سلام بن المستنير أنه قال: كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام، فدخل عليه حمران بن أعين، وسأله عن أشياء، فلمّا همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام:

أخبرك ـ أطال الله بقاءك لنا، وأمتعنا بك ـ أنّا نأتيك، فما نخرج من عندك حتى ترقّ قلوبنا، وتسلوا أنفسنا عن الدنيا، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك، فإذا صرنا مع الناس والتجّار، أحببنا الدنيا؟.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: **إنما هي القلوب مرّة تصعب، ومرّة تسهل**.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أمَا إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله، نخاف علينا النفاق.

قال: فقال: **ولمَ تخافون ذلك**؟ قالوا إذا كنّا عندك فذكّرتنا، ورغّبتنا، وجلنا، ونسينا الدنيا، وزهدنا حتى كأنّا نعاين الآخرة، والجنّة، والنار، ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك، ودخلنا هذه البيوت، وشممنا الأولاد، ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحوّل عن الحال التي كنّا عليها عندك، وحتى كأنّا لم نكن على شيء؛ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: **كلّا، إن هذه خطوات الشيطان، فيرغّبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها، لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء، ولولا أنّكم تذنبون، فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا، ثم يستغفروا الله؛ فيغفر [الله] لهم، إن المؤمن مفتّن توّاب**.

أمّا سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنّ الله يُحِبّ التّوّابين، وَيُحِبّ المُتَطَهّرين﴾[١]؟ وقال: ﴿استغفروا ربّكم، ثم توبوا إليه...﴾[٢]»[٣].

فعلى كل إنسان سالك أن يلتفت إلى أن عليه ألّا ينصرف عن مواصلة السير بعد الهبوط والأفول، بل عليه أن ينهض، ويتحرّك مرّة أخرى؛ إذ إن واحداً من طرق وصول النفس هو هذا السقوط والقيام، وعلى الإنسان أن يقع، وينهض مرّات كثيرة؛ حتى يكبر، ويقوى، وإن الشخص الذي لم يرَ في حياته أي صعوبة ومشاكل، فإنه لن يصل أبداً.

وكمثال على ذلك أنكم ترون قوّة الفلّاح الذي عمل بالفلاحة سنوات كثيرة، وتمكنّه، وواجه الكثير من حوادث ومشاكل هذه الحرفة، قياساً بابنه الذي ورد إلى هذا الشغل حديثاً، فإنه يضعف لكل عمل مهما كان صغيراً، ويتخوّف من الحوادث الآتية، فإن هذه هي طبيعية الإنسان الذي يقضي حياته في حالات مختلفة، وعادة ما تُظهر النفوس المضطربة ذلك، وتلك النفوس هي النفوس التي تكون دائماً في اضطراب، وتقول مع نفسها: ماذا أفعل؟ تورّطتُ، كلام من أسمع؟ هل أسير في هذا الطريق، أو لا؟ وعادةً ما يرى الناس حالاتهم الاضطرابية.

ويجب أن يملك الإنسان همّة عالية؛ حتى يستطيع أن ينقذ نفسه من هذه الاضطرابات، ومن ثم يطهّرها من كل تلك العيوب.

وبتعبير سماحة الأستاذ:

---

١. البقرة: ٢٢٢.

٢. هود: ٣ و ٥٢ و ٩٠.

٣. أصول الكافي، ج٢، باب في تنقل أحوال القلب، ح١.

«**يجب أن يكون للقلب همٌّ واحد**».

يعني: يجب أن يكون تمام الهمّ والغمّ في طريقٍ وهدفٍ واحدٍ، وإلا فإن القلب سيتشعّب، ويتعلّق في كل زمانٍ بشيء ما؛ ولذا فإنه سيضعف، ويتردّد في مواصلة الطريق.

يُنقل عن العارف الشيخ حسين قُلي الهمداني ـ رضوان الله عليه ـ أنه قال:

«لقد شقّ عليّ عدم وصولي إلى المراد، حتى جاء يوم كنت جالساً فيه في النجف ـ كأنه في إيوانٍ ما ـ فرأيتُ أن طيراً نزل إلى الأرض، وحاول أن يأخذ بمنقاره قطعة صغيرة يابسة جدّاً من الخبز، ولكنّه مهما حاول نقرها لم يستطع التقاطها؛ فتركها وطار، بعد لحظات رأيته قد رجع إلى تلك القطعة اليابسة من الخبز، وأخذ ينقرها بمنقاره، ولكنّها لم تنكسر، فطار مرّة أخرى، ثم رجع إليها بعد لحظات، فحاول معها حتى استطاع في النهاية أن يكسرها، ويأكلها، فألهمت عندها من هذا الطائر لزوم الإرادة والهمّة العالية في هذا المسير»[1].

وقال الأستاذ:

«اعلم أن نيل درجات المعارف السامية، ومقامات الكشف والشهود العالية إنما هو لصاحب العزم، والهمّة، والصبر، والاستقامة، لا لمن يُقبِل لمناسبةِ حالٍ ما، ولكنّه سرعان ما يرجع.

وفي هذا الموضوع يلزم التدقيق والتدبّر جيّداً في هذه الآية القرآنية:

---

١. نقل الأستاذ العلاّمة هذه الحكاية في كتابه النفيس «الإنسان في عرف العرفان»، الواقعة السادسة عشر.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ... ﴾[1].[2]

▣ تشتّت القلب موجب لسلب الإرادة

على الإنسان أن يجعل كل همّه في مسير واحد؛ حتى يُطَمئن، ويُهَدّئ نفسه بسهولة، وإلا فإن التشتّت موجب لسقوطه، فإنه في بعض الأحيان يتعلّق قلبه بالحياة، ولكنّه لا يحصل على شيء منها، واحياناً أخرى يلهث وراء أصدقائه، ولا يرضى، وأخرى يظن أن راحته بالزواج، ولكنّه بعد مدّة يرى أن حاله لم تستقر إلى الآن.

في بعض الأحيان يصبح الإنسان مبتلياً بتقلّبات القلب؛ فيكون تصميمه سلبياً؛ وسبب هذا كلّه هو إنه شتّت نفسه، ومن الصعب عليه جمعها، وعندها سيضطرب، ويتفرّق همّه، فيتعقّد ما كان حله سهلاً.

وكمثال على ذلك الشخص الذي يرى مريضاً يصرخ من شدّة الألم، ويطلب المساعدة، فإنه برؤيته لحال هذا المريض يضطرب كثيراً، ولا يعرف ماذا يفعل، هل يذهب لطلب السيارة، أو يبقى إلى جوار المريض، أو يخبر أقرباءه ورفاقه، أو أمّه وأباه؟ من جهة أخرى ربما يكون أبوه وأمّه في سفر ما، وهو لا يملك أجرة السيارة، وطبابة المريض في المستشفى، ترون أن الشخص في مثل هكذا حال يضطرب، ويتشتّت كل فكره؛ فلا يعرف ماذا يفعل، وكيف يتصرّف، وتسلب منه ـ حينئذٍ ـ القدرة على التصميم، وحين تسأله في أي حال أنت؟ يقول: أنا نفسي لا أعرف ماذا يجب أن أفعل أصلاً؟

---

١. فصلت: ٣٠.

٢. الإنسان في عرف العرفان، وارجع إلى الواقعة السادسة عشر من نفس الكتاب؛ فهي مفيدة جدّاً لك في المقام.

لا أستطيع أن أصمّم، فيُعلم أن هذا الشخص لم يجعل همّه وإرادته في مسير واحد، ولم يتحرّك باتّجاه واحد؛ فتشتّت، وأصبح العمل عليه صعباً؛ لذا توقّف عن التصميم، واتخاذ القرار المناسب.

أو تخيّلوا أن أحداً احترق بيته، ففي هذه اللحظة يصاب صاحب ذلك البيت بالصدمة والذهول، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً، في الحال الذي كان بمقدوره صبّ سطل واحد من الماء على النار في أول اشتعالها، وينتهي الأمر، ولا يصل إلى احتراق المنزل.

إن أكثر الناس هم أسارى اضطراباتهم، وتقلّباتهم النفسية، وهم يتوقّفون في هذه المرتبة، وهكذا هم أيضاً في أمور العمل، فإذا كان للشخص أكثر من عمل، فإنه سيصعب عليه أن يتحرّك في مسير صناعة النفس وتهذيبها، على الرغم من أنه مسلّط على إدارة عمله، ويعيّن لكل عمل خليفة ونائباً عنه؛ ذلك لأن النفس تكون مشغولة في هكذا موارد، فتقول له: إياك أن يخدعك فلان، ولا يوصل لك الربح مثلاً، وغيرها من الخدع.

وهناك مثال آخر: ترون أن الشخص قبل الزواج وتشكيل أسرة مستقلّة يكون مُحبّاً لأمّه وأبيه كثيراً، ولكنّه بمجرّد أن يتزوّج، فإن قسماً من محبّته ستذهب إلى زوجته؛ فيجد حُبّه شعبة أخرى، ويضطرب قلبه، وقليل هم الأشخاص الذين يستطيعون أن يوازنوا علاقاتهم مع الآخرين، وهذا هو مكان جولان القلب، فمتى ما رأيتَ أن ذهنك توجّه إلى عِدّة أمور، فاعلم أن ذلك هو مقام تقلّبات قلبك؛ لذا ورد عنهم عليهم السلام:

«...**اتّقوا الله، وأجملوا في الطلب**...»[1].

---

١. الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام وردت في الوسائل، ج١٢، ص٢٩، والروايات في هذا

وقال الإمام علي عليه السلام:

«يا ابن آدم، لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد أتاك؛ فإنه إن يك من عمرك، يأت الله فيه برزقك»[1].

انظر إلى النملة كم هي مضطربة، تتحرّك في كل لحظة إلى هنا وهناك؛ حتى تجد لها ذرّة من الطعام، فتأخذها بفمها، تأخذ الورقة الكبيرة لتحملها، فإذا رأت أنها لا تستطيع على ذلك تركتها من جانب، وحملتها من آخر، ثم تترك هذا الجانب، وتذهب إلى ذاك، وهكذا تجدها مضطربة، مشوّشة لا تعرف ماذا تصنع؛ لذا يمكن مشاهدة مقام اضطراب القلب في النملة جيّداً.

اسعوا لأن يكون دخلكم بمقدار ما هو كافٍ لحياتكم، ولا تلقوا بأنفسكم في المتاعب أكثر من ذلك، وإلا فهل يطلب الله منّا اليوم عبادة غدٍ؛ فنطلب منه اليوم رزق غد؟! لماذا تريدون رزق عمركم، وعمر أطفالكم بأكمله في ظرف عِدّة أيام؟ لماذا تتعجّلون؟.

إنّ تشتّت القلب، وتقلّبه يتركان أثراً حتى على جسم الإنسان، فالمرأة في البيت تتألّم، وتهم ببيتها وحياتها وأطفالها، فهي ليس لها همّ واحد، بل همومها متشتّتة؛ لذلك تبتلي بأمراض مختلفة.

وبشكل عام فإن الأشخاص مشتّتي الذهن، والفكر، والقلب يمرضون بسرعة، وسهولة، ويظهر تشتّتهم، وتفرّق همّهم هذا في أعينهم، وهذا مشهود للجميع، فهم كالسيارة التي تفرّقت أجزاؤها، ووقفت في مكان ما، فإن مثل هكذا سيارة لا يمكن أن توصل الشخص إلى أي مكان، فإذا أردنا السفر إلى

المضمون كثيرة جدّاً تجدها في المصدر نفسه.

١. نهج البلاغة، الكلمة: ٢٦٧.

ملكوت العالم، فعلينا أن يكون همّنا همّاً واحداً.

إن الأفراد الذين يتأثّرون بالمحيط، ويتحرّكون مع الريح، ويتغيّرون بكلام الآخرين، إن مثل هؤلاء تكون صداقتهم دون أساس مثل عداوتهم، ولن يصبحوا أهل عزم، وإرادة، وهمّة أبداً، ولن يُظهر العالَم لهم أسراره.

علينا أن نصير كالمَحرَم بالنسبة للعالَم؛ حتى تصير موجودات العالم مرآة لنا، وتظهر لنا الأسرار الإلهية، وكما يقول الإمام علي عليه السلام: إن الله ينظر إلى القلوب التي تطهّرت من التشتّت والتلوّث؛ لأن هذه القلوب أقبلت إلى الحقّ تعالى، فأنجاها من التفرّق، والشتات.

كذلك طهارة القلب تؤثّر في ظاهر الإنسان و وجهه، وقد جاء في القرآن قوله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿...**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُود**...﴾[1]، والمراد من الوجه المظهر الظاهري، والوجه الذي تصدر عنه الآثار الوجودية، فإن مشي المؤمن يعطي دلالة وانطباعاً عنه، وخضوع قلب المؤمن يكون سبباً في خضوع جميع مملكة بدنه وخشوعها.

وخطبة «المتقين» من «نهج البلاغة» مفيدة جدّاً في هذا المطلب[2].

فما أعجب مكانة الإنسانية، وهل أوصلنا أنفسنا إلى هناك؟ أإنّا لم نبع أنفسنا بأسعار زهيدة؟ وهل لنا غير النوم القلق، واليقظة المضطربة؟ فأي عمل من أعمالنا يسير على وفق البرنامج؟ علينا أن نتعلّم طريقة المعاشرة، والكلام، وحتى علينا أن نذهب إلى الدرس؛ لنتعلّم طريقة المشي الصحيح.

وبالتعبير الشريف لسماحة الأستاذ: «إن المسجد والحسينية بُنيت لذلك»،

---

١. الفتح: ٢٩.

٢. انظر: خطبة المتقين من نهج البلاغة.

لماذا يذهب الناس إلى الكسب والتكسّب قبل أن يتعلّموا طريقة الكسب الصحيح، وأسلوبه؟ ألا يجب على الطفل أن يتعلّم المشي والكلام من الآخرين؟.

نحن أيضاً علينا ـ من أجل تعلّم الطريقة الصحيحة للعيش ـ أن نأخذ العون من الأستاذ، فالأستاذ كالأمّ التي تأخذ الطفل بين ذراعيها، وتغذّيه؛ لينمو ويكبر، الأستاذ ـ أيضاً ـ يأخذ تلميذه بين ذراعيه، ويعلّمه العلوم والمعارف؛ ليربّيه.

أعزائي، كما أنكم تحسبون أموركم المادّية اليومية، وتدقّقونها، كذلك اجعلوا برنامجاً من أجل أعمالكم المعنوية، اسعوا لأن يكون مشيكم، وكلامكم، وجلوسكم، وقيامكم على وفق نظم وترتيب دقيقين؛ إذ إنّا جميعاً أطفال، والطفل ليس له القدرة على التنظيم الصحيح؛ لذا فنحن محتاجون لأستاذ الطريق.

وطبعاً علينا أن نسعى وراء الأستاذ، وبمجرّد العثور عليه علينا أن نتمسّك به، ونقول له: «يا من هو عندي عظيم كالأبّ، وعزيز كالأمّ، خذني كالطفل بين ذراعيك، وأعطني غذاء العلم، بيّن لي الحقيقة، وعلّمني كيف أتكلّم، وكيف أمشي، وكيف آكل، وكم أنام، وكم أعمل، وكم أدرس».

والخلاصة هي: أن نقول له بمنتهى الإخلاص والصدق: خذنا معك إلى ملكوت العالَم؛ حتى نصل إلى حقيقة القرآن، وأهل البيت عليهم السلام من خلال جدولك الوجودي.

قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم صلى الله عليه وآله ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾[1]، فالكل

---

١. النجم: ٤٢.

يريد أن ينتهي إلى ربّك يا محمد، ويصل إليه.

يعني: يريدون أن يذهبوا إلى الحقّ المتعال من خلال جدولك الوجودي.

إذن، فالحصول على الأستاذ الكامل، الغارق بنور التوحيد، و ولاية أهل البيت عليهم السلام هو الذي يجعل همَ الإنسان واحداً، وأن مِن طُرق توحيد الهمَ، هو الحصول على الأستاذ الكامل.

«والحمدلله ربّ العالمين»

المجلس التاسع عشر

- التقلّبات القلبية
- العرفاء مقيمون في مقام عندية الحقّ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ التقلّبات القلبية

قلنا ـ سابقا ـ إن القلب بوصفه واحداً من شؤون حقيقة الإنسان، فهو في حال تقلّب دائم بين عالمي الظاهر والباطن.

وبتعبير أهل المعرفة: إن حقيقة الإنسان، التي هي بلحاظ تعلّقها بالبدن، وعالم الظاهر تسمّى «نفس»، وبلحاظ تعلّقها بعالم الباطن والإله تسمّى «روح»، هي في حال ذهاب وإياب بين عالم الناسوت وعالم اللاهوت، فهي تنظر إلى هذه الجهة تارة، وإلى تلك تارة أخرى، وهم يعبّرون عن هذا الصعود والهبوط بـ «القلب»؛ إذ إن صعوده هو التوجّه إلى الملكوت وباطن العالم، وهبوطه هو التوجّه إلى عالم المادّة والظاهر.

والقلب الظاهري الذي هو قطعة من اللحم في داخل القفص الصدري ـأيضاً ـ له حالات مختلفة في كل لحظة، وضرباته بمنزلة منفاخ الهواء لنار بدن الإنسان.

نعم، إن هذا الظاهر عنوانٌ للباطن، لماذا؟ لأن روح الإنسان متقلّبة في كل لحظة، تارة تتوجّه إلى ذلك الجانب، وتتلذّذ به، وتارة تقع تحت تأثير المجتمع، والحياة، والصديق، والرفيق، والمعاشرة، والكسب، والعمل، وتغفل عن ذاك

الجانب من العالم؛ فتسقط، وتكون صلاتها وعباداتها الأخرى من دون توجّه والتفات، والشخص نفسه يفهم أن باطنه ثقل وانجذب إلى هذا العالم، وتارة يشعر الإنسان بالخفّة والراحة والهدوء، طبعاً إذا كان مراقباً جوارحه وأعضاءه، ولا يتكلّم بالسوء، ولا يسمع أي كلام كان، ويراقب نظره وطعامه و... .

إن الأشخاص الذين يكون حضورهم ـ نسبة إلى عالم الملكوت ـ قوياً، يقوّون توحيدهم، وهذا الذي قلناه من قبل بأنه يجب أن يحل التوحيد فينا بشكل كامل، وخصوصاً في تلك الأسطر الأولى من الدرس الأوّل من كتاب «دروس معرفة النفس» لسماحة الأستاذ، حيث يقول:

«...الوجود هو ما نشاهد، نحن موجودون، وغيرنا أيضاً موجود، نحن لسنا شيئاً غير الوجود، ولا يوجد عندنا شيء غير الوجود، ولا نجد شيئاً غير الوجود، ولا نرى شيئاً غير الوجود...»[1].

ثم يقول بعد عِدّة أسطر من نفس الدرس:

«...وأنا لا أعلم شيئاً أكثر بداهة من هذا الدرس...».

ولكنّك عندما تصير قوياً، وتقرأ كتباً أكثر، سترى أن أوضح هذه الدروس هو أعقدها، ويجب أن يحُل هذا الدرس في كل وجودنا.

إذا وصل الشخص إلى حقيقة التوحيد هذه، ففي الحال عينه الذي يحترق فيه قلبه، ويتقلّب فإنه لن يكون له تعلّق بنشأة الطبيعة، وعلى الرغم من أنه متوجّه إلى ملكوت العالم، لكنّه في حال اضطراب وصعود وهبوط، ولا شك في أن صعود هكذا شخص وهبوطه ليس دنيوياً، بل هو من أهل الله.

ولفهم هذا المطلب جيّداً عليكم مطالعة «ديوان» سماحة الأستاذ، إنه

---

١. دروس معرفت نفس، بداية الدرس الأول.

ـ حفظه الله ـ في أوّل ديوانه يعاتب القلب، ويقول: إنك طائر قدسي، ومن أهل الملكوت، فلماذا عطّلت نفسك، وأقعدتها عن الطيران إلى عالمك الأصلي؟.

(٥١). يا أيها الطائر القدسي، في هذه الخربة كثيرة الكمائن الشيطانية، والحيوانات المفترسة، وقطّاع الطرق.

أيها الطائر، أين تكون آمناً في هذا المكان المخوف؟ اعبر من هذا المكان إلى ذلك الجانب الآمن[١].

ثم ترون في غزل «لقاء الحبيب» أنه صار من أهل ذلك العالم، وقد غيّرته التجلّيات الإلهية؛ فيقول:

(٥٢). ببسم الله الرّحمن الرّحيم، إن التجلّيات مثل الريح الصرصر إلى النسيم[٢].

إن حقائق عالم الملكوت التي تعرض للإنسان، تارة تكون قوية كالزوبعة، والإعصار؛ فتجعل الإنسان معلّقاً كالريشة، ولا تُبقي له شيئاً غير الغياب والذهول عن نفسه.

ويعبّرون عن مثل هذه التجلّيات بـ «التمثّل بغير مثال».

والمقصود من «الصرصر» هو تلك الحقائق التي تهبّ على الإنسان كالعواصف والزوابع.

وتارة تكون التجلّيات الإلهية مثل النسيم العذب الذي يكون باعثاً على سكون الإنسان واطمئنانه.

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية، ومعناه: أن التجلّيات الإلهية التي تتجلّى للسالك تارة تكون شديدة كالريح الصرصر، وأخرى تكون رقيقة وناعمة كالنسيم.

▣ العرفاء مقيمون في مقام عندية الحقّ

إن فئة من الناس هم من أهل الآخرة، وقد حرّم الله الدنيا عليهم، وفئة أخرى من أهل الدنيا، وقد حرّم الله الآخرة عليهم، فقد جاء في الحديث:

«إن الدنيا حرام على أهل الآخرة، وإن الآخرة حرام على أهل الدنيا، وكلاهما حرامان على أهل الله»[1].

ولكن فئة أخرى مقامها هو ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾[2]، إنهم ليسوا من أهل الدنيا، ولا الآخرة، لا يسعون وراء اللذائذ الدنيوية، ولا يسعون للحصول على حور الآخرة وغلمانها، إنّهم المرزوقون الإلهيون، ورزقهم «مقام عند الله» كما يقول القرآن: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[3]. والجنّة هي مشتاقة لأصحاب هذا المقام.

(٥٣). طردنا العالمين من القلب؛ ليكون مقامك[4].

وقد نقل سماحة الأستاذ في تعليقاته على رسالة «آغاز وانجام»[5] للخواجة الطوسي رحمه الله هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله:

«إن الجنّة أشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّة»[6].

لأن سلمان نفسه يعلم أنه لمّا كانت الجنّة بهذه الحلاوة، فخالق الجنّة أحلى

---

١. عوالي اللئالي، ح ١٩٠.

٢. القمر: ٥٥.

٣. آل عمران: ١٦٩.

٤. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٥. أي: المبدأ والمعاد، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية وطبع في دار الهادي ببيروت تحت عنوان «التذكرة في المبدأ والمعاد».

٦. آغاز وانجام، ص ٢٧، والحديث مأخوذ عن سفينة البحار، مادّة «ع ش ق».

وأجمل.

إذن، فقليل الهمّة هو من يترك خالق الجنّة، ويذهب وراء الجنّة.

(٥٤). لماذا الزاهد يهوي الجنان، لِم يغفل عن ربّ الجنان[١].

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في النمط التاسع من «الإشارات والتنبيهات»:

«المُعرض عن متاع الدنيا، وطيّباتها يخصّ باسم «الزاهد»، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام، ونحوهما يخصّ باسم «العابد»، والمنصرف بفكره إلى قدس الجبروت، مستديماً لشروق نور الحقّ في سرّه يخصّ باسم «العارف».»[٢].

والانصراف هو الانقطاع الذي عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانيه:

«...**إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك**...»[٣].

ويعبّر عن هذا المقام أيضاً بـ «العندية»، و«الانقطاع إلى الله»، و«الانصراف إلى الحقّ»، و«التوجّه إلى ملكوت العالم»، والعارف يجد الطريق إلى هذا المقام من خلال التخلّي عن الرذائل الأخلاقية، والتجلية، والتخلّق بالأخلاق الملكوتية والأوصاف المحمودة، وهو يعلم في هذه المرتبة كيفيه التعلّق بالله، والتخلّق بأخلاقه.

إن على الإنسان أن ينصرف بحقيقته الوجودية عن كل ما سوى الله حتى عن الملائكة الإلهيين، عليه أن ينقطع عن غير الحقّ مطلقاً، ويتّصل بربّ العالم

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. الإشارات والتنبيهات، ج٣، ص٣٦٩.

٣. مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية.

فقط، وهذا لا يحصل بمجرّد الكلام والاستماع والفهم، بل يجب أن ينزل في روح الإنسان وحقيقته.

إن العارف لا يسوق حقيقته لا إلى السماء، ولا إلى الأرض، بل إلى ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**...﴾[١]؛ ولذا فهو لا يخاف من غير الله أبداً، ليس له خوف من جهنّم، الزاهد هو الذي يخاف، أمّا العارف فهو دائم التفكير برفيقه وصاحبه وحبيبه وحقيقة العالَم، ذلك الذي يقول عنه القرآن، خافوا من الله[٢]، ظاهره مَعَنا، لا مع النبي الأكرم ﷺ، ولا مع الشخص الذي يختلي مع الله في منتصف الليل، ويرتبط معه برابطة الأنس والمحبّة، هو يعرف أن الحقّ المتعال أقرب من نفس كل شخص إليه، ألم يقل الله تعال نفسه: ﴿...**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[٣]، و﴿...**أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**...﴾[٤].

نعم إن الحقّ يتجلّى لقلب العارف في كل لحظة، وهذه التجلّيات إذا كانت ثقيلة، فستكون باعثة على تزلزل أعضائه، ولكن ليس ذلك من الخوف إطلاقاً، بل إنّه نعمة إلهية تكون ظاهرة على الإنسان قبل إقبال الحقّ عليه.

وبتعبير القرآن: ﴿...**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**...﴾[٥]، وكذلك: ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ**...﴾[٦].

---

١. النور: ٣٥.
٢. آل عمران: ٢٨ ـ ٣٠.
٣. ق: ١٦.
٤. الأنفال: ٢٤.
٥. الحج: ٣٥.
٦. هود: ٣٢.

وكما قلنا إن مقام العندية على نوعين، فتارة يكون الحضور صعباً وثقيلا جدّاً إلى الدرجة التي لا يتحمّلها البدن، وتارة يكون باعثاً على الهدوء والوقار والسكينة[١].

(٥٥). ببسم الله الرّحمن الرّحيم، إن التجلّيات مثل الريح الصرصر إلى النسيم[٢].

أحياناً يكون التجلّي كالنسيم، لا يرتجف منه الجسم، ولا تخاف منه الروح.

فالمعشوق تارة يكون عطوفاً على العاشق، ومدلّلاً له، ويقول له: «عزيزي، لا تقلق، سِر في الطريق، وليكن توكّلك على حقيقة العالم، وستصل إلى مقصودك، واعلم أن توكّلك هو وصولك، يعني أن حركتك هي وصولك، وبمجرّد أنك تصمّم، فإنك تحضر في محضر الحقّ بقدر وصولك».

وفي هذا الحال يكون الله قد تجلّى له بأوصافه الجمالية، ويسلّيه بها، وهذه التجلّيات تشبه النسيم، والمقصود من «النسيم» هنا هو الهواء العذب الهادئ، الذي يهبّ أحياناً وقت السَحَر، وقد قال العرفاء: «إن من يستطع أن يستنشق نسيم السَحَر، لا يحتج في ذلك اليوم إلى أكل الطعام»؛ لأنه بواسطة هذا الاستنشاق يصير البدن طرياً جذلاً منتعشاً، فلا يحسّ عندها بالاحتياج للطعام، وكم كان من العظماء من لا يأكل سنوات كثيرة، ويطوون الأيام بنسيم السَحَر ذاك، وينعشون به أبدانهم وأجسادهم، إن هذا النسيم يلاطف الإنسان، ويعطيه مسحة روحية؛ لذلك يعبّر عن تجلّيات الحقّ الجمالية بالنسيم، وربّما لا يوقظه لصلاة الفجر؛ ليوقظ جرحه، ويجعله يفكّر بعلاج للرجوع، وأن كثيراً من

١. راجع الفص «٥٧» من «فصوص الحكم» للفارابي وشرحه، يعني: «نصوص الحكم»؛ فإنه مفيد جدّاً في هذا البحث.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

العظماء كانوا حين يستيقظون الصبح، ويجدون أن الشمس قد طلعت، ويرون أن صلاتهم صارت قضاءاً، تتقلّب مواجعهم، ويضحون في حالٍ عجيب حتى الغروب، ينتظرون متى يحل الليل ويحين السحر؛ حتى يجبر بالمناجاة ما قصّر عنه في النهار، فإن كل ذلك هو لطف إلهي وعشق الحقّ تعالى، وقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«قال رسول صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل إن من عبادي المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحّة في البدن؛ فأبلوهم بالغنى والسعة وصحّة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم.

وإن من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم؛ فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين.

وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي؛ فيقوم من رقاده، ولذيذ وساده، فيتهجد لي الليالي، فيتعب نفسه في عبادتي، فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين؛ نظراً منّي له، وإبقاءاً عليه، فينام حتى يصبح، فيقوم وهو ماقت لنفسه، رازئ عليها، ولو أخلّي بينه وبين ما يريد من عبادتي، لدخله العجب من ذلك، فيصيّره العجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه؛ حتّى يظن أنه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حدّ التقصير، فيتباعد منّي عند ذلك، وهو يظن أنه يتقرب إليّ.

فلا يتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي؛ فإنهم لو اجتهدوا، وأتعبوا أنفسهم، وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين، غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي، والنعيم في جنّاتي، ورفيع درجاتي العلى في جواري، ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلي فليفرحوا، وإلى

حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تداركهم، ومنّي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرّحمن الرّحيم، وبذلك تسمّيت»[1].

إن الله يجعل الإنسان مأنوساً به من خلال ذلك التجلّي، وحينما يرى الله أن الإنسان صار مأنوسه، وأراد أن يجعل الحقائق تحت اختياره، عندها يتجلّى له بالتجلّيات الثقيلة والصعبة.

وأن هذه التجلّيات ـ بشكل كلّي ـ تذهب بالقلب؛ لأنها تظهر بالجلال، والله تعالى يُعشق بهذه الطريقة.

وبالتعبير الجميل لحافظ، حيث يقول: «دلبر برفت ودلشدگان را خبر نكرد».

يعني: لقد مضى الحبيب، ولم يخبر بذهابه العشّاق [الذين أضاعوا قلوبهم من أجله].

أي: إنهم أعطوا قلوبهم للمعشوق، فصاروا من غير قلب؛ ولذا لن تصلهم رسائل ذلك المعشوق؛ إذ إنهم لا قلوب لهم.

وبتعبير المناطقة «سالبة بانتفاء الموضوع».

وإذا وصل الشخص إلى هذا المقام، فقد وجد الطريق إلى مقام العندية، حيث لا دنيا ولا آخرة؛ لذا يقول الأستاذ ـ حفظه الله ـ وعلى سبيل المطايبة والملاطفة:

«نحن لا دنيا لنا، ولا آخرة، لا دين لنا حتّى يسرقه الشيطان، ولا دنيا لنا حتّى يسرقها اللصوص».

---

١. أصول الكافي، ج٢، باب الرضا، ح٤.

لأن الشخص الذي جعل قلبه تحت اختيار الحبيب، والمعشوق يُمسي لا قلب له حتّى يقول: «الدنيا أخذت قلبي، أم الدين».

وبقول أحد الشعراء:

أنا لست رجل هذا الجانب، ولا ذاك، أنا أسير قلب محبوبي، ومعشوقي.

إن عِدّة من الناس هم أهل هذا الجانب، ويعيشون هنا مثل الحيوانات.

يُروى أن أحد أصحاب الإمام السجاد عليه السلام قال له عليه السلام ـ وكانوا في عرفات أيام الحج: ما أكثر الحجيج؟!.

فقال له الإمام عليه السلام:

«**بل ما أكثر الضجيج، وأقل الحجيج**»[1].

وفئة أخرى هم أهل ذلك الجانب.

يعني: أن جميع أعمالهم هي بسبب طمعهم بالجنان والوصول إلى الحور والغلمان، أمّا سماحة الأستاذ، فيقول:

«أنا لستُ من أهل هذا الجانب، ولا من أهل ذاك».

وهذا الذي يعبّر عنه الإمام الخميني رحمه الله بقوله:

«...**صرتُ كالحلاج شارياً لمشنقتي**».

فهو كلام عن مقام العشق.

وعارف آخر يقول:

(٥٦). لماذا أنا لا علم لي بنفسي؟ من أنا حتى أقول: أنا؟![2].

---

١. بحار الأنوار، ج٩٦، ص٢٥٨.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

إن الشطر الثاني من هذا البيت يبيّن مقاماً عاليا جدّاً، وهو إن كل ما يرى الإنسان فهو هو ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...﴾[١]، وهذا هو أعلى مقامات طهارة القلب.

إن مثل هكذا قلب ـ وصل إلى هذه الطهارة وهذا المقام ـ قد تخلّص من كل كثرات الدنيا والآخرة، إن مثل هكذا قلب ليس له شغل لا بالجنّة، ولا بجهنّم، صاحب هذا القلب هو الإمام الحقّ أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال مخاطباً الله تعالى:

«ما عبدتك طمعاً في جنّتك، ولا خوفاً من نارك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة؛ فعبدتك»[٢].

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتّى عمي، فردّ الله عزّ وجل عليه بصره، ثم بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب، إلى متى يكون هذا؟ أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النار، فقد آجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة، فقد أبحتك.

فقال: إلهي وسيّدي، أنت تعلم أنّي ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنّتك، ولكن عقد حبّك على قلبي، فلست أصبر، أو أراك...»[٣].

وورد أيضاً أنه مما جاء في صحيفة إدريس عليه السلام عن الله تعالى:

«طوبى لقوم عبدوني حبّاً، واتخذوني إلهاً وربّاً، سهروا الليل، ودأبوا النهار

---

١. الحديد: ٣.

٢. بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٧٨.

٣. المصدر السابق، ج١٢، ص٣٨١.

طلباً لوجهي، من غير رهبة ولا رغبة ولا لنار ولا جنّة، بل للمحبّة الصحيحة والإرادة الصريحة والانقطاع عن الكلّ إليّ»[١].

وهنا يوجد أفراد من الجهلة، ظاهرهم التديّن، يؤثّرون على الإنسان كثيراً، ويجرّونه إلى هذا الجانب وهذه الدنيا.

وبتعبير سماحة الأستاذ في «الهى نامه»:

«إلهي، إن كان حسن جهنّمياً، فاجعل رفيقه جهنّمياً عاقلاً»[٢].

فإن الجاهل غير مَحرَم؛ إذ إن الجهل ليس مَحرَماً للعلم، الجهل ظلام، والعلم نور، والظلمة ضد النور.

إلهي، إذا أردتَ أن تأخذني إلى جهنّم، فخذني، ولكن لا تجعلني قريباً من الجهلة.

كذلك عُبّر عن الدنيا بأنها «غَرور»، أي: خدّاعة للآخرين، ولمن هم من أهلها واللاهثين ورائها؛ لذلك فهم لا يرون الحقّ الذي تجلّى في كل ذرّة من ذرّاتها.

أمّا أولئك الذين طلّقوها، فهم يرون الحقّ في كل مظهر من مظاهرها، ولا يرون لأنفسهم، أو أفعالهم أي أثر، ولا يعتبرونها إلا محض التعلّق بالحقّ، فهم لا يقولون ما يقوله أهل الدنيا: «نحن مستقلّون في أفعالنا»؛ إذ هم لا يرون إلا ﴿...**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**...﴾[٣]؛ ولذا فهم دائماً في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويشاهدون الآن القيامة الكبرى ويوم تبلى السرائر.

---

١. بحار الأنوار، ج٩٥، ص٤٦٧.

٢. الهى نامه، ص٧٢، رقم: ٤٣٣.

٣. الحديد: ٣.

إذن، فواحد من طرق جمع الهمّ وتوحيده هو العثور على مثل ذلك الذي لم تغرّه الدنيا، بل قد عبرها، ولم يأخذ منها إلا بمقدار نصيبه الذي قال عنه تعالى: ﴿...**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**...﴾[1].

أعزائي، اسعوا لئلا تأخذوا من الدنيا إلا بمقدار نصيبكم، فلا تعطوها من أنفسكم أكثر من ذلك؛ فيتشتّت همّكم وعزمكم وإرادتكم، وهذا ما يشوّش الخيال، ويجرّ القلب إلى القلق والاضطراب.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. القصص: ٧٧.

المجلس العشرون

- القلب مأوى الحقّ
- حاكمية الوحدة في القلب
- وجوب انتخاب برنامج واحد عند أستاذ واحد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ القلب مأوى الحقّ

ثم قال الأستاذ:

«وفي الكافي بإسناده عن سفيان بن عيينة قال: سألته ـ يعني: أبا عبد الله عليه السلام ـ عن قول الله عزّ وجل ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]؟.

قال عليه السلام: القلب السليم الذي يلقى ربّه، وليس فيه أحد سواه»[2].»[3].

وقال الصادق عليه السلام:

«اَلْقَلبُ حَرَمُ اللهِ، فَلا تُسكِنُوا حَرَمَ اللهِ غَيْرَ اللهِ»[4].

ونقل ـ أيضاً ـ بعبارة «فلا تُدخل»، وعندها يكون المعنى: ليس فقط لا تجعل للغير مكاناً في القلب، بل ولا تُدخل أحداً فيه أصلاً، فأنت ليس لك الحقّ بذلك.

والظاهر أن رواية «**فَلا تُسكِن**» أقوى؛ ذلك أن عدم إدخال الغير في القلب

---

١. الشعراء: ٨٩.

٢. أصول الكافي، ج٢، باب الإخلاص، ح٥.

٣. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص ٤٣.

٤. بحار الأنوار، ج٧٠، ص ٣٥.

مختصّ بالانبياء والأئمة عليهم السلام، وأولئك ـ فقط ـ لهم القدرة على ألّا يدعوا غير الله يدخل إلى قلوبهم، وأمّا غيرهم من عوامّ الناس، فليس لهم القدرة على أن يمنعوا غير الحقّ من الورود إلى القلب، فالإمام عليه السلام يقول: إذا لم تكن عندك القدرة على منع الغير من الورود، فلا أقلّ لا تُسكنه فيه، وامنعه من ذلك، واجعل الله ـ فقط ـ صاحب القلب.

▣ حاكمية الوحدة في القلب

قال الأستاذ: «**يجب أن يكون للقلب همّ واحد**»، متى ما رأيتَ أن هناك قدماً للكثرة والاختلاف والتشتّت، فاعلم أنه قد أغلق طريق اطمئنان النفس.

إن التشتّت، والاختلاف في أي شغل أو محيط، أو ارتباط مع الأصدقاء يمكن أن يكون خطراً، مثلما أن سائق «التاكسي» الذي يقلّ أناساً مختلفين من الصباح إلى المساء في العمل مع الشيخ، والعجوز، والشاب الخليع، والشاب المؤمن، والموظف، والعامل، والكاسب، وغيرهم، ويشاهد إنزعاجاتهم، ومشاكلهم؛ لذا ترون عادة ما تكون أعصاب سائقي التاكسي متوتّرة، ومزاجهم سيّئاً؛ وهذا بسبب ذلك التشتّت، والتفرّق، والتعامل، والتصادم مع الأفراد والأشخاص المختلفين من الناس، كذلك الوقوف في طابور الخبز، أو غيره موجب للتشتّت، وبشكل عام أينما وجدت أناساً مجتمعين ولا سعة لهم لتحمّل الآخر، فاعلم أن ذلك المكان هو مكان خطر، وأسع لتركه سريعاً؛ فليس من اللازم أن تذهب إلى شراء الخبز ثلاث مرّات في اليوم، اذهب لشراء الخبز مرّة واحدة واستخدم ما تشتريه لليوم كلّه، ولا تذهب مرّات كثيرة إلى هكذا أماكن، وتلتقي بهكذا أفراد، ومن ثم تخرّب حالك [الروحي والمعنوي]، كذلك الاختلافات في المنزل، وبين الأصدقاء، والأقارب، والمجتمع؛ فإنها

موجبة لتشتّت الإنسان.

وفي المقابل أينما رأيتَ أن الوحدة هي الحاكمة، ووصلتَ إلى الاطمئنان والهدوء، فاعلم أن الله تعالى موجود في ذلك المكان.

إذا أردتَ أن تعرف أن الذهاب إلى السفر جيّد أم لا؟ عليك أن ترى أيجد قلبك الوحدة في هذا السفر أم يكون أسيراً للكثرة؟ فالذهاب للزيارة والرجوع بالخلاف والاختلاف، والبغضاء والتشاحن لا قيمة له أبداً، فما فائدة هذه الزيارة إذن؟! إذا استطعت السفر وحدك أو مع عائلتك، فالسفر مع الأصدقاء أو بالقافلة ليس جيّداً؛ لأن الإنسان إذا كان وحده سينتفع كثيراً ويأكل قليلاً، ولكن إذا كان مقرّراً أن تسافر مع الأصدقاء ـ مثلاً ـ أو غير العائلة، فسيكون لازماً عليك أن تصرف مقداراً أكثر من المال وتأكل جيّداً مع الآخرين، و.... وبمثل هذه السفرات لا يرتبط القلب بالله تعالى.

وإذا كان عندك صديق يُفرّق كلامه قلبك ويشتّته، فاعلم أن ذلك الصديق هو بمنزلة سمّ لروحك، إلا إذا كان له الهدف نفسه الذي تصبو إليه.

طبعاً:

وحـــدة الـمـرء خيـــر من جليس السوء عنـده
وجليـــس الخيـر خيـــر من جلوس المرء وحده

وبشكلٍ عام يجب حفظ وحدة القلب بكل ما يمكن، وعلى الإنسان أن يكون قوياً إلى الدرجة التي يمكن له معها أن يمارس أعماله الاجتماعية مع حفظه وحدة قلبه[1].

---

١. بعض الأعزّاء، ومن باب الأخوّة استشاروني من أجل الذهاب لعمل حسّاس وشاقّ، وقالوا لي: إنّه تكليف. فقلت لهم: إذا كان عندكم تقوى سلمان، فاذهبوا، وإلا فسيكون

كنّا نقرأ كتاب «الأسفار» على سماحة الأستاذ، وفي ذلك الدرس رأيتُ أحد الطلبة من الجالسين في الصفوف المتقدّمة، وكنت أظن أن ذلك الشخص من خواصّ الأستاذ والمقرّبين إليه، وفي يوم من الأيام كنتُ مع الأستاذ بعد الدرس، فجاء ذلك الشخص إليه، وقال:

«أردتُ أن أذهب إلى العمل الفلاني، وقالوا لي: عليك أولاً أن تحضر إمضاءاً من الأستاذ الذي تدرس عنده، والله شاهد عليّ أني لا أستاذ لي غيرك، فإذا كان ممكناً أمضوا لي أسفل هذه الورقة».

فقال الأستاذ:

«أين تريد أن تذهب؟».

فقال ذلك الطالب:

«سأصبح نائباً في المكان الفلاني من البلد».

فقال الأستاذ:

«وماذا سيحصل إذا لم تذهب؟».

فأجاب:

«إنهم يحتاجونني، وأظن أن قبول ذلك تكليف شرعي».

فقال الأستاذ:

«أبداً ليس تكليفاً شرعياً؛ إذ يوجد الكثير ممن يمكن أن يكون في هذا المقام، إنك تظن أنه تكليف شرعي».

ثم قال الأستاذ:

الأمر خطراً عليكم، وعلى الآخرين، ويوجد من الناس من لا يستشير أبداً، ويقبلون تلك الأعمال والتكاليف، ويمضون بالعمل، وعندها يقع مالا يحمد عقباه.

«أنا أحصل عليكم ـ من كل البلد ـ أنتم العِدّة أشخاص... وإذا رأيتُ في يوم من الأيام أن هناك عملاً في البلد يحتاجني، ولا يوجد من هو مثلي، أو أفضل منّي للقيام به، فأنا نفسي سأعطّل الدرس، وأشتغل بذاك العمل، ولكني أرى أن الأمر ليس كذلك، وأنا أريد منكم ـ أنتم المجموعة الصغيرة الذين تحضرون الدرس ـ أن تواظبوا على دروسكم؛ حتّى نستطيع أن نوصل لكم الحقائق التي عندنا».

ولكن ذلك الشخص لم يسمع الكلام، ولم يمض وقت طويل إلا وقد ترك الدرس واشتغل بذاك العمل.

معلوم ـ هنا ـ أن قلب ذاك الشخص لم يكن له همّاً واحداً ليعطي القلب للدرس؛ حتّى يحصل على العلوم والمعارف.

▣ وجوب انتخاب برنامج واحد عند أستاذ واحد

والآن ماذا يجب علينا فعله؛ حتى نكون موحّدين، [وتكون هممنا مجتمعة، وغير مشتّتة]، ونتخلّص من التشتّت [وضعف الهمّة]؟ أنا أقترح عليكم طريقاً ما، وهو علينا أن نحدّد ونعيّن لأنفسنا مسيراً علمياً، ونخصّص وقتاً لفهم الحقائق التي يتضمّنها ذلك المسير ونتعب من أجل ذلك؛ وذلك لأنّا بشر، ولا يمكن أن يكون الإنسان إنساناً من دون علم.

وإلى جانب ذلك يكون لنا عمل من أجل الكسب الحلال، ولا نترك ذلك أبداً؛ إذ لا حاجة لتغيير العمل.

واجعلوا مجموعة مؤلّفات لعالِم ما معياراً لأنفسكم؛ ولأن هذا المسير ليس سهلاً، فأنتم بحاجة إلى الأستاذ، اذهبوا عنده ساعة واحدة في اليوم، أو عِدّة ساعات في الأسبوع، وادرسوا على وفق نظام وجدول محدّدين، ومعيّنين،

وارتقوا إلى المقامات العالية.

فمثلاً يمكن لكم أن تنتخبوا كتب الإمام الخميني ﷺ أو الشهيد مطهري ﷺ أو كتب الأستاذ العلاّمة حسن زاده آملي ـ حفظه الله ـ

ولكن عليكم أن تعلموا أن قراءة كتب متفرّقة ومختلفة يجعل القلب مضطرباً، وعندها لن يصل الإنسان ـ بهكذا أسلوب ـ إلى أي مكان، كما أن التحقيق في موضوعات مختلفة في زمان واحد لا يثمر شيئاً.

كان العلاّمة الحاج السيد محمد حسين الطهراني ﷺ من طلبة العلاّمة الطباطبائي ﷺ وقد ارتحل إلى الرفيق الأعلى في مشهد قبل سنتين، وكان من أهل القلم، وقد كتب كتباً كثيرة، وربّى طلبة كثيرين، ولكنّه لم يكن يسمح لهم إطلاقاً بأن يطالعوا كتب الآخرين، كان يقول:

«طالعوا الكتب التي كتبتها بيدي؛ لأنها كتبت على وفق نَظم وبرنامج، ولمّا كنتم قد جئتم عندي؛ فعليكم أن تعملوا بما كتبت».

طبعاً، هذا لا يعني أن كتب الآخرين ليست جيّدة، بل إن ذلك من أجل أن السالك في أول الطريق حين يرى المناهج المختلفة للسير والسلوك، فإنه سيتحيّر ولا يعرف إلى أين يتّجه، وبأي منهج يأخذ؛ وحتّى لا يمرّ بمثل هذا الحال فعليه أن يأخذ بتعاليم الأستاذ فقط.

إذا أردتم أن يكون قلبكم ذا همٍّ واحد، فعليكم أن تلتفتوا إلى مطالعاتكم، وتجعلوها باتّجاه واحد، أو تطالعوا بشكل موضوعي، مثلما أنّنا الآن مشغولون في بحث الطهارة وما يتعلّق بها فقط، فهمّنا واحد فقط.

اعزائي، انتبهوا لئلا تكون العلاقات الاجتماعية عارضاً ومانعاً في طريقكم، إنكم تحبون الإمام الخميني ﷺ والشهيد مطهري ﷺ كليهما، ولكنّكم إذا أردتم

أن تصنعوا أنفسكم وتهذّبوها على أساسٍ ووفق كتب الإمام، فعليكم ألا تقرءوا كتب الشهيد مطهري، وإذا طالعتموها، فقد ضررتم أنفسكم، وإلا فهل أنتم ـ من أجل الدراسة ـ تذهبون وتسجّلون أسماءكم في أكثر من مدرسة؟! وإذا افترضنا أنكم فعلتم هذا، فبالنهاية عند من تقدّمون الامتحان؟ ولمن تكون مسؤولية الاهتمام بكم وبتعليمكم من البداية إلى النهاية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فاعلموا أنكم لم تفعلوا شيئاً ولم تحصلوا على شيء، احترموا جميع المؤلفين، ولكن عليكم أن ترفعوا قدماً من إحدى الجهات حتى توفّقوا، وإذا وصلتم إلى التوحّد، واجتماع الهمّة، وتنزّلت الحقيقة في نفوسكم حينئذٍ يمكن لكم أن تطالعوا الكتب الأخرى.

الحمد لله ـ بعد انتصار الثورة ـ صار الإقبال على المطالعة وسماع الأشرطة الصوتية عالياً جدّاً، ولكن للأسف تشتّتنا وتفرّقت هممنا ولم نصل إلى النتيجة؛ لأن ذلك لم يكن على وفق برنامج ومنهج خاصّين، ولا يمكن أن يعطى بستان إلى مسؤولين كثر، وبتعبير المثل: «كثرة الطبّاخين تفسد الطبخة»[1]، وبتعبير القرآن الكريم ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا**...﴾[2]، ونحن نعرف الكثير من الأعزاء الذين وجّهوا مطالعاتهم ونظّموها بعد انتصار الثورة، وقد وفقوا في حياتهم، والحمد لله.

أعزائي، في البداية ومن أجل الحصول على التوفيق؛ اشتركوا في أكثر من درس ومجلس، ثم اختلوا بأنفسكم وانظروا إلى أيٍ مِن هذه الدروس والمجالس تميل قلوبكم، وانتخبوا ما كان موافقاً لميل القلب واسعوا من أجله،

---

١. قاموس الأمثال، ص١٠٢.

٢. الأنبياء: ٢٢.

فهدفنا هو الحصول على الإنسانية.

وكمثال على ذلك، الطبّاخون الذين يريدون أن يطبخوا طعاماً ما وتكون لهم أساليب مختلفة، فهل يمكن أن يُطبخ طعام واحد على نار الحطب، ونار الغاز، وفي الفرن الكهربائي في آن واحد معاً؟! حتماً لا يمكن أن يطبخ ذلك الطعام بهذا الشكل، والتقصير ليس من نار الحطب، أو نار الغاز، أو غيرها، بل أنت المقصّر؛ إذ فعلت هكذا مع الطعام.

فإذا كنتَ قد وجدت أستاذاً في مدينة بعيدة ـ مثلاً ـ وكانت دروسه مطابقة لمعيارك الداخلي، فعليك أن تذهب وراء ذلك الأستاذ.

وقد جاء في رواياتنا المباركة:

«**اطلبوا العلم، ولو بالصين**»[1].

إذن، فالشرط الأول لهذا السير والسلوك العلمي والعملي، وكذلك الشرط الأول للفهم الكامل لكل آية ورواية وحديث هو أن يكون لكم أستاذ؛ حتى يُرجِع جميع كثرات الآيات، والروايات، والأحاديث إلى وحدة واحدة ويلقيها إليكم.

ولا نسلب أصل الاختيار؛ إذ إن الإنسان خُلق حرّاً، وعليه أن يكون حُرّاً في الانتخاب.

ولمّا كان القلب بيد الله، حيث قال: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...**﴾[2]، فاذهب أول الأمر بحرّية إلى كل درس وبحث ومنبر وعندما يميل قلبك ـ بإذن الله وببركة التوسّل بأهل البيت عليهم السلام ـ إلى أستاذ ما على وفق ميزان

---

١. بحار الأنوار، ج١، ص١٧٧.

٢. يس: ٨٣.

القرآن، وأهل البيت عليهم السلام، وأحسستَ الأنس معه، فعليك حينئذٍ أن تنقطع إليه من الآن فصاعداً، وعليك أن تسلّم له نفسك إذا رأيته حاوياً للمعيار الإلهي ويمكن له أن يرفعك إلى المراتب العالية وينجّيك من عقبات الطريق، فتتوحّد في مسير واحدٍ لتوفّق للقاء الله تعالى.

طبعاً أنبّه وبشدة على الدقّة في انتخاب الأستاذ؛ لِئلا تقع بيد من لا يكون لك مَحرَما، فإن قطّاع الطريق كثيرون.

«والحمد لله ربّ العالمين»

المجلس الواحد والعشرون

- منافاة التوحّد مع التعلّق
- اجعل من نفسك معيار نفسك
- الأستاذ الحقيقي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ منافاة التوحّد مع التعلّق

قلنا ـ سابقاً ـ إنه كلّما جمعنا و وحّدنا عزمنا وهمّتنا أكثر، وفقنا في أمورنا اليومية أكثر، وكلّما كانت مطالعاتنا، وأمورنا الحياتية الأخرى متفرّقة ومشتّتة أكثر، فالنفس ستتفرّق وتتشتّت أكثر، وستتأخّر في الوصول إلى المقصود، وطبق أصل السنخيّة؛ ولمّا كان الله تعالى واحداً، فهو يريد محلاً واحداً أيضاً؛ شريطة أن يكون ذلك المحلّ حاوياً التوحّد؛ لذا فبالكثرات، والتعلّقات المختلفة، فإن الطهارة ـ التي هي استقرار الحقّ في قلب الإنسان ـ لن تحصل أبداً.

قال سماحة الأستاذ في هذا الخصوص: «...**التعلّق لا ينسجم مع التعقّل**...»، وأنتم ترون أن في تعلّم المسائل العميقة الفلسفية والرياضية، وإدراك المسائل العلمية كلّما كنتم أكثر هدوءاً وطمأنينة، كان تعلّمكم وإدراككم أكثر، وحتّى حرارة الجو أكثر من الحدّ، والجوع أو الشبع المفرط هي عوامل تشغل النفس وتشتّتها.

وبشكل عام، فإن كل شيء يشغل النفس ويبعّدها عن التجمّع والتوحّد يكون باعثاً على تفرّق القلب وتشتّته، وأن القلب المتفرّق والمشتّت لا يمكن له أن يكون محلاً لظهور حقائق العالَم، فلا يظهر العالَم لهذا القلب، ولا يحل

الله تعالى فيه، فتوحّد القلب باعث لنزول البركات إلالهية.

▣ اجعل من نفسك معيار نفسك

نؤكّد مرّة أخرى أنه يجب أن تنظّموا مطالعاتكم؛ حتى تجدوا التوحّد، واجتماع الهمّة، فإذا أردتم أن تطالعوا حول موضوع كالتوحيد مثلاً، فاجمعوا الكتب في هذا الموضوع، واستأنسوا بها، وبقراءتها؛ حتى يرسخ ذلك البحث في قلوبكم وأرواحكم، وكذلك ـ وكما قلنا سابقاً ـ اسعوا لأن تجعلوا محوركم مجموعة معيّنة من الكتب، ثم بعدها ستصبحون أقوياء، فتكونون معيار أنفسكم، وعندها ستستطيعون أن تطالعوا الكتب المختلفة وتجمعوها في نقطة واحدة، وستكونون ـ أيضاً ـ ميزاناً للفهم، يعني: تأخذون ما وافق طبعكم ونسجكم من الكتب والمؤلّفات، وتُرجعون ما لم يوافق ذلك إلى أهله، ولكن ليس معنى هذا أنَّ ما لم يطابق طبعكم من الكتب فهي باطلة، لا ليس الأمر كذلك؛ إذ من الممكن أن يطابق ذلك مزاج أناس آخرين؛ ذلك لأن الكتب، والمؤلّفات التي ترد السوق والمكتبات من كتّاب مختلفين هي بمنزلة البضائع المختلفة، والشخص ينتخب منها الأفضل لِما يطابق ذوقه ورغبته، فيقرأه، وكم هي كثيرة الكتب التي تكون هي الأفضل بنظر شخص ما، ولا تكون كذلك بنظر آخر مثلاً، كما أنك الآن تلبس لباساً معيّناً بحسب ذوقك، وربّما لا يناسب ذلك أذواق كثير من الأفراد الآخرين، وعلى الرغم من أن هدفنا جميعاً من لبس الملابس هو ستر أبداننا، ولا يختلف أحد منا في ذلك، ولكن في الحال نفسه، فإن الأذواق مختلفة في قبول أصل النوع والكيفية واللون وغيرها، وعدم قبوله.

أعزائي، اجعلوا أنفسكم معيار انتخابكم للكتب، انظروا ماذا يؤثّر فيكم،

ويرفعكم إلى العروج من كتب فاسعوا وراءه.

ويحب الالتفات ـ طبعاً ـ إلى أن طريق القلب على الرغم من أنه جيّد، وقصير جدّاً، إلا أنّه ضيق وخطر جدّاً، وعلى الرغم من أن طريق العقل طويل ومتعب، إلا أنه في هذا المقام عموماً ما يصل الطالب إلى المقصد، ولكن في مسير القلب من الممكن أن تصل إلى المقصد إلا أنك ستبتعد كيلومترات طويلة بزلّة وهفوة صغيرة واحدة فقط، وعندها عليك أن تتعب وتجتهد مرّة أخرى لتبدأ الطريق من جديد؛ لذا أنتم لا ترون أبداً الفلاسفة أو الأشخاص الذين طووا طريق العقل قد دخلوا إلى تلك الـ«خانقاه»[1]، كذلك لم تروا أبداً أشخاصاً مثل الخواجة نصير الدين الطوسي قد أطلقوا شعرَهم أكثر من الحدّ، أو تبجّحوا بالقول: «نحن أضحينا من أهل القلوب فتركنا الظاهر»، ولكن عادة ما يكون هذا الخطر محدقاً بطريق القلب، وأرض الضلال كثيرة هنا؛ لهذا السبب قال الأستاذ: يجب أن يكون للقلب همّ واحد، ويجعل جميع اهتماماته حول محور واحد، وإلا فسيكون أسير الاضطراب والتشتّت، وعندها ـ والعياذ بالله ـ سيكون هذا المرض سبباً لأمراض جسمية كثيرة كالشيخوخة المبكّرة، والعصبية في الأسرة، والمشاكل مع الأصدقاء وأفراد المجتمع، وغيرها.

في هذا الموضوع عليكم أن تلقوا نظرة إلى «ديوان» سماحة الأستاذ؛ لكي تروا كم هي ثقيلة وصعبة تقلّبات القلب التي حصلت لسماحته في مقام التوحّد، فضلاً عن تقلّبات القلب في مقام التكثّر والتشتّت، فالشخص الذي يريد أن يصل إلى مرضه ليعالجه، ويسير في مسير خاصّ، لا طريق أمامه غير أن يضع له برنامجاً منظّماً.

---

١. مكان للذكر والرقص عند بعض مدّعي التصوّف.

نحن لا شغل لنا مع من عكف على الظاهر، وتوقّف عنده، وحرم نفسه من الارتقاء، وأراد أن يعيش حياة عامّية سطحية، إن أمثال هؤلاء مختارون، ويفعلون ما يشاؤون، ولكن من الممكن أن تكونوا ـ أنتم ـ من أهل الهمّة، فتقولون: إنهم عندما وضعوا أمامي سُلّماً من عشرة درجات ـ مثلاً ـ فلماذا أتوقّف عند الدرجة الأولى ولا أصعد أكثر؟ لماذا لا أطوي السماوات السبع، وآلاف المراتب الوجودية كخاتم الأنبياء ﷺ؟ فإذا أردتَ أن تكون هكذا، فعليك أن تجعل لك برنامجاً لسنوات كثيرة، وعليك أن تواظب على برنامجك في الوقت نفسه الذي تحرس فيه أعمالك اليومية، وتحافظ على هدوء محيط عيشك وحياتك.

واعلم أنك إن وضعت لنفسك برنامجاً في هذه الليلة، وغادرت الدنيا في الصباح التالي، فإن رزقك بهذا المقدار، وعليك أن تكون شاكراً، فهم لا يريدون منك أكثر من هذا، وعليك ألا تكون بخيلاً وحسوداً أبداً؛ فإن كل شخص سيأخذ بمقدار سعته، فلا الله تعالى له خلاف معنا، ولا نحن لنا خلاف مع عباد الله، وأنت إذا أردتَ أن تعطي القلب للمعشوق عليك أن تكون من أهل الهمّة، وتسير بحركة منظّمة، وعليك أن تعطي يدك إلى أستاذ رؤوف، فتنمو تحت ظل ولايته، وعندما تصبح نفسك معياراً وميزاناً، عندها يمكن لك أن تنير الدرب للآخرين.

▣ الأستاذ الحقيقي

لاشك في أن المراد من إعطاء النفس إلى الأستاذ وجعلها تحت ولايته، هو الأستاذ الذي يكون نفسه من أهل الولاية.

وميزان ذلك هو أن يكون قد صنع نفسه وهذّبها على وفق القرآن الذي

يهدي للتي هي أقوم[١] وسنّة النبي صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام، وكانت حالاته ومكاشفاته مطابقة لهذا الميزان؛ ذلك لأن حديث الثقلين عرّف لنا الميزان ـ كما مرّ معنا مفصّلاً في المجلس العاشر ـ

ثم يجب الدّقة في البحث عن الأستاذ، ومن رأيته ممن يدّعي أنه أستاذ، وكان بعيداً عن هذا الميزان، فعليك أن تبتعد عنه، وتكون منه على حذر؛ لذا قال أستاذنا حضرة العلاّمة حسن زادة الملي:

«رافقتُ العلّامة الطباطبائي سبعة عشر عاماً، ونهلتُ منه في العلم والعمل، فلم أر منه أي مكروه، فقد كان بحقّ أستاذاً قرآنيا»[٢].

وعلى أي حال، فميزاننا واضح؛ إذ هو القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام، وإن مثل هكذا أستاذ قرآني يستطيع أن يأخذ بأيدينا إلى المقصود، وينجينا من الانحرافات والمهلكات.

وسيأتي لهذا المطلب زيادة بيان في الأبحاث الآتية إن شاء الله تعالى.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. إشارة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾، الأسراء: ٩.

٢. مجموعه مقالات، ص ١١ ـ ١٣ ـ ١٩، و«نامه ها برنامه ها»، أي: برامج ورسائل، ص٢٣٢.

المجلس الثاني والعشرون

- مانعية قوّة الخيال من فهم الآيات والمسائل العلمية الأخرى
- مانعية قوّة الخيال في المسائل العلمية
- طريق تطهير قوّة الخيال

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ مانعية قوّة الخيال من فهم الآيات والمسائل العلمية الأخرى

قلنا ـ سابقاً ـ إن بحث الطهارة واحدٌ من المباحث المقدّماتية والضرورية للإنسان، وهو بحث مهمّ كثيراً للسالك في السير العلمي.

وعلى الرغم من أننا طرحنا في المجالس السابقة طهارة الخيال والذهن والعقل والقلب؛ إلا أننا نؤكّد عليه أكثر هنا؛ لأنه من المباحث المهمّة والصعبة جدّاً، فنقول:

إن تطهير قوّة الخيال بمنزلة عقبة صعبة لا يمكن لأيٍ كان العبور منها، فكم من المشاكل الكبيرة التي تقع للإنسان في مسيره المعنوي هي بسبب قوّة الخيال، فإذا لم تطهّر قوّة الخيال بشكل صحيح، فسيبتلي الإنسان بالمشاكل والصعاب في الطريقين العلمي والعملي معاً.

وكمثال على ذلك أن آيات القرآن من الابتداء بُنيت على مبنى الوجود والحقّ.

يعني: أن القرآن ابتدأ ببسم الله الرّحمن الرّحيم، وبحمده سبحانه من دون أن يقدّم قبل ذلك برهاناً مقدّماتياً في إثبات وجود الله تعالى.

من جهة أخرى قال عظمائنا: «لا يفترق القرآن، والعرفان، والبرهان أحدها

عن الآخر»، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يُراع النظم العلمي والبرهاني في الآيات القرآنية؟ ومن البداية أُلقي الشخص في المسير العلمي من دون دليل على إثبات وجود الله تعالى، وقال: قل ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**...﴾[1]. أولم يأت القرآن لجميع الناس؟! فهل الجميع يعتقدون بوجود الله؛ فقال لهم: ابتدؤا ببسم الله؟! فمن الممكن أن يقول الشخص هنا: كيف أحمد الله، وأنتَ إلى الآن لم تثبت لي وجوده؟! فأنا لا أعلم هل هو «ربّ» أو لا؟ «الله»، «رحمن»، «رحيم»، أم لا؟! كيف أستعين به وأنا لم أؤمن به بعد؟! و...، ترون كيف أن قوّة الخيال تقطع الطريق في ابتداء التلقّي والاستفادة من القرآن؟[2].

من جهة أخرى، نحن ندّعي أن القرآن نزل لجميع البشر، وهو كافٍ لسعادة الناس جميعاً، فإذا ما أردنا أن نحذف جميع الكتب التي كُتبت في إثبات وجود الله تعالى، ونطرح القرآن بوصفه الكتاب الكافي لإيصال البشر إلى الكمالات الإنسانية، فكيف يمكن لنا أن نوجّه ونفسّر بداية القرآن التي لم تبدأ بإثبات ذلك؟! سترون أن قوّة الخيال لا تقبل الأسلوب الظاهري للقرآن، الذي يبتدئ بالحمد وعبادة الخالق، ولكن قيل لنا: «إنكم إذا طهّرتم قوّة خيالكم، سترون أن القرآن ما تكلّم إلا من متن الواقع».

وعلى أساس البحث المتقدّم، فالقرآن عبارة عن كتاب تدويني مبيّنٌ

---

١. الحمد: ١ و ٢.

٢. وللجواب على السؤال المتقدّم نقول بشكل مختصر: إن الإعتقاد بوجود خالق من أبده البديهيات عند العقل الإنساني ـ لو لم يغفل الإنسان ـ؛ ذلك لأنّا نرى أن كل شيء فقير ومفتقر إلى موجده، فكيف لا يمكن أن يكون موجده موجودا؟! والقرآن تعامل مع الناس على هذه القاعدة.

للتكوين، فإذا ابتُلي الإنسان في متن الواقع بمشكلة ما، فعليه حينئذٍ أن يذهب، ويفهم ذلك، القرآن لم يأت ليُجيب عن سؤالات خيالية لأربعة أشخاص ـ مثلاً ـ القرآن شرحٌ إلهي، جامع لأسرار خلقة الإنسان والعالَم.

القرآن ليس كتاباً يجيب عن تلك الأسئلة الخيالية التي يصنعها البعض في مخيّلته.

فكم من الممكن أن يقف سفسطائي مُنكر للحقيقة والواقعية أمام القرآن؟ ولكنّنا نرى القرآن يبيّن الواقع فقط، وعلى الظاهر هو لم يأخذ في الردّ على السفسطائي؛ لأن القرآن ليس متكفّلاً برد الشبهات الخيالية البالية للناس؛ ولذلك فإن مثل هكذا إشكالات لا ترد على القرآن أصلاً، والشخص الذي يبتلي بمثل هذه الإشكالات لم يطهّر قوّة خياله.

كذلك في فهم المسائل العلمية الأخرى، فإن أسوء قاطع طريق هناك هي قوّة الخيال، وهي نفسها تكون سبباً لإجبار العلماء على أن يأخذوا القلم، ويجيبوا عن تلك التخيّلات والإشكالات، ويوسّعوا المباحث، ويكتبوا الكتب المختلفة.

▣ مانعية قوّة الخيال في المسائل العلمية

من الممكن أن تتلاشى شبهات قوّة الخيال في المسائل العلمية بقراءة مجموعة من الكتب أو سماع مجموعة من الكلمات، ولكن لا يمكن رفع شبهاتها وإشكالاتها في المسائل العلمية بهذه السهولة، وعلى الإنسان أن يتحمّل الكثير من العناء؛ لرفع تلك الشبهات والإشكالات.

إن أول مراحل الباطن في قوس الصعود هي قوّة الخيال؛ لأن جميع

حواسنا الخمس في قوس الصعود تحت اختيار قوّة الخيال، فإننا في الظاهر نرى بالعين، ونسمع بالأذن، ونلمس باليد، ونتذوّق باللسان، ونشم بالأنف، ولكن في الحقيقة هي قوّة الخيال التي تُشغّل هذه الأعضاء الخمسة؛ لذا فلأن قوّة الخيال واسطة بين الظاهر والباطن، فمانعيتها تكون ورطة أكبر من القوى الأخرى، فهي تقطع الطريق في قوس النزول، بمعنى: إنها لا تحوّل ما أدركه العقل إلى الحواس بأمانة، وتقطع الطريق في قوس الصعود، فهي لا ترفع ما أدركته الحواس إلى الأعلى ولا توصله إلى العقل بأمانة، بمعنى: أن كثيراً ما تأمر قوّة الخيال ـ بوصفها قناة وجودية بين الظاهر والباطن ـ الأعضاء والحواس بفعل أمر قبيح، فما على تلك الحواس إلا السمع والطاعة، وفي النتيجة تكون تلك الأعمال القبيحة لهذه القوّة باعثاً على إسارة القوّة العاقلة ووقوعها في المشاكل، ومن جهة أخرى، فإن مثل هكذا قوّة خيال لن تكون قادرة على تمثيل ادراكات العقل في قالب أشكال الصور الخيالية وألفاظها، وفي كِلتا الصورتين يكون الإنسان أسير المشاكل والابتلاءات.

إن العقل يتلقّى الحقائق ويسلّمها لقوّة الخيال، ولمّا كانت قوّة الخيال مصوّراً غير سالم؛ فإنها سوف تصوّر ما استلمته من العقل بصورة قبيحة وسيّئة؛ ولذا فإنها سوف تُرى ما هو جيّد قبيحاً، وتتشاجر مع الناس، وتكون موجبة للكدورات وباعثاً على تفرقة الأصدقاء، وغيرها من الأعمال الشنيعة.

وأمّا القوّة العاقلة، فإنها لا تخون الإنسان أبداً، فهي ارتباط مع عالم الباطن، قوّة الخيال هي التي تعبث بالإنسان دائماً، فهي التي توسّطت بين البدن، الذي هو مرتبة نازلة للنفس، وبين العقل، الذي هو مرتبة عالية لها في الإدراك.

إن جميع أعضائنا ـ أعمّ من العين، والأذن، واليد، والرجل، والقلب، والعقل و...، بوصفها شؤون الإنسان الظاهرية ـ والعقل الباطن تشكّل الإنسان، وإن قوّة

الخيال هي رابط بين هذا الظاهر وذاك الباطن، فإن لها تجرّداً برزخيا، يعني: أن نصفها مادّي، ونصفها الآخر مجرّد، فإذا لم تطهّر قوة الخيال هذه ـ التي هي أول مرتبة للباطن الإنساني ـ فعندها سيكون ظاهر الإنسان وباطنه كِلاهما في خطر؛ لأن العين مثلاً؛ ـ ولكونها من الأعضاء الظاهرية للإنسان ـ لا تعمل عملاً قبيحاً أبداً[1].

وبتعبير سماحة الأستاذ:

«إن العين جُبلتْ على الرؤية، والأذن جُبلتْ على السمع، والأنف جُبلَ على الشم، فإذا نظرت تلك العين إلى امرأة أجنبية، أو استمعت تلك الأذن إلى صوت محرّم، أو استنشق ذلك الأنف رائحة قبيحة، فإن أي واحد من تلك الأعضاء لم يقصّر في أداء وظائفه ولم يفعل القبيح، بل إن قوّة الخيال هي التي ذهبت في الطريق الأعوج وأعطت هكذا أمر لتلك الأعضاء، فأصدرت للعين الأمر بالإبصار تجاه الأجانب، وأصدرت للسمع الأمر بالاستماع لصوت الباطل، وإلا فالعين، والأذن، وأعضاء الإنسان الظاهرية الأخرى وحواسه الخمس مأمورة ومعذورة، وهي لم تعمل إلا على وفق الأمر الذي صدر لها من قوّة الخيال».

والمهمّ هو إن تلك القوّة قد أصدرت الأمر القبيح لهذه الأعضاء والجوارح؛ ولذا فإن أول مرتبة من مراتب طهارة الباطن هي تطهير قوّة الخيال، وإذا طُهّرت هذه القوّة، فسيكون الإنسان مرتاحاً في مسيره العلمي والعملي.

حينما يصطاد العقل الحقائق في عالم الباطن، فإنه يسلّم تلك الحقائق إلى قوّة الخيال، ووظيفة قوّة الخيال هي تصوير ذلك، ولمّا كان وجه قوّة الخيال

---

١. إلا في حالة أن تكون ضعيفة أو ناقصة، وهذا بحث آخر.

إلى نشأة الطبيعة والكثرة، فهي في خطر دائم، أمّا القوّة العاقلة ـ وهي قوّة الوحدة ـ فهي دائماً متوجّهة إلى عالم ما وراء المادّة.

والنتيجة هي: على الرغم من أن طهارة العقل مهمّة جدّاً، ولكن إذا طهّر الشخص قوّة خياله ولم يشتغل بعد بتطهير عقله، فإنه قد قطع طريقاً طويلاً.

يعني: في الأقل يمكن القول إن هذا الشخص موفّق جدّاً في السير والسلوك العلمي والعملي، ولكن إذا لم يطهّر الشخص قوّة خياله، فإنه قد توقّف في بداية الطريق؛ لهذا يولي عظماؤنا في المسائل المعنوية الأهمّية القصوى لتطهير قوّة الخيال.

وبتعبير بعضهم: إذا طهّر الشخص قوّة خياله بعد عشرين سنة، فقد وفّق لإخراج روحه سالمة، وإذا لم تُطهّر، فإن الإنسان لن يكون في مأمن أبداً.

لذا فإن طهارة قوّة الخيال حدٌّ بين الصالحين والطالحين، فافهم.

▣ طريق تطهير قوّة الخيال

قلنا: من أجل تطهير قوّة الخيال يجب أن تُصفّى تلك القوّة من «الاعتقادات الفاسدة، والتخيّلات الرديئة، وتحفظ من الجولان في ميدان الآمال والأماني».

إن توحّد القلب وجَعْله في همّ واحد وتوحيد المقصد، ومعاشرة الأصدقاء الصالحين، وعدم تشتّت الدرس والمباحثة، والسير في مسير واحد، جميع هذه الأمور هي مما يساعد الإنسان في السير والسلوك.

ولمّا وفقنا الله تعالى للحضور في محضر سماحة العلاّمة حسن‌زاده آملي ـ حفظه الله ـ فاسعوا لحفظ هذا المسير، وسيروا فيه، وإلا فإن قوّة الخيال ستتشتّت بالكثرات والسعي وراء الطرق والكتب المختلفة، وعندها لن يصل

الإنسان إلى هدفه ومقصده.

إن من جملة طرق تطهير قوّة الخيال المداومة على قراءة آية «السخرة»[١]؛

---

١. قال الشيخ العلاّمة في النكتة «٩٧٨» من كتاب «هزار ويك نكته»: «آية السخرة ـ على ما في «مجمع البحرين» وغيره ـ هي قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، [الأعراف:٥٤، وقد رقّم سماحة العلاّمة هذه الآية «٥٥» بلحاظ عدّ البسملة الآية الأولى]، وكانت معروفة بهذا الاسم على ألسنة خواصّ الصحابة، بل وغير الخواص منهم أيضاً، وهي متألّقة في الجوامع الحديثية تألّق الكوكب الدرّي، وهي منهج عملي ثابت في برامج عمل السالكين، وتلاوتها سبعين مرّة توجب للنفوس متعة صفاء القلب، وطمأنينة النفس، ونفي الخواطر، وإزالة الشكوك والوساوس، وهذا أمرٌ يقيني قد أمر به الوصي عليه السلام، ففي الحديث الأول من باب «ما يفصل به بين دعوى المحقّ، والمبطل في أمر الإمامة» من كتاب الحجّة من «أصول الكافي» «ج١، ص٢٧٩، ح١» بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: «بعث طلحة والزبير رجلاً من عبد القيس يقال له: خداش إلى أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه، وقالا له: إنا نبعثك إلى رجل طال ما كنّا نعرفه وأهل بيته بالسحر والكهانة، وأنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك، وأن تحاجه لنا حتى تقفه على أمر معلوم، [واعلم أنه أعظم الناس دعوى؛ فلا يكسرنّك ذلك عنه، ومن الأبواب التي يخدع الناس بها الطعام والشراب والعسل والدهن وأن يخالي الرجل، فلا تأكل له طعاماً، ولا تشرب له شراباً، ولا تمس له عسلاً، ولا دهناً، ولا تخل معه، واحذر هذا كلّه منه، وانطلق على بركة الله، فإذا رأيته فاقرأ آية السخرة، وتعوّذ بالله من كيده وكيد الشيطان، فإذا جلست إليه، فلا تمكّنه من بصرك كلّه، ولا تستأنس به، ثم قل له: إن أخويك في الدين، وابني عمّك في القرابة يناشدانك القطيعة، ويقولان لك: أما تعلم أنا تركنا الناس لك وخالفنا عشائرنا فيك منذ قبض الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله، فلمّا نلت أدنى منال، ضيّعت حرمتنا وقطعت رجاءنا، ثم قد رأيت أفعالنا فيك، وقدرتنا على النأي عنك وسعة البلاد دونك، وإن من كان يصرفك عنا وعن صلتنا كان أقل لك نفعاً وأضعف عنك دفعاً منا، وقد وضح الصبح لذي عينين، وقد بلغنا عنك انتهاك لنا، ودعاء علينا، فما الذي يحملك

على ذلك؟! فقد كنا نرى أنك أشجع فرسان العرب، أتتخذ اللعن لنا ديناً، وترى أن ذلك يكسرنا عنك!.

فلمّا أتى خداش أمير المؤمنين عليه السلام صنع ما أمراه، فلما نظر إليه علي عليه السلام... قال: **فأنشدك بالله الذي هو أقرب إليك من نفسك، الحائل بينك وبين قلبك، الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، أتقدّم إليك الزبير بما عرضت عليك؟ قال: اللهم نعم، قال: لو كتمت بعد ما سألتك ما ارتد إليك طرفك، فأنشدك الله هل علّمك كلاماً تقوله إذا أتيتني؟** قال: اللهم نعم، قال علي عليه السلام: **آية السخرة؟** قال نعم، **قال: فاقرأها.** وجعل علي عليه السلام يكرّرها ويردّدها، ويفتح عليه إذا أخطأ حتى إذا قرأها سبعين مرّة، قال الرجل: ما يرى أمير المؤمنين عليه السلام أمره بتردّدها سبعين مرّة. **ثم قال له: أتجد قلبك اطمأن؟ قال إي، والذي نفسي بيده...** الحديث».

وقال المولى صالح المازندراني في «شرح أصول الكافي» «ج٦، ص٢٥٧، ط١»: «...وفيه دلالة على أن قراءة هذه الآية سبعين مرّة يوجب صفاء القلب واطمئنانه ورفع شكّه ووساوسه».

وقال المجلسي في «مرآة العقول» «ج١، ص٢٥٢، ط١»: «وهذا يدل على أن قراءة هذه الآية سبعين مرّة يوجب رفع شر شياطين الجن والإنس، واطمئنان النفس على الإسلام، والإيمان، وتنوّر القلب، واليقين».

وفي الحديث «١٦» من باب الدعاء عند النوم والانتباه من «أصول الكافي» «ج٢، ص٣٩٢» قال أبو عبد الله عليه السلام: «**من قرأ عند منامه آية الكرسي ثلاث مرّات والآية التي في آل عمران: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾، وآية السخرة، وآية السجدة، وكّل به شيطانان يحفظانه من مردة الشياطين، شاءوا أو أبوا، ومعهما من الله ثلاثون ملكاً يحمدون الله عز وجل ويسبحونه ويهللونه ويكبّرونه ويستغفرون له إلى أن ينتبه ذلك العبد من نومه، وثواب ذلك له**».

وقال العلاّمة المجلسي في «مرآة العقول» «ج٢، ص٤٩٥، ط١» في شرح هذا الحديث الشريف: «آية السخرة في الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ﴾ إلى قوله: ﴿رَبُّ الْعالَمِينَ﴾، وقيل: إلى ﴿**قريب من المحسنين**﴾، كما ذكره الشيخ البهائي رحمه الله» انتهى.

يقول الراقم: إن آية السخرة هي من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقد نصّ على ذلك فضلاً عن الشيخ البهائي المرحوم السبزواري في كتاب «جامع الدعوات»، ص ١٩»، هزار ويك نكته، ص٧٩٩.

فإنها تفيض التوحّد على قوّة الخيال؛ لأن قوّة الخيال، وعلى أساس تجرّدها تعتاد على كل ما تقابله، فالإنسان إذا استأنس مدّة بهذه الآية أو أشباهها، فإنه سيستطيع أن يجمع نفسه ويوحّدها.

ويمكن لك أن تجعل الأحلام والمنامات معياراً لمعرفة تشتّت همّك، فإذا رأيتَ أحلاماً متفرّقة ومبعثرة، فاعلم أن قوّة خيالك مبعثرة كذلك؛ ولذا كان واحداً من برامج النبي الأكرم ﷺ أن يقول لأصحابه كل غروب ما معناه: «الليل قريب، فانتبهوا أكثر»، وكان الصحابة يعرضون أحلامهم على النبي ﷺ صباح كل يوم[1].

فالرؤيا هي معيار طهارة قوّة الخيال وميزانها؛ فمتى ما كانت الأشكال والصور متفرّقة، عندها يكون معلوماً أن قوّة الخيال نزلت إلى الميدان؛ لأن هذا التفرّق، والتشتّت هو بسبب هذه القوّة.

كان هذا شرحاً مختصراً عن الطرق المختلفة لتطهير قوّة الخيال، وسنبحث ذلك أكثر في الجلسات الآتية إن شاء الله تعالى.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. كما مرّ معنا في المجالس السابقة في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام.

المجلس الثالث والعشرون

- الخيال قوّة لتصوير المعاني
- في أن التمثّلات مطابقة لأغراض السلّاك
- كلّما كانت المراقبة أقوى، كانت التمثّلات أصفى
- في حفظ اعتدال المزاج

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ الخيال قوّة لتصوير المعاني

لمّا كان عمل قوّة الخيال في نفس الإنسان مهمّاً جدّاً؛ فإننا سنبحث هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً، يقول سماحة العلّامة الأستاذ في الأصل «١٢» من الفصل الرابع من رسالته القيّمة «الإنسان في عرف العرفان» في مورد قوّة الخيال:

«والأصل المهمّ الآخر من تلك الأصول هو إن قوّة الخيال فُطرت على تصوير المعاني ومحاكاتها، بمعنى أن عمل قوّة الخيال في السير النزولي هو تصوير المعاني وتشكيلها، مثلما أن القوّة الباصرة فُطرت على الرؤية، والقوّة السامعة على السمع، وهكذا قوى الظاهر والباطن الأخرى، فإن كل واحدة منها قد فُطرت على عمل معيّن...».

إن قوّة الخيال ـ وكما تقدّم ـ هي واسطة بين المُلك والملكوت، رابط بين البدن والنفس، واسطة بين عالم الظاهر والباطن، ورابط بين المادّي والمجرّد، والحواسّ الخمس فقط من بين قوى الإنسان هي التي تقوم بعمل عالم الظاهر، وقوّة الخيال تصوّر كل ما قامت به تلك الحواس من عمل ـ وكانت قد خزنته في الحسّ المشترك ـ وتحوّله وتريه لقوّة العقل، والعقل قوّة تدرك المعاني الكلّية المرسلة، أو ذوات عالَم ما وراء الطبيعة.

ويجب الالتفات ـ طبعاً ـ إلى أن المعاني الملكوتية لم تكن مادّية، وحاوية على وزن ولون وشكل وصورة قط؛ ولذا فالعقل ـ من جهة أخرى، وفي سيره النزولي ـ يستلّم تلك الحقائق والذوات النورية التي هي في عالم الملكوت، ويحوّلها إلى قوّة الخيال؛ لتصوّرها وتشكّلها، كما قال النبي الأكرم ﷺ:

«رأيتُ جبرائيل على شكل طائر له ستمائة جناح»[1].

وفي رواية أخرى:

«رأيتُ جبرائيل على صورة شابٍ مليح»[2].

وفي أخرى:

«...وأكثر ما كنتُ أراه على صورة دحية الكلبي»[3].

وروايات أخرى جاءت في هذا الباب[4].

والنكتة الأخرى هي: إن مشاهدات عالم الملكوت ليست خارجة عن نفس الإنسان أبداً، يعني إذا تمثّل مَلَك لشخص، فليس معناه أن ذلك المَلَك المتمثّل موجود خارج نفس الإنسان في نشأة الطبيعة، وإن ظن الشخص في حال المشاهدة أن هذا المَلَك قد دخل من بابٍ أو شبّاك، ولكن الحقيقة هي إن هذا المَلَك صورة متمثّلة لما هو موجود في نفس هذا الشخص[5].

حين يرتبط الإنسان بواسطة قوّته العاقلة بالذوات النورية للملائكة

---

١. مضمون الحديث في بحار الأنوار، ج٥٦، ص٢٦١.

٢. لم أعثر على نصّه، ولكن يوجد ما في مضمونه في الباب «٢٣» من الجزء «٥٦» من البحار في وصف الملائكة المقرّبين.

٣. بحار الأنوار، ج٥٦، ص٢٥٨.

٤. انظر: المصدر المتقدّم.

٥. انظر: الأصل الأول من الفصل الأول من كتاب «الإنسان في عرف العرفان».

ـالموجودين في عالم العقل بوجودهم النفسي ـ فإنّه سيصوّرها بقوّة خياله مطابقة لطبيعته ومزاجه.

وبعبارة أخرى: يصوّرها مطابقة لشكل ما أنس واستأنس به وبصورته؛ ولذا قلنا مراراً إنه من أجل أن يستطيع الشخص أن يشاهد ما تمثّل له من الحقائق الملكوتية على أفضل شكل عليه أن يأنس بإنسانٍ كامل شكلاً وقامةً، وعندها سيرى جميع الحقائق على صورة ذلك الإنسان، مثلما أنّ الرسول الأكرم ﷺ لمّا كان مستأنساً بأمير المؤمنين عليه السلام وبوجهه المبارك، فإنه قد رأى الحقائق في ليلة المعراج على شكل الأمير عليه السلام وصورته، فإذا استأنس الإنسان بأشكال وصور مختلفة، فإنه في مقام التمثّل ـ سواء في النوم أو في اليقظة ـ سيشاهد أشكالاً وصوراً مختلفة.

وبتعبير آخر: ستكون صور تمثّلاته متعبة جدّاً. فقد تقبل عليه حقيقة ما، ولكن لمّا كانت قوّة خياله في مقام تصوير تلك الحقيقة غير طاهرة، ومستأنسة بصور وأشكال مختلفة وقبيحة، فإنه في مقام التمثّل ستتمثّل له تلك الحقائق بصور قبيحة أيضاً، مثلما لو أن شخصاً قصّ عليك قصّة قرآنية جيّدة، وأنت ـ ايضاً ـ استمعت لتلك القصة، وبعد استماعك لها أخذت القلم وكتبتها، ففي مقام الكتابة كلّما كان خطّك جميلاً، وبلاغتك في الكتابة عالية، وألفاظك رصينة، فستخرج تلك القصّة أفضل وأجمل، ولكن لو كتبَ تلك القصّة نفسها شخص آخر خطه غير مقروء، وبلاغته ضعيفة عندها سيكون التفاوت بين الكتابتين كبيراً جدّاً، فالقصّة نفس القصّة، والحقيقة نفس الحقيقة، ولكن عندما تنزل إلى الورقة سترى الفرق الكبير بين التنزّلين.

كذلك قوّة الخيال في السير النزولي، فهي تصوّر المعاني، بمعنى أنها تنزّل الحقائق المأخوذة من عالم العقل إلى عالم المادّة والطبيعة والبدن، ولكن كلّما

كانت هذه القوّة طاهرة أكثر، فإنها ستصوّر المعاني وتحفظها بجزئياتها أكثر.

ثم يقول سماحة الأستاذ في ذلك الأصل:

«...إن القوّة الباصرة التي رُكّبت في جهاز العين، اخترع البشر جهازاً مثلها باسم «الكاميرا» لتصوير الأجسام والأشباح، ولكنّهم لم يصلوا إلى حد اختراع جهاز لتصوير المعاني...».

وبتعبير آخر: إنك عندما تشاهد بعينك وقوّة باصرتك شجرة ما، فإنك ـ فضلاً عن ذلك ـ تتداعى إلى ذهنك معان من الشجرة، وهذا هو عمل قوّة الخيال، أمّا «كاميرا المصوّر» فهي لا تستطيع أن تلتقط صوراً للمعاني أبداً، والفرق الآخر بين «الكاميرا» والعين هو إن العين حين تلتقط صورة لغرفة ما مثلاً، فإنها تلتقط لها الصورة بالأبعاد نفسها التي في الواقع، أمّا «الكاميرا» فإنّها تلتقط الصورة بأصغر مما هي في الواقع بمرّات كثيرة، مثلاً تصوّر جبلاً كبيراً، أو غرفة كبيرة بحجم صورة بمقدار «٤×٣»، أو بمقدار «٤×٦»؛ ولذا فإن صورة «الكاميرا» ليس لها تناسب دقيق مع ما هو موجود في الواقع إلا إذا خمّنّا ارتفاع الجبل في تلك الصورة، وهذا على خلاف العين، إذ إنها تأخذ صورة للجبل على ما هو عليه في الواقع، أي: بذلك الحجم واللون والارتفاع الواقعي له.

إن قوّة الخيال المطهّرة لا تخون الأمانة ـ التي هي مأخوذاتها من الحواسّ الخمس في السير الصعودي ـ أبداً، وهي مراعية للمناسبات بالقدر الذي يربّيها الإنسان عليه، وستشكّل المعاني وتصوّرها على وفق ذلك الأساس.

ويمكن الإشارة هنا إلى واقعة عرضت لسماحة الأستاذ، حيث قال:

«كان الوقت في أيام أربعينية ارتحال العلّامة الطباطبائي ﷺ تقريباً، وكنت مشغولاً بكتابة رسالة «أنه الحق»، فجأة تمثّل لي مثال العلّامة، وقال لي: «أنت

حسن الصورة، وحسن السيرة، وحسن السريرة».[1].

▣ في أن التمثّلات مطابقة لأغراض السلّاك

دقّقوا، إنه لمّا كان الأستاذ مشغولاً بكتابة رسالة «أنه الحق»، التي هي رسالة في ذكرى ارتحال العلّامة الطباطبائي ـ رحمة الله عليه ـ فإن قوّة خيال الأستاذ بالالتفات إلى تلك المناسبة مثّلت له شكل العلاّمة، ولم تمثّل له شكل أخيه محمد حسن الطباطبائي، أو العلاّمة الرفيعي القزويني، أو العلّامة الشعراني مثلاً، فلاحظوا أنه لمّا كان الإنسان في ذلك الفضاء، وقد طهّر قوّة خياله، فإنها ستراعي تلك المناسبات وتحفظها، وستصور ذلك الأمر وتشكّله مطابقاً لوضعه وصورته تماماً.

ولننقل هنا كلام للأستاذ لزيادة الفائدة.

قال الأستاذ العلّامة:

«... إن ظهور التمثّلات وبروزها مطابق للأغراض النهائية للسلّاك، وأن لرغباتهم الباطنية دخلاً كبيراً في ذلك، وقد قلنا في الواقعة الثانية عشرة: «...كنتُ مشغولاً بكتابة رسالة «أنه الحق» كذكرى له ـ العلّامة الطباطبائي ـ فتمثّل لي مثاله المبارك...»، وأيضاً ما قلناه في الواقعة الرابعة: «...كنتُ مُتشرّفاً بقراءة سورة الواقعة من القرآن الكريم، فأقبل عليّ تمثّلٌ كذائي...»، على هذا الأصل القويم، كذلك تمثّل سورة الأنبياء التي مرّ الكلام عليها في الواقعة الثالثة والعشرين.

وللوصول إلى سرّ هذا الأصل يُدقّق كثيراً في كريمة ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ**

---

١. انه الحق، ص١٣٦.

أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً ﴾[١]، فإن حضرة موسى الكليم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يطلب النار، حيث قال: ﴿...**فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً**...﴾، فافهم.

يقول نظام الدين النيشابوري في التفسير الشريف «غرائب القرآن» في ذيل هذه الكريمة: «قال أهل السيَر: استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج إلى أمّه، وخرج بأهله، و ولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة، وقد ضلّ الطريق ...»، فتدبّر.

كذلك للشيخ الأكبر محيي الدين الحاتمي الطائي في آخر الفصّ الموسوي من «فصوص الحكم» في موضوع تجلّي الحقّ سبحانه على صورة نار، وكلامه مع موسى الكليم عليه السلام، بيانٌ قد قرّره العلّامة القيصري بهذا الوجه الوجيه، حيث قال: «وأمّا حكمة تجلّي الحقّ وكلامه مع موسى عليه السلام في الصورة النارية: فلأنه عليه السلام كان يطلب النار لحاجته إليها، فتجلّى له الحقّ في صورتها ليُقبل موسى عليه السلام على الحقّ المتجلّي الظاهر على صورة مطلوبه ولا يعرض عنه؛ إذ لو تجلّى له في صورة غير الصورة الناريّة لكان يعرض عنه، وكان يشتغل على مطلوبه؛ لاجتماع همّته على المطلوب الخاصّ»[٢].

وكذلك في كريمة ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً**...﴾[٣].

ويلزم التوجّه الكامل للوصل إلى سرّ هذا الأصل المهمّ جدّاً، وقد بيّنّا ذلك في شرح العين التاسعة والأربعين من «سرح العيون في شرح العيون».

---

١. طه: ٩ و ١٠.

٢. شرح القيصري على فصوص الحكم، ط ١، ص٤٦٩.

٣. مريم: ١٥ و ١٦.

وللتنظير نقول: كما أن رغباتك وطلباتك في اليقظة تتمثّل لك على شكل صور في عالم النوم، كذلك عالم يقظتك على هذا الوزان أيضاً.

والخلاصة هي: إن كل شخص يطلب الحقّ فيما يريد ويطلب، فيتجلّى له الحقّ على صورة مطلوبه ذاك»[1]، انتهى بتمامه.

وقد ورد في بعض الأخبار أن عزرائيل يتمثّل للأشخاص حين وفاتهم، فإذا كان الشخص صاحب عمل صالح، فسيتمثّل له بصورة حسنة وجميلة جداً، فتسرّه إذا نظر إليها، فيسأله: من أنت؟ فيقول: أنا عزرائيل؛ جئت لأقبض روحك، فيقول: قد سرّتني رؤيتك لجمال طلعتك، وإذا كان الإنسان صاحب عمل طالح وذنوب كثيرة؛ فسيتمثّل له عزرائيل بصورة قبيحة مخيفة[2].

وهنا نتساءل: كيف يأتي عزرائيل بصورتين إحداهما حسنة وجميلة، والأخرى قبيحة وموحشة؟.

والجواب هو: إن عزرائيل له في عالم العقل حقيقة ومعنى، وهذه الحقيقة لها أشكال متفاوتة متناسبة مع حال من تتمثّل له، كما مثّلنا بالقصّة التي يكتبها شخصان، إحداهما بخط حسن وبلاغة رفيعة، والأخرى بخط قبيح وبلاغة ضعيفة، فعلى الرغم من أن عزرائيل له حقيقة واحدة، وبلا نقص وعيب، إلا أنها تكون متفاوتة الصورة والشكل بحسب قوى الخيال المختلفة لمن تتمثّل له، فتتصوّر وتتشكّل بحسبها.

ويجب ألا تغيب هذه النكتة عن الذهن، وهي إن هاتين الصورتين لعزرائيل عليه السلام ليستا خارجتين عن نفس الإنسان؛ ولذلك لا يرى أحد غير

---

١. الإنسان في عرف العرفان، الفصل الرابع، الأصل ٤٠.

٢. انظر: بحار الأنوار، ج٦، ص٢٣٧، و ج٨، ص٢٠٧.

المحتضر ـ حال الاحتضار ـ أن هناك شخصاً، فلا يلتفت أحد إلى حضور عزرائيل ودخوله على المحتضر، وإذا أخبرهم المحتضر بوجود شخص آخر، فإنهم سيقولون له ـ من باب العطف والشفقة عليه وهو في ذلك الحال: لا تقلق حتماً إنك تتخيّل، فما أجمله من كلام صحيح؛ لأنه في الحقيقة كما أنهم يقولون إنه يتخيّل، فإن قوّة خياله مثّلت له مثالاً ما.

وسِرّ إنكارهم لذلك هو إن هذا التمثّل كان في صقع نفس ذلك الشخص، وليس خارجاً عنها.

وإن رؤية المحموم لأشكال وصور من قبيل الكلب، والذئب، وغيرها ما هي إلا من هذا النوع؛ إذ إن المزاج يختّل عند الارتفاع الشديد لدرجة حرارة المريض، وعندها تمرض خلايا الدماغ، فتتفرّق قوّة الخيال وتتشتّت بشكل كبير؛ فتصوّر أشكالاً مختلفة ومبعثرة، وتمثّلها لصاحبها على هذا النحو.

إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يستطيعون أن يروا تمثّلاته صلى الله عليه وآله وسلم من خلال طريقين: إمّا أن يكون للشخص ارتباط وجودي وتكويني به صلى الله عليه وآله وسلم؛ فيشاهد التمثّلات التي تحصل للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كما كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إنه كان يشاهد كلّما ينقش في لوح نفس النبي عندما ينزل عليه جبرائيل عليه السلام، وقد قال جناب الأمير عليه السلام:

«... **أَرَي نُورَ الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ وَ أَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ**...»[1].

أو إنه لم يحصل له ذلك الارتباط الوجودي والتكويني، ولكن النبي يتصرّف في وجوده ونفسه؛ حتى يُريه ما نُقش في نفسه صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم يقول الأستاذ ـ دام ظله ـ في البحث المذكور:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة القاصعة.

«...إن كل التمثّلات التي تتحقّق في صقع النفس الإنسانية سواء كانت في النوم أو اليقظة، كلّها تكون بواسطة قوّة الخيال التي هي كالرسّام البارع، بل هي رسام بارع:

(٥٧). يصوّر المعاني بالشكل الذي يحار فيه مائة بارع[١]»[٢].

▣ كلّما كانت المراقبة أقوى كانت التمثّلات أصفى

ثم يقول سماحته ـ في ذلك الأصل المتقدّم ـ في مورد تطهير قوّة الخيال:

«...واعلم أنه كلّما كانت المراقبة والحضور عند الله أكمل، والمزاج الإنساني قريباً إلى الاعتدال الممكن، وقوّة الخيال أقوى وأصحّ، كانت التمثّلات في لوح النفس أصفى وأنصع...»[٣].

نعم، كلّما كانت المراقبة أقوى، ومزاج الإنسان أكثر اعتدالاً، سيكون الإنسان أكثر توفيقاً؛ ولذا فنحن نؤكد على الابتعاد عن كل ما يؤثّر في المزاج واعتداله؛ لأن المزاج إذا خرج عن الاعتدال ـ وبأي مقدار كان ـ فسيتسبّب ذلك بالكثير من المشاكل للإنسان في مسير إنسانيته؛ ولذا فلمّا كان بدن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أعدل الأبدان؛ كانت تتمثّل لهم أفضل الصور، فمن دون مزاج سليم لا يمكن أن تحصل التمثّلات الجيّدة؟ ولذلك فإذا نظرتم إلى تأريخ الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فسترون أنهم لم يتعرّضوا ـ إجمالاً ـ للأمراض إلا قليلاً وعندها يصير معلوماً أنهم عليهم السلام كانوا يراعون بدقّة دساتير حفظ اعتدال المزاج، وإلا فإنه في حال المرض تتبعثر قوّة الخيال، وتتشتّت بنحو كبير جدّاً،

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. الإنسان في عرف العرفان، الأصل «١٢» من الفصل الرابع.

٣. المصدر السابق.

وحينئذٍ لا تستطيع أن تصوّر المعاني بشكل مناسب.

أنعموا النظر جيّداً في هذا الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «**إن أيوب عليه السلام من جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عزّ وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه، وأوليائه المكرّمين عليه وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، بجهلهم بما له عند ربّه تعالى ذكره من التأييد والفرج...**»[1].

ولمّا كان الاسم الشريف «الشافي» يريد الظهور من باطن العالَم؛ ليشفي المرضى، فستعمل قوّة الخيال مرّة أخرى، كما لو أن مريضاً كان نائماً في أحد أضرحة أبناء الأئمة عليهم السلام، ورأى شخصاً في المنام يقول له: «يوجد في المكان الكذائي امرأة اسمها فلانة، لها صندوق في منزلها في الزاوية الكذائية، فيه قطعة قماش، لونها أخضر، ستشفى بمجرّد أن تمرّرها على بدنك»، فيستيقظ، ويحقّق بالأمر، ويصل إلى تلك المرأة وذلك الصندوق وتلك القطعة الخضراء من القماش، التي لم تكن حتى المرأة تعلم بها، فيمرّرها على بدنه، ويشفى من ساعته.

وكم هو جميل ما تعارف بيننا حين يسألون: من أين حصلت على هذه المعلومات؟ نقول في الجواب: «أعطونا حوالة».

والخلاصة هي: إن هذا الشخص يأخذ شفاءه في النهاية، أمّا كيف أستطاع هكذا شخص أن يصل إلى تلك المعلومات، وهل كان ذلك الشخص الذي أخبره خارج نفسه أو داخلها؟ كل هذه أسئلة مورد للتعجّب، ولكن بالدقّة،

---

١. بحار الأنوار، ج١٢، ص٣٤٨.

والتأمّل تصلون إلى فهم ذلك، وأن جميع هذه الأمور كانت في صقع نفسه؛ إذ إنه لم يكن قد رأى سابقاً ما رآه في نومه، ولم يعرفه من قبل.

من جهة أخرى قال الأستاذ في الدرس «٣١»، والدرس «٣٢» من «دروس معرفة النفس»:

«إن طلب المجهول محال».

يعني: لا يمكن للشخص أن يطلب شيئاً من دون أن يتصوّره بنحو الإجمال، والإنسان يطلب ما قد حصل له بعض العلم به، وشمّ رائحته ولو من بعيد، بمعنى: يكون عنده علم إجمالي بمطلوبه، ثم يسعى للحصول على العلم التفصيلي به.

فإذا كان الشخص يجهل مطلقاً ما رآه في النوم، إذن، كيف طلبه و وجده في المنام؟ صحيح أن الأستاذ بيّن في «دروس معرفة النفس» استحالة طلب المجهول المطلق، ولكنّنا أوضحنا في الشرح هناك أنّه كم من الممكن أن الإنسان لا يعلم شيئاً في مرتبة الظاهر، ولكنّه كان له علم إجمالي بذلك المجهول، عَلِمَه بواسطة قوّة خياله، وقوّته العاقلة؛ ومن أجل تحصيل العلم التفصيلي بذلك المجهول سعى له، وفجأة رأى في المنام صوراً هدته إلى العلم التفصيلي بذلك المجهول، فافهم.

ثم يقول سماحة الأستاذ ـ دام ظله ـ في معرض حديثه حول الأصل المذكور:

«...قال لي الأستاذ العلّامة الطباطبائي ﷺ في خلوة: كلّما كانت مراقبتي أقوى في النهار، كانت تمثّلاتي أصفى في الليل...»[1].

نعم، إذا أراد شخص أن يحقّق في وضعه، فعليه أن ينظر لنفسه من المساء

---

١. ونقلها كذلك في الكلمة «٤٨٥» من المجلد الخامس من «هزار ويك كلمه»، ص٢٨٩.

إلى الصباح، فإذا لم يكن له حال جيّد، فليعلم أنه لم يكن لديه أعمال صالحة في ذلك النهار.

ثم يقول الأستاذ في ذلك الأصل:

«...لو كانت القوّة المتخيّلة منقادة للقوّة العاقلة ومطيعة لها، فإنها ستحكي مدركاتها بشكل جيّد وصحيح، فإذا كانت مدركات القوّة العقلية الذوات المجرّدة، التي هي العقول المفارقة، فستحكيها المتخيّلة على صورة أشخاص إنسانية، الذي هو ـ الإنسان ـ أفضل أنواع المحسوسات الجوهرية، وفي كمال الحسن...».

إن الملائكة موجودات مجرّدات عقلية، وإذا أراد موجود مجرّد عقلي أن يسافر من عالم علوي إلى عالم سفلي، فإنه يسعى لأن يتمثّل في ذلك العالَم على أفضل وجه.

وقد قرأنا في الدرس الأول من «دروس معرفة النفس» إن الموجودات جُعلت بهذا الشكل، وهو إن الجماد في المرحلة الأولى، ثم النبات، ثم الحيوان، وبعد ذلك يأتي الإنسان، إذن، فشكل الإنسان هو أفضل الإشكال بين موجودات عالم الطبيعة، كما أنه ليس الجميع ـ بين مجموعة الإنسان ـ حسن الشكل والصورة، بل إن بعض أشكالهم بنظر بعض حسنة، وبنظر بعضهم الآخر ليس كذلك، فقد يستحسن شخص وجهاً ما، وآخر لا يستحسنه، وبالعكس،؛ لذا ففي مقام التمثّل ـ ولأن قوّة الخيال مجبولة على ذلك ـ فهي تصوّر الحقائق بهذه الصورة.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لمّا كانت ليلة المعراج نظرتُ تحت العرش أمامي، فإذا أنا بعلي بن أبي

طالب قائماً أمامي تحت العرش يسبّح الله ويقدّسه...»[1].

وذلك لأن الحقائق الملكوتية إذا أرادت أن تتمثّل في نشأة الطبيعة، فإنها تتمثّل على صورة الإنسان، ولا يوجد أي إنسان جميل الصورة والمنظر، ويستحق أن يكون شكلاً لتمثّل الحقائق للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم غير علي عليه السلام؛ لهذا تمثّلت له الحقائق المعراجية بصورته عليه السلام.

ثم يقول الأستاذ:

«...وإذا كانت تلك المدركات معاني مجرّدة، وأحكاماً كلّية، فإنها ستُظهرها بصورة ألفاظ ـ التي هي بتعبير ما قوالب المعاني المجرّدة ـ فصيحة مليحة، وبعد ذلك ستسلّم كِلتا الصورتين إلى الحسّ المشترك، بالشكل الذي تُدرك صور تلك الذوات بالبصر، وصور الألفاظ هذه بالسمع، وهكذا تُشاهد كما لو أن شخصاً يقف أمامه ويلقي إليه كلاماً فصيحاً وجميلاً...»[2].

يعني: إذا كانت الحقائق الملكوتية معاني، فستتمثّل للشخص بصورة ألفاظ، وإذا كانت ذوات، فسيشاهدها على صورة أشكال، ثم تعطي قوّة الخيال ما صوّرته إلى الحسّ المشترك، وسيُخرِج الحسّ المشترك تلك الذوات إلى مرحلة الرؤية، ويجعل تلك الألفاظ مورداً للإدراك السمعي للإنسان بواسطة الحاسّة السامعة، وستكون صورة الذات تلك مشاهَدة في القوّة الباصرة من دون الاستعانة بالعين الظاهرية؛ لأن القوّة الباصرة التي عُبئت في العين تستطيع أن ترى وتُبصر بوجهين:

---

١. بحار الأنوار، ج ٣٩، ص٩٧.

٢. الإنسان في عرف العرفان، الأصل «١٢» من الفصل الرابع، وللزيادة في تفصيل هذا المطلب الشريف يمكن الرجوع إلى المصدر المذكور.

الأول: هو في مرتبة العين الظاهرية.

والثاني: هو رؤية المعاني في الباطن من دون الاستفادة من العين الظاهرية.

هذا نوع من السير التنزّلي الذي يكون بواسطة الحسّ المشترك.

وأنتم ملتفتون إلى أنّه بالاستفادة من هذه المباحث يمكن أن تعرف شيئاً من أسرار الرؤيا التي حصلت لسيّد الشهداء عليه السلام عند قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قبل خروجه إلى كربلاء.

«والحمد لله ربّ العالمين»

المجلس الرابع والعشرون

- تطهير الروح عمّا سوى الله تعالى
- تطهير الروح، ومقام الهَيَمان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ تطهير الروح عمّا سوى الله تعالى

ثم قال الأستاذ في رسالة «الوحدة عند العارف والحكيم»:

«...وطهارة الروح من الحظوظ الشريفة المرجوّة من الحقّ تعالى، مثل [حظوظ] معرفته عزّ وجلّ وقربه ومشاهدته، وباقي أنواع النعيم الروحاني الأخرى.

يقول الشيخ في النمط التاسع من «الإشارات» في مقامات العارفين: «من آثر العرفان للعرفان، فقد قال بالثاني»؛ ولذلك يكون العلم حجاباً بحسب هذه الرؤية، وهذا وجه آخر من معاني «العلم، حجاب الله الأكبر».

نعم:

(٥٨). لا تكن عبادتك مشروطة بالأجر، كما هي حال دعاء المتكدين، فالمولى يعرف كيف يرعى عباده»[1][2].

«الحظوظ» جمع حظ، وهو بمعنى النصيب والفائدة، والإنسان حينما يسير

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٤٣.

في طريق الإنسانية، ويشرع بتسبيح الله تعالى بعد مدّة يتوقّع ويأمل العطاء من الله تعالى، فيريد قلبه أن يأخذ أجرته بعد العبادة، كرؤية الملائكة والمكاشفات، وغير ذلك، فيعبّر عن هذه الأمور والعطايا من الله تعالى بـ «الحظوظ الشريفة»؛ لأن الإنسان بعد كل هذه الكلمات الوجودية لله تعالى يطمع بالألطاف الخاصّة منه عزّ وجل، ألطاف مثل الوصول إلى معرفة الحقائق، ونيل مقام القرب، والمشاهدة، والنعم الروحانية الأخرى. ويعدّ هذا الطلب ـ الذي هو من الحظوظ الشريفة ـ عند الروح غير طاهر ـ معنوياً ـ وهذا لا تنافي له مع الطهارة في المراتب الأدنى؛ فإن «**حسنات الأبرار سيئات المقربين**»[1]، على الرغم من أن طلب الفائدة كمعرفة الحقّ ليس عيباً وذنباً، ولم نُمنع من ذلك، ولكن مرتبة الروح أعلى من هذه الطلبات، وإن في هذه المرتبة يفنى الإنسان في ذات الحقّ ويفنى عن نفسه؛ لذا يجب تخلية الروح عن كل هذه الطلبات.

ومن الممكن أن تطلب القرب من الله تعالى بكل فعل عبادي، وتقول: «أفعل كذا قربة إلى الله»، ولكن عليك أن تعلم أن مقام القرب هذا يعدّ حَسَناً في مقام الخيال والعقل والقلب والنفس فقط، لا في مقام الروح، وما قاله الإمام علي عليه السلام: «**لم أكن بالذي أعبد ربّاً لم أره**»[2]، ليس بمعنى أنه جعل عبادته وسيلة لرؤية الله تعالى، بل إنه عليه السلام أراد بهذه العبارة أن يقول: أولاً أرى الله تعالى، ثم أعبده، لا أعبد الله حتى أراه، وإلا لو كان بالمعنى الثاني لما كانت روحه عليه السلام طاهرة ـ والعياذ بالله ـ وحاشا لسيّد الموحّدين أن يكون كذلك، ألف حاشا؛ ذلك لأن السالك في مرتبة الروح لا يطلب أجراً أبداً حتى لو كان ذلك الأجر هو الرؤية والمشاهدة، ولكن في الوقت نفسه فإن طلب القرب من الله تعالى

---

١. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٠٥.

٢. المصدر السابق، ج٤، ص٢٧.

في ابتداء الطريق أمرٌ يُبعَد الإنسان من الرياء والسمعة، ويقرّبه من الله تعالى.

وعموماً، نحن نسعى في صلواتنا لأن نركّز أذهاننا وأفكارنا باتّجاه الحقّ تعالى، ونكون في ذكره دائماً، فإذا ما غفلنا عنه ـ ولو للحظة واحدة ـ فإننا سنخرج عن الحضور في ساحة محضره، ولكن علينا أن نعلم أن ذلك هو فكر الحضور، لا نفس الحضور، لماذا؟ لأن الإنسان في مقام الحضور يكون مبهوتاً في جمال حضرة الكبرياء الإلهي وجلاله، ولا طاقة له للتفكير ـ ولو للحظة واحدة ـ بالحضور؛ إذ إنه سيندهش عن نفسه وذاته، وهذا المصرع «هنيئاً لأولئك الذين هم دائماً في الصلاة»[1]، إشارة إلى هذه المرتبة.

ثم أورد الأستاذ عبارة الشيخ الرئيس في النمط التاسع من «الإشارات»، حيث قال: «**مَن آثر العرفان للعرفان، فقد قال بالثاني**»[2].

يعني: أن من اختار العرفان والمعرفة الشهودية من أجل نيل المعرفة الشهودية، فقد قال بالثاني وأشرك بالله تعالى.

إذا كان العلم الفكري مقدّمة للعلم الشهودي، فهذا جيّد جدّاً وحسن كذلك، وأمّا في مرتبة الروح، فلا يكون ذلك العلم الفكري وطلبه حجاباً للسالك فقط، بل إن طلب العلم الشهودي سيكون مانعاً من طهارة مرتبة الروح أيضاً، بمعنى: أن في هذه المرتبة على الرغم من أن العلم الشهودي حظ شريف، إلا أنه يكون حجاباً، ويجب ألا يُطلب في هذا المقام حتى معرفة الله بوصفها معرفة.

وعليك أيها القاريء العزيز، أن تدقّق في هذا البحث من هذه المرتبة، ولا

---

١. أصله بالفارسية: «خوشا آنانكه دائماً در نمازند».

٢. الإشارات والتنبيهات، ج٣، النمط التاسع، الفصل العشرون.

تخلطه مع المراتب السابقة.

إن معرفة الأشياء إمّا أن تكون بالحواسّ الخمس؛ فتسمّى «المعرفة الحسّية»، وإمّا أن تكون بواسطة الوهم والخيال؛ فتسمّى «المعرفة الخيالية»، وإمّا أن تكون بواسطة العقل؛ فتسمّى «المعرفة العقلية، أو الفكرية»، وإذا كانت بواسطة القلب، فعندها تسمّى «المعرفة الشهودية»، فطلب العرفان والشهود جيّدٌ ومقبول مادام في مقام القلب؛ لأن القلب جبلّ على الشهود، ولكن بمجرّد أن ترتقي عن مقام القلب، وتصل إلى مرتبة الروح، فإن الشهود والعرفان يُنحّى جانباً، ولا يكون هناك شيء إلا «هو»، وهذا هو مقام التوحيد المحض، وكم من الممكن أن يكون للشخص ـ في غير هذه المرتبة ـ تمثّلات جميلة، ومنامات حسنة، ولكنّه إلى الآن لم يصر موحّداً؛ لأن العقل ليس في الوحدة المحضة على خلاف الروح؛ ففي العقل يوجد مقدار من الكثَرة؛ إذ إن وظيفة العقل هي إدراك المفاهيم الكلّية ـ أعمّ من المفهوم الكلّي للإنسان، والحيوان، والنبات، وموجودات العالَم الأخرى؛ لذا فوصول العقل إلى مقام شهود الملائكة، أمر عظيم ورفيع جدّاً، ولكن نفس هذا يعدّ نقصاً في مرتبة الروح، التي هي مقام المحو التامّ في الحقّ تعالى؛ لأن الشخص في هذه المرتبة لا يرى نفسه، ولا يرى شهوده أيضاً، وكل ما هو موجود مشهودٌ، والعارف في هذا المقام يرى المشهود فقط.

يعبّر سماحة الأستاذ عن المعرفة الشهودية بـ«العندية»، وعن المعرفة الفكرية بـ «العلم المفهومي»، والمعرفة تتشكّل من ثلاث جهات، هي: «العالِم المفهومي»، و«العِلم المفهومي»، و«المعلوم المفهومي»، كما أنك تعلم أن هذا بيتك مثلاً، ففي هذا العلم والمعرفة، أنت عالِم، وفهمك علِمٌ، ومنزلك معلوم مفهومي، والمعرفة الشهودية تتشكّل من ثلاثة أضلاع ـ كالعِلم الفكري أيضاً ـ

ولكن هنا تتشكّل من «الشاهد»، و«الشهود» و«المشهود».

ومعنى كلام الشيخ الرئيس هو إن عليك في مقام الروح أن تنظر إلى المشهود فقط، ولا تنظر لا إلى نفسك، ولا إلى شهودك، فعندما يصل الإنسان في الصلاة إلى هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، يكون إلى الآن في حال رؤية نفسه وشهوده؛ لأنه يقول: «أنا» عبدتك وحدك، ولكنه عندما يصل إلى سورة «الإخلاص»، التي هي في الحقيقة مقام الروح، فإنه لن يرى غير المشهود، ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد﴾[2]، وهذا هو مقام التوحيد المحض؛ ولذا فمن كان في مرتبة العلم الشهودي، فإنه قد وصل إلى التثليث تواً؛ لأنه يرى نفسه، وشهوده، ومشهوده أيضاً، ومثل هكذا شخص يكون مشركاً ـ بمعنىً من المعاني ـ ولم يصل إلى التوحيد المحض بعد؛ إذ إن التوحيد على مراتب، وكل مرتبة تعدّ شركاً بالنسبة للتي فوقها، فإنه في العلم الفكري يكون الشخص موحّداً عددياً، وهو يرى نفسه منفصلة عن فهمه، وفهمه منفصلاً عن معلومه، وهو يسعى وراء دليل إثبات وجود الله تعالى، وأمّا في العلم الشهودي، فعلى الرغم من أن الوحدة وحدة سعيّة، ولكن ما زال الفرد هنا يحسب حساباً لنفسه وشهوده، وهو في هذا المقام ما زال في التثليث الشهودي «الشاهد، الشهود، المشهود».

وبتعبير آخر: إنه ضجيع الشرك؛ لأنه صار قائلاً بالتثليث، وهو على خلاف المشرك القائل بالتثنية، وعليه في مقام الروح أن يطرح عن نفسه رؤية الشاهد، والشهود، وينصرف بكلّيته إلى رؤية الحقّ فقط.

---

١. الحمد: ٥.

٢. الإخلاص: ١ ـ ٤.

ولسماحة الأستاذ إشارة إلى هذه المرتبة في قصيدته «الأطوارية»، حيث يقول:

(٥٩). لماذا لا خبر لي عن نفسي، من أنا حتى أقول: أنا[1].

يشير الشطر الاول إلى المراتب التي هي دون مرتبة الروح الإنساني، حيث جاء في الشطر الأول منه أن السالك قائل بإنّيته، غاية ما في الأمر أنه يُظهر الجهل بنفسه وإنّيته، وكأنه يريد أن يرفع بالعلِم الفكري قدم معرفته بنفسه، وحينما يتحرّك ويصل إلى العلِم الشهودي، فإنه هناك يرفع الـ«أنا»، ويقول: «من أنا حتى أقول: أنا»، إلا أنه يرى الـ«هو»، وهذه هي مرتبة الروح.

ولكن أكثر الناس قد توقّفوا في مرحلة الشرك؛ ولذا جاء في القرآن الكريم: ﴿...**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[2]، طالما أنهم بقوا في الشرك، وقلنا إن الشرك على مراتب، فتارة يعبد الشخص الصنم بعنوان معبوده، وأخرى يتوقّف في العلِم الشهودي ويجعل شهوده صنماً في مقابل الله تعالى، غايته أن الصورة الأولى مرتبة نازلة من عبادة الأصنام، وفي الثانية مرتبة أعلى.

ثم يقول الأستاذ:

«...**ولذلك يكون العلِم حجاباً بحسب هذه الرؤية، وهذا وجه آخر من معاني العلِم حجاب الله الأكبر**».

لأنك وبمجرّد أن تقول: أنا عالم بالله ـ ولو بالعلم الشهودي ـ فهذا يعني أنك «عالم» وعندك «شهود» و«مشهود»، وهذا هو التثليث، وهو غير التوحيد المحض.

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. هود: ١٧.

يقول الأستاذ في «الهى نامه»:

«إلهي: صار علمي مُوجِباً لازدياد جَهْلي، فيا من «هو» عِلمٌ محض، ونورٌ مطلق، زِد على جهلي»[١].

هذا هو مقام تطهير الروح، شخصٌ مع كل هذه الدراسة والعلم الفكري والشهودي، ومع كل هذه التمثّلات يصل إلى المقام الذي يقول فيه: «أنا جاهل»، كذلك قال عظماؤنا: «الجهل نهاية السير العلمي»، ولكن هذا الجهل ليس بمعنى عدم العلم، بل بمعنى أن الشخص يصل إلى مرتبة لا يرى نفسه بعدها حتى يُظهر علمه ومعرفته، فكل ما يراه هو الله فقط، وكذلك يعبّرون عن هذا المقام بمقام «الحيرة» أيضاً.

وقال الأستاذ أيضاً:

«إلهي: شكراً لك؛ أنني فَهِمْتُ أنني لم أفهم...»[٢].

وقال أيضاً.

«إلهي: شكراً لك؛ أنْ وَصَلَ حَيْرانٌ [أي شخصٌ حيرانٌ ومضطربٌ] إلى مقام اليقين»[٣].

ولمّا كان اليقين هو الاسم الأعظم، فعلينا أن نبيّن تلك الجملة بهذا المعنى، وهو: إلهي أشكرك؛ أن أوصلتني إليك.

علينا أن ندرس ونقرأ سنوات؛ حتى نفهم كلمات الأستاذ هذه، إنه نقل في رسالة «رموز وكنوز» التي طبعت في المجلّد الثالث من كتاب «هزار ويك

---

١. الهى نامه، ص١٤، رقم: ٥٦.

٢. المصدر السابق، ص٧٤، رقم: ٤٤٤.

٣. المصدر السابق، ص٣١، رقم: ١٩٣.

كلمه» جملة، حيث قال:

«إلهي، قال وليك صادق آل محمد: «إن «آه» اسم من أسماء الله»، وقال نبيك خاتم الأنبياء: «كل اسم من أسماء الله أعظم»[١]، وحسن ليس له في بساطه من أسمائك الحسنى التي لا تُعد إلا الـ«آه»»[٢].

كذلك قال ـ حفظه الله:

«إلهي، عمراً [أي طول العمر] لم يكن لي في البساط آهٌ، والآن ليس لي في البساط إلا الـ«آه»!»[٣].

وقال: «إلهي، منِّي آهٌ، ومنك نَظْرَةٌ»[٤].

يجب أن تُجمع كل هذه الكلمات في مكان واحد حتى نفهمها جيّداً، وعندها يكون المعنى هو حينما يكون العارف في مقام الروح، هناك يقول: «أنا جاهل ولا أملك لنفسي شيئاً وكل ما هو موجود فهو أنت».

▣ تطهير الروح ومقام الهَيَمان

تُعرف مجموعة من الملائكة باسم «الملائكة العالين»، أو«المهيّمين»، وهم في حيرة وهيَمان مستمرين، حتى إنهم لا يرون أنفسهم أبداً، وليس لهم خبر عنها أصلاً، فهم في جهل مطلق ـ بذلك المعنى الشريف الذي بيّناه سابقاً ـ

---

١. بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٢٢.

٢. هزار ويك كلمه، ص٣٩٣. وهذه الجملة لم تطبع مع كتاب «الهى نامه» الموجود الآن؛ لأنكم تعلمون أن كتاب «الهي نامه» ربّما يكون أكبر مما هو الآن ثلاثة أو أربعة أضعاف، وإن شاء الله يكون رزقنا يوماً ما؛ فننهل من معارفه.

٣. الهى نامه، ص٣٩، رقم: ٢٣٠.

٤. المصدر السابق، ص٣٩، رقم: ٢٢٨.

وليس لهم علم إطلاقاً؛ لأن أول مراتب العلم هي العلم بالذات حيث يعلم الشخص بأن له ذاتاً.

والمرتبة الثانية هي العلم بالغير، وتلك الملائكة لا نظر لهم لأنفسهم أصلاً حتى يكون لهم العلم بها؛ لذا فهم في جهل كامل.

وأمّا أن السجود فرع العلم، فقد قيل في جوابه: أنه عندما أمر الله الملائكة ـ فضلاً عن إبليس ـ بالسجود لآدم عليه السلام، لم يكن إبليس مستعدّاً للسجود لتكبّره، وأن مجموعة أخرى من الملائكة ـ وهم الملائكة العالون ـ لم تسجد أيضاً؛ ذلك لأنهم كانوا في جهل مطلق، بخلاف إبليس؛ إذ إنه كان جاهلاً ـ أيضاً ـ إلا أنه كان عنده بعض العلم المخفي تحت ذلك الجهل.

قيل في علم الهيئة: إن من بين العناصر الأربعة ـ أي: التراب، والماء، والهواء، والنار ـ تكون الحاكمية للماء على التراب، وللهواء على الماء، وللنار عليها جميعاً، وطبق الاستدلال المنطقي كان استدلال إبليس في عدم سجوده مبنياً على أنه لمّا كنتُ مخلوقاً من النار، وكانت النار أفضل من التراب؛ فأنا أفضل من التراب، ولكنّه لمّا أظهر ذلك في محضر الله، و وقف أمام الأمر الإلهي؛ جرّه ذلك إلى أن يُطرد من رحمة الله تعالى؛ لأن العالِم مأمور بالسجود، ولأنه لم يسجد استحق اللعن الإلهي، وأمّا الملائكة العالون، فلمّا كانوا لا علم لهم بذواتهم، لم يتوجّه لهم الأمر بالسجود.

لا تقولوا: لماذا صار حال إبليس هكذا بعد ذلك الاستدلال؟ لأنّا نقول: إن الله تعالى أطلعه على أن حقيقة الإنسان هي ليست هذا البدن فقط، فآدم له شؤون ومراتب عالية أيضاً، فشاهدَها، ولكنّه على الرغم من رؤيته لذلك لم يسجد، وتكبّر وعتا عن أمر ربّه فاستحق الطرد واللعن.

يقول العلّامة الشعراني ـ رحمة الله تعالى عليه ـ في تعليقته على «الوافي» في شرح هذا الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام:

«إن إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فلو قاس الجوهر الذي خلق الله من آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار»[1].

«ويُعلم منه أن شيئية الشيء بصورته لا بمادّته، وغلط إبليس وتوهّم أن الشرف بمادّة البدن، ولم يعلم أن الإنسان إنسان بعقله، والعقل أفضل من الوهم.

وهذا الحديث من دقائق العلوم التي لم يعهد صدور مثلها عن غير أئمتنا عليهم السلام في ذلك العصر»[2].

إذن فالجاهل المخلوط علمه بالجهل مأمور بالسجود؛ ولذا فأنتم لا تقبلون من الإنسان الجاهل أن يقول: لأنني كنتُ جاهلاً فأنا لا أصلّي؛ لأن عنده من الفهم الذي يستطيع معه أن يذهب للتعلّم، ولكنّه لم يفعل ذلك، أمّا في جهل الملائكة المهيّمين، فلا يوجد أي نحو من العلم.

والمقام الذي طرحه الأستاذ تحت عنوان طهارة الروح ـ في الحقيقة ـ هو مقام الملائكة العالين؛ لذا فالأنبياء، والأئمة عليهم السلام يرون جميع أمراض الناس وآلامهم ومشاكلهم، ويشفقون عليهم، ولكنّهم لمّا كانوا في مقام الحَيرة، فإنهم لا يرون أنفسهم أبداً حتى يقولوا: لمّا كنّا أئمة، وأصحاب مقام الشفاعة، فعلينا أن نشفي المرضى وأوجاعهم؛ إنهم في هيَمان محض، ولا يتحرّكون بحركة واحدة ما لم يأذن لهم الله تعالى بأن يشفوا المرض الفلاني، أو المريض

١. الكافي، باب البدع والرأي والمقانيس، ح١٨.

٢. نقلاً عن تعليقة العلاّمة حسن زاده آملي على «آغاز وانجام»، أي: «التذكرة في المبدأ والمعاد» للخواجة الطوسي، ص٧٩.

الفلاني؛ لذا فسيد الشهداء عليه السلام كان يرى كل القضايا في كربلاء، ولكنّه لم يمدّ يد التصرّف في ذلك أبداً، غاية ما في الأمر أن الفرق بين الأئمة عليهم السلام، والملائكة العالين هو إنهم عليهم السلام لمّا كانوا قد طووا جميع المراتب في قوس الصعود، صارت لهم القوّة والشأنية التي يستطيعون معها أن يكونوا في مقام الحَيرة، ومع ذلك يصلون إلى أوجاع الناس ومشاكلهم، وفي الحال عينه لا يرون أنفسهم ـ ولو للحظة واحدة أبداً ـ وأمّا الملائكة المهيّمون، فلم تكن لهم هذه القوّة والشأنية؛ ولذا فهم ـ بإذن الله ـ لا يعلمون أي فعل أبداً.

طبعاً لا يصدر عن الله لهؤلاء الملائكة أي أمر أصلاً؛ لأنهم لا قدرة لهم على العمل إطلاقاً، إنهم في هذا المقام لا يرون شيئاً غير «هو».

قال العلاّمة ابن الفناري في «مصباح الأنس»:

«اعلم أنّ التهيّم شدّة الهيمان، وعدم الانحياز إلّا إلى المحبوب في أي جهة كان، لا على التعيين؛ والملائكة المهيّميّة ملائكة تجلّى لهم الحقّ «تعالى» في جلال جماله؛ فهاموا فيه «فهاجوا فيه ـ خ»، وغابوا عن أنفسهم، فلا يعرفون غير الحقّ، وغلب على خلقيّتهم حقيّة التجلّي؛ فاستغرقهم، وأهلكم، ثم قد يتحقّق ذلك ويظهر في الكمّل كالخليل عليه السلام؛ حتى تبرّأ عن أبيه وقومه وذبح ابنه في سبيل الله، وخرج من جميع ماله مع كثرته المشهورة...»[1].

وأنعم النظر في البيان الرفيع للعلاّمة القيصري في بداية شرح الفصّ الإبراهيمي من «فصوص الحِكم»، حيث قال في خصوص الهيمان:

«والهيَمَان إنّما يحصل من إفراط العشق، وهو من إفراط المحبّة، وهي أصل الإيجاد، وسببه كما قال تعالى: «**كنت كنزا مخفياً، فأحببتُ أن أعرف...**»

---

١. مصباح الأنس، ص١٠١.

الحديث، وإنّما تحصل المحبّة من التجلّيات الواردة من حضرة الجمال المطلق، والهَيَمان من جلالها على الملائكة المهيّمة والمجذوبين من الأناسي، ولكلّ من الكمّل المحبوبين ـ أيضاً ـ نصيب منه، إمّا في بداية أمورهم كالجذبة قبل السلوك، أو عند انتهائها كالجذبة بعده، فيلحقون بها إلى المقصد الأسنى، ويدخلون في حكم المهيّمين»[1].

إلهي، نحن الذين نلتذّ إلى هذا الحدّ من خلال فهمنا لهذه الأسرار، فما هو الحال والسرور بالنسبة لأولئك الذين ذاقوا لذّة ذلك المقام في الحقيقة والواقع؟! ما هو المقام الذي يرتع فيه أمثال العلاّمة حسن زاده آملي؟ وإذا كان هو كذلك، فكيف كان حال سيد الشهداء عليه السلام؟ وماذا نفهم نحن الضعفاء عن كربلاء؟ فلا شك في أن فهمنا وظننّا عن كربلاء وأصحاب عاشوراء أنزل وأقل مما هو موجود في الواقع.

اللهم بحق سيد الشهداء مُنّ علينا بفهم حقائق المعارف، وارزقنا العمل به، يا أرحم الراحمين.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. شرح القيصري على الفصوص، ط١، ص١٦٨.

المجلس الخامس والعشرون

- تطهير الروح من كلّ طلب
- معظم الآيات تخاطب عموم الناس
- العالَم خير محض

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ تطهير الروح عن كل طلب

قلنا إن العلم الفكري كالرؤية عن بعد ﴿...**أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[1]؛ لذا فهو يصبح الحجاب الأكبر للعلم الشهودي، وهذا المعنى نفسه ـ أيضاً ـ ورد في رسالة «الإنسان والقرآن» لسيّدنا الأستاذ، وقلنا في شرحه هناك: إن ما يكون حجاباً أكبر بين الإنسان وشهود الحقائق، هو العلم الفكري، وأمّا في مقام الروح، فحتى العلم الشهودي يكون حجاباً للإنسان؛ إذ حتى شهود الحقائق ـ الذي هو مقام رفيع ـ يولّد في الإنسان طبع التكدي والطمع؛ لذا قال أهل المعرفة:

(٦٠). لا تكن عبادتك مشروطة بالأجر، كما هو حال دعاء المتكدين؛ فالمولى يعرف كيف يرعى عباده[2].

نعم أيها العزيز، عليك أن تصل إلى المقام الذي لا تطلب معه أي شيء في مقابل العبادة، بل لا ترى عبادتك أصلاً، وكل ما تراه فـ«هو» الذي تراه، وكل ما يراه صلاحاً، سيعطيه لك.

---

١. فصلت: ٤٤.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

إن جناب الأستاذ طرح مرّات ومرّات مسألة الطلب في «ديوانه»، وفي كتاب «نامه ها برنامه ها»[١]، إذ على السالك أن يكون طالباً دائماً لـ:

(٦١). زاد السالك الحضور، والأدب، ثم الهمّة، والطلب.

فلا بد للسالك من هذه الأصول الأربعة، وإلا فمن العجب الوصول إلى مراد القلب[٢].

ولكن هذا في ابتداء الطريق؛ لأنك بمجرّد الذهاب إلى الأعلى، فإن الطلب سُيرفع أيضاً؛ إذ إنك حينما تطلب تكون قد جعلت نفسك طالباً، ومرادك طلباً، والله تعالى مطلوباً، وهذا نفسه هو الخروج عن التوحيد المحض، عليك ألا ترى إلا المطلوب فقط، وحتى الدعاء سُيرفع إذا ما وصلتَ إلى المراتب العالية.

مَن الداعي؟ ما هي الدعوة؟ مَن المدعوّ؟ إذن يصير معلوماً أن هذه هي لأجل أوائل الطريق وأواسطه فقط، وحينما ترون أن الأئمة عليهم السلام تكلّموا على العدواة، والذنوب، وغيرها، فاعلموا أن هذا كلّه هو مطابق لنشأة ظاهر عامّة الناس.

وكم هو رفيع كلام الأستاذ في كتاب «هزار ويك كلمه» حيث قال:

(٦٢). لمّا رأيتُ من الناس الخسّة واللجاجة والعناد وصلتُ إلى الإلقاءات السبّوحية؛ لذا فللطالحين حقّ في أعناقنا بمقدار ما للصالحين[٣].

هذا كلام الأستاذ، فإذا كان سيّد الشهداء عليه السلام قد واجه الناس وتكلّم على إجحافهم بحقّه، فاعلموا أن ذلك كان مرتبطاً بهذا العالم الداني، وإلا فمقامات الأئمة عليهم السلام أعلى بكثير من هذا الكلام؛ ولذا فإن مسألة الأمر بالمعروف والنهي

---

١. يعني: رسائل وبرامج.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

عن المنكر التي طرحت في مسائل الدين هي مسألة مطابقة لهذا العالَم الظاهر؛ إذ إن الشخص الذي يعرج ويصل إلى سِرّ القدر، ويكون عنده كل ما يراه حقّاً، ومن ثم لا يمكن له أن يمدّ يد التصرف إلى أي شيء، وهذا هو مقام الروح، إنهم يرون النور على الدوام، ولا يوجد في النور أي ذرّة مما هو مخالف له؛ حتى يحاولوا تغيير ذلك بالأمر والنهي، وإن لرؤية ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**...﴾[١]، حساباً آخر، ولـ ﴿...**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**...﴾[٢]، حساباً آخر أيضاً، وعلى كل حال، فلرؤية الوحدة المحضة حساب عند العارف، وللوحدة في الكثرة حساب آخر.

▣ معظم الآيات تخاطب عموم الناس

قال سيّدنا الأستاذ: حتى تلك الآيات التي جاءت في القرآن في مورد الجنّة والنار فهي غير مرتبطة بالخواصّ.

يعني: لو فرضنا أنه لم يكن أحدٌ على الكرة الأرضية غير النبي، والصديقة الكبرى، والأثني عشر معصوماً ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ لَمَا نزلت آيات الجنّة، والنار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً، وإذا كان من المقرّر أن تنزل بعض الآيات، فسوف تنزل آيات شبيهة بسورة التوحيد، آيات مثل قوله تعالى: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[٣]، و﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**...﴾[٤]، حتى كان من الممكن

---

١. النور: ٣٥.
٢. النور: ٣٥.
٣. الحديد: ٣.
٤. الحشر: ٢٢.

ألا تنزل كلمة «الغيب والشهادة»؛ لأنه في ذلك المقام قد رُفع الغيب والشهادة أيضاً، غاية ما في الأمر أنهم ممن كان لهم أمّة، وكانوا مأمورين بقيادتها، وهذا هو الذي جعل الأمر مشكلاً[1].

إذن، فكثرة الآيات هو بلحاظ كثرة القوابل، لا بلحاظ رسول الله ﷺ؛ لأنه ـ بتعبير ما ـ إذا كانت قد ظهرت صمدية الحقّ في سورة التوحيد، فعندها لا تكون حاجة لأي آية أخرى، فقط هذه الآية ملأت كل مكان.

وإذا كانت بعض الآيات قد خاطبت النبي الأكرم ﷺ، فهو من باب أن النبي ﷺ كانت له وجهة إلى الخلق والأمّة، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**...﴾[2]، نعم، إن مثلية رسول الله ﷺ مع البشر صار باعثاً على نزول جميع هذه الآيات.

إذن، فسيكون تعلّق النبي ﷺ بالناس والأمّة تعلقاً تكميلياً، وإذا كان قد جاء الكلام في القرآن عن المخالف والموافق، والصديق والعدو، وآدم وحواء، والشيطان، ونمرود، وإبراهيم، وفرعون وموسى، فما هو إلا بسبب أن جهة من جهتي القرآن كانت إلى عامّة الناس، وإلا فجهة القرآن الآخرى كانت كلّها وحدة لا كثرة فيها.

▣ العالَم خير محض

نحن عاشرنا القرآن على أساس ظواهره، فحينما نريد الاستخارة نفتح

---

١. وقد ورد عن الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام أنه قال: «**كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقايق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقايق للأنبياء**»، البحار، ج ٩٢، ص١٩.

٢. الكهف: ١١.

القرآن ونستمدّ منه العون، فإذا خرجت آية في خصوص الجنّة ونعيمها نقول: جيّدة، وإذا خرجت آية في مورد جهنّم وعذابها نقول: ليست جيّدة.

قال لي بعض الأعزاء:

«في يوم من الأيام، وبعد الصلاة ذهبتُ عند الأستاذ العلّامة من أجل الاستخارة، وكان ذلك في مسجد «سبزه ميدان» في آمل، فقال الأستاذ: ماذا يحصل إذا استخرتُ؟ فقلتُ: تريدُ أن أقول لجنابك ماذا تفعل؟ فقال الأستاذ: ليس هذا مقصودي، أن أجيبك عن الاستخارة أجيّدة، أم لا.

ثم أعطاني القرآن، وقال: افتح أي صفحة من القرآن، وقل هنا ليس جيّد، فهل تجد في القرآن مكاناً غير جيّد؟ ليس في القرآن شيء غير الجيّد».

ولذا فحتى استخارة هؤلاء الأعاظم درسٌ أيضاً، الكلام واضح جدّاً، ولكن لأننا اعتدنا على هذه الجهة من العالَم، فإننا لا نستطيع أن نأخذ الحقائق إلا متأخرين.

وكمثال على ذلك أنكم تشاهدون في القرآن هذه الكلمة، «محمد رسول الله» ـ وهي اسم أشرف المخلوقات ـ في مثل قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ...**﴾[1]، كذلك تشاهدون أيضاً كلمة «أبي لهب» كما في قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[2]، ولكن هل تستطيعون أن تلمسوا كلمة «أبي لهب» من دون وضوء؟ تعرفون أنه لا يجوز، فعليكم أن تكونوا على وضوء في كلتا الصورتين، وقد قالوا عليهم السلام: «الوضوء نور»، و «الوضوء على الوضوء، نور على نور»، فحتى إذا جاء في القرآن

---

١. الفتح: ٢٩.

٢. المسد: ١.

كلمات مثل «الكلب»، و«الكافر»، و«المشرك»، و«المنافق»، و«الخمر»، وأمثال ذلك فلا يمكن لكم أن تمسّوها إلا وأنتم على وضوء، فيجب أن تكونوا نورانيين، ثم تقتربوا من النور، فالمرتبة النازلة للقرآن تشكّلها هذه الألفاظ النورانية، وعلينا أن نرى أإن تلك المعاني التي تحكي عنها هذه الألفاظ نورانية أيضاً؟ وإذا أراد الإنسان أن يلاقي معنى «الكافر» بوصفه واحداً من المخازن القرآنية هل يستطيع من دون أن يمسّ ذلك؟ لا يمكن ذلك ـ قطعاً ـ من دون طهارة.

وبشكل عام، فإن للموجودات جميعاً ثلاثة أطوار من الوجود، وهي: الكتبي، واللفظي، والعيني، و وجودها العيني على أربعة أقسام، هي:

١. الوجود المادّي، الذي هو جسمها الطبيعي.

٢. وجود مثالي في عالَم المثال.

٣. وجود عقلي في عالَم العقل.

٤. وجود إلهي في عالَم الأسماء والصفات الإلهية، ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ**...﴾[1].

والآن مع البيان الذي تقدّم فهل من لم يجوّز لنا أن نمس لفظ الكافر الذي جاء في القرآن، الذي هو متكوّن من الحروف «الكاف»، و«الألف»، و«الفاء»، و«الراء» من دون طهارة، يجوّز لنا أن نمسّ حقائق الموجودات في العوالم الوجودية من دون طهارة؟ حتماً لا، لا يجوّز لنا ذلك، فعلينا أن نكون على وضوء أيضاً.

نعم، على أساس التشريع، فإن هذا الشخص كافر، وهو منكر لوجود

---

١. الحجر: ٢١.

الله في القوس الصعودي، وهو كافر ونجس تشريعاً، وإذا مسسته بيد رطبة، فيجب عليك تطهيرها، وبشكل عامّ لا حقّ لك في معاشرته، ولكن ليس معنى ذلك أنه شيء خارج عن دائرة التوحيد، ولا يشمله قوله تعالى: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**...﴾[1]، بل إن الله تعالى في كل مكان، ومع كل شيء ﴿..**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**...﴾[2]، وخُلق النظام الإلهي على أفضل وجه وأحسنه، ولا يوجد فيه أي عيب أبداً.

وهنا نؤكد مرّة أخرى على التدقيق في هذا البحث، والطهارة في هذه المرحلة؛ فإنه أدقّ من الشَّعر وأحدّ من السيف، وإذا لم تكن من أهل الفهم، فلا تتوغّل فيه، واتركه؛ لئلا تكون من الضالين.

ومن الممكن أن يُشكِل شخص، ويقول: كيف تدّعون أن نظام العالم نظام إلهي أحسن، في الحال الذي يوجد من بين الخمسة مليارات إنسان، أو أكثر، الموجودون على الكرة الأرضية مليار واحد فقط من المسلمين، ومن هذا المليار كثير ممن هو مخالف للمذهب الحقّ، مذهب أهل البيت عليهم السلام، والأئمة الأطهار عليهم السلام، بيد أن كثيراً ممن تسمّى بالتشيع، هو ليس من أهل العلم والعمل والتقوى وذهب في الطريق المنحرف، وكما يعبّر سماحة الأستاذ ـ حفظه الله: ـ «إلهي»: الجميع يَرَوْن الحيوان المفترس في الجبل والغابة، وحَسَن [يراه] في المدينة، والقرية»[3].

فأين هذا النظام الأحسن؟ هنا يجيب الله تعالى، ويقول: إذا كان عندك عقل، فلطّفه، وتأمّل في متن كلماتي الوجودية، وحقّق فيها، فهل ترى في أي

١. النور: ٣٥.

٢. الحديد: ٤.

٣. الهى نامه، ص٤٣، رقم: ٢٥٤.

ذرّة من ذرّاتها عيباً ما، ولو بقدر رأس الإبرة؟ فقال: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**﴾[١]، كيف تدّعي أن هذا العالَم خُلق عبثاً في حين أنك إذا رأيتَ شخصاً بنى بناءاً كبيراً وجميلاً، و وضع فيه مجموعة من الخراف، فإنك ستتعجّب كثيراً.

وأنت نفسك لست مستعدّاً لأن تبني بيتاً كبيراً وجميلاً، وتجعله في خدمة مجموعة من الخِراف والحيوانات.

وبعبارة أخرى: إنك تجعل لأعمالك قيمة.

فكيف تشاهد العالَم بهذا الجمال والعظمة، وتنكر الله تعالى الذي عرّف نفسه في القرآن بأنه عليم، وحكيم، ولطيف، وخبير؟! وتجعل هدف ذلك حيوانات لا فرق ولا تَمايز لها مع الحيوانات الأخرى غير الناطقية؟!.

قال الله تعالى في القرآن: ﴿...**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**...﴾[٢]، والمراد من هذا الإسلام هنا هو غير الإسلام التشريعي الذي يأتي فيه الصلاة، والصوم، وباقي العبادات، المراد من الإسلام هنا هو الإسلام التكويني، ولكن عندما تتقدّم أكثر، سترى أن الله تعالى قال في مكان آخر من القرآن: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**...﴾[٣]، و ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ**...﴾[٤]، فإذا سعيتم، وحصلتم على الهمّة العالية، وحقّقتم المراتب المذكورة للطهارة، فإنكم ستنالون شهود هذه الحقائق حتماً بالنحو الذي لا تشاهد ذلك حتى في مقام الروح، وكما قال الأستاذ:

---

١. الملك: ٣.

٢. آل عمران: ٨٣.

٣. النحل: ٤٩.

٤. الحج: ١٨.

«إلهي، ما للعارف، والعرفان [أي ماذا يريد من العرفان]، العاشق يرى المعشوق لا هذا وذاك»[1].

والغرض هو إنّ الإنسان إذا صار قوياً وارتقى في مراتب الكمال، فإنه سوف يرى كل شيء حقّاً؛ ولذا عندما أرادوا إعدام الحلّاج بسبب توحيده، قال للناس:

«لكم الحقّ في اعدامي؛ لأني غرقتُ في متن الكلمات الوجودية، فرأيتُ كل شيء حقّاً، وإذا كنتم لا ترون ذلك؛ فلأنكم لم تغرقوا كما غرقتُ، فلكم الحقّ في قتلي».

غاية ما في الأمر هو إن للموجودات في كل موطن حكماً خاصّاً؛ ولذا يجب تطبيق كل حكم بما يناسب تلك المرتبة، فليس لكم الحقّ أن تنزّلوا أحكام نشأة العقل إلى نشأة الطبيعية، وتمدّوا يد التصرّف في موجودات العالَم.

وكمثال على ذلك أنكم في مرتبة العقل تأخذون الكلّيات فقط، ولكن لا تستطيعون أن تروا تلك الكلّيات في نشأة المادّة بالعين مثلاً؛ لأن الكلّيات لا تُرى بالعين أصلاً، وفي الحال عينه فإن كل تلك المراتب حقّ في مكانها.

إن العالِمَ بسرّ القدر هو في اطمئنان وراحة دائماً، وهو يعلم أنه ـ طبق طبيعة نظام الوجود ـ يجب أن تحترق هذه الخيام، يشفق، ولكن لا يجرّه هذا الإشفاق إلى مدّ يد التصرّف في نظام العالم؛ لأنه يعلم أن ذلك مخالف للأدب؛ ولذا فهو في سكوت تامّ، يعني: يسكت في جميع المراتب، أي لا يقول شيئاً في مرتبة اللسان، وفي مرتبة الخيال لا يفرّق ذهنه ويشتّته، وفي مرتبة العقل لا شأن له بـ «لماذا»، و«كيف»، وفي مرتبة القلب يدرك حقيقة

---

١. الهى نامه، ص٢٠، رقم: ١١٠.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...﴾[1].

واعلم أن فهم هكذا مطالب عرشية لا يكون نصيب كل أحد؛ لأن الأكثر قد توقّفوا في مرتبة الظاهر وعكفوا عليه، ولم يسعوا لتحصيل روح الحقائق؛ فإذا لم يكن له سبر فهم هذه الحقائق، فسيفرّ منها؛ إذ إن لطائف الحقائق أدقّ من الشَعر، وأحدّ من السيف ـ كما قلنا ـ ولا يستطيع الفكر والعقل البشري الظاهري أن ينالها بسهولة.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١. الحديد: ٣.

المجلس السادس والعشرون

▣ طهارة الروح، والتوحيد الصمدي المحض

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ طهارة الروح، والتوحيد الصمدي المحض

نقل حضرة الأستاذ ـ في موضوع طهارة الروح ـ رواية عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«**قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[1].

ذلك أن هذا الشخص تأدّب مع الله تعالى، فلم يطلب منه شيئاً.

نحن لسنا أرحم وأعطف وأكثر اطّلاعاً منه تعالى، وعلمُنا منشعب من علمه تعالى، وإدراكنا لأنفسنا قائم بإدراكه لنفسه، فما هو الوجه الذي بموجبه يطلب الإنسان ـ الذي له ربّ هكذا، مطّلع على جميع أحواله ـ غير ما قرّره له تعالى؟!؛ ولذا فالله سبحانه يريد أن يُشغِل الإنسان بذكره فقط، إلى الدرجة التي لا يطلب الإنسان أن يكون قريباً إلى الله حتى بواسطة ذلك الذكر؛ لأن مجرّد هذا الطلب هو مُبعّد للإنسان عنه سبحانه؛ إذ إن من يطلب من الله شيئاً، فإنه في الحقيقة قد قال بالاستقلالية لنفسه، وكأنه قال: أنا موجود، ولي طلبٌ من الله، في حين أن الله يقول: أيها الإنسان، أنت مرتبة نازلة من حقيقة الوجود،

---

١. محاسن البرقي، ص٣٩، وآثار الصادقين، ج٦، ص٦٩١.

أنت تجلٍّ من تجلّياتي، فأنت لست مستقلاً عنّي حتى تطلبني لنفسك.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنّ الله اخترعني من ذاته، وأنا غير منفصل عنه؛ إذ نور الشمس غير منفصل عنها؛ ثم ناداني بي، وخاطبني منّي، ثم قال لي: «من أنا منك، ومن أنت منّي؟» فأجبتُ بلطافتي: أنتَ كلّي وأصلي، منكَ ظهرتُ، وفيّ أشرقت، أنا كلمتك الأزليّة، وفطرتك الذاتيّة...»[1].

علينا أن نسكت تماماً، ونكون في مقام ذاتنا في «لا اقتضاء» محضٍ، لا اقتضاء الوجود، ولا اقتضاء العدم، لا نقول: أعطنا، ولا نقول: لا تعطنا، وإذا أمرنا بالدعاء لإقبال الرحمة الرحيمية؛ فذلك لأن نزول الرحمة الرحيمية يحتاج إلى الدعاء والتضرّع، بخلاف الرحمة الرحمانية، وخصوصاً في بداية الطريق.

وعلى كل حال فنحن مأمورون بالدعاء[2] وعلينا الامتثال والطاعة، ولو قيل: «على السالك أن يكون متسوّلاً لحوحاً»، فهذا مرتبط بالمرتبة التي هي دون مرتبة الروح، ومعلوم أن ذلك مطابقاً لحالنا، وإلا فالأولياء لا يتفوّهون بذلك لأنفسهم؛ ذلك لأن العارف يعلم أن الخالق مطّلع على ما يحتاجه أكثر من نفسه، ويعلم أيضاً أن ربّه أرأف به من نفسه؛ ولذا فهو لا يطلب من الله تعالى الرأفة؛ لأنه تعالى رؤوف به على الدوام، وهذا هو مقام الروح، ولكن قبل ذلك

---

١. نقله وشرحه العلاّمة في كتاب «هزار ويك كلمه»، ج١، الكلمة ٩٨، وقال في الباب الثاني من الصحيفة الزبرجدية: «هذا الحديث الشريف قد شرحته بالفارسية، وجعلته الكلمة الثامنة والتسعين من كتابي «ألف كلمة وكلمه»؛ ولعمري شرحه ينجرّ إلى تصنيف كتاب حجيم جدًا، بل جميع ما في «فصوص الحكم»، و«الفتوحات المكّية» للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي من معارف التوحيد الصمدي مندرجة فيه».

٢. في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**...﴾، غافر: ٦٠.

كانوا يعطون دستور العمل من أجل تقوية قوّة الخيال، والعقل، والقلب، وهناك على الإنسان أن يكون لحوحاً حتى يحصل على الصيد، ويرى التمثّلات.

وقد مرّ بنا في المجلس السابق ما يتعلّق بهذا الموضوع؛ فراجع.

إن العارف في مقام الروح له توجّه والتفات تامّان إلى الحقّ تعالى، وهذا التوجّه والالتفات لا يشوبه أي شائبة من التفات منه لنفسه أصلاً؛ فهو متّصل بحضوره عند الحقّ تعالى؛ لأن مجرّد ذلك التفكير بأنه حاضر هو نوع من الشرك، فالتفكير بالحضور عند الحقّ وقوع في الشرك، طبعاً ليس شركاً موجباً للكفر، فقد قلنا فيما سبق إن طهارة كل مرتبة تعدّ طهارةً في مرتبتها، لا في المرتبة التي فوقها، وعلى الإنسان ـ من أجل الارتقاء الوجودي ـ أن يكون قوياً أكثر مما سبق، ويرتقي أكثر، والشرك هكذا أيضاً، فقبل الوصول إلى مرتبة الروح، فإن كمال الإنسان السالك هو في الاستجداء في كل لحظة، ويطلب مقام الحضور من معبوده، ولكن هذا الأمر نفسه في مرتبة الروح هو أمر دان، ويعدّ شركاً؛ إذ إن على السالك في هذه المرتبة أن يكون منقطعاً في حضوره، وعدم رؤيته شيئاً غير الحقّ تعالى.

قال سماحة الأستاذ في «ديوانه»:

(٦٣). لأن قلوب الأنبياء طاهرة [خالية] من كل نقش؛ فقد أفاض الله فيها الحقائق[1].

عليك أن تتعمّق في كلمة «طاهرة»؛ إذ إن روح الأنبياء هكذا لا نقش لها، وخالية من كل نقش، فأفاض الله الحقائق، والمعارف فيها.

(٦٤). أصبح كثير من الأولياء، ومن دون تعب التعليم مالكاً لرقاب

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

السبعة أقاليم.

ولذا يجب أن تكون دائماً في حضوره لكي ترى تجلّيات نوره.

ولا تفكّر بالحضور؛ لأن التفكير بالحضور نوع من البعد عنه تعالى.

إذ إن مقامك أعلى من الحضور، وإن كان محضر الله نورا[1].

فأنت متى كنت تطلب الحضور بهذا النحو من الطلب، فهذا نوع من البعد عنه تعالى؛ لأن أهل الحضور لا يتكلّمون على الحضور.

أي: أن على الحاضر مشاهدة الله تعالى، وهو المشهود، لا أن يرى حضوره و شهوده، فافهم.

وهذا هو مقام التوحيد الصمدي، إذن ما لم تطهّر الروح لن يصير الإنسان موحدًا صمدياً؛ لأنه متى ما كان الكلام عن القرب والحضور، فالأمر ما زال في دائرة التوحيد العددي، وهو غير التوحيد الصمدي.

(٦٥). الحضور محو في عِزّ جلاله، وهو الموت في حسن جماله تعالى[2].

العارف لا التفات له حتى إلى الموت، لأنه إذا أراد أن يتوجّه إلى الغير ـ ولو بقدرٍ قليل ـ فإنه سيخرج من ذلك الحال؛ ولذا فإن الوصول إلى التوحيد الصمدي القرآني صعب جدًا، إنه رقيق ودقيق ولطيف إلى الدرجة التي لا يمكن معها أن يوضّح بالكلام، وعلى الشخص أن يتذوّقه بنفسه حتى يدركه.

وبعبارة أخرى: ما لم نصل إلى مرتبة الروح، فإن جميع صلواتنا تنبعث منها رائحة التوحيد العددي؛ لأنّنا بمجرّد أن نستقبل القبلة، ونكبّر تكبيرة الإحرام، وندخل في الصلاة، فإنّنا نرى أنفسنا والقصد والبحث عن التقرّب، وهذا هو

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

بعينه التوحيد العددي، إذ إن في التوحيد العددي يرى الشخص أنه منفصل عن ربّه، ويبحث عن القرب منه والتقرّب إليه، وكنّا قد أوضحنا أن هذه المرحلة لازمة من أجل الوصول إلى مقام الروح، ويجب طيّها للوصول إلى هناك، فيجب العبور من وادي التوحيد العددي من أجل الوصول إلى منزل التوحيد الصمدي.

إذن، فلا يستطيع الشخص أن يقول: إن هذا كلّه خلاف المقصد، وعلينا ألا نطلب من الله شيئاً آخر، لا ليس الأمر كذلك، ابتداءاً يجب السعي والطلب حتى يمكن الوصول إلى ذلك المقام بالتدريج، وإن ذلك خاصّ بالأفراد الذين وصلوا إلى ذلك المقام، أي: طهارة الروح؛ ولذا حينما كان النبي ﷺ يريد أن يصلّي، فإنه لم يكن يلتفت إلى غير الله تعالى.

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا:

«جلَّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعة لكل وارد، أو يطّلع عليه إلا واحد بعد واحد»[1].

فإن مقام الله تعالى أجلّ من أن يرد بحره أحد بسهولة، ويشرب منه بعد طيّه مرحلة الشريعة، و واحد بعد واحد هم من يستطيعون أن يأخذوا الماء عن طريق جداول وجودهم من ذلك البحر غير المتناه لحضرة ربّ العِزّة والجلال.

وبتعبير جناب الأستاذ: يمكن أن يوجد في كل عصر واحد له هذه القابلية.

وفعلاً إذا كنّا موفّقين لتحصيل مراتب الطهارة الظاهرية، فإنا سنسعد كثيراً[2]، نحن نتكلّم بهذا الكلام، ونشير إلى الله تعالى، ونقول: نريد أن نصل إلى هذا

---

١. الإشارات والتنبيهات، آخر النمط التاسع.

٢. وفي الوقت نفسه، فإن سلام الدراويش غير خال من الطمع.

المقام، وحينما نستيقظ، نرى أن نفس الطمع والطلب في ساحة القدس الإلهي هو عبارة عن البعد والابتعاد.

(٦٦). إن لأهل الحضور فؤاداً مستهام [أي أصيب بسهم]، وله مقام لا يقفي[١].

أي: يصل إلى منزل السراح الإطلاقي، بمعنى أن الله تعالى رمى فؤاد ذلك العارف بسهمه، ومن ثم لم يبق هناك فؤاد أصلاً.

يقول الأستاذ في قصيدته «اللامية»، والمعروفة بـ «الشقشقية»:

(٦٧). صار الكل هو، صار الكل هو، صار الكل هو، صار الكل قلباً، صار الكل قلباً، الكل قلب[٢].

وقال في موضع آخر:

(٦٨). الكل فنى وصار هو، أنا وأنت وهو صار هو[٣].

وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[٤]، وقوله: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**...﴾[٥]، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء[٦].

سهم واحد لتجلّي الحقّ تعالى باسم «التوحيد الصمدي» ضربَ كل نظام الوجود، واصطاده جميعاً.

إذن، فذلك الذي يقول: ذهبَ الحبيب ولم يخبر العشّاق، هو حقّ؛ لأن

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٤. غافر: ١٦.

٥. طه: ١١١.

٦. اقتباس من قوله تعالى: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾، يس: ٨٣.

الحبيب لا يخبر العشّاق بذهابه، وإن ذلك الذي يقول: لماذا لم تخبرني بحين ذهابك؟ لم يعط قلبه للحبيب، ولذا فإنه لم يصبح عاشقاً؛ فهو محتاج لمن يخبره عن تحرّكات الحبيب، وذلك الذي يصيب روحه سهم الحبيب، ولا تبقى له روح بعدها، لا يحتاج إلى أن يقول كما قال من تقدّمه.

وللأستاذ في ديوانه شعر بهذا المعنى وهو:

(٦٩). أن سهماً أصاب القلب منذ طفولته، ولم يُبق له شيء، هو السهم الذي في آخره ريشة، وانغرس إلى آخره، ولم يبق له أي أثر، أو كالدّر الذي نام في بطن الصدفة، ولم يبق له أي أثر في الظاهر.

لم يُبق الحضور التامّ شيئاً ليد التصرف، وكذلك كان الأئمة عليهم السلام؛ ولذلك قال الأستاذ في الفصل العاشر من رسالة «نورٌ على نور»:

«والأمر الآخر الذي يقتضيه الأدب مع الله تعالى هو عدم التصرّف بغير إذنه وأمره في أي شأنٍ من شؤون عجلة نظام التكوين، أو في أي حكم من كتاب التشريع»[1].

لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أدّبني ربّي، فأحسن تأديبي**»[2].

كذلك سبطه سيد الشهداء عليه السلام كم كان مؤدّباً في كربلاء؛ فلم يمدّ يد التصرّف إلى أي شيء، بل كان في حضور تامّ، وعلى الرغم من كل ما نزل به من بلاءات، ومحن قال:

---

١. نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور، الفصل العاشر، ص١٢٨.
٢. بحار الأنوار، ج١٠٨، ص٢٢٢.

«**هوّن عليّ ما نزل بي، أنه بعين الله**»[١].

كذلك أخته الطاهرة العقيلة زينب عليها السلام، حيث قالت:

«**ما رأيتُ إلّا جميلا**»[٢]، فافهم.

وتدبّر تُرشد، وتحصل لك المعرفة إن شاء الله تعالى بالإمام الحسين، وأخته العقيلة زينب بنت عليّ وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين.

«**والحمد لله ربّ العالمين**»

١. بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٦.

٢. المصدر السابق، ص٤٦.

المجلس السابع والعشرون

- طهارة الحقيقة الإنسانية
- كل شخص يأخذ من الحقّ تعالى بما يطابق جدوله الوجودي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ طهارة الحقيقة الإنسانية

طرح شيخنا الأستاذ العلاّمة حسن زاده آملي ـ روحي فداه ـ في بحث الطهارة الباطنية موضوع طهارة الحقيقة الإنسانية، حيث قال:

«...**وطهارة الحقيقة الإنسانية عن العوز والافتقار في مقام الجمع الإنساني، وعن تغيّر صورة وحقيقة ما يأتي للإنسان من الحقّ سبحانه**...»[1].

إن إحدى المراتب الشريفة للطهارة، هي طهارة الحقيقة الإنسانية، وهي أعلى من مرتبة الروح، ولازم هذه المرتبة هي أن يحصل للإنسان «مقام الجمع».

وبعبارة أخرى: هي مقام الجمع الإنساني، أو مقام الواحدية؛ إذ إن مقام الجمع الإنساني هو نفسه مقام الواحدية.

وطهارة الحقيقة الإنسانية هي الابتعاد عن كل فقر وفقدان والخلاء الظاهر في مقام الجمع، وتقوية هذا المقام، وفي الحقيقة أن ذلك عبارة عن تقوية مقام وحدته؛ لعدم تناسب وتجانس التوحّد مع التعلّق.

إن الإنسان ـ وبعد قطع العلائق والتعلّق بالأمور الشهوانية ـ يصل إلى مقام

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٢.

التوحّد المحض، ويعيش حينئذٍ في مقام الجمع التامّ، كما أن الله تعالى له في مقام الواحدية جميع الأسماء والصفات، وقد اجتمعت جميعها في ذلك المقام وتلك الحقيقة؛ ولأنه قد طرحت مسألة الجمع مع الكثرة، فيحتمل أن يوجد الفقد في هذا الجمع، ولذا لا يحصل هذا الجمع بتمامه، على خلاف المقام الأعلى من هذا، الذي هو مقام «جمع الجمع»، وعلى الإنسان هناك أن يجمع هذا الجمع، ويصل إلى مقام الأحدية، ومرتبة الجمع الإنساني هو عبارة عن مرتبة نازلة لتلك المرتبة.

والطهارة الأخرى هي عدم التصرّف بصورة كل ما أفاضه الله عليه، فيكون كالمرآة الصافية التي تُري الحقائق والتمثّلات، ولا يخدشها أي شيء إطلاقاً، على خلاف نفس غير الجامع التي تأخذ الحقائق وتُرجعها إلى كثرات القلب والعقل والخيال، وتتصرّف فيها بذلك، أمّا النفس التي اجتمعت، فقد صارت أمينة محضة، ولا تتصرّف ولا تُغيّر بحقائق الأمانات الألهية بأي نحوٍ من الأنحاء إطلاقاً، فهي تُري متن الواقع فقط، قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**...﴾[1]؛ ولذا تظهر له الحقائق كما هي في الواقع؛ وقال نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«اللهم أرني الأشياء كما هي»**[2].

لأن من يُعطي هو أصل من كل جهة، ونحن فرع بالنسبة له، فلماذا يتدخّل الفرع في عمل الأصل؟ كما أن البرعم لا وظيفة له غير أخذ الغذاء من الساق والجذر، وتحويله إلى الفاكهة، فهو لا دخل له في نوع تلك الفاكهة، أو إيجاد تغيير فيها.

---

١. البقرة: ٣١.

٢. بحر المعارف، الطبع الحجري، ص ٣٠٩.

حينما بيّن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في الفَص الآدمي من فصوصه الحقيقة الإنسانية، قال في الفَص الثاني منه، وهو الفَص الشيثي مباشرة ما معناه: حينما يصل الإنسان إلى حقيقة نفسه، ويتأدّب بالآداب الإلهية، يصير عندها لائقاً لأخذ العطايا الإلهية، مثلما أن الله تعالى أعطى لآدم عليه السلام بعد هابيل ابناً باسم «شيث»، أي «هبة الله»، طبعاً أن الوصول إلى هذا المقام صعب، ودقيق إلى الدرجة التي لا نستطيع معها أن نقول: «إذا طلبتُ منه تعالى شيئاً فمن الممكن أن يكون ذلك جسارة منّي، ومن الممكن أن يقلل ذلك العطاء عليّ، إذن، فأنشغلُ بذكره؛ حتى لا أتجاسر، ويكون ذلك موجباً لزيادة العطايا عليّ»، فحتى هذا هو نوع من الطمع والاستجداء، فعلى الرغم من أن تلك الحقيقة هي جوادة، ومعطاء ـ على الرغم من ذلك ـ فإن على الإنسان ألا يكون له توجّه والتفات إلى تلك العطايا، ويقول: «أنا لا أطلب شيئاً، هو نفسه الذي يهب».

قال المحقّق القيصري في شرحه على «الفصوص»:

«والسائلون صنفان، صنف بعثه على السؤال الاستعجال الطبيعي؛ فإن الإنسان خلق عجولا، والصنف الآخر بعثه على السؤال لِمَا علم أنَّ ثَمَّ أموراً عند الله قد سبق العلم بأنها لا تُنَال إلا بعد السؤال؛ فيقول: فلعل ما نسأله فيه سبحانه يكون من هذا القبيل، فسؤاله احتياط لما هو الأمر عليه من الإمكان، وهو لا يعلم ما في علم الله، ولا ما يعطيه استعداده في القبول؛ لأنه من أغمض المعلومات الوقوف في كل زمان فرد على استعداد الشخص في ذلك الزمان. ولولا ما أعطاه الاستعدادُ السؤالَ ما سأل.

فغاية أهل الحضور، الذين لا يعلمون مثل هذا أن يعلموه في الزمان الذي يكونون فيه، فإنهم ـ لحضورهم ـ يعلمون ما أعطاهم الحقّ في ذلك

الزمان، وأنهم ما قبلوه إلا بالاستعداد.

وهم صنفان: صنف يعلمون مِنْ قبولهم استعدادَهم، وصنف يعلمون من استعدادهم ما يقبلونه.

هذا أتَمُّ ما يكون في معرفة الاستعداد في هذا الصنف. ومن هذا الصنف من يسأل لا للاستعجال، ولا للإمكان، وإنما يسأل امتثالاً لأمر الله في قوله تعالى: ﴿...**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**...﴾[1]، فهو العبد المحض، وليس لهذا الداعي همّة متعلقة فيما سأل فيه من معيَّن، أو غير معيَّن، وإنما همّته في امتثال أوامر سيِّده، فإذا اقتضى الحال السؤال، سأل عبودية، وإذا اقتضى التفويض والسكوت، سكت؛ فقد ابتُليَ أيوب عليه السلام، وغيره، وما سألوا رفع ما ابتلاهم الله تعالى به، ثم اقتضى لهم الحال في زمان آخر أن يسألوا رفع ذلك فرفعه الله عنهم»[2].

وقد كنّا قد أوضحنا هذا المطلب فيما سبق[3].

والغرض هو إن الحقيقة الإنسانية تصير في هذه الحال مرآة لجميع التجلّيات الإلهية، التي يعبّر عنها بـ «الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم»، و«الصادر الأول» أيضاً، وعلى الإنسان ـ فقط ـ أن ينتبه في أثناء تلقّيه الحقائق ألّا يتصرّف فيها.

وأنّ أكبر حقيقة تُعطى للإنسان في ذلك المقام هي «القرآن»، وأحد معاني كلمة «قرآن» هو «الجمع» أيضاً، وهناك يفاض على الشخص من حقائق القرآن بوصفه حقيقة جمعية، وعليه أن يحفظ تلك الحقيقة الجمعية بشكل جيّد في نفسه.

---

١. غافر: ٦٠.

٢. شرح فصوص الحكم، الفص الشيثي.

٣. في المجلس السابق، وللزيادة عليك الرجوع إلى الفص الشيثي من فصوص الحكم.

ويمكن القول: إن ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[1]، أي: في الحقيقة الإنسانية.

وبتعبير سماحة الأستاذ:

«إن الله تعالى أنزل القرآن في البُنْية المحمدية ﷺ».

ثم إنه لمّا كانت جميع المراتب النازلة طاهرة بنحو كامل، فإن حقائق القرآن عندما تجد التنزّل، فإنها لا يلحقها أي نقص وخدشة اطلاقاً.

إن الحقائق عندما تتنزّل تأتي إلى مرتبة الروح أولاً، وهناك تأخذ الروح حظّها من ذلك المقام الجمعي، ثم تذهب هذه الحقائق إلى مرتبة القلب، وتُعرض هناك، ثم تَرِد إلى مرتبة العقل، وهنا تخرج بصورة كلّيات مرسلة ومطلقة من دون قيد، بعدها تتصوّر في موطن الذهن والخيال، وبعد ذهابها إلى مرتبة الحسّ المشترك تخرج بصورة كلمة، أو آية، أو جملة، أو سورة، مثل ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ...**﴾.

وبتعبير الأستاذ: إن المراد من جبرائيل بعنوانه المَلَك الذي ينزّل الحقائق، يعني: ذلك الوجود النفسي له في موطن عالم العقل وجود عقلي، ولكنّه عندما يتمثّل ويتنزّل على وجود النبي ﷺ سيُشاهد في مرتبة عقل و وهم، وخيال، والحسّ المشترك، ومرتبة حسّ الإنسان بصورةٍ مُبصَرة، وتُسمع معانيه على شكل صوت حسن، فيشاهده النبي ﷺ على صورةٍ ما، ويسمع منه المعاني الكلّية المرسلة المتنزّلة، فإذا كانت هذه المراحل عند نبي أو رسول، فستسمّى حينئذ «وحياً» وله خصائصه وخصوصياته، وإذا كانت في غيرهما كالوصي والإمام مثلاً، فستسمّى «إلهاماً» وله خصائصه وخصوصياته أيضاً، وفي غيرهم من الناس الصالحين والمتدينين، فستسمّى «تعليماً».

---

١. القدر: ١.

والعقل يأخذ الحقائق على صورة معان كلّية، وبعدما يرى المناسبة يصوّر تلك الحقائق بواسطة قوّة الخيال، وتجري على اللسان.

وقد مرّ بنا تفصيل هذا كلّه في المجلس التاسع؛ فراجع.

إذن، عرفنا أن تصوّر الناس من أن جبرائيل عبارة عن طائر منفصل، يأخذ الحقائق من العالم الإلهي، ويجعلها تحت اختيار شخص مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس دقيقاً.

إن جبرائيل في مقام التنزّل، يصير مرتبة العقل الإنساني تلك؛ ولذا لا يمكن لغير ذلك الشخص أن يرى جبرائيل هذا إلا شخص مثل أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كانت مراتبه الوجودية المراتبَ الوجودية عينها للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم[1]، سوى النبوة التشريعية، وكان له اتحاد وجودي مع متن ذاته صلى الله عليه وآله وسلم ولذا فكل ما كان قد نزل في حقيقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان قد نزل ـ أيضاً ـ في حقيقته، وروحه عليه السلام، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

«...إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا إنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير...»[2].

لأنه كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحياً، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام إلهاماً، كما إنه كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأصالة، ولعليٍّ عليه السلام بالتبع، وهو تابع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فافهم واغتنم.

إن المفسِّر الآفاقي في نشأة الطبيعة يبحث عن شأن نزول القرآن، وأمّا

---

١. كما جاءت الإشارة لذلك في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾، آل عمران: ٦١، وورد في الأخبار الصحيحة أنها نزلت بحق علي عليه السلام والزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، انظر: تفسير الميزان، ج٣، ص٢٦٤.

٢. بحار الأنوار، ج١٤، ص٤٧٦.

المفسِّر الأنفسي، فإنه يبحث عن الآيات الصادرة عن لسان النبي ﷺ التي تنزّلت إلى أدنى مرتبة من مراتب القرآن الكريم وهي مرتبة الألفاظ، ثم يتّحد مع قوّة الخيال للنبي الأكرم ﷺ ليرى كيف تمثّلت هذه الآيات هناك، بعدها يصعد إلى أعلى من هذا، فيشاهد الحقائق القرآنية في مراتب الذهن، والعقل، والقلب، والروح للنبي الخاتم ﷺ ليمكنه الادّعاء بعد ذلك أنه:

«إلهي، شكراً لك حيث شرفّتني بزيارة جمال كتابك الكريم»[1].

وقال الأستاذ أيضا: إن تفسير القرآن هو التفسير الأنفسي، لا تفسير ظاهر العبارات فقط، ففي التفسير الأنفسي يحصل القرب الوجودي، والنوري مع روح الخاتم ﷺ ويتمّ الأخذ منه، وإذا طُوي هذا المسير، فإنه سينزل من حقائق القرآن من تلك القناة الوجودية للرسول الأكرم ﷺ لكل شخص بحسب استعداده، وربّما سيتمكّن حينئذٍ من رؤية جبرائيل عليه السلام، وكلٌ ميسّر لما خُلق له.

والتفسير الأنفسي للقرآن هو أن يجد الشخص نفسه ارتباطاً وجودياً مع الحقائق الوجودية للنبي ﷺ فتنزل حقائق القرآن عليه من هذا الطريق؛ إذ إن القرآن في مرتبة لسانه ﷺ عبارة عن ألفاظ نزلت قبل أكثر من «١٤٠٠»سنة، ولكن قوّة الخيال، والعقل، والروح للنبي ﷺ لا زمان لها حتى نقول إن القرآن نزل قبل كذا سنة وانتهى.

قلنا في شرح «دروس معرفة النفس»: إن نفس الإنسان من موطن الخيال إلى موطن العقل، وفوق العقل مجرّدة عن الزمان والمكان، وأحكام المادّة الأخرى؛ ولذا فالقرآن في حال تنزّل أنفسي آناً بعد آن، وذلك هو «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ»،

---

١. الهى نامه، ص٩٢، رقم: ٥٧٢.

الذي يقول فيه الحقّ تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]، وهذا هو التنزّل الوجودي، والحقيقي للقرآن الكريم، الذي هو في مقام تجرّد النفس الناطقة، لا في مقام اللفظ، والصوت، وأمثال ذلك، وهنا ـ أيضاً ـ ليس للنبي ﷺ التصرّف في الآيات، وكل ما يتلقّاه من الله تعالى يجري على لسانه من دون زيادة، أو نقصان، ولا ينطق عن الهوى إطلاقاً؛ لأنه كان قد طهّر جميع مراتبه الوجودية، فكان كل ما ينطق به ينطق به عن وحي إلهي، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢].

▣ كل شخص يأخذ من الحقّ بما يطابق جدوله الوجودي

لكل إنسان جدول وجودي، به يتّصل بالبحر غير المتناهي للوجود المطلق، وعن طريقه يكتشف الأسرار، ثم بعد ذلك يُظهِر تلك الأسرار حروفاً بما يطابق طبعه ومزاجه.

تقول إحدى السيّدات:

«كنت يوماً أقرأ القرآن، وفجأة انقلب حالي، وأخذت الدموع تنهمر من عيني، فهويت إلى السجود، وأنا أبكي، بعد مدّة، وعندما رفعت رأسي من السجود، رأيت جميع الموجودات بطور آخر».

وهذا نوع من أنواع الأحوال التي ترد على الإنسان، وقد عرضوا ذلك لمِثل هذا الجدول، ويمكن لآخر أن يقرأ القرآن، فتتمثّل له الحقائق بشكل آخر، أو يمكن أن يكون هذا الشخص نفسه يشاهد تمثّلات أخرى في أحوال أخرى، فلا فرق هناك أبداً.

---

١. القدر: ١.

٢. النجم: ٣ و ٤.

وبتعبير سماحة الأستاذ في بداية «دروس معرفة النفس»:

«إذا صفي هذا الجدول وعُمّق، فإنه سيضحى مجرى ماء الحياة، ومجلى الذات والصفات».

إذا طُهّرت النفس الإنسانية الناطقة في جميع مراتبها، فإن الذات الإلهية ستتجلّى فيها، وسيجري ماء الحياة ـ الذي هو الأسماء الإلهية ـ في تلك الروح، يعني: أن الله تعالى سيعطي لذلك الشخص من كل ما عنده من أسماء وصفات، وسيجري ماء الحياة ذاك في كل شخص بقدر قابليته، فإن العطيات على قدر القابليات.

حين يطرح ابن عربي مبحث تجلّيات الحقّ وهباته في الفصّ الشيثي من «فصوص الحكم» يقسّمها على قسمين، هما: «التجلّيات الذاتية»، و«التجلّيات الأسمائية»، وقد أورد الأستاذ في ابتداء «دروس معرفة النفس» ذينك الموردين في خط واحد؛ إذ إنه إذا طُهّرت نفس الإنسان من الظاهر إلى تلك المقامات العالية، فإنه ستتجلّى له ذات الحقّ، وهذه هي «التجلّيات الذاتية»، وسيجري ماء الحياة، وأسماء الله في تلك النفس، وهذه هي «التجلّيات الأسمائية»، قال تعالى عن لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿...**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى**...﴾[1]، فلمّا كان الجدول الوجودي لإبراهيم عليه السلام قد طُهّر في تمام مراتبه، وارتبط بالحقيقة اللامتناهية للحقّ، طلب من ربّه أن يشاهد كيفية إحياء الموتى، والله تعالى قَبل ذلك الطلب؛ فأراه الحقائق بالاسم الشريف «المحيي»، بهذه الصورة: ﴿...**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ**

١. البقرة: ٢٦٠.

يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك، فرأى أنه بمجرّد أن نادى الحيوانات أُحييت من جديد، وجاءته تسعى، يقال في التفسير الأنفسي لهذه الآيات: إن هذه الحيوانات كانت عبارة عن البطة، التي هي مظهر لأكل الوحل، والديك، الذي هو مظهر للشهوة، والطاووس الذي هو مظهر لعبادة الزينة، والنسر، الذي هو مظهر لأكل الجيفة، ويجب أن تُقتل جميعاً، ثم تحيى مرّة أخرى لكي تعود طاهرة.

وقد يسأل أحدكم: لماذا من اللازم لهذه الصفات أن تُحيى في الإنسان مرّة أخرى؟.

فنقول: ذلك لأنّه في نفس الحال الذي تكون فيه هذه الصفات والقوى في الإنسان فإن عليها أن تراعي حدّ الاعتدال، وألّا يكون الإنسان ضحية للإفراط أو التفريط، وهذه هي نقطة تمايز الإنسان من باقي الموجودات، يجب أن يكون صاحب قوّة الشهوة، والغضب، وحب الزينة، ولكن في الوقت نفسه يجب أن يراعي فيها حدّ الاعتدال، ويستفيد منها على ذلك الحدّ.

ولذا فإن أولئك الذين لم يلتفتوا إلى هذه القضية، أشكلوا على النبي صلى الله عليه وآله أنه لمّا كنتَ مبعوثاً، ورسولاً من الله تعالى كيف تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، وكيف تتزوّج، وتتوالد؟ فقال صلى الله عليه وآله: ﴿...**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**...﴾[2]، وليس للإنسان الذي وصل إلى مقام الروح والحقيقة الإنسانية أن يتدخّل، ويتصرّف في مراتبه الوجودية، وعليه أن يعيش كغيره، مطابقاً لنشأة الطبيعة، فهو يصاب بالتعب والإعياء أحياناً، كما كان الباقر عليه السلام ـ مثلاً ـ يعمل في

---

١. البقرة: ٢٦٠.

٢. الكهف: ١١٠، وفصّلت: ٦.

الأرض حتى يصبب منه العرق ويصاب بالتعب، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحفر الآبار والسواقي، ويُجهد نفسه كثيراً؛ ومن ثم فلا يمكن القول: إن هؤلاء عليهم السلام قد وصلوا إلى مقام «إذا شاءوا أن يعلموا علموا، وإذا شاءوا أن يعملوا عملوا» فكيف لا يتصرّفون ويتدخّلون في أمورهم اليومية؟ فقد جاء في معنى الرواية أن موسى عليه السلام قد مرض عِدّة أيام، وأصبح طريح الفراش، ولكنّه لم يذهب إلى الطبيب، وكان يقول: لمّا كنّا مرتبطين بالله؛ فإنه هو يشفينا من هناك، فنزل جبرائيل، وقال له: لا يا موسى! ليس الأمر هكذا، عليك أن تُخرج من جيبك مقداراً من المال، فإني قد جعلت فلاناً طبيباً، وقد أتعب نفسه من أجل الوصول إلى هنا، فعليك أن تذهب عنده كبقية الناس حتى تُعالَج، فإنك لستَ في الجنّة حتى تُوجِد كل ما أردت، فهنا عليك أن تسعى من أجل تهيئة احتياجاتك.

طبعاً هذه القصّة هي لتعليمنا، وإلا لا يمكن لأحد أن يتصوّر ما هو غير لائق بمقام عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وعلى كل حال يجب أن يكون الشخص من أهل الهمّة في مقام الحقيقة الإنسانية، وعليه أن يحفظ كل ما يأخذه من الحقّ تعالى بعنوانه أمانة؛ فإن الله يأمر أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها[1]، ويحوّلها إلى المراتب المادون من دون تغيير وتصرّف.

«والحمد لله ربّ العالمين»[2]

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**...﴾، النساء: ٥٨.

٢. بحمد الله ومنّه، تمت ترجمة هذا المجلس، والمجلس السابق جوار البقعة المباركة للإمامين الهمامين الكاظم والجواد عليهما السلام في بغداد، صانها الله، وآمنها من كل مكروه، يوم الخميس الموافق ٢٠١٢/٤/٥ م. (م).

المجلس الثامن والعشرون

- سِرّ الإنسان، واشتقاق هذه المرتبة في الآيات القرآنية
- شهود إنزال الآيات القرآنية في مرتبة السِرّ
- المراتب الوجودية للقرآن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- الطريقة الصحيحة لقراءة القرآن

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ سرّ الإنسان، واشتقاق هذه المرتبة في الآيات القرآنية

قال سماحة الأستاذ:

«...**وسرّ الإنسان هو حصّته الوجودية من مطلق التجلّي الجمعي، وبهذه الحيثية يرتبط بالحقّ المطلق ويستند إليه، وطهارة السرّ تتحقّق باتصاله بالحقّ المطلق، وزوال الأحكام التقييدية، الّتي تعرض عليه بسبب مصاحبته عينه الثابتة، التي هي المجلى القابل للتجلّي والمقيّد به؛ ذلك لأن مقتضى الحكم الإلهي الحتمي والسنّة الإلهية الثابتة هو أن يكون كل تجلٍّ وصفاته تبعاً لمجلاه، أي: مرآته، ﴿...فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾**[1]».[2]

هذا البحث والمطالب التي يحتويها ـ من الناحية العلمية ـ هو من المسائل الصعبة والمليئة بالمعاني؛ فالمرتبة الأعلى من روح الإنسان وحقيقته يشكّلها «سرّ الإنسان»، وإن اصطلاح «السرّ» في العرفان هو للتعبير عن مرتبة من المراتب الباطنية للإنسان، وهو مأخوذ من القرآن الكريم، فقد جاء فيه: ﴿وَهُوَ

---

١. فاطر: ٤٢.

٢. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٢.

اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ[1]، كما أن لفظ «النفس»، و«الروح»، و«العقل» جاءت في القرآن أيضاً كما هو واضح.

كذلك لفظ «الخفي» نجد له شاهداً في القرآن في قوله تعالى: **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**[2]، وأن مرتبة «خَفِيّ» النفس الإنسانية هي المقام الذي يظن الإنسان فيه أنه لا أحد يعلم ما يكنّه في داخله غيره فقط، ولكن الله يقول: ليس الأمر كذلك، فأنا مطّلع على تلك الخفايا أيضاً.

ويوجد عند العرفاء تعبّد يوجب أخذ اصطلاحاتهم من الألفاظ القرآنية، والروائية، على خلاف الفلاسفة؛ فإنهم ـ غالباً ـ مايجعلون الألفاظ والاصطلاحات من عند أنفسهم، على الرغم من أن الفلسفة الإسلامية حاوية ألفاظاً مأخوذة من القرآن والروايات أيضاً، ولكن العارف القرآني يراعي ذلك أكثر من الفيلسوف، كما أن تعبّد العارف بالعمل بالأحكام الشرعية أقوى وأسبق من تعبّد الفيلسوف.

يعني: في الحقيقة أن العارف أولاً يثبّت عبوديته في حضرة القدس الإلهي، ثم ـ ومن أجل الوصول إلى مرحلة الشهود والعبودية ـ يسير في مسير السير والسلوك، ولكن الحكيم لا يتعبّد سريعاً، فهو يقول: أولاً يجب إقامة البرهان والاستدلال، فإذا استطعت، فهناك أقبَل، في حين أن العارف يقبل واقعية الوجود من البداية، ويتعبّد من ذلك الحين، حتى ـ إن شاء الله ـ ينال شهود الحقائق المنطوية في الموجودات في مسيره الإنساني، بمعنى أن العارف في بداية الأمر لا يرى إلا الحقّ، بعدها يسافر إلى ظهورات الحقّ.

---

١. الأنعام: ٣.

٢. غافر: ١٩.

يقول المحقّق القيصري في شرحه على «الفصوص»:

«...فإن أهل الله إنما وجدوا هذه المعاني بالكشف واليقين لا بالظن والتخمين. وما ذكر فيه ممّا يشبه الدليل والبرهان إنما جيء به تنبيهاً للمستعدّين من الإخوان، إذ الدليل لا يزيد فيه إلّا خفاءً، والبرهان لا يوجب عليه إلّا جفاءً لأنه طور لا يصل إليه الا من اهتدى، ولا يجده عياناً إلا من زكّى نفسه واقتدى»[1].

يعني: نحن في العرفان لاحاجة لنا بإقامة البرهان؛ لأن العرفان مرحلة الشهود الإنساني، وهناك يرى الإنسان كل شيء، منتهاه أننا من أجل أن نأخذ بيَد الحكيم، وننقله من مرحلة الدليل إلى مرحلة العرفان والشهود نكون مجبورين على تجشّم تعب البرهان والاستدلال؛ لننادي على الحكيم بنداء «تعالوا» من هذا الطريق؛ لذا فأهل العرفان متعبّدون، ويقولون: إننا نسعى ونجتهد من أجل أن نشاهد كل ما جاء في القرآن والروايات.

▣ شهود إنزال الآيات القرآنية في مرتبة السِرّ

جاءت في سورة البقرة بعد ﴿**بسم الله الرّحمن الرّحيم**﴾ الحروف المقطّعة «الم»، وفي بيان رموز ذلك صُدّر الباب السابع عشر من «دفتر دل» «ديوان» سماحة الأستاذ بهذا البيت:

(٧٠). على أساس «بسم الله الرّحمن الرّحيم» كمنت كنوز في «الم»[2].

وفي هذا البحث نريد أن نكشف بعضاً من تلك الكنوز.

---

١. شرح الفصوص، بتعليقة العلاّمة حسن زاده آملي، ج١، ص١٩.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

يقول سماحة الأستاذ: عندما أراد القرآن أن ينزل، فإن تلك السور، التي أوّلها حروف مقطعة جاءت في البداية تلك الحروف بصورة ممدودة من مكان بعيد بالشكل الذي شرعت مع ابتداء العالَم، وخُتمت في انتهائه.

مثلاً في سورة البقرة جاءت «الالف» بصورة ممدودة، و«اللام» و«الميم» كذلك، وملأت هذه النغمة كل نظام العالَم والوجود، وكان الصوت في البداية ضعيفاً جدّاً، ثم قوي تدريجياً، وعندما وصلت نغمة الميم إلى النهاية كانت كل الـ«٢٨٧» آية من سورة البقرة قد انكشفت للإنسان، وكذلك كانت كل السور التي أوّلها حروف مقطّعة، يعني: مطابقاً مع كل سورة تبدأ هذه النغمة، وتنتهي بانتهائها، فيكون متن تلك السورة قد تنزّل في روح الشخص، وكان الأستاذ يطلق تلك النغمة بلحن خاصّ، من هنا كان معلوماً أنه ـ حفظه الله ـ قد ذاق صوت تلك النغمة في مرتبة سِرّه، وكان التنزّل القرآني في الجدول الوجودي لحضرة الخاتم ﷺ متمثّلاً عنده ورآه، فعلم كيف كان ذلك التنزّل على رسول الله ﷺ[1]، وقد عرفتَ من المباحث السابقة أن المراتب محفوظة، وكل شخص يتلقّى الحقائق من جدوله الوجودي وعلى قدر سعته.

نعم، إن النفس مجرّدة، وليس لها محدودية المكان والزمان؛ ولذا فمن يُشكّك، ويقل: إن القرآن نزل على النبي ﷺ قبل أكثر من «١٤٠٠» سنة، وبعد مضي ذلك الزمان لا يمكن لأي أحد أن يدّعي ويقول إن القرآن كان قد نزل على النبي ﷺ على النحو الفلاني.

فإن هذا الإشكال مندفع بذلك الأصل الذي قدّمنا.

---

١. وربّما كان هذا واحداً من أسرار قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، القرة: ٢٥٢.

هذا هو الباب السابع عشر من «دفتر دل»، وهو باب ثقيل جدّاً من حيث المعنى، والتدقيق في الحقائق المندرجة فيه تُعين الإنسان في مبحث السِرّ من المراتب الباطنية للوجود الإنساني.

▣ المراتب الوجودية للقرآن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الغرض هو إن العرفاء يقولون: إن وظيفتنا هي تذوّق ومشاهدة كل ما قاله القرآن والروايات، فنحن لا نقنع ـ كما يقنع المفسر الآفاقي ـ بمطالعة مجموعة من التفاسير، وردّ بعض النظريات، ثم نبيّن نظرنا الشخصي، نحن لا نهتم كثيراً بسبب نزول الآية، ومكانها، بل نريد أن نشاهد حقيقة تنزّل القرآن الكريم وإنزاله حتى نصل إلى المعنى الواقعي للإنزال والتنزيل.

طبعاً، يجب الالتفات هنا إلى هذه النكتة، وهي إنه من الممكن لكل شخص كان قد طوى الطريق ـ بحسب استعداده وقدرته ـ أن يصل إلى هذه الحقائق، ولكنّه إذا لم يكن قد تتلمذ على يد أستاذ حقيقي، فإنه ربما لا يلتفت إلى هذه الحقائق، ولذا سيكون عدم الالتفات هذا سبباً لانقطاع تلك الحقائق عنه بالتدريج.

على كل حال فإن قوّة نزول القرآن قد ركّبت في طبيعتنا جميعاً؛ ولذا فقد علّمنا جميع الأنبياء، والرسل من آدم أبي البشر عليه السلام، وإلى خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم طريق اصطياد حقائق الغيب، التي تسمّى عندهم عليهم السلام بـ «الوحي التشريعي»، وعند الواصلين منّا بـ «الوحي الإنبائي والتعريفي»، فاقرأ، وارقه[1].

---

١. وللوقوف على هذا البحث بالتفصيل يمكن الرجوع إلى الباب الأول من كتاب «الإنسان الكامل في نهج البلاغة» لسماحة العلاّمة حسن زاده آملي.

إن القرآن ليس كتاباً اعتبارياً حتى نقول إنه نزل على النبي ﷺ قبل أكثر من «١٤٠٠» سنة، ونحن نستفيد منه ـ فقط ـ في خصوص المسائل والأحكام الشرعية، بل إن حقيقة الأمر هي إن علينا أن نجد القرآن في مقام تجرّد النفس الناطقة في وجودنا، وأن تنزل حقائق القرآن علينا كما نزلت على النبي ﷺ وعلى الرغم من أنه من الممكن أن ينزل تدريجاً على الإنسان ـ مثلما يرى الشخص في عالم الرؤيا أنهُ يقرأ القرآن ـ فإن مثل هكذا رؤيا لا تعبَّر بشكل ساذج فقط، وأنه شخص قارئ للقرآن في يقظته، بمعنى: أن الإنسان يرى في منامه ما كان يزاوله في يقظته، لا ليس الأمر كذلك، بل إن ذلك هو معنىً من معاني تنزّل القرآن على الإنسان.

وبتعبير آخر: كما أن القرآن ينزل على النبي ﷺ بشكل إجمالي دفعي، كذلك يمكن أن ينزل منه على هذا الشخص، ولهذا المطلب تفصيل آخر.

والخلاصة هي: إن على هذا الشخص أن يجد له ارتباطاً وثيقاً بروح النبي الأكرم ﷺ حتى يستطيع عندئذ أن يقرأ القرآن جيّداً، وقد قال الأستاذ: قد نزل القرآن في البنية المحمدية ﷺ فافهم!.

قلنا فيما سبق: لمّا كانت جميع المراتب الوجودية للخاتم ﷺ طاهرة، فإنه قد أخذ جميع الحقائق القرآنية صافية زلالاً في جميع مراتبه الوجودية.

إذن، فحقيقة القرآن موجودة في عالم عقله ﷺ وإن عالم عقل نظام الطبيعة هو شأن من شؤون عقله ﷺ لأن عقل النبي ﷺ ليس جزئياً، وليس له ضيقٌ وجودي مثل عقولنا، فيصل مطلب ما إلى أذهاننا، ولا يصل إلى الآخرين، بل إن عقله ﷺ له من الوسعة التي تجعل عقول الجميع عبارة عن شأن من شؤون عقله ﷺ ولمّا كان القرآن موجوداً في مرتبة عقل

الخاتم ﷺ، فإن كل من ارتبط بالقرآن ـ ولو بنحو من الارتباط ـ فإنه في الحقيقة ارتبط بالمراتب الوجودية للقرآن في نفس النبي ﷺ، وحتى أولئك الأشخاص الذين ارتبطوا مع القرآن بالعين فقط، كأولئك الذين لا يعرفون القراءة، ولكنّهم يتبعون خطوط القرآن بأعينهم فقط، فإنهم قد ارتبطوا بالعين البرزخية الناظرة للقرآن للنبي ﷺ بنحو من الارتباط، وإذا مسّ شخصٌ القرآن في المنام، فإنه بهذا المقدار قد أدرك مسّ النبي ﷺ للقرآن أيضاً، ففي الحقيقة أن طريق الارتباط بالنبي ﷺ هو نفس القرآن الكريم، الذي قال: ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**...﴾[1].

نحن لا نختزل النبي الأكرم ﷺ في جسم مادّي وُلد وكبر تدريجياً، ثم أُري مجموعة من الرؤى الجيّدة، وكانت له بعض التمثّلات، بل نحن نعتقد أن جميع الكلمات الوجودية للعالم هي عبارة عن شأن من شؤونه ﷺ التي نعبّر عنها بـ «الحقيقة المحمدية ﷺ»، وكل ما هو خير وكمال هو في الحقيقة من تجلّيات ذات محمد ﷺ، فافهم[2].

▣ الطريقة الصحيحة لقراءة القرآن

قال سماحة الأستاذ في دروسه مراراً:

«متى ما قصدتَ قراءة القرآن في البداية تصوّر أنك تجلس مقابل النبي ﷺ، وتريد أن تقرأ القرآن بين يديه ﷺ».

وربّما رأى بعضكم طريقة الأستاذ في قراءة القرآن في مجالس ختم القرآن،

---

١. الإسراء: ٩.

٢. إن ميدان البحث هنا وسيع جدّاً؛ فلا تتعجّل فهمه، فإن في ذلك ورطة وهلاكاً، فهو مقام تزلزل الأقدام، فاسمع ولا تنكر، وانتظر البارقة الإلهية.

صدّقوا إنه ـ حفظه الله ـ لم يضع القرآن على ركبته وفخذه، إنه يأخذه بيده كحالة القنوت، ويجلس كجلسة الصلاة، وكأنه جالس في محضر رسول الله ﷺ وكأنه في جلسة قرآنية، وقد جلس جميع نظام العالم في محضر الرسول ﷺ وهو ﷺ رئيس هذه الجلسة، ويقول للحاضرين: اقرأوا القرآن حتى أرى هل تقرأونه بشكل صحيح، أو لا؟.

أو أعلى من ذلك نحن نقرأ القرآن حتى نجد معاني ذلك في محضره ﷺ ونفهم خياله، ونعلم ما هو روح القرآن؟ وما هو عقل القرآن؟ وما هو سِرّه؟ وما هو قلبه؟ و...؟ وكم هو جيّد أن يقرأ الإنسان القرآن بهذا الشكل دائماً، على الرغم من أنه سيتعب، وتتأذّى أكتافه، ويسري هذا الألم إلى جميع بدنه، ولكن هذا سيكون واحداً من طرق تطهير النفس الإنسانية.

كتب بعض الأعزّاء رسالة جاء فيها:

«أن الإنسان في بعض الأحيان يرى رؤيا ما؛ فيقوم من النوم، وهو متعب جدّاً، على الرغم من أنه يكون قد رأى رؤيا جيّدة وحسنة».

وعموماً يجب الالتفات إلى أن المنامات تأخذ أشكالها من اعتقادات الإنسان، فالاعتقادات الإيمانية تُظهِر نفسها لكم في المنام على صورة حسنة، فترون أنفسكم بعد النوم مبتهجين كثيراً، وتشعرون عندها بالراحة والهدوء والطمأنينة، وهذه هي أنفسكم أنتم التي تخبركم تكويناً باعتقاداتكم الجيّدة والحسنة، وأحياناً بالعكس، حيث إن الشخص يرى مناماً جيّداً، ولكنه يستيقظ منقبض النفس مهموم الحال، فيُعلم عندها أن النفس قد تعبت واجتهدت كثيراً من أجل الحصول على الحقائق، ولكن لم تحصل على الحقائق بالدرجة التي تتناسب مع الجهد والتعب الذي قدّمته؛ ولذلك وقعت في ذلك التعب والهمّ،

كالفلّاح الذي يشقى ويتعب من الربيع إلى الخريف، يعمل صباحاً ومساءاً، ثم يرى أنه لم يحصل على الكثير من محصول الأرز مثلاً، فإنه عندها ينزعج ويتألّم كثيراً، ويقول: أنا تعبت جدّاً هذه السنة، ولكن لم أحصل إلا على هذا المقدار القليل من الأرز.

ورؤية المنام هكذا أيضاً، فطالما هو في حال النوم لا يعلم بدنه كم أجهد نفسه من أجل الحصول على الحقائق؛ لذا فعندما يستيقظ يرى بدنه متعباً ومنهكاً بشكل كبير، وفي المقابل لم يحصل على الشيء الكثير، وبالنتيجة تنزعج النفس وتتألّم.

ومن الجيّد هنا أن يكون الإنسان عبداً شكورا، وإن شاء الله يكون ذلك الجهد والتعب عملاً في صالح الإنسان وتهذيبه.

والمهمّ هو أنّ نظام العالم على هذا التقدير، وأنه لم يقدّر له إلا هذا المقدار، وليس من الصحيح أن يقف الإنسان أمام ذلك ويشتكي، ويكون غير مأدّب أمام الله تعالى.

ومثال آخر على ذلك هو إنكم في حال اليقظة لا تستطيعون أن تحرّكوا بدنكم من دون إرادة، ولكن ترون ـ أحياناً ـ أنكم في المنام تريدون أن تضعوا قدمكم على السلّم، فترون فجأة أن قدمكم ذهبت إلى أعلى مما تريدون، وأنكم لا تستطيعون أن تقفزوا هكذا أبداً في حال اليقظة، وفي لحظة ترون أن جميع بدنكم أخذ بالارتجاف، فمعلوم أن جميع بدنكم في حال اليقظة تحت تصرّفكم، وتحت إرادتكم، ولكن عند النوم لا تملكون أي إرادة للتحرّك أبداً؛ لذا ترون في لحظة اليقظة أن جميع خلايا بدنكم وذرّاته تريد أن تنفصل عن بعض؛ فإن ذلك التعب والجهد هو نتيجة لتلك القفزة في المنام.

يقول الأستاذ في القصيدة «الشقشقية» من ديوانه بعد ذكر مجموعة من المكاشفات:

(٧١). إن شئت فاقبل، أو شئت فارفض، كنتُ أعاني ألم المفاصل لشهرين[١].

فما حقيقة ذلك الأمر الذي يوجب ألم المفاصل لمدّة شهرين؟.

ولذا جاء في القرآن الكريم «**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ**...»[٢].

إنك إذا أردت أن تحطّم جبلاً كبيراً، فإن ذلك يحتاج إلى وقت طويل جدّاً، أمّا إذا أراد عارفٌ أن يخرج واحدة من الحقائق التي حوت نفسه، ويلقيها على جبل، فإنه سيتلاشى ذلك الجبل في آنٍ واحد فقط.

قال سماحة الأستاذ:

«يذهب بعض الناس إلى مجالس الوعظ والخطابة، وبعد سماعهم بعض الأحاديث يرغبون في أن يطّلعوا على مكاشفة ما، وهم لا يعلمون أن تلك المكاشفة، وتلك الحقيقة إذا سطعت على قلب أحدهم، فإنّها ستحطّمه، وتكسّره».

في يوم من الأيام زار بعض المسؤولين جناب الأستاذ، وحينما أرادوا المغادرة قال أحدهم للأستاذ: إذا كان عندكم أمر، فنحن بخدمتكم؟.

فقال له الأستاذ ـ بلسان الإنسان الكامل: عليك عملك، هل تستطيع أن تنفّذ

---

١. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٢. الحشر: ٢١.

أوامرنا؟! إذا أردتُ أن آمر جبل «دماوند»[1] لتهَشَّم، فمن أين لك القدرة على سماع أمرنا؟!.

وقال سماحته في الباب الحادي عشر من «دفتر دل»:

(٧٢). عرفتُ القرآن على نحو أنّي أنا اصبحتُ تفسيراً كاملاً له.

لا تفسير العبارات، والظواهر مثل الناظر والمفسّر السطحي...

بل هو التفسير الأنفسي الذوقي، الذي هو أرفع من التفسير الآفاقي[2].

والمهمّ هو يجب أن يطوى هذا الطريق بالتدريج؛ حتى يقوى الإنسان بالتدريج، كالطفل الذي يبدأ أولاً بشرب الحليب، وعندما يكبر ويقوى يأخذ بأكل الغذاء الطبيعي.

وما أكثر الأفراد الذين فقدوا أرواحهم بسبب الإفراط في هذا المسير، أو أنهم بعد مدّة طلبوا من الله تعالى عدم منحهم هذه العطايا مرّة أخرى؛ لأنهم لا يتحمّلون ثقلها.

قال الله تعالى حكاية عن النبي موسى عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]. فكيف لك أن تتحمّل تجلّي ربّ الخاتم صلى الله عليه وآله المطلق، وأنت صعقت من تجلّي ربّ حقيقتك المقيّد؟!.

---

١. جبل في محافظة مازندران.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٣. الأعراف: ١٤٣.

فاقرأ من هذا الحديث المجمل أحداث كربلاء، وكيف تحمّل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ذلك الهمّ والحزن الثقيلين اللذين تخلّف الكثير عن حملهما؟!.

السلام على الحسين، وعلى عليّ بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، ورحمة الله وبركاته.

«والحمد لله ربّ العالمين»

المجلس التاسع والعشرون

- التذكير بوجوب عدم خلط المباحث
- أنواع ارتباط الإنسان بالله تعالى
- سعة الرحمة الإلهية
- تفسير لطيف لباء أول سورة التوبة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ التذكير بوجوب عدم خلط المباحث

في البداية يجب التذكير بألا تُخلط هذه المباحث مع بعضها البعض، فيجب قراءة موضوع طهارة كل قسم في قسمه، ولا يُبعثر بين الأقسام الأخرى، وإلا فسيوجب ذلك عدم رعاية الأمانة العلمية، فنحن الآن في مقام بيان طهارة السِرّ، فلا يُخلط هذا المطلب بأمثلته التوضيحية المذكورة هنا مع المطالب العامّة الموجودة في أذهان الناس في مرتبة الخيال والوهم والعقل والقلب.

وعليكم ألّا تتوقّفوا عند المثال فحسب، بل افهموا روح المطلب، وسِرّه.

▣ أنواع ارتباط الإنسان بالله تعالى

يطرح كبار أهل المعرفة نوعين من الارتباط بين الإنسان والله، **الأول**: هو نوع ارتباط ترتّب الموجودات، حيث إن الجمادات ترتبط بالله تعالى عبر القناة الوجودية للنبات، والنبات عبر القناة الوجودية للحيوان، والحيوان عبر القناة الوجودية للإنسان، والإنسان عبر القناة الوجودية للإنسان الكامل؛ إذ إن سلسلة الموجودات ـ من أنزل المراتب إلى أعلاها ـ هي في مسير إلهي، وإن هذا المسير كافٍ للوصول إلى الكمال بالنسبة لجميع الموجودات، وللجميع

أن يتّصلوا بحضرة الحقّ تعالى من خلال هذا الصراط المستقيم، هذا مسير طولي لتمام الموجودات، وقد جاء في القرآن ﴿...**إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾[1].

والارتباط الثاني: هو الارتباط الخاصّ لكل موجود بالحقّ المتعال، وليس لأحد ـ غير الله ـ الاطّلاع على ذلك حتى تلك المراتب الوجودية العالية ـأيضاً ـ لا خبر لها عن هذا الارتباط، طبعاً أن حضرة خاتم الأنبياء ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام اللذين وصلا إلى مقام الصادر الأول هما مطّلعان على هذا الارتباط السِرّي؛ لأن الصادر الأول هو الرقّ المنشور لجميع كلمات نظام الوجود، وله السريان فيها جميعاً؛ ولذا فإن من وصل إلى ذلك المقام، سيكن له ـ من دون شك ـ اطّلاع على تلك الرابطة المرموزة لكل موجود مع الحقّ تعالى.

إذن، فهذه رابطة مرموزة عجيبة جدّاً، ليس لأحد اطّلاع عليها والعلم بها غير الصادر الأول، والشخص، وإلهه، وكم من شخص ظاهره أنه قطع العلاقة مع الله تعالى، ولكنّه في الحقيقة مرتبط به سبحانه من خلال ذلك الطريق الخاصّ.

قلنا إن النبي الأكرم ﷺ هو صاحب مقام النبوة والولاية المطلقة، وإن شأنية ذلك المقام هي أنه يعطي لكل موجود حقّه من النعمة والكمال اللذين يطلبهما من الله تعالى، ولمّا كان النبي واسطة الفيض الإلهي، فيلزم أن يكون على اطّلاع بارتباط كل موجود بإلهه، وعليه أن يوصل لكل موجود ما يطابق قابليته من النعم والحقائق الإلهية، غاية الأمر تارة يكون واسطة الحقّ ـ في الفيض على المستعدّين ـ اسم «الظاهر»، وتارة اسم «الباطن»، فالنبي ﷺ يتلقّى فيض الوجود، ويفيضه على الموجودات بواسطة الرحمة الرحيمية والرحمانية، فهو على علم بالسُفرة المباركة الإلهية الخاصّة والعامة، وإن

---

١. البقرة: ١٥٦.

الموجودات ترى كمالها من خلال مرآة الجمال الوجودي للخاتم ﷺ، وبعد ذلك يقول ﷺ: الشخص الفلاني يريد القابلية ليصل إلى الكمال والفعلية، وأنا واسطة فيض الحقّ إليه، هو أراد الكمال، وأنا الواسطة، يقول ﷺ:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه مَلك مقرّب، ولا نبيّ مرسل»[1].

وفي ذلك الوقت لم يكن أي أحد عند الله تعالى ـ حتى النبي الخاتم ﷺ بمرتبة وعنوان «نبي مرسل»، لا بمرتبة وعنوان «الصادر الأول»ـ

قال الحكيم النوري في تعليقة له على هذا الحديث:

«..وقوله ﷺ: «[ولا] نبي مرسل»، نكرة في سياق النفي، فلا يسعه نفسه [أيضاً] في ذلك الوقت، فأشار إلى خفاء نفسه عن نظر نفسه، فضلاً عن خفاء غيره ﷺ عن نظر بصيرته البالغة إلى درجة لا يتصوّر فوقها، كما قال تعالى: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾[2].»[3].

كذلك الأئمة عليهم السلام قالوا هذا الكلام نفسه عن الأوقات، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لنا حالات مع الله هو فيها نحن، ونحن فيها هو، ومع ذلك هو هو، ونحن نحن»[4].

وجاء في الزيارة الجامعة الكبيرة:

«...فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ اَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمينَ، وَاَعْلى مَنازِلِ الْمُقَرَّبينَ، وَاَرْفَعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلينَ، حَيْثُ لا يَلْحَقُهُ لاحِقٌ، وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ، وَلا يَسْبِقُهُ سابِقٌ،

---

١. البحار، ج٧٩، ص٢٤٣.

٢. النجم: ٩.

٣. شرح أصول الكافي، ج٣، ذيل الحديث الثاني من كتاب التوحيد، ص٤٠١.

٤. الكلمات المكنونة، الكلمة الخمسون.

وَلا يَطْمَعُ في ادْراكِهِ طامعٌ، حَتّى لا يَبْقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤْمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيْطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلْقٌ فيما بَيْنَ ذلكَ شَهيدٌ إلا عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ اَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأنِكُمْ وَتَمامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقاعِدِكُمْ، وَثَباتَ مَقامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَخاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ...»[1].

ذلك هو مقام الفردية التامّة، يعني: يصير العبد بالنسبة لربّه فرداً مطلقا، ويكون وحده فقط عند الله تعالى.

إذن، ففي متن جدول وجود كل شخص، الذي هو الطريق العام لاتّصال الموجودات بالبحر غير المتناهي هناك ارتباط دقيق وغير مرئي، ولا يمكن لأي أحد أن يدركه ـ كما تقدّم ـ والله تعالى يقول لنبيه ﷺ يا رسول الله، لا تنظر لعبادي بعين الإساءة ولا الإحسان، فكم من الأشخاص تنظرون إليهم نظرة سيّئة، وهم ليسوا كذلك في الواقع، على الرغم من أن هذا الخطاب ـ في هذا المورد وموارد أخرى مشابهة ـ في الظاهر للنبي ﷺ ولكن لأن الله تعالى يعلم أن أمّة رسوله ﷺ نظرهم إلى بعضهم البعض هكذا أوصى نبيه أن يبلّغهم بذلك، وإلا فهو ﷺ ليس بحاجة لهذه الأمور، فهذا هو مرض الأمّة والناس، والله تعالى يوصل إليهم بلاغه عن طريق رسوله ﷺ.

فالشخص لا يستطيع من خلال المعايير الاجتماعية والاعتبارية والفئوية والشخصية والدنيوية أن يصير بصيراً بالناس، فمن الممكن أن يكون مع الآخرين لعشرة أو عشرين سنة، ويظن أنهم جيّدون، ولكنّه يلتفت بعد حين

---

١. مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة الكبيرة.

إلى أنهم لم يكونوا كذلك، فلم تكن ـ إطلاقاً ـ أعمال الأفراد وأفعالهم حاكية بشكل تامّ وكامل عن بواطنهم، فأنتم لا علم لكم ببواطن الناس، فمن الممكن أن يكون شخص سيّء بنسبة ٩٩ بالمائة و ٩ أعشار الواحد، وليس له كمال إلا ذلك العشر الواحد الذي لا يخطر في ذهن أحد أبداً، فله بما يصلحه ذلك العشر الواحد، ويوصله إلى كماله الإنساني اللائق به.

▣ سعة الرحمة الإلهية

لذا فلا يمكن أن يفهم من ظاهر زيارة عاشوراء أنه ربما ـ في زمان ما ـ يخرج الجميع من جهنّم، ولا يبقى فيها خالد إلا عِدّة نفر، حيث جاء فيها:

«اللهم خصّ أنت أول ظالم باللعن منّي، وابدأ به أولاً، ثم اللعن الثّاني، والثّالث، والرّابع...»[1].

فإن الجميع، فرعون، نمرود، وغيرهم ربّما سيخرجون من جهنّم، ولن يبقى إلا أولئك الأربعة، أو الخمسة، أو الأكثر الذين ذُكروا في زيارة عاشوراء، كما أن النبي صلى الله عليه وآله كلمة طيّبة ﴿...**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[2]، وأولئك أيضاً كلمة خبيثة ﴿...**كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾[3].

تأمّلوا كثيراً في زيارة عاشوراء، إن الأئمة عليهم السلام هم أصحاب المقام المحمود، وهذا المقام موجب لأن يكونوا عليهم السلام شفعاء لكثير من المذنبين، حتى أولئك الذين ظلموهم عليهم السلام واغتصبوا حقوقهم.

---

١. مفاتيح الجنان، زيارة عاشوراء.

٢. إبراهيم: ٢٤.

٣. إبراهيم: ٢٦.

وقد أنشد أحد الشعراء شعراً يخاطب به الإمام الحسين عليه السلام قائلاً ما معناه:

«نحن نخشى أن يكون سخاؤك وكرمك يا سيدي شاملاً حتى أعدائك، فعندما ندخل الجنّة، نرى قتلتك من أمثال يزيد هناك، ويكونون قد نالوا شفاعتكم بكرمكم، وسخائكم! فكيف يمكن لنا أن نتحمّل رؤيتهم، ونحن لا نملك ما تملكون من طبائع، وأخلاق كاملة؟!».

ولذا يجب القول للشيعة، اسعوا جاهدين لكيلا تكونوا في المراتب النازلة من الجنّة؛ إذ إنه من الممكن أن تروا هناك ـ بعد أحقاب من الزمن ـ أفرادا مثل قتلة الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، فكم من فرد سيتمنّى عندها أنه لو كان في جهنّم؛ حتى لا يضطرّ لرؤية أمثال هؤلاء؛ لأن مثل هؤلاء يرون أن جهنّم قد خُلّيت وفرغت، ويرغبون في أن يختلوا بخالقهم هناك في مقام العندية، فلا يضطرون لرؤية أعداء أهل البيت عليهم السلام.

ويجب فهم هذا النحو من الكلام في هذه المطالب بعيداً عن الأذهان العامّية.

اعلموا أن رأفة أهل البيت عليهم السلام، ورحمتهم عجيبة جدّاً، طبعاً ما تقدّم ليس بمعنى أن الظالمين والمذنبين لن يروا العذاب في نار جهنّم، ويروا الجنّة في لحظة واحدة، لا أبداً ليس الأمر كذلك، بل إنهم في بداية الأمر سيُعذّبون أشدّ العذاب حتى يطهروا؛ لأن الجنّة ـ بكل مراتبها الدانية والعالية ـ طاهرة، ومكان الطيّبين وما لم يلبس الشخص لباس الطهارة بكل أنواعها في قوّة الخيال، والعقل، والنفس، والروح، والحقيقة، والسرّ، فإنه لا يمكن له أن يدخل الجنّة، عليه أن يكون طاهراً تماماً؛ حتى يستطيع الورود إلى الجنّة، كالمريض الذي لا توجد أي ذرّة سالمة في بدنه، فكم على الأطباء أن يُجروا له من العمليات الجراحية؛ ليتمكّن بعدها من الوقوف على قدميه؟ كذلك الدخول إلى الجنّة

ـ بمختلف مراتبها ـ ليس بالأمر السهل والهيّن[١].

غرضي هو أن الإنسان يريد من طهارة السرّ أن ترتبط حصّته الوجودية بالحقّ المطلق، والحقّ المطلق غير الحقّ المقيّد، فكل واحد من الناس له ربّ خاصّ يطرح حاجاته ومشكلاته في ساحة قدسه، وهذا الربّ الخاصّ هو الربّ المقيّد والذي سيأتي البحث عنه عمّا قريب[٢].

جاء في الروايات: «**من عرف نفسه، عرف ربّه**»[٣]، وهذا هو ذاك الربّ الخاصّ، ويُعبّر عنه ـ أيضاً ـ بالربّ المقيّد، والربّ الجزئي، والإنسان في طهارة السرّ يريد أن يعبر من هذا الربّ ويصل إلى الربّ المطلق، الذي هو ربّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾[٤]؛ فكم من إنسان لا يريد أن يطّلع على مناجاته أحد إلا الله تعالى؛ لذا لا يمكن التكلّم على الناس، ولو كلمة واحدة، فليس من السهل معرفة الصالح والطالح منهم، ويجب الاحتياط بشدّة في هذا الأمر.

فمن الممكن أن يكون ذلك الشخص ـ الذي نعتقد أنه أسوء الخلق ـ على ارتباط صغير وخاصّ مع الله تعالى، فالله تعالى رحيم، وقد عرّف نفسه في مائة وأربعة عشر موضعاً من القرآن بأنه «الرّحمن الرّحيم»، مائة وثلاثة عشر منها في أوائل مائة وثلاثة عشر سورة، و واحدة منها وسط سورة النمل.

---

١. لا شك في أن لبحث الخلود في الجنّة، أو النار، أو العذاب مكانه الخاصّ، كذلك حقيقة الشفاعة، وسعتها، فكل هذه أبحاث عميقة يجب البحث عنها بالتفصيل.

٢. وللتفصيل أكثر عليك الرجوع إلى كتاب «دروس شرح فصوص الحكم»، ج١، ٣١٤.

٣. تصنيف غرر الحكم، ص٢٣٢، ح٤٦٣٧.

٤. النجم: ٤٢.

▣ تفسير لطيف لباء أول سورة التوبة

على الرغم من أن سورة التوبة لم تبدأ بـ ﴿**بسم الله الرّحمن الرّحيم**﴾، إلا أنها ابتدأت بحرف الباء، حيث جاء في أول آية منها ﴿**بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1].

وقد جاء في الرواية أن جميع حقائق ﴿**بسم الله الرّحمن الرّحيم**﴾ هي متضمّنة في «الباء»[2]، فبهذا البيان يمكن القول: كأن حقيقة ﴿**بسم الله الرّحمن الرّحيم**﴾ قد جاءت في «باء» أول سورة التوبة، ولكن لا بصورة ﴿**بسم الله الرّحمن الرّحيم**﴾، وإنما بصورة «الباء».

إن هذا النوع من البيان هو ـ أيضاً ـ نوع من تلطيف السرّ؛ إذ إن الله تعالى ـ في هذه السورة ـ عرّف ظاهره بالغضب والانتقام والتبرّي من الكفّار والمشركين، ولكنّه ـ تعالى وفي بداية نفس السورة، وبلطافة «الباء» كأنه قال: على الرغم من أني ساخط وغضبان، ولكن لا أحقد، فأنا رحيم أيضاً، على الرغم من أنكم قتلتم أوليائي، وتسبّبتم في شهادة عبادي الصالحين، وعلى الرغم من أنكم ظلمتم واعتديتم بكل ما أوتيتم من قوّة، إلا أني لست كعوام الناس أحقد وأضمر في نفسي، نعم، أنا رفعتُ ﴿**بسم الله الرّحمن الرّحيم**﴾، ولكنّي وضعت في بداية تلك السورة «الباء»؛ حتى يكون من لم ير رحمتي وعطفي، ولم ينفتح أمامه الطريق، ولكن جمع قوّته ورجع إلى الارتباط معي، فإني في النهاية سأقول له: إني جعلت «الباء» في بداية ذلك الموضع أيضاً.

---

١. التوبة: ١.

٢. نقل العلاّمة حسن‌زاده آملي في كتاب «هزار ويك كلمه» عن الميبدي في شرحه الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**الحروف كالطبايع والعقاقير، بل كالأشياء كلّها لها خواصّ بإنفرادها، ولها خواصّ بتركيبها**»، ج٧، الكلمة: ٩٥٦، ص ٣٢٠.

لذا فإن العاصي والمذنب حينما يعرف رأفة الله تعالى وعطفه، ويفهمها، فإنه سوف يندم، فيرجع ويتوب.

ولذلك جعل الله اسم هذه السورة «التوبة»، كذلك «التبرّي»، الذي هو بمعنى «الابتعاد» مأخوذ من «برء»، وأوله حرف الباء أيضاً، وبعد غضب الله تعالى يقول لنبيه الكريم ﷺ: لا تنزعج، اعرف أنها أمّتك، وعلى الرغم من أنها فعلت الموبقات، ولكنّي ربّ رحيم، ولا أغلق الباب بوجوههم؛ فقد جعلتُ لهم «الباء» في ابتداء تلك السورة؛ ليندموا على ما فعلوا من طالحات، فينتهوا عنها ويتوبوا، أو إنهم في النهاية يذوقون نار جهنّم، فيستحيلوا ويتطهّروا، فيدخلوا الجنّة، فلا تؤذي نفسك أسفاً عليهم، فإنهم في النهاية سيرجعون إليّ، فإن إلى ربك المنتهى[1].

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلّهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنّ الأمّهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة، فيرحم بها أمّة محمد، ثم يشفّعهم فيمن يحبّون له الشفاعة من أهل الملّة حتى أن الواحد ليجيء إلى مؤمن من الشيعة، فيقول: اشفع لي، فيقول: وأي حقّ لك عليّ؟ فيقول: سقيتك يوماً ماءاً، فيذكر ذلك، فيشفع له، فيشفّع فيه، ويجيئه آخر، فيقول: إن لي عليك حقّاً، فاشفع لي، فيقول: وما حقّك عليّ؟ فيقول: استظللت بظل جداري ساعة في يوم حار، فيشفع له، فيشفّع فيه، ولا يزال يشفع حتى يشفّع في جيرانه، وخلطائه،

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾، النجم: ٤٢.

ومعارفه، فإن المؤمن أكرم على الله مما تظنون»[1].

لذا قيل:

«آخر من يشفع يوم القيامة هو أرحم الراحمين».

طبعاً في هذه المسائل معان خاصّة للجنّة والنار في العرفان ومراتبهما محفوظة هناك، ومن غير الصحيح أن تُحصر كل تلك المعاني والمراتب بمعنىً واحد ومرتبة واحدة مركوزة في أذهان عوامّ الناس.

«والحمد لله ربّ العالمين»

١. بحار الأنوار، ج٨، ص٤٤.

المجلس الثلاثون

- سِرّ الإنسان
- طهارة السِرّ
- معنى الربّ المطلق، والربّ المقيّد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ سِرّ الإنسان، والربّ المطلق والمقيّد

قال الأستاذ في تعريف السِرّ:

«...**وسرّ الإنسان هو تلك الحصّة الوجودية من مطلق التجلّي الجمعي، التي يستند من خلالها إلى الحقّ المطلق...**»[1].

الحقّ المطلق له تجلٍ بسيط يعبّرون عنه بـ«الصادر الأول»، وفي الحقيقة إن أول شيء صدر عن الحقّ تعالى هو هذا التجلّي، الذي له مقام جمعي وشامل لجميع الكلمات الوجودية، ويُعبّرون عنه كذلك بـ«التجلّي الأول»، و«التجلّي الجمعي»، و«الحقيقة المحمدية»، وقد ورد عن جابر بن عبد الله أنه قال:

«قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟.

فقال: «**نور نبيك يا جابر، خلقه الله، ثم خلق منه كل خير**»[2].

وعنه ـ أيضاً ـ أنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقّه**

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٢.

٢. بحار الأنوار، ج١٥، ص٢٤، ح٤٣.

من جلال عظمته»[١].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله، وأبي طالب عليهما السلام»[٢].

وفي الحقيقة أن الذي يظهر عن الحقّ المتعال هو هذا التجلّي، وكل الموجودات بمنزلة الحصص المرتبطة بهذا التجلّي، ويعبّرون عن طريق ارتباط كل موجوع بهذا التجلّي بـ«حصّته الوجودية»، وكل واحد من الموجودات هو بمنزلة جدول منشعب عن هذا البحر العظيم غير المتناهي للتجلّي الأول، وهم ينهلون منه، وهذا الجدول الوجودي ـ لاتصاله بالتجلّي الجمعي ـ مرتبط بالحقّ المطلق.

تجلٍ من وجه الساقي وقع على الوعاء[٣].

(٧٣). كل واحدٍ منّا جدول من بحر الوجود، كلّنا دفتر من الغيب، والشهود.

كل واحد منّا مظهر من واجب الوجود، وللأسف كلّنا بقينا في الجهل[٤].

ويجب أن يطهّر «السِرّ» المرتبط بالحقّ المطلق أيضاً.

---

١. بحار الأنوار، ج١٥، ص٢٤، ح٤٤.
٢. المصدر السابق، ح٤٥.
٣. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.
٤. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

يعني: ذلك السِرّ الذي عبّرنا عنه بالجدول الوجودي، أو الحصّة الوجودية.

وقد شرح الأستاذ في كتابه «هزار ويك كلمه»[1] الحديث المنقول عن الإمام الصادق عليه السلام الذي جاء فيه:

«إنّ الله اخترعني من ذاته، وأنا غير منفصل عنه؛ إذ نور الشمس غير منفصل عنها؛ ثم ناداني بي، وخاطبني منّي، ثم قال لي: «من أنا منك، ومن أنت منّي؟» فأجبت بلطافتي: أنت كلّي وأصلي، منك ظهرت، وفيّ أشرقت، أنا كلمتك الأزليّة، وفطرتك الذاتيّة...».

ويجب أن يُعلم أن ذلك لسان حال كل موجود قد أجراه الإمام الصادق عليه السلام على لسانه الشريف.

▣ طهارة السِرّ

طهارة السِرّ هي أن على الإنسان أن يتّصل بالحقّ المطلق لا بالحقّ المقيّد، الذي يعبّرون عنه بـ «ربّ النوع»، و«الربّ الخاصّ» أيضاً؛ لأن كل شخص في البداية ينادي ربّه، وأن الكسرة التي تحت الباء في «يا ربِّ، يا ربِّ، يا ربِّ» في دعاء كميل تدل على حذف الباء، يعني: أنه كان في الأصل «يا ربّي»، ثم حذفت تلك الياء، كذلك «ياء» آخر «إلهي»، و«سيدي»، و«مولاي»، فكل هذه تدلّ على أن الإنسان ينادي ربّه المقيّد، وعلى الإنسان في مقام طهارة السِرّ أن يعبر من هذا الربّ، ويصل إلى الربّ المطلق[2].

ثم قال الأستاذ:

---

١. هزار ويك كلمه، ج١، الكلمة: ٩٨، وقد تقدّمت الإشارة لذلك.

٢. وقد أوضحنا موضوع الحقّ المطلق، والحقّ المقيّد في شرحنا على «دروس معرفة النفس»، فراجع.

«...وطهارة السِرّ تتحقّق باتصاله بالحقّ المطلق، وزوال الأحكام التقييدية التي تعرض عليه بسبب مصاحبة عينه الثابته، التي هي المجلى القابل للتجلّي، والمقيّد به...»[١].

إن كل جدول يكون مرتبطاً بربٍ خاصّ تكون أحكامه الوجودية مقيّدة أيضاً، وعندنا حديث عن رسول الله ﷺ باسم «حديث التحوّل» جاءت الإشارة إليه في «شرح الفصوص» للقيصري وقال: إنه صحيح[٢]، وهذا مقطع من الحديث:

«...يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول من كان يعبد شيئاً، فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا، فإذا جاء ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: أنت ربّنا؛ فيتبعونه...»[٣].

ومعلوم أن أولئك لم يكونوا طاهري السِرّ، ولم يتّصلوا بالحقّ المطلق؛ ولذا أنتم ترون الآن أنّا نعبد الله تعالى؛ ليؤمّن لنا أمورنا المادّية، ولكنه لو أراد أن يتجلّى لنا بنحو يختلّ فيه كسبنا ومعيشتنا، فإنّا سوف نقول: أي إله هذا الذي خرّب حياتنا، ومعيشتنا؟! نحن نريد إلهاً لا يفعل كذلك معنا، بل نريد ربّاً يهيء لنا أسباب الدعة والراحة، والخلاصة: هي إننا نريد إلهاً يكون على وفق مشتهياتنا.

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٢.

٢. شرح الفصوص بتعليقة الأستاذ العلّامة، ج٢، ص١١٨٨، الفَص الإلياسي.

٣. صحيح مسلم، باب معرفة طريق الرؤية، ح٢٩٩، بإسناده عن أبي سعيد الخُدري.

التفتوا إلى عبارة المتن فهي صعبة جدّاً، فإذا أردنا أن نفهمها، علينا أن نشتغل أشهراً ـ في الأقل ـ لبيان المباحث العرفانية الدقيقة والصعبة، ولكنّا هنا نكتفي بالتمثيلات المتعارفة.

والمعنى هو: إننا نريد إلهاً يهيّء لنا لوازم الزوجة، والولد، ويشفي مريضنا، ويحل مشكلاتنا، وهذا هو الربّ المقيّد، الذي نريد منه أن يقوم بتلك الأعمال مطابقاً لمشتهياتنا، في الحال عينه فإن للآخرين أيضاً متطلّبات مختلفة في مقابل طلباتنا، ويريدون من ربّهم أن يهيئها لهم ـ أيضاً ـ وعلى الجميع أن يستفيد من الأرض، والسماء، والشمس، والموجودات الأخرى، فإن العالم لجميع الموجودات، ولو كان مقرّراً أن يعيش كل إنسان بحسب ما يريد، وكيفما يرغب، فلازم ذلك هو أن يُخلَق لكل إنسان عالم منفرد؛ لينزل عليه المطر متى شاء، وتشرق له الشمس متى أراد، في الحال نفسه نُظّم العالَم بالطريقة التي يمكن لكل شخص في طول عمره تقريباً أن يصل إلى طلباته، فإن الأربَاب الجزئيين يديرون كل الأشخاص، وهم يراعون أغراض كل فرد من الموجودات، كذلك هم يحفظون نظم العالم.

▣ معنى الربّ المطلق، والربّ المقيّد

الآن دقّقوا في عبارة العارف صدر الدين القونوي في تفسيره فاتحة الكتاب، التي نقلها العلاّمة ابن الفناري في «مصباح الأنس»، حيث قال:

«إن الربَ اسم كلّي، سارٍ بجميع معانيه في جميع الأسماء الكلّية، والجزئية، وظاهر في كل اسم بحسبه، فكل موجود حقيقته مُنشاة من حقيقة إلهية أصلية، أو فرعية إلى ما لا يتناهى كان الوجود المضاف إليه الظاهر في المراتب الكونية روحاً، ومثالاً، وحسّاً متعيّناً من حضرة اسم متعيّن بتلك

الحقيقة الإلهية، فكان تلك الاسم ربّه المتولي لتربيته...»[١].

وقال القيصري في الفَص الموسوي من شرحه على «فصوص الحكم»:

«واعلم أن الربّ المطلق بمعنى المالك، والمصلح، والسيد، وغيرها من المعاني التي يطلق الربّ عليها، هو الله تعالى وحده لا اشتراك فيه لأحد، والربّ المضاف يطلق للحقّ تعالى كقوله: ﴿**الحمد لله ربّ العالمين**﴾، ويطلق لغيره ـ أيضا ـ كقولهم: ربّ الدار، وربّ الغلام، وربّ القوم ...»[٢].

وقال في الفَص المحمدي ﷺ:

«لمّا كان كل جزء من العالم دليلاً على أصله، والاسم الذي هو ربّه كان محمد ﷺ ـ أيضا ـ دليلاً واضحاً على ربّه الذي هو ربّ الأرباب كلّها، وهو الله سبحانه وتعالى»[٣].

فالربّ المطلق، والربّ المقيّد ـ في الحقيقة ـ هما عبارة عن حقيقة واحدة، فإذا نظر العبد لله من زاوية رؤيته هو فقط، فإنه عندئذ سوف يرى الله بقدر طلباته واحتياجاته، وهذا ما يعبّرون عنه بالربّ المقيّد؛ إذ إن هذه المشاهدة والرؤية هي بقدر قابلية الفرد، وأمّا إذا رأى الله تعالى أوسع من طلباته ومتطلباته، أي: أن يراه ربّ جميع موجودات العالم، فهنا يعبّرون عنه بـ «الرّب المطلق»[٤].

إذن، علمنا أن المراد من التعبير بـ «الأرباب الجزئية» ليس هو الأرباب

---

١. مصباح الأنس، ص ١٥١.

٢. شرح الفصوص، الفص الموسوي.

٣. المصدر السابق، الفص المحمدي.

٤. ولزيادة التفصيل في معنى الربّ المطلق، والربّ الجزئي يُرجع إلى كتاب «شرح دفتر دل»، ج١، ص٢٧٢ وما بعدها، كذلك «دروس شرح فصوص الحكم»، ج١، ٣١٤.

المتعدّدين؛ حتى تقول: هذا ربّ الإنسان، وهذا ربّ الشجر، وهذا ربّ الشمس، وهم مقيّدون، وذلك الآخر ربّ جميع الموجودات، فهو ربّ مطلق؛ لأن هذا الاعتقاد هو الوحدة العددية التي يتجلّى الشرك في متنها.

والله تعالى قد أشار في قرآنه الكريم إلى الربّ المقيّد، والربّ المطلق حيث قال: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1]، فربّ السموات شاملٌ لجميع موجودات ما وراء الطبيعة، وربّ الأرض شاملٌ لجميع الموجودات المادّية، إذن، ربّان جزئيان محيطان بجميع الكلمات الوجودية، ومن دون أن يأتي بـ «واو» عاطفة يُعرّف هذين الربّين الجزئيين، ويقول: ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، وأن هذين الربّين هما ذلك الربّ المطلق، وهو الله الذي له الحمد فقط.

بهذا المعنى: وهو إن الإنسان إذا فتح جدوله الوجودي، فإنه يستطيع أن يعبر من الأربّاب الجزئية ويتّصل بالربّ المطلق، وفي الحقيقة أن الله تعالى بعدم عطفه ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ على ﴿**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ**﴾ أراد أن يقول: إن الربّ المطلق ليس منفصلاً عن الربّ الجزئي، بل إن هذه هي سعة الأفراد المختلفة.

إذا تلألأت شمس وجود الحقّ على ناظري خاتم الأنبياء ﷺ، فإنها ستظهر للآخرين أيضاً، ولا يقوى أحد على تحمّلها، وسيفنى الجميع، وبمعنىً من معاني زلزلة القيامة هو نفسه تجلّي الحقّ المطلق للعباد، وبعد هذه الزلزلة لا يستطيع أحد أن يقرّ بالحقّ، ثم يتجلّى الله لكل واحد ليحاسبه على أعماله، ويعبّرون عن هذا المقام «بالتنزّل» أيضاً، كما لو أن أستاذاً ظهر لطلاّبه الجديدي العهد بالدراسة بكل سعة علمه و وجوده، فإن جميع أولئك الطلاّب

---

١. الجاثية: ٣٦.

سيتلاشون، وعندما يرى الأستاذ أن طلّابه لا سعة لهم بهذا الظهور، فإنه سيلقي لهم المطلب الصعب بمثالٍ أو مسألة واضحة تتناسب مع سعتهم واستعدادهم، ثم إن الطلبة يظنّون أن حقائق الأستاذ ما هي إلا بهذا المقدار، والحال أن الأستاذ عالم بمطالب كثيرة جدّاً، غاية الأمر أنه لا مناص له من التنزّل والتكلّم بما يتناسب وسعة الطلبة، ثم لو أن هذا الأستاذ ذكر مطالبه على شكل مجموعة من المعادلات الرياضية، فسترون أن الطلاب سيقولون: نحن لا نريد هكذا أستاذا، قال تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

إن القابل ينظر إلى الله تعالى بمقدار قابليته، ولكن في الحقيقة نحن جميعاً مرزوقون من المشكاة الوجودية لحضرة خاتم الأنبياء ﷺ، وأن التجلّي التامّ للحقّ المطلق هو للنبي الأكرم ﷺ، وقد جمعت جميع التجلّيات في هذا التجلّي، والعرفاء شبّهوا ذلك بشعاع الشمس الذي يسطع عبر شبكة النافذة المتلونة إلى الداخل، فإن نور الشمس واحد، ولكن لمّا كانت ألوان الشبكة كثيرة، فإننا نرى أن شعاع الشمس ذلك قد تلوّن بألوان مختلفة.

وحينما تصلون إلى التجلّي التامّ، سترون وقوع هذه الآية: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾[1]، ويكون الجميع قد خرج من القيد والأثقال.

نعم، ما لم تصل من جدولك الوجودي إلى الحقّ المطلق، فإنه لن يظهر لك سلطان حقيقة الوجود، فعليك أن تسعى وتجتهد وتتّصل من هذه الكوّة بشمس الوجود؛ لترى العالم بأسره على حقيقته؛ ولذا حينما سأل اللعين ابن زياد ـ عليه اللعنة ـ السيّدة الطاهرة زينب الكبرى عليها السلام ـ: كيف رأيتِ صنع الله

---

١. الزلزلة: ١ و ٢.

بأخيك، وأهل بيتك؟.

قالت عليها السلام:

«...ما رأيتُ إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل؛ فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج، وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»[1].

وتنبّه إلى أنّها ـ صلوات الله عليها ـ ما قالت: إلا جمالا، بل قالت: إلا جميلاً، أي إنها عليها السلام كانت ترى صاحب الجمال، فتدبّر.

وعليك أن تعرف من هذا الكلام علو مقامها ـ روحي لها الفداء ـ بعد أن تلاحظ مقام السيّدة مريم عليها السلام المكنون في قولها لمّا خافت ممن تظاهر بالعلم من بني إسرائيل بعد أن آذوها وأخرجوها من المعبد، فهامت في الصحراء، ولمّا قرب وقت ولادتها قالت ـ كما حكاه الله تعالى عنها في قوله: ﴿...**يَا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنسِيّاً**﴾[2]، فما هو مقامها عليها السلام؟ وما هو مقام مولاتنا الحوراء زينب ـ صلوات الله عليها ـ حيث قالت: «**ما رأيتُ إلا جميلا**»، وانتقل بفكرك إلى أي درجة من التسليم والرضا بقضاء الله تعالى وصل مقامها عليها السلام، فافهم، واغتنم، وتمسّك بولايتهم عليهم السلام؛ فهي النعمة العظمى التي لا نفاد لها، ولله الحمد والمنّة.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٦.

٢. مريم: ٢٣.

المجلس الواحد والثلاثون

- تطهير سِرّ الإنسان من الأرباب المقيَّدة
- انقلاب الذات بواسطة الآخرين
- انقلاب الذات بواسطة نفس الشخص

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ تطهير سِرّ الإنسان من الأرباب المقيَّدة

قال سماحة الأستاذ ـ حفظه الله تعالى:

«...**وطهارة السِرّ تتحقّق باتصاله بالحقّ المطلق، وزوال الأحكام التقيّدية التي تعرض عليه بسبب مصاحبة عينه الثابتة، التي هي المجلى القابل للتجلّي، والمقيّد به**[1]...»[2].

لكل شخص اتصال وجودي مع ربّه الخاصّ به بواسطة حصّته وقناته الوجودية، يعني «عينه الثابتة»[3]، وليس هناك احد منقطع عن الاتّصال بربّه الخاص[4]؛ ولأنه مرتبط بربّه الخاصّ، فله أحكام مقيَّدة بذلك الربّ، ويعبّرون عن تلك الأحكام بـ «الأحكام التقيّدية»، وطالما هو مرتبط بربّه الخاصّ فهو موجود ومظهر جزئي، يعني أن تلك الذات والعين الثابتة هي مجلى ومظهر لربّه الخاصّ، وستكون تحت تبعيته؛ لذا فهو مقيَّد وعليه أن يأخذ الفيض من

---

١. الضمير يرجع إلى السِرّ.

٢. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٢.

٣. والعين الثابتة عبارة عن حقائق الأشياء في عالم العلم الإلهي.

٤. وهذا هو نفسه الإمكان الفقري من هذا الجانب، والإضافة الإشراقية من ذاك الجانب.

هذه القناة فقط إلى أن يصل إلى ما قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللهم، نوّر ظاهري بطاعتك، وباطني بمحبتك، وقلبي بمعرفتك، وروحي بمشاهدتك، وسرّي باستقلال اتّصال حضرتك، يا ذا الجلال والإكرام»[1].

ففي هذه المرتبة يتّصل سرّ الإنسان بالربّ المطلق، ويخرج من التقيّد؛ ولهذا دعا الإمام عليه السلام في مقام السرّ بارتباطه باستقلال اتصال حضرة الحقّ، يعني بإطلاق الحقّ واستقلاله، لا بحضرة الحقّ المقيَّد، الذي هو تابع للشخص ـ على ما مرّ بيانه في المجلس السابق ـ وذلك لأنه بتعبير سماحة الأستاذ: طالما أن الشخص مرتبط بالربّ الخاصّ فتجلّياته مقيَّدة، ولا يمكن له ـ مادام في الحال تلك ـ أن يستفيد من تجلّي الحقّ المطلق، وأن طريق الاستفادة من تجلّيات الربّ المطلق هو السفر من الحقّ المقيَّد إلى الحقّ المطلق، وإذا لم يخرج من حيطة الربّ الخاصّ ومن ذلك التقيّد حتى يوم القيامة فسيرى الله هناك بذلك المقدار فقط لا أكثر، قال تعالى: ﴿...**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**﴾[2]، فهو لا يستطيع أن يغيّر سنّة الله، فالشخص الذي لا يعرف إلا ربّه الخاصّ ولم يتّصل بالربّ المطلق، عليه أن يبقى في ذلك المقام فحسب، فهو لا يستطيع أن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾[3]، فهو يكتفي بذلك المقدار الذي يُعطى له من الجنّة، ويرضى به.

ثم قال الأستاذ:

«... **ذلك لأن مقتضى الحكم الإلهي الحتمي، والسنّة الإلهية الثابتة هو أن**

---

١. المولى عبد الصمد الهمداني، بحر المعارف، الطبع الحجري، ص٣٠٩.

٢. فاطر: ٤٣.

٣. القمر: ٥٥.

يكون كل تجل وصفاته تبعاً لمجلاه، أي: مرآته ﴿...فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾[1].

يعني: أن التجلّيات الإلهية تصير تابعة لهذا الشخص[2]؛ ولذا فإن الله يتجلّى له هناك بحقيقته أولاً، ولكنّه لمّا كان نظر ذلك الشخص ضيّقاً وضعيفاً لعدم اتصاله بالربّ المطلق الختمي، فإنه لن يعتقد بالله تعالى على ذلك التجلّي، ويُنكره، فينزّل الله سبحانه تجلّياته؛ لتكون مطابقة لطبيعة ذلك الشخص ومجلاه، فيقبلها حينئذ، ومن ثم يكون الله تابعاً له في تجلّياته، فكأنه ليس للحقّ استقلال في تجلّياته، وهذه التبعية تصير سنّة إلهية، والله لا يوسّع ظرفية هذا الشخص وسعته أبداً، فيتجلّى له على حقيقته، وهذا هو ـ أيضاً ـ سرّ قولنا: «ذات فلان لا يمكن أن تُغيّر»، طالما أنه محدود، فالتجلّيات الإلهية تابعة له، طبعاً ليس المراد من ذلك هو أن يكون الله مجبوراً ـ والعياذ بالله ـ بل إن هذه هي سنّة الله التي قضت بإرسال الماء لكل عطشان بقدر عطشه.

تصوّروا ـ مثلاً ـ بحراً منشعباً منه جدول صغير، والبحر يريد أن يعرض نفسه بتمام وسعه وحقيقته لذلك الجدول، ولكن لمّا كان ذلك الجدول لا يملك القابلية لتقبّل ذلك البحر بذلك الوسع، فيصير قابلاً له بما يناسب ظرفيته وسعته فقط، وإذا رأى البحر أن ذلك الجدول ليس له القابلية ولم يتّصل بالبحر ولم يفن فيه فسيجري فيه الماء على قدر سعته فحسب، ويُعبّر عن ذلك بسنّة جريان البحر في الجدول.

لاحظوا هنا أنه لمّا كان القابل لم يحصل على القابلية الكافية، كذلك الفاعل

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٢.

٢. والمجلى هو ربّه المقيّد.

لم يظهر إلا بمقدار تلك القابلية المحدودة للقابل.

ومن الممكن أن يُطرح سؤال هنا، وهو: إن الله تعالى يجب أن يعمل كما هي حقيقته في يوم القيامة، فكيف يكون تابعاً للأفراد؟ وهنا يأتي بحث العدالة والكرامة الإلهية؛ ولذا نحن ندعو الله في قنوت صلواتنا: «إلهي عاملنا بفضلك، ولا تعاملنا بعدلك»، وفضل الله هو أن يظهَر لعباده بمقدار سعتهم.

في النتيجة لن يحاسَب في هذه المرحلة أي عبد من العباد على وفق ذلك، ولكن انظروا إلى أولئك الذين هم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فهم في مقام سِرّهم ليس لهم أي التفات أو توجّه إلى الحساب أصلاً، فالحساب هو للذين لم ينهلوا من بحر الرحمة الإلهية حتى ولو بمقدار سعتهم، فإن مثل هؤلاء هم الذين سيكونون مورداً للمحاسبة والمؤاخذة.

وفئة أخرى هم الذين فتحوا الطريق أمام البحر الإلهي للجريان، فإنهم ـ أيضاً ـ يتنعّمون بأنهار من ماء ولبن، كما قال سبحانه: ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ...**﴾[1]، وهؤلاء ـ أيضاً ـ يقنعون بهذا المقدار.

طبعاً نحن لا نستصغر هذه المقامات، ولكنّا نقول: إن الشخص الذي اتصل بالبحر وصار فانياً فيه فهو لا يريد النهر؛ إذ النهر قد أصبح مثل البحر، وهو يطلب الحقّ المطلق نفسه، فسافر من الربّ المقيّد والنهر المحدود إلى البحر اللامحدود والربّ المطلق، وهو ربّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم المنتهي إلى ﴿**وَأَنَّ إِلَى**

---

١. محمد: ١٥.

رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾[1].

وقد نقلنا في المجلس السابق كلام العلاّمة ابن الفناري، حيث قال في «مصباح الأنس»:

«إن الربّ اسم كلّي سار بجميع معانيه في جميع الأسماء الكلّية والجزئية، وظاهر في كل اسم بحسبه، فكل موجود حقيقته منشاة من حقيقة إلهية أصلية أو فرعية إلى ما لا يتناهى كان الوجود المضاف إليه الظاهر في المراتب الكونية روحاً، ومثالا، وحسّاً متعيّناً من حضره اسم متعيّن بتلك الحقيقة الإلهية، فكان تلك الاسم ربّه المتولّي لتربيته... أمّا نبينا محمد ﷺ، فله المنهل الأعلى وهو التجلّي الأول الذي نوره أولاً وربّه ثانياً، وهو أصل جميع الأسماء والتعيّنات العلمية والوجودية ومنتهاها كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى** ﴾، وقال تعالى: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي...** ﴾[2]، الآية، فإن هو التجلّي الأول الذي هو مسمّى «هو»، وباطن الاسم الله»[3].

وقال القيصري في الفص المحمدي ﷺ من «شرح الفصوص»:

«لمّا كان كل جزء من العالم دليلاً على أصله، والاسم الذي هو ربّه كان محمد ﷺ ـ أيضاً ـ دليلاً واضحاً على ربّه، الذي هو ربّ الأرباب كلّها، وهو الله سبحانه وتعالى»[4].

وصاحب طهارة السرّ يصل إلى هذه الدرجة، ولكن الوصول إلى تلك الدرجة أولاً وبالأصالة للخاتم ﷺ، ولعلي عليه السلام بالتبع، وللأئمة المعصومين عليهم السلام

---

١. النجم: ٤٢.

٢. الكهف: ١٠٩.

٣. مصباح الأنس، ص١٥١.

٤. شرح الفصوص، الفَص المحمدي.

بتبعهما، وللسائرين باتّباعهم عليهم السلام.

والمهمّ هو أن يصير النهر بحراً، لا أن نصيّر البحر نهراً، فافهم، واغتنم؛ ففيه من اللطائف القرآنية والروائية والعرفانية الكثير.

ومن المهمّ ـ أيضاً ـ أن نأخذ هذه الحقائق عن أهلها بفهم سليم وصحيح؛ فإنه متى ما تحقّقت جميع مراتب الطهارة في السالك و وصل إلى هذه المرتبة، فإن هذا المطلب سيتجلّى واضحاً عياناً أمامه، وإلا فستختلط هذه المطالب في ذهنه، وستعود وبالاً عليه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ**﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾[٢].

▣ انقلاب الذات بواسطة الآخرين

يمكن لنا أن نسأل هنا هذا السؤال، وهو هل يمكن لوليّ من أولياء الله أن يغيّر ذات شخص لم يعمّق جدوله الوجودي، ولم يهيّئه لاستقبال الفيض الإلهي؟.

يمكن أن نفهم من ظاهر قوله تعالى: ﴿...**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**﴾[٣]، أنه لا يمكن تغيير ذات الشخص، ولاسيما أن الآية

١. البقرة: ٢٦.

٢. آل عمران: ٧.

٣. فاطر: ٤٣.

صُدّرت بحرف «لن»، وهو يفيد التأبيد.

وموسى عليه السلام ـ أيضاً ـ طلب من الحقّ تعالى أن يريه تجلّي الربّ المطلق، الذي هو ربّ نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فقال تعالى حكاية عنه: ﴿**وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**...﴾[1]، ولكن لمّا كان موسى عليه السلام متصلاً بالربّ المقيّد، ولم يكن عنده ظرفية تجلّي تمام الحقيقة الإلهية، فقد خرّ صعقا، كما قالت الآية: ﴿...**وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**...﴾[2]، وبعد هذا لم يطلب موسى ذلك مرّة أخرى؛ لأنه علم أنه لا يملك الظرفية الوجودية لتلك الرؤية، كذلك هو لا يستطيع التصرّف في سنّة الله تعالى، وبتعبير جناب الأستاذ:

«...**إن مقتضى الحُكم الإلهي الحتمي، والسنّة الإلهية الثابتة هو أن يكون كل تجلٍ وصفاته تبعاً لمجلاه، أي: مرآته**...».

إن كل شخص يعكس نور شمس الحقّ بمقدار مرآته الوجودية، وإلا فإن الشمس لو أرادت أن تشرق على المرآة بتمام حقيقتها، فعندئذٍ لن يبقى من المرآة شيئاً أبداً، وستفنى تماماً، ولكن ليس غرض الحقّ الإعدام والإفناء، ولو كان كذلك لما خلَقنا إطلاقاً.

إن السنّة الإلهية تقتضي أن يعيش كل فرد على حدّه وقَدَره، ولا يمكن له أن يرفع تلك الحدود، وإلا فلا الشمس بخيلة في إشراقها، ولا البحر بخيل في جريان مائه، ولكن الشمس تابعة لظرفية المرآة، والبحر تابع لسعة الجدول، وكذلك الله تعالى يتجلّى على أساس قابلية كل جدول وجودي وظرفيته وسعته.

---

١. الأعراف: ١٤٣.

٢. الأعراف: ١٤٣.

▣ انقلاب الذات بواسطة نفس الشخص

وهنا يأتي سؤالٌ آخر، وهو هل يستطيع نفس الشخص أن يغيّر ذاته؟ كالنهر الذي يتّسع بعد مدّة من جريانه، فيتحوّل إلى بحيرة، أو بحر، فهل هذا ممكن؟.

ومن أجل الوصول إلى جواب هذا السؤال يجب عليكم أن تتأمّلوا في «مقام لا يقفي النفس الإنسانية»[1]، ستفهمون هناك أن الإنسان يستطيع ـ على أساس الاشتداد الجوهري للنفس ـ بواسطة تحصيل العلم أن يوسّع ظرفيته وسعته الوجودية.

صدّقوا أن بحث «الحركة الجوهرية»، الذي هو من ابتكارات الفيلسوف الكبير صدر المتألهين ﷺ لهو من المباحث الفعّالة هنا في حلّ كثير من العقد.

نعم، العلم فيض يوسّع من ظرفية وسعة النفس، وإن الإنسان بحصوله على الاتّصال بالفيض والارتباط به يتوسّع ويتوسّع إلى أن يصير بحراً للفيض.

ومعلوم أن بحث «مقام لا يقفي النفس الإنسانية» هو بحث عميق ودقيق جدّاً.

إذن، على أساس مقام «فوق التجرّد للنفس»، يمكن لكل إنسان أن يتّصل بالحقّ المطلق، ولكنّه مادام في محدودة قوّة الخيال والعقل، فإن الربّ المطلق سيتجلّى له بهذا المقدار أيضاً؛ فحتى الموجودات المجرّدة العقلية لا تستطيع أن ترتفع أكثر من محدوديتها العقلية؛ ولذا فمن غير الممكن أن تُغيَّر ذات الملائكة؛ ولذلك ورد عن الإمام الباقر ﷺ في حديث المعراج:

«...فلما انتهى به [أي بالنبي ﷺ] إلى سدرة المنتهى، تخلّف عنه جبرائيل، فقال رسول الله ﷺ يا جبرائيل، أفي مثل هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدّم

---

١. انظر: العيون ٢٤، و ٤٤، و٤٥، من كتاب سرح العيون.

أمامك، فوالله لقد بلغتَ مبلغاً لم يبلغه خلق من خلق الله قبلك...»[1].

فإن ظرفية جبرائيل عليه السلام كانت بهذا المقدار، وكان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يرتقي وحده.

ولو سأل سائل هنا: هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستطيع أن يوسّع ظرفية جبرائيل، ويأخذه معه؟.

الجواب هو لا، لم يكن ذلك ممكناً؛ لأن طبيعة جبرائيل وحقيقته كانتا بذلك المقدار، وأن الملائكة موجودات مجرّدة ليس لها الاستعداد للتوسّع؛ إذ إن ذاتها وكمالها واحد، بخلاف النفس الناطقة الإنسانية، التي ابتداؤها ـ في قوس الصعود ـ نطفة تكون في مسير الصراط المستقيم واستعداد اليسر إلى أن تصير غير متناهية، بشرط ألا تضيّع استعدادها.

وبتعبير الأستاذ: أن تؤمّن نفسها عند شخص؛ ليرفعها إلى الحقيقة العالية.

إن النظر إلى سير تكامل الإنسان يعطي آية، وهي إنه إذا لم تضيَّع الاستعدادات، فإنه يستطيع أن يغيّر استعدادات الأفراد، إلا إذا كانت من مصاديق قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**﴾[2]؛ إذ لا يمكن عندئذٍ أن يغيّر فيها شيئا.

تفكّروا في حقيقة النطفة جيّداً، فالعين الثابتة للنطفة أن تصير علقة، والعين الثابتة للعلقة أن تصير مضغة، والعين الثابتة للمضغة أن تحصل لها القابلية أكثر لتصير جنيناً، والعين الثابتة للجنين، وفطرته أن تنشأ فيه حقيقة باسم «الروح»، والعين الثابتة للمولود أن يصير ناطقاً قارئاً، وصاحب صفات إنسانية، لاحظوا

---

١. بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٧٣.

٢. البقرة: ٧.

إن إعطاء جميع هذه الحقائق للنطفة دفعة واحدة غير ممكن؛ ولذا فإن جميع حقائق الموجود صارت تابعة لقابلية هذه النطفة، كما أن الوديان في بداية أمرها لم يكن لها هكذا سعة، ولكن تدريجياً لمّا توسّعت أطرافها وصارت كبيرة استطاعت استيعاب السيل والطوفان بشكل مريح.

والغرض هو إن استعداد الإنسان يستطيع أن يتغيّر بالعلم، أنتم ـ أيضاً ـ تأمّلوا جيّداً هذه المسألة، فالإنسان يستطيع بوسيلة تحصيل العلم أن يتوسّع ويجد له الطريق من ربّه المقيّد إلى الربّ المطلق، إلا إذا لم يستفد الإنسان من استعداده وقواه، ويضيّع نفسه، كما لو لم يُستفَد من بذر زرع ما، ويُترك جانباً، ولا يُزرع ليصبح زرعاً مفيداً إلى مدّة، ثم نأتي ونريد أن نزرع تلك البذرة بعد أن تلفت، صدّقوا أن هذا غير ممكن.

والحاصل هو إن استعداد الأفراد يمكن أن يزدهر بالعلم والعمل؛ ولذا ورد عنهم عليهم السلام ما معناه: «لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة»[1]؛ إذ إنه ضيّع استعداده بالاستخفاف بصلاته، التي هي عامل للاستفادة من ذلك الاستعداد.

وهنا يمكن أن نفهم سِرّ كلام جناب الأستاذ، حيث قال ما معناه: «عليكم أن تأخذوا الشفاعة معكم من هنا»[2].

ومن الممكن لشخص أن يوجّه لكلامنا إشكالاً بالالتفات إلى قضية الحاج محمد كاظم الأراكي، وهو إن العين الثابتة لكل شخص يمكن أن تتغيّر بشكل مطلق؛ ذلك لأن الحاج محمد كاظم كان رجلاً كبيراً في السن عاصر حياة آية الله البروجردي قدس سره، وكان يعيش في إحدى قرى «أراك»، وفي يوم من الأيام

---

١. بحار الأنوار، ج٤٧، ص٨.

٢. انظر: الإنسان في عرف العرفان، الأصل «١٧» من الفصل الرابع.

حمل الحطب على ظهره ورجع من الصحراء، وفي مسير عودته، ولمّا وصل إلى ضريح «السيّد صالح» ـ أحد أبناء الأئمة عليهم السلام ـ ذهب للحظات إلى زيارة قبر ذلك السيّد، وعندما دخل رأى أن مجموعة من الآيات القرآنية كُتبت على أحدّ جدران الضريح، ونودي الحاج محمد كاظم بهذا النداء: «اقرأ ما كُتب هناك»، فقال: أنا رجل أمّي لا أعرف القراءة والكتابة، ثم جاء النداء ثانية، فجأة شرع بعدها الحاج محمد كاظم بقراءة القرآن، وعندما خرج من ذلك الحال، رأى نفسه أنه قد صار حافظاً لكل القرآن.

وقد جاءت هذه القصة في كتب مختلفة[1].

وهنا يجب القول: صحيح أن ذلك الرجل المُسن لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولم يُفعِّل استعداده لذلك، ولكنّه من جهة أخرى لم يضيّع استعداده، وعلى الرغم من أنه رجل مُسنّ في الظاهر، ولكن كان له استعداد الشباب،

---

١. وقد ذكرها السيد دستغيب رحمه الله في كتاب «القصص العجيبة» بهذا النحو: «ذهب كربلائي محمد كاظم عصر الخميس إلى زيارة مرقد أحد الأولياء من أبناء الأئمة الأطهار عليهم السلام في قريته، ولم يكن هناك أحد من الزوّار، ولمّا دخل المرقد، وجد شخصين مهيبين تقدّما إليه وسألاه أن يقرأ ما كتب على قبّة الحرم، فقال لهما: إنني أمّي لا أعرف القراءة والكتابة.... ولكنّهما يُصرّان أنه يمكنه القراءة، وبعد الأخذ والرد يسقط مغشياً عليه، ويبقى هناك حتى صباح اليوم التالي، فيأتي الزوار، ويوقظونه، فيجلس وينظر إلى القبّة، فيرى سورة الجمعة، ويقرأها جميعها، ثم يرى نفسه قد حفظ القرآن بالتمام والكمال، وكلّما طُلب منه قراءة سورة من القرآن، فإنه يقرأها على الغيب كاملة صحيحة.... كما أن المرحوم الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي قد امتحن الكربلائي عِدّة مرّات، وكلّما سأله عن آية، كان يجيب الكربلائي بأنها من السورة الفلانية، والأعجب من ذلك أن باستطاعته أن يقرأ السور بالقهقرى...، وأنه كان يرى الكلمات القرآنية على شكل نور متشعشع»، انظر: القصص العجيبة، ص٥٣، الحكاية ٣١.

وبأي شيء كان له هذا الاستعداد؟ يمكن أن يكون له أسرار كثيرة ليس من السهل الاطّلاع عليها.

وينقل جناب الأستاذ عن أستاذه السيد مهدي القاضي بن العلّامة علي القاضي: عندما جاءوا بالحاج محمد كاظم إلى النجف، وقع صوت وضجّة عجيبان، وكأنه نزل عليه القرآن دفعة كما كان قد نزل على قلب الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، فعندما وضعوا أمامه ورقة قد كُتب عليها، وتضمّنت تلك الكتابة مجموعة من كلمات القرآن، كان الحاج محمد كاظم يضع يده على الكلمات القرآنية من بين كل الكلمات والجمل الأخرى، ولمّا سُئل عن سِرّ تشخيصه لكلمات القرآن من غيرها قال: لكلمات القرآن نور لا يوجد لغيرها، والأعجب من هذا هو إنه عندما كان يُسأل عن عدد بعض الألفاظ المكرّرة في القرآن، كان يجيب بشكل دقيق جدّاً، كالسيد محمد حسين الطباطبائي الطفل الحافظ لكل القرآن.

طبعاً يجب الإكثار من الدعاء لأمثال هؤلاء الأجلّاء؛ لئلا يُرفع هذا الفيض عنهم؛ لأن نظام الوجود مبني على الكتمان، ونوعاً ما يزيل هذا الضجيج ذلك الفيض من البين.

والغرض من نقل حكاية الحاج محمد كاظم الأراكي هو ألا يُشكِل علينا أحد بذلك في موضوع تغيير سعة وظرف الإنسان، فإن منشأ تغيير ظرفية الحاج كاظم هو الاستعداد الخاصّ الذي كان مخفياً فيه، والذي ظهر واشتعل بشرارة واحدة.

وإن المطلب الذي يذكره الأستاذ هنا هو مطلب مهمّ جدّاً، ويستحقّ التأمّل، والدّقة كثيراً.

قال سماحته:

«...وطهارة السِرّ تتحقّق باتصاله بالحقّ المطلق، وزوال الأحكام التقيّدية، التي تعرض عليه بسبب مصاحبة عينه الثابتة، التي هي المجلى القابل للتجلّي، والمقيّد به...»[1].

يعني: في اعتقاد سماحته أنه من الممكن التصرّف في سعة وظرفية الأفراد، وإيجاد التغيير فيها، فيصل الشخص من ربّه المقيد إلى ربّه المطلق، وتُرفع عنه الأحكام التقييدية لتلك المرتبة، مثلاً إذا كان مقيماً في الربّ المقيّد للاسم، فإنه يوصله إلى الربّ المطلق لذلك الاسم، ويرفع عنه الأحكام التقييدية له.

وقد طرحنا هذا البحث هنا بشكل إجمالي، وإلا فالبحث فيه يُطلب من مظانه[2]، وهل الأمر واقع، وما هي مصاديق ذلك؟ فهذه المسائل مختصّة بأولياء الله تعالى، والأوحدي من أتباع طريقهم عليهم السلام، والله العالم.

والأستاذ يذهب إلى إمكان التشكيك في الماهية، كالتشكيك في الوجود.

وفي هذا المطلب يكمن سِرّ عجيب ومهمّ جدّاً، فإن صدر المتألهين في بعض مواضع كتابه «الأسفار» قد قبل التشكيك في الماهية إلى حدٍ ما، ولكن الأستاذ هنا يقول: «إن الحقّ هو إن للتشكيك طريقاً للماهية»، وباعتقادنا أنه لو لم يكن للأستاذ مطلب جديد غير هذه الجملة لكان كافياً، وهو حريٌ

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص٥٢.

٢. للتفصيل راجع كتاب «دروس شرح الإشارات والتنبيهات»، النمط الثامن «البهجة والسعادة»، ص٦٨، وقد قال لرفع الاستبعاد ما حاصله: ألم تكن نطفة لا عقل لك، ولا إدراك، ولا يد، ولا رجل، ولا أعضاء، ولا جوارح، ولا أطراف، ولا أصل، ولا ظاهر، ولا باطن، ألم تكن كذلك؟! والآن بعدما صارت عندك كل هذه الأشياء تستوحش من ارتقائك، واتّساعك؟!، كذلك يمكنك الرجوع إلى تعليقة العلاّمة على كتاب «التذكرة في المبدأ والمعاد»، ص٦٠، ففيها تفصيل ذلك.

بالدقّة والتأمّل؛ إذ إلى الآن لم يستطع أحد من العرفاء ـ أعمّ من ابن عربي ـ والمحقّق القيصري، وابن تركة، والآخرون أن يثبتوا هذا المطلب، والكل توقّف في هذه العقبة، ولكن جناب الأستاذ عبرها، ولو أردنا أن نصل إلى سِرّ هذا المطلب وعمقه، لكان علينا أن نجتاز الكثير من المباحث العلمية الصعبة والدقيقة، ولكنّنا نكتفي بهذا المقدار من البحث.

وعليك أن تتثبّت جدّاً في هذه المباحث، ولا تلتقط منها جملة أو عبارة مقطوعة لأغراض أُخر، إياك إياك، فإن مثالها ما قال الله تعالى حكاية عن القرآن الكريم: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارا**﴾[1]، وإنّ لهذه المباحث ميادين للتحقيق والتدقيق، وللائقين بها طرق كثيرة للوصول إلى المقامات العالية العلمية والعملية، أعاذنا الله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

«والحمد لله ربّ العالمين»

---

١. الإسراء، ٨٢.

المجلس الثاني والثلاثون

- طهارة خاصّة الإنسان
- أنواع التجلّيات

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ طهارة خاصّة الإنسان

قال سماحة الأستاذ العلّامة:

«...وطهارة خاصّة الإنسان ـ وذلك بعد عبوره مراتب طهارة بدنه، وروحه، وسِرّه ـ وتتحقّق هذه المرتبة من الطهارة بمقدار تحقّق الإنسان بالحقّ تعالى، وفوزه بالتجلّي الذاتي للحقّ سبحانه.

(٧٤). أنت يا حافظ، بنفسك حجاب طريقك فأزل نفسك، فطوبى لمن يسلك هذا الطريق دون حجاب[١].

وهذه المرتبة من طهارة خاصّة الإنسان هي أعلى مراتب طهارته، فلا يبقى ثمة حجاب بعد التجلّي الذاتي، ولا قرار للكاملين إلا بتحقّق هذا التجلّي؛ إذ يحظون حينئذٍ بالحضور الكامل في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويفوزون بالمعية الذاتية المنبسطة على عالمي الغيب والشهادة، وما يشتملان عليه.

واعلم أن الحقّ سبحانه يتجلّى لك بمقدار ما يفنى منك، ألا ترى أنك تقولُ في ركوعك: «سبحان ربّي العظيم»، أمّا في السجود فإنك تقول: «سبحان ربّي

---

١. مضمون بيت بالفارسية نصّه: حجاب راه تويى حافظ از ميان برخيز خوشا كسى كه در اين راه بى‌حجاب رود .

الأعلى»؟...»[١].

طرح الأستاذ في آخر مرحلة من طهارة الباطن طهارة خاصّة الإنسان؛ ذلك لأن المراتب القبلية أعمّ من الخيال، والروح، والسِرّ، وغيرها شاملة للإنسان والموجودات الأخرى، أمّا طهارة الخاصّة، فإنها مرتبطة بالإنسان فقط، وهي المرتبة التي يحصل للشخص فيها التجلّيات الذاتية؛ إذ إن أعلى مراتب الباطن هي طهارة السِرّ.

و«خاصّة الإنسان» حقيقة بمقدار تحقّقها بالحقّ تعالى تحصل له التجلّيات الذاتية، وبذلك المقدار، والحظ، والاقتضاء، والاحتظاء الذي له مع الحقّ، فإنه يفنى في التجلّيات الذاتية، والمراد من «الفناء» ليس الفناء والعدم مقابل الوجود، بل هو بمعنى الاختفاء في الوجود، يعني: عندما تحصل الوحدة الحقيقة للوجود، تُرفع حينئذٍ الأحكام الإمكانية.

(٧٥). ببسم الله الرّحمن الرّحيم، إن التجلّيات مثل الريح الصرصر إلى النسيم[٢].

▣ أنواع التجلّيات

والتجلّيات التي تحصل للإنسان على نوعين:

نوع منها خفيف، وله شكل كالنسيم الذي يداعب وجه الإنسان.

---

١. وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، ص ٥٢.

٢. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية، ومعناه: أن التجلّيات الإلهية التي تتجلّى للسالك تارة تكون شديدة كالريح الصرصر، وأخرى تكون رقيقة وناعمة كالنسيم، وهذه التجلّيات يمكن أن تحدث للشخص في مرتبة حسّه، وحسّه المشترك، وفي خياله، وعقله، وقلبه، وروحه، وسرّه، وعلى كِلا الوجهين الذاتية والأسمائية.

والنوع الآخر هو كالريح الصرصر، قوي وشديد، ويعبّرون عن هذا النوع من التجلّيات بـ «التجلّيات الذاتية للحقّ»، وقد أشار الأستاذ في أماكن كثيرة من ديوانه إلى هذه التجلّيات الذاتية التي كانت تحصل له.

والمهمّ هو إن هذه التجلّيات ثقيلة جدّاً إلى الدرجة التي عندما كانت تحصل للنبي الخاتم ﷺ ـ الذي كان يملك تلك النفس الواسعة القوية ـ كانت تأخذ الحمى بدنه الشريف، هناك لا يبقى مكان لجبرائيل، والملائكة الآخرين، وحينما يكون جبرائيل واسطة للتجلّيات الإلهية يكون الأمر سهلاً، وتحمّل جريان الفيض بسيطاً، أمّا في التجلّيات الذاتية، فلا يكون هنالك واسطة إطلاقاً، والحقّ تعالى يُجري ـ في تلك التجلّيات ـ الفيض بشكل مباشر، غاية الأمر أن المراتب تبقى محفوظة.

إن التجلّيات الذاتية التي تحصل للأنبياء، والأئمة عليهم السلام تكون مطابقة مع شأنيتهم الوجودية، وأمّا لغيرهم عليهم السلام، فإنها تكون مطابقة لظرفيتهم وسعتهم الوجودية، في ذلك المقام يكون كل شيء «هو»، ولا يبقى ذكرٌ لـ «أنا»، و«أنت».

(٧٦). الكل فنى، ولم يبق إلا هو، أنا، وأنت، وهو، لم يبق إلا هو[١].

وبتعبير القرآن الكريم: ﴿...**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**...﴾[٣].

إن التجلّيات المتمثّلة التي كانت تحصل له ﷺ، كانت تظهر له بأشكال وصور، كما في رؤيته ﷺ جبرائيل، وله ستمائة جناح[٤]، أمّا ما رُوي من

١. ترجمة نثرية لأبيات شعر بالفارسية.

٢. غافر: ١٦.

٣. طه: ١١١.

٤. بحار الأنوار، ج٥٦، ص٢٦١.

أَنَّ الأمام الصادق عليه السلام كان يُصلّي في بعض الأَيّام، فخرَّ مغشيّاً عليه في أَثْناء الصلاة، فسُئل بعدها عن سبب غشيته؟ فقال:

«ما زِلْتُ أُرَدِّدُ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنْ قَائِلِهَا»[1].

فإن ذلك مرتبط بالتجلّيات الذاتية للإنسان، التي تكون بدون المثال، والتمثّل.

وكانت تحصل هذه التجلّيات لبعض علمائنا، كما كانت تحصل للعلّامة الطباطبائي رحمه الله، و«الأحاديث البرزخية» أنموذج من التجلّيات مع المثال والتمثّل، حيث يرى الشخص عبارات في المنام، وعندما ينهض من النوم تكون تلك الجملة على لسانه.

يقول سماحة الأستاذ:

«ذهبتُ يوماً لمنزل الأستاذ آية الله محمد اقاي الغروي الآملي رحمه الله، فقال سماحته: ...هل رأيتَ هذه العبارة في واحد من الأحاديث؟ وهي: «الإمام أصله قائم، ونسله دائم».

فقال الأستاذ: إلى الآن لم أر، ولم أسمع هذه الجملة لا في رواية، ولا في حديث، فكيف كان هذا؟».

يقول سماحته:

«عندما سألته: من أين تنقلونها؟ فقال: لا أنقلها من مكان، حينما نهضتُ الأمس من النوم رأيتُ أن هذه الجملة على لساني».

ثم يقول الأستاذ:

«يُقال في اصطلاح العرفان لهذا النوع من الإلقاءات السبّوحية «الأحاديث

---

١. مفتاح الفلاح، ص٧٧٧.

البرزخية»[1].

هذا الذي نقول: إن النوم واليقظة عبارة عن اصطلاح ليس إلا، وإلا فالنفس مجرّدة، وهي في يقظة مطلقة، وإذا يقال في مكانٍ ما: «أحياناً تحصل للنفس غفلة»، فاعلم أن هذا مرتبط بالنفس في مرتبة البدن؛ إذ كم من الممكن أن يغفل الظاهر عن الباطن، أمّا النفس في مراتبها المافوق أي: الخيال، والوهم، والعقل، والروح، والسرّ، فهي لا تغفل عن ذاتها أبداً[2].

واعلم أن في التجلّيات بدون المثال يُرفع بساط الشخص، ليس الشخص فقط، بل تمام العالم وتقوم دولة ﴿**وهُوَ مَعَكُمْ**﴾[3]، وتتجلّى سلطنة ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**...﴾[4].

وفي الحقيقة واحد من أسرار معاني القيامة وبطونها هو قيامة التجلّيات الذاتية التي لا تتحقّق إلا للأوحدي من الرجال الإلهيين، وعندها يكون غير محتاج للموت الطبيعي حتى يرى ما في تلك القيامة، كما قالوا في شأن الكمّلين من أولياء الله: إنهم يدركون شعور جميع الموجودات وفهمها في هذه الدنيا، إنهم يرون هنا أن كل العالم قطعة واحدة من الحياة، وهم متمكّنون في العلم والإدراك؛ و لذا نرى أن الإمام السجاد عليه السلام يودّع شهر رمضان المبارك دائماً بالسلام، حيث يقول:

«...**السَّلامُ عَلَيْكَ يا شَهْرَ اللهِ الْأَكْبَرِ، وَيا عِيدَ أَوْلِيائِهِ الْأَعْظَمِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَوْقاتِ، وَيا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ وَالسَّاعاتِ، السَّلامُ**

---

١. هزار ويك كلمه، ج١، الكلمه ٣٨.

٢. انظر: الأسفار، ج٨، ص ٣٤٣ و ٣٤٤.

٣. الحديد: ٤.

٤. الحديد: ٣.

عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرُبَتْ فِيهِ الآمالُ، وَيُسِّرَتْ فِيهِ الْأَعْمالُ، السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُوداً...»، إلى آخر دعاءه عليه السلام، الذي ورد كاملاً في «إقبال الأعمال»[1].

يعني: يسلّم على امتداد زماني واحد، وأن الحكماء يقولون:

«إن الزمان في نشأة العالم جزء من الموجودات ضعيفة الوجود».

ويقول العارف الميرزا جواد ملكي التبريزي رحمه الله في رسالته الشريفة «المراقبات في أعمال السنة» في استحباب توديع شهر رمضان:

«...وإن أشكل عليك وداع الزمان، الّذي ليس من قبيل الحيوان الشاعر للصحبة والتوديع، فانظر إلى جواب السيّد رحمه الله في «الإقبال»[2]، وإن لم تقنع به، فاستمع لما يُتلى عليك: فاعلم أنّ الزمان، والمكان، وسائر الأشياء غير

---

١. إقبال الأعمال، الباب الرابع والثلاثون، فيما نذكره من زيارات ودعوات في آخر ليلة منه [شهر رمضان]، ص٥٤٨ ـ ٥٥٠.

٢. حيث قال رحمه الله: «...إن سأل سائل، فقال: ما معنى الوداع لشهر رمضان، وليس هو من الحيوان الذي يخاطب أو يعقل ما يقال له باللسان؟ فاعلم أن عادة ذوي العقول قبل الرسول، ومع الرسول، وبعد الرسول صلى الله عليه وآله يخاطبون الديار، والأوطان، والشباب، وأوقات الصفاء، والأمان، والإحسان ببيان المقال، وهو محادثة لها بلسان الحال، فلمّا جاء أدب الإسلام أمضى ما شهدت بجوازه من ذلك أحكام العقول والأفهام، ونطق به مقدّس القرآن المجيد، فقال جل جلاله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، فأخبر أن جهنّم ردّ الجواب بالمقال، وهو إشارة إلى لسان الحال، وذكر كثيراً في القرآن الشريف، وفي كلام النبي، والأئمة عليهم السلام، وكلام أهل التعريف فلا يحتاج ذوو الألباب إلى الإطالة في الجواب، فلمّا كان شهر رمضان قد صاحبه ذوو العناية به من أهل الإسلام والإيمان أفضل لهم من صحبة الديار والمنازل، وأنفع من الأهل، وأرفع من الأعيان والأمثال، اقتضت دواعي لسان الحال أن يودّع عند الفراق والانفصال»، الإقبال، ص٥٤٠، وهو جواب إقناعي فقط، وإلا فالأمر ألطف من ذلك.

الحيوان وإن كانوا في عالمهم هذا، وبصورهم هذه غير شاعرين، إلا أنّ كلّها في بعض العوالم العالية لها حياة، وشعور، ونطق، وبيان، وحبّ، وبغض، كما يكشف عن ذلك الأخبار الكثيرة الواردة في أحوال عوالم البرزخ والقيامة، ومكاشفات أهل الكشف، فإن لكل ما يوجد في هذا العالم وجوداً في عوالم أخرى هي سابقة على هذا العالم في الوجود، وللموجودات في كلّ عالم صور وأحكام مخصوصة بعالمها، يختلف مع الصور، والأحكام الكائنة في غير هذا العالم.

ومن أحكام بعض العوالم العالية أنّ كلّ ما يوجد فيها يكون ذا حياة وشعور؛ لأنّ الدار دار حياة وحيوان، كما دلّت الأخبار على أنّ الدار الآخرة كذلك، ولعلّ في قول الله تعالى: ﴿...**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**...﴾[1]، أيضاً إشارة إلى ذلك؛ إذ حكم على الدار بأنّها هي الحيوان.

ومن الأخبار الدالّة على حياة موجودات عالم الآخرة، ما ورد فيها من تكلّمات الفواكه في الجنّة[2]، وفرح السرير، واستبشاره من تكئة[3] المؤمن، بل ومنها ما دلّت على تكلّمات الأرض مع المؤمن والكافر، فإنّها ليست بعالمها هذه؛ ولذا لا يسمعها أهل هذا العالم، بل بملكوتها.

---

١. العنكبوت: ٦٤.

٢. روى الكليني في روضة الكافي، ص٩٩، ضمن ح ٦٩، باب حديث الجنان والنوق بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «...**وإنّ الأنواع من الفاكهة ليقلن لولي الله: يا ولي الله، كلني قبل أن تأكل هذا قبلي**...»، عنه البحار، ج٨، ص١٦٠ ضمن ح ٩٨.

٣. روى الكليني رحمه الله في الكافي، ج ٨ ص٩٧، ضمن ح ٦٩ في حديث طويل عن أبي جعفر عليه السلام قال: «...**فإذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً**...»، عنه البحار، ج٨، ص١٥٨، ضمن ح ٩٨.

ومن هذا القبيل تكلّم الحصى في يد رسول الله ﷺ[1] حيث إنّ نطقها، وتكلّمها بملكوتها، وإعجاز رسول الله ﷺ إنّما هو بإسماع نطق لسان ملكوتها إلى هذه الأسماع الدنيويّة.

بل كلّ ما أظهر نبيّ، أو وليّ معجزاً من قبيل إنطاق جماد، وإحيائه فهو من هذا الباب، فإنّ عصا موسى، وطير عيسى حياتهما إنّما هي بملكوتهما، وهي غيب عن أهل هذا العالم، إلا إذا أظهره الله عليهم لحكمة في إظهاره، فالزمان في بعض عوالمها حيّ، وله شعور، فلا بأس أن يودّع ويخاطب بعالمه هذا»[2]، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

كذلك سلامنا في نهاية الصلاة هو من هذا القبيل أيضاً، غاية ما في الأمر أننا أعتدنا على الصلاة؛ ولذا فنحن في آخر صلاتنا لا نسلّم سلاماً حقيقياً، ولا نسمع جواباً حقيقياً، تلك أمور يجدها الكمّلون.

يقول السيد بحر العلوم رحمه الله:

«جواب السلام واجبٌ، وشأنهم أجلّ من ألا يجيبوا سلامنا؛ ولذا فأنا أرى رسول الله ﷺ في صلاتي، وأسلّم عليه، وأسمع منه الجواب على سلامي».

طبعاً تبقى المراتب محفوظة، وكل شخص ينطق بمقدار سعته، وعلمه.

الغرض هو أنه كما أن الآخرة لها إدراك وشعور لقوله تعالى: ﴿...**وَإِنَّ الدَّارَ**

---

١. قال قطب الدين الراوندي في خرائجه، ج١، ص٤٧، ح٦١ بإسناده إلى أنس بن مالك قال: «**أنّه ﷺ أخذ كفاً من الحصى، فسبحن في يده، ثم صبّهن في يد علي عليه السلام، فسبحن في يده، حتى سمعنا التسبيح في أيديهما، ثم صبّهن في أيدينا، فما سبّحت في أيدينا**»، عنه البحار، ج١٧، ص٣٧٧، ح٤٢، و ج٤١، ص٢٥٢، ح١٠.

٢. المراقبات، ص١٦٢ و ١٦٣.

الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ... ﴾[1]، كذلك عالم الدنيا له إدراك وشعور أيضاً، وكذلك كل الموجودات هي في حياة محضة، غاية الأمر هو أننا لمّا لم نر الحياة إلا في الدنيا أطلقنا الحياة على هذا النحو من الموجودات، واعتقدنا بإخراج سائر الموجودات عن دائرة الشعور، والإدراك، والحياة، ولكن الحقيقة هي إن جميع الموجودات ـ أعمّ من الأرض، والسماء، وكرات القمر والشمس، والجمادات، والنباتات ـ تدرك، وتشعر، وديننا يقول أيضاً: إن جميع الموجودات في يوم القيامة تشهد على أعمال الإنسان، كما قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[2]، والشاهد لا يمكن له أن يشهد مالم يكن قد رأى وأدرك.

وبعبارة أخرى: إن الشهادة فرع الشهود.

ويطرح صدر المتألّهين ﷺ بحثاً هنا، حيث يقول:

«إن التسبيح مترتّب على الشعور، ومن لا شعور له، لا يستطيع التسبيح».

ثم يقول:

«رأيتُ في مكاشفة أن جميع موجودات العالم في حياة وشعور»[3].

إذن، فالقيامة ليست حادثة تقع بعد كذا مليون سنة مثلاً، بل هي واقعة الآن، وفي هذه اللحظة تقوم قيامة الجميع، وحساب كل شيء واضح ومعلوم[4]، إلى

---

١. العنكبوت: ٦٤.

٢. يس: ٦٥.

٣. انظر: الأسفار، ج٧، الباب ١٦ من الموقف الثامن في إثبات أن جميع الموجودات عاشقة لله سبحانه، مشتاقة إلى لقائه والوصول إلى دار كرامته، ص١٤٨ ـ ١٥٥.

٤. للوقوف مفصّلاً على موضوع أن الجنّة والنار مخلوقتان الآن، راجع كتاب «الأربعون حديثاً» للشيخ البهائي ﷺ، شرح الحديث الأربعون.

أن نصل إلى ذلك اليوم حيث يقول القرآن: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[1]، وهنا في هذا العالم ـ أيضاً ـ عليك أن تقرأ كتابك.

وعليكم أن تلتفتوا إلى أن القراءة لها مراتب، ومن جملتها القراءة اللفظية، والقراءة المثالية، والقراءة العقلية، والقراءة السرّية، والقراءة القلبية و... .

نعم «أنت يا حافظ، بنفسك حجاب طريقك، فأزل نفسك»[2]، فما لم يصل الشخص إلى التجلّيات الذاتية لخاصّة الإنسان، فهو في حجب، وعندما يصل الإنسان إلى تلك التجلّيات، فعندها تُرفع جميع الحجب، وتكشف له جميع العوالم الوجودية، وأن أعظم الحجب هو حجاب النفس الذي يجب أن يُرفع من البين:

بيني وبينك إنّيَ ينازعني ... فارفع بلطفك إنّيَ من البين[3]

وعندها ستتجلّى للسالك حقيقة «**لا فرق بينك وبينها، إلا أنهم عبادك وخلقك**»[4].

هذا الكلام ليس جزافاً؛ إذ قد جاء في الروايات أن أعمال الناس تُعرض على بقية الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرّتين في كل أسبوع، فعن داود بن كثير الرقي قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال لي مبتدئا من قبل نفسه: «**يا داود لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس، فرأيتُ فيما عرض عليّ**

---

١. العنكبوت: ٦٤.

٢. ترجمة لبيت شعر نصه بالفارسية «حجاب راه تويى حافظ از ميان برخيز».

٣. بيت شعر يُنسب إلى حسين بن المنصور الحلاج، انظر: مُمِدَ الهِمَم في شرح فصوص الحكم، ص٥٥، وللوقوف على تفصيل أنواع الحجب والبحث فيها عليك الرجوع إلى نفس المصدر، ص٥٢ ـ ٥٦.

٤. بحار الأنوار، ج٩٥، ص٣٩٣، وفي دعاء شهر رجب الأصبّ.

من عملك صلتك لابن عمك فلان فسرّني ذلك...».

قال داود: وكان لي ابن عم معاند خبيث بلغني عنه وعن عياله سوء حاله فصككت له نفقة قبل خروجي إلى مكّة، فلمّا صرت بالمدينة أخبرني أبو عبد الله عليه السلام بذلك[1].

وعن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: «**اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**»[2].

قال: «**هو رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام...**»[3].

وفي خبر آخر:

«**...تعرض عليهم اعمال العباد كل يوم إلى يوم القيامة**»[4].

وإذا قال شخص: يعيش على الأرض أكثر من «٧» مليارات نفر، ولكل واحد منهم آلاف الأفكار والخيالات من الصباح إلى المساء، وحتى لو أراد الشخص أن يأخذ قلماً ويكتب أفكاره التي مرّت في ذهنه في النهار لما استطاع ذلك، فكيف يمكن لولي الله الأعظم ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ أن يطالع «٧» مليارات صحيفة عمل مرّتين في الأسبوع؟.

يجب القول: إن الإمام عليه السلام في مقام التجلّي الذاتي، ولا حجاب له يمنعه عن أن يرى أعمال فرد فرد منّا، ولكنّا لمّا كنا في حجاب فإننا لا نستطيع أن نرى أفكارنا، وتخيّلاتنا، وتوهّماتنا، وعندما يُرفع الحدّ، ويحل محله الحقّ عندها

---

١. بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٣٩.

٢. التوبة: ١٠٥.

٣. بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٤٥، ولك الرجوع إلى الباب «٢٠» من الجزء «٢٣» من البحار في «عرض الأعمال عليهم عليهم السلام، وأنهم الشهداء على الخلق»، ففيه أخبار كثيرة في هذا المعنى.

٤. المصدر السابق، ج٢٣، ص٣٣٦

يكون الإنسان في مقام الشهود المطلق، وعندما يكون قد رُفع حدّ الشخص، فقد حصلت طهارة الخاصّة، وعندها يصير الأزل والأبد شيئاً واحداً، وينكشف له كل شيء.

وقد ورد أنه قال الإمام الصادق عليه السلام:

«قيل لملك الموت عليه السلام: كيف تقبض الأرواح، وبعضها في المغرب، وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟

فقال: أدعوها؛ فتجيبني. قال: وقال ملك الموت عليه السلام: إن الدنيا بين يديّ كالقصعة بين يديّ أحدكم، يتناول منها ما يشاء، والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلّبه كيف شاء»[1].

ومعلوم أن الإنسان لو ارتقى بكماله، لكان أشرف من الملائكة.

ونحن نقرأ في فقرة من «دعاء كميل» حيث نخاطبُ الله سبحانه وتعالى:

«...ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سِرّي...»[2].

نحن عندنا الكثير من الأعمال المخفية التي لا خبر لنا بها، أحياناً نرى في الرؤيا أن في جبل عظيم مغارة عميقة، ونذهب إلى داخل تلك المغارة، فنشاهد الكثير من الخفايا، والحيوانات، وأشياء مختلفة، وعندما نستيقظ من النوم نقول مع أنفسنا: ما أزعج ما رأيتُ في المنام، ولا نلتفتُ إلى أنّ ما كنّا قد رأيناه في ذلك المنام هو ما خفي في وجودنا من أعمال مرتبطة بأنفسنا نحن.

و واحدة من لطائف صحف الأعمال يوم القيامة هي هذه، يعني عندما يقع التجلّي الذاتي يُرفع حجاب الشخص، ويُفضح كل ما في السرائر، قال

---

١. بحار الأنوار، ج٦، ص١٤٤.

٢. مفاتيح الجنان، دعاء كميل بن زياد.

تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[1]، عندها ترى أن كل هذه الخفايا والمخفيات هي بواطننا نحن.

طبعاً نحن الآن نعلم بالعلم البسيط ما في بواطن وجودنا، ولكن لا علم لنا بعلمنا ذاك.

يعني: لا نعلم أننا نعلم، وفي يوم القيامة يبدّل علمنا البسيط هذا بعلم مركب، بمعنى: أنّا هناك نلتفت إلى أنّنا نعلم؛ ولذا قيل: في القيامة يوجد للإنسان فهم واحد، وهو العلم المركّب، وهناك نفهم أننا كنّا نعلم من قبل، ولكن لم نكن ملتفتين إلى ذلك العلم، وهذا هو معنى الغفلة.

الإنسان الغافل هو الشخص الذي لا علم له بأنه يعلم، ويمثّل الأستاذ في دروسه لذلك قائلاً:

«كان لنا أستاذ عزيز، كان حينما يريد أن يقرأ عبارة ما يضع النظّارات أمام عينه، وعندما يريد أن يوضّح مطلباً ما، فإنه يرفع تلك النظّارات من عيونه، ويتركها على جبهته، ذات مرّة أراد أن يقرأ عبارة ما ـ وقد غفل عن أنه وضع نظاراته على جبهته ـ فأخذ يبحث عنها فسألناه: عن أي شيء تبحث؟ قال: عن نظارتي، فقلنا له: هي على جبهتك!».

وهذا هو معنى الغفلة.

يعني: أن الإنسان عنده حقيقة ما، ولكنه يغفل لمدّة عن عنديته تلك.

واسمحوا لي هنا أن أقصّ لكم هذه الخاطرة عن أبي ـ رحمة الله تعالى عليه:

كنّا في يوم من الأيام مع الوالد في المزرعة نشتل الزرع، وكان العمل كثيراً في ذلك اليوم؛ فتعب الوالد، وعندما حلّ وقت الغروب، ذهب إلى جانبٍ ما

---

١. الطارق: ٩.

ليستريح، ومن شدّة تعبه غفل عن أن «المسحاة» بيده؛ فنادى من بعيد: أين وضعت مسحاتي؟.

وقد جاء في أوائل سورة البقرة: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً**...﴾[1].

فكلّما يعطوا شيئاً لأصحاب الجنّة، يقولوا: كان لنا مثل هذا في الدنيا، ولكن كأنه لم يكن لنا التفات[2].

إن القيامة هي ظهور الدنيا، نفس هذه الدنيا تتجلّى بالاسم الشريف «الباطن».

ولذا يقول سماحة الأستاذ:

(٧٧). يتجلّى لي المعشوق آناً فآنا، ويأخذ منّي قلبي، ويذهب به متجدّداً متجدّدا[3].

حين يتجلّى الحقّ بأسمائه الجمالية، فإنه يسلّي الإنسان، يقول مثلاً: أنت، صل، واعبدني، وأنا أعطيك الجنّة، والحور العين.

ولكن يقول في وقت آخر ـ أيضاً: ﴿...**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[4]، و﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**...﴾[5]، ماذا أنت أصلاً؛ حتى تريد هذا وذاك؟! كل شيء ملكي أنا، ولم يبق لَك شيء إطلاقاً، حتى أنت لي.

---

١. البقرة: ٢٥.

٢. انظر: تفسير الأمثل، ج١، ذيل الآية ٢٥ من سورة البقرة للوقوف على تفسير هذه بشكل مفصّل.

٣. ترجمة نثرية لأبيات شِعر بالفارسية.

٤. طه: ١١١.

٥. غافر: ١٦.

وبهذه الصورة يُذهب القلب تماماً؛ إذ إنه تعالى شأنه يتجلّى بسلطان عظمته هناك.

نعم، عندما يرفع الحجاب الذاتي يصير الأبد والأزل شيئاً واحداً، ويصير الحقّ المشهود المطلق.

الكل فنى، ولم يبق إلا هو، أنا، وأنت، وهو، لم يبق إلا هو.

«والحمد لله ربّ العالمين»

التكملة

- تكملة بحث الطهارة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▣ تكملة بحث الطهارة

في نهاية بحث الطهارة العرشي أقدّم لأصحاب القلوب، والنفوس الشيّقة التوّاقة إلى الكمال مجموعة من الحقائق النورية، المستوحاة من الصحف النورية المكرّمة لمولاي الأستاذ حسن زاده آملي ـ حفظه الله ـ لعلّه يصل وقت شرحها وتفسيرها ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا:

١. يجب أن يكون ظاهرك طاهراً لتستطيع مسّ ظاهر القرآن، كما يجب أن يكون باطنك طاهراً ـ أيضاً ـ لتستطيع مسّ [فهم] باطنه، قال تعالى: ﴿**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[1].

٢. متى ما كانت المراقبة والطهارة تامّة وكاملة، عندها سينال الإنسان ـ الذي هو جدولٌ من بحر الوجود الصمدي اللامتناهي ـ إدراك الحقائق والمعارف الغيبية، وستصوّر قوّة الخيال ـ التي هي مجبولة على التصوير والمحاكاة ـ المعاني على وفق اقتضائها.

٣. أيها العزيز، متى ما أقبل التوجّه القلبي الكلّي إلى العالَم العلوي، وشهود التوحيد الصمدي الحقيقي، ستجد ذلك الكتاب العظيم الشأن، الذي هو

---

١. الواقعة: ٧٩.

نفسك، مصداقاً لـ ﴿...إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[١]، كذلك ستصبح مشمول هذه الكريمة ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[٢]، في التوحيد الصمدي، والطهور صيغة مبالغة من «طاهر»، بمعنى «المطهّر» الذي يطهّر الإنسان عن كل ما سوى الله سبحانه.

ينقل أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره الشريف «مجمع البيان» عن إمام المُلك والملكوت صادق آل محمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قوله:

«أي يطهّرهم عن كل شيء سوى الله؛ إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلا الله»[٣]، فتدبّر[٤].

٤. طهارة الإنسان شرط مهمّ للغاية في تأثير الأذكار، والأدعية، والأوراد، ونظائرها، فلا ثمرة للقلقة اللسان المجرّدة، بل حذار من أن تؤدّي إلى قسوة القلب والبعد عن ساحة القرب الإلهي[٥].

وعليك الرجوع إلى الفصل العاشر من كتاب «نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور»؛ فإنه ينفعك كثيراً في المقام.

٥. إن الإنسان إذا كان على طهارة واعتدال حال واجتماع بال، فسيكون مستعدّاً أكثر لقبول الحقائق من الحسن المطلق، وستتمثّل له على أجمل صورة وشكل[٦].

---

١. المطففين: ١٨ ـ ٢١.

٢. الإنسان: ٢١.

٣. الطبرسي، مجمع البيان، ج ١٠، ص٦٢٣، ذيل الآية ٢١ من سورة الإنسان.

٤. انظر: الإنسان في عرف العرفان، الفصل الرابع، الأصل ٣١.

٥. انظر: نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور، الفصل ٦.

٦. انظر: هزار و يك نكته، النكته: ٧١٦.

٦. إعلم أنه إذا صُفّي جدول وجودك وصار عميقاً، فستجري فيه الأنوار الإلهية صافيةً زلالاً، فإن مَثَل الحقائق الإلهية في الجداول كمثل المطر ينزل طاهراً نقياً من السماء، ولكنه يأخذ الرائحة واللون من الجداول، والمجاري، والأودية، و وحل الأرض.

«والحمد لله ربّ العالمين»

تبصرة

كنّا قد ذكّرنا في أكثر من مقام أن تُنظّم مطالب الكتاب ويُتْبع كل بحث ما خصّه من بيان وتوضيح، وليس لأحدٍ الحقّ في أن يخلط المباحث بعضها مع البعض الآخر، وإلا فسيكون ذلك خروجاً عن الأمانة العلمية ودخولاً في الخيانة، مثلاً عندما يأتي في «المجلس الثلاثون»، و«المجلس الواحد والثلاثون» بحث عن طهارة السِرّ وطهارة خاصّة الإنسان يجب أن تُفهم الأمثلة التي ضُربت هناك بحدود ذلك البحث حصراً، فلا يُخلط ذلك بمسألة التبرّي والتولّي التي هي من المسائل الحقّة والأصول المسلّمة عند الأمامية الأثني عشرية ـ أعزّهم الله ـ حيث من المؤسف أن عِدّة من الجهلة والمغرضون اقتطعوا قسماً من ذلك الكلام ونشروه بين عموم الناس على شكل جملات مقطّعة في مباحث طهارة سِرّ الإنسان والطهارة في بحث الربّ المقيّد وكيفية الوصول إلى الربّ المطلق ليحقّقوا بذلك الفعل أغراضهم المشؤمة الشنيعة، وهذا يعتبر خيانة صارخة للعلم والمعرفة.

ترون في هذا الكتاب أن المعرفة بذر المشاهدة، ولكن بشرط

أن يجتاز الإنسان قنطرة المعرفة طاهراً مُطهَّراً فيأتي الله بقلب سليم فيشاهد عندها ما كان يهفوا له.

إذن يجب الالتفات إلى كل كلام مندكّاً في متنه ومكانه الخاصّ به، وإلا فخلط المباحث مع بعضها البعض موجب للانحراف والضلال والإضلال، إذ إن غاية المحقّق اللبيب هي فهم كلام الآخرين لا التغليط والتشويش ورفع عصى التكفير والردّ، وإلا فإن هكذا أفراد بعيدون عن الفطرة الإنسانية السليمة، وذلك الفعل مشابه لأطباع شمر ويزيد ـ لعنهم الله، بل هو بعد مرور أكثر من «١٠٠٠» عام أسوء منهم عملا.

والعمدة هو أن لا نتطبّع بأطباعهم أكثر منهم، وإذا لم نُرِد أن نحمل كلام أخانا في الدين على أحسنه فلا أقل من أن نراعي الأمانة العلمية، ولذا فلطهارة السرّ اقتضاء هو الانتهاء إلى ﴿...**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1]، فأهل البيت عليهم السلام متربّعون في قمة قلّة شاهق مراتب الطهارة التي ورد وصفها فتبركنا بذكرها عن الإمام الصادق عليه السلام في أول هذا الكتاب.

على أن لكل من هذه الكلمات من الأرض والسماء، والإنسان والحيوان، والنبات والجماد، وآدم وحواء، والدنيا والآخرة، والجنّة والنار، والظاهر والباطن، والحقّ والباطل، والتفسير الآفاقي والأنفسي، وكثير من الكلمات التي طرحت في هذا الكتاب لها معاني خاصّة في عرف العرفان والمعرفة، وهذا الطريق طريق صعب مستصعب، وبقول أستاذنا ـ روحي فداه: وجدنا أن كل الآيات القرآنية وكلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام كلّها رموز إلى كنوز لا يصل إليها في كل

١. الأحزاب: ٣٣.

عصر ودورة إلا الأوحدي ممن وفّق ويُسّر للوصول[١]، فـ ﴿...ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ...﴾[٢]، و﴿...وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً...﴾[٣]، و﴿...وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٤]، نتوكّل عليه ونستعين به تعالى ونقول: يا «كهيعص»، يا «حمعسق»، «لا حول ولا قوّة إلا بالله»، و «يا هو يا من لا هو إلا هو»، «هو الأول والآخر والظاهر والباطن».

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

* * * *

* *

تمّت ترجمة ومراجعة هذا القبس الكريم من نور مشكاة أهل الله تعالى ضحى الاثنين الثالث عشر من شهر رجب الأصبّ لعام «١٤٣٣هـ ق» اليوم المشرّف بولادة الإمام الوصي علي عليه السلام جعلنا الله من المتمسكين بولايته وأولاده الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ولله الحمد أولاً وآخرا

محمّد الربيعي

دار العلم قم المقدسة

---

١. انظر: سرح العيون، العين الرابعة، ص ١٤٠.

٢. المائدة: ٥٤.

٣. البقرة: ٢٦٩.

٤. سبأ: ١٣.

ملحق الأشعار الفارسية

١. کـه خواجـه خـود صفـت بنـده پـروری دانـد
تـو بندگـی چـو گدایـان بـه شـرط مـزد مکـن

٢. حجـاب راه تویـی حافـظ از میـان برخیـز
خوشـا کسـی کـه در ایـن راه بـی حجـاب رود

٣. ز صاحبدل که دل حق راست منزل — بیـا بشـنو حدیـث عالـم دل
چنیـن در وصـف دل بوده‌اسـت ناطق — امـام صـادق آن بحـر حقایـق
پـس انـدر وی مـده جـا ماسـوا را — کـه دل یکتـا حـرم باشـد خـدا را

٤. شـد بصحرا دیده پر خون دل دونیم — شـیخ مهنـه بـود در قبـض عظیـم
گاو می‌بسـت و از او می‌ریخـت نـور — دیـد پیـر روسـتایی را ز دور
شـرح داد آن حـال قبـض خـود تمـام — شـیخ سـوی او شـد و کـردش سـلام
از فـرود فـرش تـا عـرش مجیـد — پیـر چـون بشـنید گفـت ای بوسـعید

نی به یک کرّت بصد کرّت مدام گو کنند این جمله پر ارزن تمام
دانه‌ی ارزن بسی سال هزار ور بود مرغی که چیند آشکار
مرغ صد باره بپرد از جهان در ز بعد آنکه تا چندین زمان
بوسعیدا زود باشد آن هنوز از درش بویی نیابد جان هنوز
طالب صابر نباشد هر کسی طالبان را صبر می‌باید بسی
مشک در نافه ز خون ناید پدید تا طلب در اندورن ناید پدید
گر همه گردون بود در خون رود از درون نی چون طلب بیرون شود
زنده نبود صورت دیوار اوست هر که را نبود طلب مردار اوست
حاش لله صورت بی‌جان بود هر که را نبود طلب حیران بود
در طلب باید که باشی گرمتر گر بدست آید ترا گنج و گهر
هم بدان گنج و گهر در بند شد آنکه از گنج و گهر خورسند شد
شد بُتش آن چیز گو با بُت بساز هر که او در ره به چیزی ماند باز
از شرابی مست لایعقل شوی چون تنک‌ظرف آمدی بیدل‌شوی
می‌طلب چون بی‌نهایت هست نیز نی مشو آخر به یک جو میست نیز

۵. بخوانم از برایت داستانی که پیش آمد برای من زمانی
به کنج خانه در فکرت نشستم شبی در را به روی خویش بستم
که تا از خود شدم آرام و آرام فرو رفتم در آغاز و در انجام
همی دوزند و سوزد جسم و جانم بدیدم با نخ و سوزن لبانم
رها سازد به گفتارش زبان را بگفتند این بود کیفر مر آن را
نمی‌باشد بدوزند این لبانت چو اندر اختیار تو زبانت

که گویی گویی از سیماب گشتم — از آن حالت چنان بیتاب گشتم
چشیدم من عذاب برزخی را — ز حال خویش دیدم دوزخی را

٦. دی شیخ با چراغ همی گشت گرد شهر
کز دیو و دد ملولم و انسانم آرزوست

٧. برزیگرونّه بدیمه بینجه جار — بینجه جاره وجین کردنه خوار خوار
مره بوتنه ای جان برار — شه دکاشته وجین‌ها کن و خوار دار

٨. در شبی حال بود و بیداری — گریه بود و حضور و اذکاری
در خجسته سحرگه آن شب — از سرا آمدم برون باری
سر به بالا نموده‌ام ناگاه — متحیّر ز صنعت باری
لشکر بیشمار استاره — ماه می‌کردشان علمداری
دیده‌ام کهکشان بر ساوش — حامل رأس غول غدّاری

٩. همه جا لشکری و چالاکی — همه خونریز روز پیکاری
همه با نظم خاص و ترتیبی — همه در حدّ خاص و معیاری
همه صف بسته و کمر بسته — همه در حالت خبرداری

١٠. متّحد رو به جانب واحد — متّفق هر یکی پی کاری
من درویش ره نشین گدا — به نظاره ستاده بسیاری

١١. تـا کـه شـد دیدگانـم از دیـدن دیـده‌ی نـا امیـد بیمـاری

١٢. گفتـم ای پـاک آفرینـنـده هسـت شـاهی تـرا سـزاواری

١٣. دل نـدارد هـر آنکـه ایـن درگاه شـب نـدارد حضـور و بیـداری

١٤. پـس از آن رو بسـوی خانه شـدم بـه مصـلّای خـود روانـه شـدم

١٥. همچـو مـرغ گرسـنه و تشـنه پـی تحصیـل آب و دانـه شـدم

١٦. در حضـور یگانـه معشـوقم عاشـقانه سـر دوگانـه شـدم
گاه انـدر رکـوع و گاه سـجود از سـر شـوق عاشـقانه شـدم
آتـش عشـق آنچنانـم کـرد سـر و پـا آتـش و زبانـه شـدم
بـاز در التهـاب آمـد دل همچـو کـودک پـی بهانـه شـدم
کاش در آن زمـان بی‌تابـی واصـل مِلـک جاودانـه شـدم

١٧. وجـد آمـد چنانکـه پنـداری مسـت چنـگ و مـی و چغانـه شـدم
بنـد بگسسـته وز قفـس رسـته پـر زنـان سـوی آشـیانه شـدم

١٨. سـوره‌ی انبیـا بـه پیـش آمـد غـرق نـورش در آن میانـه شـدم

١٩. پرتـوی از جمـال جانـان را مـن بی‌پـا و سـر نشـانه شـدم
رو بـه اقلیـم عشـق آوردم و ز همـه روی بـر کرانـه شـدم
چـون بـه سـلطان عشـق رو کـردم مترنّـم بـه ایـن ترانـه شـدم
همـه یـار اسـت و نیسـت غیـر از یار واحـدی جلـوه کـرد و شـد بسـیار

٢٠. همه یار اسـت و نیست غیر از یار واحـدی جلـوه کـرد و شـد بسـیار

٢١. پـس دم گـرگ آشـکارا شـد تـا سـپید و سـیاه پیـدا شـد
از نسـیم صبـای عیسـی دم مرده‌هـا دسـته دسـته احیـا شـد
یـا بـه صـورش دمیـد اسـرافیل رسـتخیز بـزرگ بـر پـا شـد

٢٢. از نهیبـش بـه لـرزه از یکسـو همـه اشـجار بـاغ و صحـرا شـد

٢٣. کانـدر آن حـال بوالعجـب گفتـی کآیـت زُلزِلـت هویـدا شـد

٢٤. سوی دیگر هم از طیور و وحوش پـر ز آوازه و پـر ز غوغـا شـد

٢٥. آن بـه تکبیـر گفتـن و تهلیـل بهـر اعـلام خلـق بـالا شـد
وین بـه سـبّوح گفتـن و قـدّوس بـا طیـور دگـر هـم آوا شـد

٢٦. نـی مـؤذّن فقـط بذکـرش بـود نـی خـروش از خـروس تنهـا شـد

غلغلـه در عوالـم امـکان از سـر عقـل تـا هیـولا شـد
هـر یکـی از کمـال توحیـدش بـا زبـان فصیـح گویـا شـد
همـه یـار اسـت و نیسـت غیـر از یار واحـدی جلـوه کـرد و شـد بسـیار
پـس شـده رایـت ظفـر پیـدا از طلـوع طلایـه‌ی بیضـا
رایتـی نـوع لالـه‌ی حمـرا رایتـی جنـس لؤلـؤ لالا
چـون دم گـرگ گشـت نامرئـی بعـد چنـدی ز منظـر و مرئـی
سـر بـرون کـرد از کنـام افـق آتشـین آهـوی فلـک پیمـا
طلعـت حـور را یکـی مظهـر آیـت نـور را یکـی مجلـی
یـد بیضـای هـور تـا بگرفـت پـرده‌ی تیـره از رخ غبـرا
آشـکارا قیـام بنمـوده یـوم تبلـی السـرائر اشـیاء

٢٧. دلبری‌هـا نمـود از یکسـو دامـن ارغوانـی صحـرا
گـردن افراشـت هـم ز سـوی دگـر قامـت زعفرانـی کوهـا
دسـت داود بـاد پوشـانید زره سـیم خـام بـر دریـا
کل مـا لایـری و مـا یبصـر فیـه آیـات ربّـه الکبـری

٢٨. همه یار است و نیست غیر از یار واحـدی جلـوه کـرد و شـد بسـیار

٢٩. گهـی بـر طـارم اعلـی نشـیند گهـی تـا پشـت پـای خـود نبینـد

٣٠. مـن ملـک بـودم و فـردوس بریـن جایـم بـود
آدم آورد در ایـن دیـر خـراب آبـادم

٣١. الا ای طائـر قدسـی در ایـن ویرانـه برزن‌هـا
بسـی‌دام اسـت و دیو و دد بسـی‌غول است و رهزن‌ها

٣٢. در ایـن جای مخوف ای مرغ‌جان ایمن کجا باشـی
گـذر زیـن جـای نـا امـن و نمـا رو سـوی مأمن‌هـا

٣٣. در ایـن کـوی‌و در این برزن چه پیش‌آمدترا رهزن
بـه یـک دو دانـه‌ی ارزن فـرو مانـدی ز خرمن‌هـا

٣٤. در ایـن لای و لجن‌هـا و در ایـن ویرانه گلخن‌ها
شـد از یـاد تـو آن ریحـان و روح و بـاغ و گلشـن‌ها

٣٥. سـحر گاهـی کـه می‌آیـد نسـیم کـوی دلـدارت
تـرا بایـد کـه بـر کویـش بـود هـر دم نشـیمن‌ها

٣٦. حجـاب دیـده‌ی دل گـرددت آمـال دنیـاوی
کجـا دیـدن توانـی تـا بـود اینگونـه دَیدَن‌هـا

٣٧. بـه هـوس راسـت نیایـد بـه تمنـی نشـود
کاندریـن راه بسـی خـون جگـر بایـد خـورد
همـه خوهـای ناپاکـت تـرا گردنـد اژدرهـا
تـرا گردنـد نشـترها تـرا گردنـد سـوزن‌ها

٣٨. صمـت و جوع و سَـهَر و خلـوت و ذکر به دوام
ناتمامـان جهـان را کنـد ایـن پنـج تمـام

٣٩. هر کسی از ظن خود شد یار من از درون من نجست اسرار من

٤٠. بدان را هست بر ما حق بسیار چو حق مردم پاکیزه کردار

٤١. بدان را هست بر ما حقّ بسیار چو حقّ مردم پاکیزه کردار
بر آن زخمی که دیدم از زمانه برای فیض حقّ بودی بهانه

٤٢. افسوس که این مزرعه را آب گرفته دهقان مصیبت‌زده را خواب گرفته

٤٣. آن سخن‌های چو مار و کژدمت مار و کژدم گردد و گیرد دمت

٤٤. به حقیقت برسیدم ولی از راه مجاز
وه چه راهی که بسی سخت و بسی دور و دراز

٤٥. واعظان کاین جلوه بر محراب و منبر می‌کنند
چون به خلوت می‌روند آن کار دیگر می‌کنند

٤٦. سنگ بر احمد سلامی می‌کند کوه یحیی را پیامی می‌کند
ما سمیعیم و بصیریم و هُشیم با شما نامحرمان ما خامشیم
چون شما سوی جمادی می‌روید محرم جان جمادان چون شوید
از جمادی عالم جان‌ها روید غلغل اجزای عالم بشنوید
فاش تسبیح جمادات آیدت وسوسه‌ی تاویل‌ها نربایدت

٤٧. مـا سـمیعیم و بصیریـم و هُشـیم　　بـا شـما نامحرمـان مـا خامشـیم

٤٨. در شـبی حـال بـود و بیـداری　　گریـه بـود و حضـور و اذکاری
در خجسـته سـحرگه آن شـب　　از سـرا آمـدم بـرون بـاری
سـر ببـالا نمـوده‌ام نـاگاه　　متحیـر ز صنعـت بـاری

٤٩. مـا سـمیعیم و بصیریـم و هُشـیم　　بـا شـما نامحرمـان مـا خامشـیم

٥٠. بگفتـا: حـال مـا برق جهان اسـت　　دمـی پیـدا و دیگـر دم نهـان اسـت
گهـی بـر طـارم اعلـی نشـینم　　گهـی تـا پشـت پـای خـود نبینـم

٥١. ألا ای طایـر قدسـی در ایـن ویرانـه برزن‌هـا
بسی دام است و دیو و دد بسی غول است و رهزن‌ها
در ایـن جـای مخـوف ای مرغ جان ایمن کجا باشـی
گـذر زیـن جـای ناامـن و نُمـا رو سـوی مأمن‌هـا

٥٢. به بسـم الله الرّحمن الرّحیم اسـت　　تجلّی‌هـا چـو صرصر تا نسـیم اسـت

٥٣. دو عالـم را بـه یکبـار از دل تنـگ　　بـدر کردیـم تـا جـای تـو باشـد

٥٤. چرا زاهد اندر هوای بهشـت اسـت　　چـرا بی‌خبـر از بهشـت آفرین اسـت

۵۵. به بسم الله الرّحمن الرّحیم است تجلّی‌ها چو صرصر تا نسیم است
تجلّی گاه مانند نسیم است که زو نه جسم‌وجان را لرز و بیم است

۵۶. من چرا بی‌خبر از خویشتنم من کیم تا که بگویم که منم

۵۷. چنان معانی به صورت می‌کشاند که صد مانی در آن حیران بماند

۵۸. تو بندگی چو گدایان به شرط مزد مکن
که خواجه خود صفت بنده‌پروری داند

۵۹. من چرا بی‌خبر از خویشتنم من کیم تا که بگویم که منم

۶۰. تو بندگی چو گدایان به شرط مزد مکن
که خواجه خود صفت بنده‌پروری داند

۶۱. سرمایه راهرو حضور و ادب است
آنگاه یکی همّت و دیگر طلب است
ناچار بود رهرو از این چار اصول
ورنه به مراد دل رسیدن عجب است

۶۲. ز مردم تا گران جانی بدیدم به القائات سبوحی رسیدم
بدان را هست بر ما حق بسیار چو حق مردم پاکیزه کردار

٦٣. چوجان انبیاء بی‌نقش و ساده است خدا در وی حقائق را نهاده است

٦٤. بسی از اولیا بی‌رنج تعلیم که شد مالک رقاب هشت اقلیم
بباید بود دائم در حضورش که تا بینی تجلی‌های نورش
بیک معنی ترا فکر حضوری نیارد قرب و باشد عین دوری
مقام تو فراتر از حضور است اگر چه محضر الله نور است

٦٥. حضوری محو در عزّ جلال است حضوری مات درحسن جمال است

٦٦. حضوری را فؤاد مستهام است حضوری را مقام لا مقام است

٦٧. همه او شد همه او شد همه او همه دل شد همه دل شد همه دل

٦٨. همه از دست شد و او شده است انا و انت و هو، هو شده است

٦٩. خردسالی بودم اندر دشت چون آهو بره
ناگهان صیاد چابک دست غیبی را هدف
سوره‌ی توحید تیر جان شکارش تا به پر
بر دلم بنشست یا درّی فرو شد در صدف

٧٠. به بسم الله الرّحمن الرّحیم است کنوزی کان الف و لام و میم است

٧١. تو خواهی ردکن وخواهی قبولش دو ماهی داشتم درد مفاصل

٧٢. بقرآن آشنایی آنچنانم که خود یکدوره‌ی تفسیر آنم
نه تفسیر عبارات و ظواهر که ساحل بین در آن حد است ناظر
به تفسیری که باشد انفسی آن کز آفاقی فزون باشد بسی آن

٧٣. ما جدولی از بحر وجودیم همه ما دفتری از غیب و شهودیم همه
ما مظهری از واجب‌الوجودیم همه افسوس که در جهل غنودیم همه

٧٤. حجاب راه تویی حافظ از میان برخیز
خوشا کسی که در این راه بی‌حجاب رود

٧٥. به بسم الله الرّحمن الرّحیم است تجلّی‌ها چو صرصر تا نسیم است

٧٦. همه از دست شد و او شده است أنا و أنت و هو، هو شده است

٧٧. جلوه کند نگار من تازه به تازه نو به نو
دل برد از دیار من تازه به تازه نو به نو

٧٨. همه از دست شد و او شده است أنا و أنت و هو، هو شده است

الفهارس الفنّية

فهرس المصادر

* القرآن الكريم
* نهج البلاغة

١. الآملي، حسن حسن زاده، وحدت از ديدگاه عارف وحكيم، چاب اسوه، قم ـ إيران، ط١ـ ١٣٨٣ش.

٢. الآملي، حسن حسن زاده، ديوان أشعار، مركز نشر فرهنگى رجاء، طهران ـ إيران، ط٥ ـ بدون تاريخ.

٣. الآملي، حسن زاده، الهى نامه، مؤسسة بوستان كتاب، قم ـ إيران، ط٣٢ ـ ١٣٨٩ش.

٤. الآملي، حسن حسن زاده، دروس اتحاد العاقل به معقول، انتشارات قيام، قم ـ إيران، ط١ ـ ١٣٧٥ ش.

٥. الآملي، حسن حسن زاده، أنه الحق، انتشارات قيام، قم ـ إيران، ط٢ ـ ١٣٧٩ ش.

٦. الآملي، حسن حسن زاده، انسان در عرف عرفان، انتشارات سروش، طهران ـ إيران، ط٩ ـ ١٣٨٩ش.

٧. الآملي، حسن حسن زاده، دروس معرفت نفس، نشر الف.لام.ميم، قم ـ إيران، ط٣ ـ ١٣٨٨ش.

٨. الآملي، حسن زاده، هزار ويك كلمه، مؤسسة بوستان كتاب، قم ـ إيران، ط٢ ـ ١٣٧٩ش.

٩. الآملي، حسن زاده، دروس شرح اشارات وتنبيهات، كتابسراي اشراق، قم ـ إيران، ط١ ـ ١٣٨٦ش.

١٠. الآملي، حسن زاده، هزار ويك كلمه، مؤسسة بوستان كتاب، قم ـ إيران، ط٢ ـ ١٣٧٩ش.

١١. الآملي، حسن حسن زاده، هزار ويك نكته، مركز نشر فرهنگي رجاء، طهران ـ إيران، ط٣ ـ ١٣٧٢ش.

١٢. الآملي، حسن حسن زاده، مُمِدّ الهِمَم في شرح فصوص الحكم، سازمان چاب

وانتشارات وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي، طهران ـ إيران، ط٣ ـ ١٣٨٥ش.
١٣. صمدي آملي، داود، شرح دروس معرفت نفس، انتشارات آل علي عليهم السلام، قم ـ إيران، ط١ ـ ١٣٨١ش.
١٤. صمدي آملي، داود، شرح دفتر دل، انتشارات نبوغ، قم ـ إيران، ط٦ ـ ١٣٨٩ش.
١٥. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، تحقيق: آية الله الشيخ حسن‌زاده آملي، بوستان كتاب، قم ـ إيران، ط١ ـ ١٤٢٤هـ.ق.
١٦. الملكي التبريزي، الميرزا جواد، المراقبات في أعمال السنة، چابخانه حيدري، قم ـ إيران، ط بدون ـ ١٣٨١ق.
١٧. الطوسي، خواجه نصير الدين، آغاز وانجام، مقدّمه وشرح وتعليقات: آيت الله حسن حسن زاده آملي، سازمان چاب وانتشارات وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي، طهران ـ إيران، ط٥ ـ ١٣٨٨ش.
١٨. المكي، أبو طالب، علم القلوب، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، مكتبة القاهرة، القاهرة ـ مصر، بدون تاريخ.
١٩. الدميري، كمال الين محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم ـ إيران، ط١ ـ ١٣٧٨ق.
٢٠. عطّار نيشابوري، فريد الدين، منطق الطير، انتشارات آيدن، تبريز ـ إيران، ط١ ـ ١٣٨٤ش.
٢١. عطّار نيشابوري، فريد الدين، مصيبت نامه، تصحيح: د. نوراني وصال، كتابفروشي زوار، إيران، ط٣ ـ ١٣٦٤ش.
٢٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار الأميرة، بيروت ـ لبنان، ط١ ـ ٢٠٠٧ م.
٢٣. دستغيب، عبد الحسين، القصص العجيبة، مؤسسة النعمان، بيروت ـ لبنان، ط٦ ـ ١٩٩٠م.
٢٤. التنكابني، محمد بن سليمان، قصص العلماء، ترجمة: مالك وهبي، انتشارات ذوي القربى، قم ـ إيران، ط٢ ـ ١٤٢٩هـ
٢٥. الطبرسي، أبو علي الفضل بن حسن، مجمع البيان، حقّقه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحقّقين، قدم له : السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الاعلمي،

بيروت ـ لبنان، ط ١ ـ ١٩٩٥م.
٢٦. المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا الشعراني، ضبط وتصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط ١ ـ ٢٠٠٠ م.
٢٧. الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تعليق : الشيخ حسن‌زاده آملي، طبعة جماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط ١٢ ـ ١٤٣٠هـ ق.
٢٨. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، انتشارات بيدار، قم ـ إيران، ط ١ ـ ١٩٩٢م.
٢٩. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط ١ ـ ٢٠٠٢م.
٣٠. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، تعليق: المولى علي النوري، تصحيح: محمد خواجوي، پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي، طهران ـ إيران، ط ٢ ـ ١٣٨٣ش.
٣١. النراقي، احمد مهدي، الخزائن، مع تعليقات الأستاذ حسن‌زاده آملي، ترجمة: عبد الرضا افتخاري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط ١ ـ ٢٠٠٧م.
٣٢. الكاشاني، محمد بن مرتضى، المحجة البيضاء، مؤسسة الاعلمي، بيروت ـ لبنان، ط ٣ ـ ١٤٠٣ هـ
٣٣. الكاشاني، ملا محسن الفيض، الأصفى في تفسير القرآن، تحقيق: محمد حسين درايتي ومحمد رضا نعمتي، بوستان كتاب، قم ـ إيران، ط ١ ـ ١٣١٨ هـ
٣٤. النراقي، احمد، معراج السعادة، انتشارات هجرت، قم ـ إيران، ط ٤ ـ ١٣٧٦ش.
٣٥. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، مؤسسة الاعلمي، بيروت ـ لبنان، ط ٣ ـ ٢٠٠٥م.
٣٦. أبن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، إقبال الأعمال، الاعلمي، بيروت ـ لبنان، ط ١ ـ ١٤١٧ هـ
٣٧. التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، ط ١ ـ ١٣٦٦ش.

٣٨. الطبرسي، أبي نصر الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط٤ ـ١٤٢٥ق.
٣٩. الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط٤ ـ ١٤٠٥ق.
٤٠. الرومي، جلال الدين، المثنوي المعنوي، ترجمة وشرح ودراسة: د.محمد عبد السلام الكفافي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط١ ـ١٩٦٦م.
٤١. الرومي، جلال الدين، المثنوي المعنوي، ترجمة وشرح وتقديم: د.إبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ـ مصر، ط٢ ـ٢٠٠٧م.
٤٢. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، علل الشرائع، تقديم وتحقيق: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف ـ العراق، ط١ ـ١٩٦٦م.
٤٣. القمي، عباس، سفينة البحار، نشر دار أسوة، قم ـ إيران، ط١ ـ ١٤١٤ق.
٤٤. المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال عن أحاديث الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٢ ـ ١٩٨٩ م.
٤٥. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرّي، رياض الصالحين، تحقيق: د . ماهر ياسين الفحل، دار زين العابدين، بيروت ـ لبنان، ط١ ـ١٩٩٧م.
٤٦. ابن سينا، أبو علي حسين بن عبد الله، الإشارات والتنبيهات، نشر البلاغة، قم ـ إيران، ط١ ـ ١٣٧٥ش.
٤٧. استعلامي، محمد، مقدّمة وتصحيح وتعليقات مثنوي، مهارت، طهران ـ إيران، ط٧ ـ ١٣٨٤ش.
٤٨. المعجم، رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١ ـ ١٩٩٩م.
٤٩. المامقاني، عبد الله، مرآة الرشاد، منشورات دليل ما، قم ـ إيران، ط٤ ـ١٤٢٩.
٥٠. المامقاني، عبد الله، مرآة الكمال، منشورات دليل ما، قم ـ إيران، ط٥ ـ١٤٢٧.
٥١. العاملي، بهاء الدين محمد بن الحسين الحارثي، مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة، تعليق: محمد إسماعيل الخواجوي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط٢ ـ ١٤٢٢.

٥٢. العاملي، بهاء الدين محمد بن الحسين الحارثي، الأربعون حديثاً، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط٢ ـ ١٤٢٢.
٥٣. القمي، القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد، الأربعينيات لكشف أنوار القدسيات، تصحيح وتعليق: نجفعلي حبيبي، نشر: ميراث مكتوب، طهران ـ إيران، ط بدون ـ ١٣٨١ش.
٥٤. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢ ـ ٩٥٤م.
٥٥. الكعبي، عادل، لسان الصدق، دار الأوسط، بيروت ـ لبنان، ط٢ ـ ٢٠٠٧م.

فهرس الآيات القرآنيّة

ا

أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السَّماء ١٢٧
أفوِّضُ أمْري إلى الله إنَّ الله بصيرٌ بالعباد ١٥٦
ألَمْ تر أنَّ الله يَسْجُدُ لهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرْضِ ٤٠٢
أنَّ الله يحولُ بيْنَ المرْءِ وقلْبِه ٣٢٢
أن لا إله إلاّ أنتَ سُبْحانك إنّي كُنتُ منَ الظّالمينَ ١٥٦
أوْلَـئك كالأنْعامِ بلْ هُمْ أضلُّ ٢٤٣
أوْلئك يُنادَوْنَ منْ مَكانٍ بعيدٍ ٣٩٥
إذا زُلزلتِ الأرْضُ زِلْزالَها وأخْرجَتِ الأرْضُ أثْقالَها ٤٦٤
إذْ قالَ يوسُفُ لأبيهِ يا أبَتِ إنّي رأيْتُ أحدَ عشَرَ كَوْكباً ١٨٣
إلاّ منْ أتى الله بقلْبٍ سليمٍ ٢٧، ٣٣٣
إنّا أنزلْناهُ في ليْلَةِ القَدْرِ ١٩٣، ٤٢١، ٤٢٤
إنَّ الدّينَ عندَ الله الإسْلامُ ٢٤٣
إنَّ الّذينَ قالوا ربُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتقامُوا تتَنزَّلُ عليْهِمُ المَلائكةُ ٣٠٨
إنَّ الّذينَ يأْكُلونَ أمْوالَ اليَتامى ظُلْماً إنَّما يأْكُلونَ ١٧١، ٢٧٢
إنَّ الّذينَ يكْتُمونَ ما أنزلَ اللهُ منَ الكتابِ ويَشْتَرُونَ بهِ ٢٧٢
إنَّ الصَّلاةَ تنْهى عنِ الفَحْشاءِ والمُنْكرِ ٢٧٥
إنَّ الله لا يَسْتَحْيي أنْ يضْرِبَ مَثَلاً ما بَعوضَةً فما فَوْقَها ٤٧٤
إنّا للهِ وإنّا إليْهِ راجعونَ ٤٤٦
إنَّ اللهَ يأْمُرُكُمْ أنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهْلِها ٤٢٧
إنَّ المُبذّرينَ كانوا إخْوانَ الشَّياطينِ ١٢١
إنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بهِ اللهُ ٢٧٦
إنْ تَرَنِ أنا أقَلَّ مِنْكَ مالاً وَ وَلَداً فعسى ربّي أنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً ١٥٦
إنَّ ربَّكُمُ اللهُ الّذي خلقَ السَّماواتِ ٣٥٩، ٣٦٠
إنَّ في خلْقِ السَّماواتِ والأرْضِ واخْتلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ ١٩٨
إنَّ كتابَ الأبْرارِ لفي عليّينَ وما أدْراكَ ما عليُّونَ ٥٠٤
إنَّما أنا بشَرٌ مِثْلُكُمْ ٤٢٦
إنَّما نُطْعِمُكُمْ لوَجْهِ الله لا نُريدُ منْكُمْ جَزاءً ولا شُكُوراً ٢٣٤، ٢٣٧
إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ٥٠٨
إنَّ هذا القُرْآنَ يهْدي للَّتي هيَ أقْومُ ٣٤٩، ٤٣٧
إنَّهُ لَقُرْآنٌ كريمٌ في كتابٍ مَكْنونٍ لا يَمَسُّهُ ١٨

إنّي جاعلُكَ للنّاسِ إمَاماً ٢٣٢
إنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ للّذي فطرَ السَّماواتِ والأرْضَ حَنيفاً ٢٧٨
إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتعينُ ٣٨٥
ادْعُوني أسْتجبْ لَكُمْ ٤٢٠
اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ٤٩٥
اقْرَأْ كتابَكَ كفى بنفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسيباً ٤٩٤
الّذي خلقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً مَا تَرَى في خَلْقِ الرَّحْمَنِ ٤٠٢
الّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وجلَتْ قُلوبُهُمْ ٣٢٢
الّذينَ يَذْكُرونَ اللهَ قياماً وقُعُوداً وعَلى جُنُوبِهِمْ ويَتفكّرونَ ٢٦٩
اللهُ نَزَّلَ أحْسَنَ الحَديثِ كتاباً مُتَشابِهاً مَثاني تَقْشَعِرُّ مِنْهُ ٣٢٢
اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأرْضِ ٣٢٢، ٣٩٧، ٤٠١
اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمَنْ يشاءُ ويَقْدِرُ ٦٨
الم ٤٣٣
اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أيْديهِمْ وَتَشْهَدُ أرْجُلُهُمْ ٤٩٣
انْظُرونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ٣٣

ب

بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٤٥٢
بسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ ٣٥٤، ٤٢١
بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ٦١، ١١١، ٤٣٣، ٤٥٢

ت

تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ ٣٩٩
تَحْسَبُهُمْ جَميعاً وقُلُوبُهُمْ شَتّى ذلكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ٣١
تُسَبِّحُ لهُ السَّماواتُ السَّبْعُ والأرْضُ ومَنْ فيهِنَّ ٢٩٨
تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بالحَقِّ وإنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلينَ ٤٣٤

ث

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعيمِ ٧٠

ح

حَسْبُنَا اللهُ و نِعْمَ الْوَكيلُ ١٥٦

خ

خَتَمَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ ٤٧٧

د

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ١٦

ذ

ذلك الكتابُ لا ريْبَ فيه هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ١٨

ذلك فضْلُ الله يُؤْتِيه من يشاءُ ٥٠٩

ر

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قال أَولَمْ تُؤْمِنْ ٤٢

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ٤١، ٤٢٥

رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٦٣

س

سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ ١٩٦

سَنُرِيهِمْ آياتِنا في الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ ١٩٩

سِيمَاهُمْ في وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ١٤١، ٣١١

ش

شراباً طَهُوراً ٢٠

ف

فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُونِ ٢١٨

فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ١٨٦

فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله وفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ١٥٦

فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً ١٢٧

فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ٤٢، ٤٢٥

فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ٣٤٠، ٤١٢

فقال لأهْلِه امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً ٣٧٠

فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٤٤٧

فلِلَّهِ الْحَمْدُ ربِّ السَّماواتِ وربِّ الأَرْضِ ٤٦٣، ٤٦٤

فلمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي ٢٦٤، ٢٧٨

فَلَمَّا رأى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي ٢٦٤

فلن تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تَبْدِيلاً ولَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٢٨، ٤٣١، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٤

فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ٤٢٢

فوقيه الله سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا ١٥٦

في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ٣٢٠، ٤٧٠

ق

قُلْ إِنَّما أَنا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ٣٩٨

قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لِّكَلِماتِ رَبِّي ٤٧٣

قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ الله الصَّمَدُ ٣٨٥

ك

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ من فَوْقِ الأَرْضِ ٤٤٩

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وفَرْعُها في السَّماءِ ٤٤٩

كُلَّما رُزِقُوا مِنْها من ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنَا ٦٩

كُلُوا واشْرَبُوا مِن رِّزْقِ الله ٦٩

كهيعص ٥٠٩

ل

لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٩٢، ٥٠٣

لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ١٤١

لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ في كَبَدٍ ٤٦

لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ٤١٢، ٤٨٧، ٤٩٨

لَوْ أَنْزَلْنَا هذا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً ٤٤٠

لَوْ كَانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا ٣٣٩

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي ٢٥٩

م

ما زِلْتُ أُرَدِّدُ هذه الآيَةَ حَتَّى سَمِعْتُها مِنْ قائِلِها ٤٨٨

ما شاءَ الله لا قُوَّةَ إِلَّا بالله ١٥٦

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فيها أَنْهارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ٤٧٢

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٣٩٧

مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ٣٩٩

ن

نَجْيَناهُ من الْغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ١٥٦

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ١٢٧

و

وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها ١٩٩

وأَعْتَزِلُكُمْ وما تَدْعُونَ من دُونِ الله وأَدْعُو رَبِّي ٢١٧

وأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ٣١٢، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٧٢، ٤٧٣

وأَنْهارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةً لِّلشَّارِبِينَ ٢٠

وإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وما يَعْبُدُونَ إِلَّا الله فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ٢١٧

وإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ٤١

وإِذْ قالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ ١٨٦

وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ٤٩١، ٤٩٢

وإن مِّن شَيْءٍ إلاّ عندنا خَزائنُه ٤٠٠
واذْكُرْ في الْكتاب مَرْيم إذ انتبذتْ منْ أهْلها ٢١٧، ٣٧٠
والْبلدُ الطيّبُ يخْرجُ نباتُهُ بإذْن ربّه ١٢٧
والله أخْرجكُم مّن بُطون أُمّهاتكُمْ لا تعْلمُون شَيْئاً ٢٩٣
وبَشّرِ الّذين آمَنُواْ وعَملُواْ الصّالحات أنّ لَهُمْ جَنّاتٍ ٤٩٨
وخرّ موسى صعِقاً. ٤٧٥
وسخّر لكُم مّا في السّماوات ومَا في الأرْض ٢٧٠
وسقاهُمْ ربُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ١٧، ٥٠٤
وضرب الله مثلاً للّذين آمنُوا امْرأة فرْعَوْن ٢٣٠
وعصى آدمُ ربّهُ ٤٢
وعلّم آدمَ الأسْماء كُلّها ٤١٨
وعنتِ الْوُجُوهُ للْحيّ الْقيُّوم ٤١٢، ٤٩٨، ٤٨٧
وقال ربُّكُمُ ادْعُوني أسْتجبْ لكُمْ. ٤٠٨
وقليلٌ مّنْ عبادي الشّكُورُ ٥٠٩
وكذلك نُري إبْراهيم ملكُوت السّماوات والأرْض ٢٦٤
ولا تحْسبنّ الّذين قُتلُواْ في سبيل الله أمْواتاً ٢٣٠، ٣٢٠
ولا تكُونُوا كالّذين نسُوا الله فأنساهُمْ أنفُسهُمْ ١١١
ولا تنس نصيبك من الدُّنْيا ٣٢٩
ولقدْ همّتْ به وهمّ بها ٢٤٨، ٢٤٩
ولكنّ أكْثر النّاس لا يُؤْمنُون ٣٨٦
ولله جُنُودُ السّماوات والأرْض ١٩٤
ولله يسْجُدُ مَا في السّماوات ومَا في الأرْض ٤٠٢
ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلّمهُ ربُّهُ ٤٤١، ٤٧٥
ولهُ أسْلم مَن في السّماوات والأرْض ٤٠٢
وما جعلْنا الرُّؤيا الّتي أريْناك إلاّ فتْنةً للنّاس ٢٣٤
وما رميْت إذْ رميْت ولكنّ الله ١٩٠
وما من دابّةٍ في الأرْض إلاّ على الله رزْقُها ٦٨، ٢٢١
وَمَا ينطقُ عن الْهوى إنْ هُو إلاّ وحْيٌ يُوحَى ١٩٢، ٤٢٤
وممّا رزقْناهُمْ ينفقُون ٦٨
ومن اللّيْل فتهجّدْ به نافلةً لّك عسى أن يبْعثك ١٣٥، ٢٩٠
ومَن يُؤْت الْحكْمةَ فقدْ أُوتي خيْراً كثيراً ٥٠٩
ونحْنُ أقْربُ إليْه منْ حبْل الْوريد ٣٢٢
وننزّلُ منَ الْقرْآن مَا هُوَ شفاء ورَحْمةٌ للْمؤْمنين ٤٨٢
وهلْ أتاك حديثُ مُوسى إذْ رأى ناراً فقال لأهْله امْكُثُوا ٣٦٩
وهُوَ الّذي مدّ الأرْضَ وجعل فيها رَواسي وأنْهاراً ٢٦٩
وهُوَ الله في السّماوات وفي الأرْض يعْلمُ سرّكُمْ ٤٣١
وهُو معكُمْ ٤٨٩
وهُو معكُمْ أيْن مَا كُنتُمْ ١٩١، ٤٠١
ويرْزُقْهُ منْ حيْثُ لا يحْتسبُ. ٢٥
ويمْكُرُون ويمْكُرُ الله والله خيْرُ الْماكرين ١٥٦

هـ

هُوَ الأوّلُ والآخرُ والظّاهرُ والْباطنُ ٥٨، ١٩٩، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٨٩
هُو الّذي أنزل عليْك الْكتاب منْهُ آياتٌ مُّحْكماتٌ ٤٧٤
هُو الّذي يصوّرُكُمْ في الأرْحام كيْف يشاءُ ٤٣
هُوَ اللهُ الّذي لا إله إلاّ هُوَ عالمُ الْغيْب والشّهادة. ٣٩٧

ي

يا أيُّها الّذين آمنُواْ اتّقُواْ الله وابْتغُواْ إليْه الْوسيلةَ ١٩٠
يا أيُّها الّذين آمنُوا اجْتنبُوا كثيراً منَ الظّنّ ١٦٦
يا أيُّها الّذين آمنُوا ليسْتأْذنكُمُ الّذين ملكتْ أيْمانُكُمْ ٨٧
يا أيُّها الْمزّمّلُ قُمِ اللّيْلَ إلاّ قليلاً نّصْفهُ أوِ انقُصْ منْهُ ٢١٦
يا ليْتني متُّ قبْل هذا وكُنتُ نسْياً منسيّاً ٤٦٥
يحْسبُهُ الظّمْآنُ ماء. ٥٨
يرْزُقْهُ منْ حيْثُ لا يحْتسبُ ٦٥
يعْلمُ خائنةَ الأعْيُن وما تُخْفي الصُّدُورُ ٤٣٢
يوْمئذٍ تُحدّثُ أخْبارها. ٢٨٦
يوْمَ تُبْلى السّرائرُ ٣٢، ٤٩٧
يوْمَ نقُولُ لجهنّم هل امْتلأْت وتقُولُ هلْ منْ مزيدٍ ٤٩٠
يوْمَ يفرُّ الْمرْءُ منْ أخيه وأُمّه وأبيه وصاحبته وبنيه ٣٢

فهرس الأحاديث

ا

أتى عالمٌ عابداً، فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: ١٦٧

أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين ﷺ شعث غبر يبكونه ٢٣٠

أفعل خمسة أشياء، واذنب ما شئت: ٢٧٥

ألا أخبركم بشرار رجالكم؟ ٩٠

ألا إنّ اللّسان بضعة من الإنسان ٩٠، ٩٢

أمّتي الغرّ المحجّلون يوم القيامة من آثار الوضوء ٣٧

أنا عند المنكسرة قلوبهم ١٧٢، ٢٣٠

أن الحسن والحسين ﷺ مرضا فعادهما رسول الله ﷺ ٢٢٧

أن الحيوانات صور وأمثال أعمالكم ٤٣

أن رسول الله ﷺ أخذته نعسة وهو على منبره، ٢٣٤

أن روح المؤمن في نومه تروح إلى الله تعالى فيلقاها ١٤

أن عيسى ﷺ والحواريين مرّوا على جيفة كلب، ٢٩٥

أن من مات على طهارة مات شهيداً ١٣

أنّه ﷺ أخذ كفاً من الحصى، فسحن في يده، ٢٨٥، ٤٩٢

أيها الناس، طوبى لمن لزم بيته، وأكل كسرته، ٢١٧

أيها الناس، إن أهل بيت نبيكم شرّفهم الله بكرامته ٢٣٣

أي يطهّرهم عن كل شيء سوى الله: ٥٠٤

إذا أصبح، ثم أمسى، رجع إلى نفسه، وقال: يا نفس! ٢١٨

إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ١٦٧

إذا اقترب الرجل من زوجته عليه أن لا يفكّر بأعراض ٢٩٤

إذ لا طاهر من تلنّس بشيء من الأكوان إلا الله ٢١

إلهي إن طردتني من بابك، فبمن ألوذ، وإن رددتني ٥٧

إن آدم ﷺ لمّا كثر ولده، و ولد ولده كانوا يحدّثون عنده، ١٠٤

إن أيوب ﷺ من جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة، ٣٧٤

إن إبليس قاس نفسه بآدم فقال: ٣٩٠

إن الجنّة أشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّة ٣٢٠

إن الدنيا حرام على أهل الآخرة، وإن الآخرة حرام ٣٢٠

إن القرآن نزل بالحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، ٧٩

إنّ الله اخترعني من ذاته، وأنا غير منفصل عنه؛ ٤٠٨، ٤٥٩

إن الله تعالى كان أوحى إلى إبراهيم ﷺ أني متخذ ٤٢

إن الله جل وعزّ أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل ٢١٧

إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به، ٧٠

إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، ٤٥٨

إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام؛ ٢٣٤

إنّ المرأة إذا حملت، كان لها من الأجر كمن جاهد بنفسه، ١٢٩

إنّ الوصول إلى الله سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل ٢١٧

إنّ امرأة أتت رسول الله ﷺ [لبعض] الحاجة، ١٢٤

إن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجّار، ٢٧٨

إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، ١٨٣، ٤٢٢

إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات، ٢١٣

إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح، ١٠٢

إن لك مقاماً عند الله تعالى لن تناله إلا بالشهادة ١٨٧

إنما أخاف عليكم اثنتين إتّباع الهوى وطول الأمل، ١٥٤

إنما هي القلوب مرّة تصعب، ومرّة تسهل ٣٠٥

إني أرى ما ترى، وأسمع ما تسمع ٣٧٢

إياكم والبطنة، فإنها مقساة للقلب، مكسلة عن الصلاة، ٢١٥

إياكم والفحش؛ فإن الله لا يحب الفحش، ٩٠

إياكم والنظر؛ فإنّه سهم من سهام إبليس ٩٦

اتّقوا الله، وأجملوا في الطلب. ٣٠٩

احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم ١٥٤

ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء ٧٩

اطلبوا العلم، ولو بالصين ٣٤٠

افتحوا عيونكم عند الوضوء؛ ٣٧

الألسن تترجم عمّا تجنّه الضمائر ١١٣

التفكّر في آلاء الله نعم العبادة ١٩٩

التفكّر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين ١٩٩

الحروف كالطبايع والعقاقير، ٤٥٢

السّلامُ عَلَيْكَ يا شَهْرَ اللهِ الأَكْبَرِ، وَيا عِيدَ أَوْلِيائِهِ الأَعْظَمِ، ٤٨٩

القلب السليم الذي يلقى ربّه، ٢٧

القلب حرم الله؛ فلا تُسكن في حرم الله غير الله ٥٦

اللسان ترجمان الجنان ١١٢

اللسان ترجمان العقل ١١٢

اللسان ميزان الإنسان ١١٣

الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، ٤٥٣

اللهم أرني الأشياء كما هي ٤١٨

اللهم، نوّر ظاهري بطاعتك، وباطني بمحبتك، ٤٧٠

اللهم هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك، ١٨٧

المرء مخبوء تحت لسانه ١١٢
المرء مع من أحب ١٨٥، ١٩٨
المرء يوزن بقوله، ويقوّم بفعله: ١١٣
المعونة تنزل من الله على قدر المؤنة ٧١
الهي هبْ لي كمال الانقطاع إليك ٣٢١
الوضوء على الوضوء نورٌ على نور ٣٦
امض فلا حاجة لنا في رعايتك. ٨٥

ب

بعث طلحة والزبير رجلاً من عبد القيس يقال له: ٣٥٩
بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتّى عمي، ٣٢٧
بل ما أكثر الضجيج، وأقل الحجيج ٣٢٦

ت

تزيد في العمر ١٣
تعرض عليهم أعمال العباد كل يوم إلى يوم القيامة ٤٩٥
تعلّموا من الغراب ثلاث خصال: ١٢٣
تفكّر ساعة خير من عبادة سنة ١٩٩

ث

ثلاث منجيات: تكف لسانك، وتبكي على خطيئتك، ٢١٧
ثلاث يُعذّبون يوم القيامة... والمُستمع بين قوم ٩٥

ج

جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل، ٣٧

ح

حسنات الأبرار سيئات المقربين ٣٨٢

خ

خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عليه السلام وألهمني أن قلت: ١٨٤

د

دع ابنك يلعب سبع سنين... ١٤٨، ١٤٩
دم على الطهارة يوسّع رزقك ٦٢
دم على الطهارة؛ يوسع عليك رزقك ٦٩

ر

رأيتُ الخضر في المنام قبل بدر بليلة، ١٨٢
رأيتُ جبرائيل على شكل طائر ٣٦٦
رأيتُ جبرائيل على صورة شاب مليح ٣٦٦
رووه عن جعفر بن محمد عليه السلام. ١٧
ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟ ١٧٥

س

سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ١٠٠
سألته ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ عن قول الله ٢٦
سُئل النبي صلى الله عليه وآله ما كفّارة الاغتياب ١١٢
سُئل يعقوب عليه السلام يوماً: لماذا لم تشعر ٣٠٤
سلاح المؤمن لدفع الشيطان ١٣

ص

صاحب العزلة متحصن بحصن الله. ٢١٨
صبرت [أربعاً وعشرين سنة] وفي العين قذى، ٢٣٢

ض

ضع أمر أخيك على أحسنه ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥

ط

طوبى لقوم عبدوني حبّاً، واتخذوني إلهاً وربّاً. ٣٢٧

ع

عجبتُ لمن فزع من أربع كيف لا يفزع إلى أربع؟ ١٥٦
على المرأة ألا تفكّر بالأشياء القبيحة في فترة الحمل ٢٩٤

ف

فأنشدك بالله الذي هو أقرب إليك من نفسك، ٣٦٠
فإذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً ٤٩١
فإن اختصا أمتي الصيام ١٣٤
فقال صلى الله عليه وآله: يا قيس، إن مع العزّ ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، ٢٦١
فلا تقرب النساء من أول الليل صيفاً ولا شتاء ١٢٢
فلما انتهى به [أي بالنبي صلى الله عليه وآله] إلى سدرة المنتهى، ٤٧٦

ق

قال أمير المؤمنين عليه السلام تعطّروا بالإستغفار ١٧٥
قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك ١٦٧
قال صلى الله عليه وآله: القلب السليم الذي يلقى ربّه، وليس فيه أحد سواه ٣٣٣
قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي، ٢٧، ٤٠٧
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: العبادة سبعون جزءاً، ٦٢

قال رسول الله ﷺ الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم ١١٢
قال رسول الله ﷺ قال الله: إن من عبادي ١٦٨، ٣٢٤
قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً ٨٥
قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه ١٠٤
قلب الأحمق وراء لسانه، ولسان العاقل وراء قلبه ١٠٤
قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه، ٢٦، ٣٠٣
قيل لملك الموت ﷺ: كيف تقبض الأرواح، ٤٩٦

ك

كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، و ٣٩٨
كسب الحرام يبين في الذرية ١٢٨
كلُّ وعاءٍ يضيقُ بما جُعلَ فيه، إلاّ وعاء العلم، ٧٤
كنتُ إذا مشيتُ في شعاب مكّة مع محمد ﷺ ٢٨٥
كنت كنزاً مخفياً، فأحببتُ أن أعرف ٢٧٧، ٣٩١
كن على وضوء من الصباح إلى المساء ٥٤

ل

لا تفعل يا عثمان ١٣٤
لا تنظروا إلى صغر الذنب، ولكن انظروا إلى من اجترأتم ٢٧٦
لا ينام المسلم وهو جنب. ولا ينام إلا ١٤، ٥٤، ٨٤
للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربّه، ١٠٠
لم أكن بالذي أعبد ربّاً لم أره ٣٨٢
لمّا كانت ليلة المعراج نظرتُ تحت العرش أمامي، ١٨٤، ٣٧٦
لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن ٥٦
لنا حالات مع الله هو فيها نحن، ونحن فيها هو، ٤٤٧
لو كان العبد في جحر لأتاه رزقه، فأجملوا في الطلب ٦٧
ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، ١٩٩
ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، ٢١٨
ليس يخرج شيء من عند الله عز وجل حتى ١٩٣
لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل ٤٤٧

م

ما رأيتُ إلّا جميلا ٤١٤
ما رأيتُ إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل؛ ٤٦٥
ما رأيت شيئاً، إلا ورأيت الله قبله ٥٨، ١٩٩
ما عبدتك طمعاً في جنّتك، ولا خوفاً من نارك، ٣٢٧
ما ملأ آدمي وعاءاً شرّاً من بطنه، ٢١٥
ما من أحد إلا وهو يصيب حظاً من الزنا، ٩٦
ما من يوم، إلاّ وكل عضو من أعضاء الجسد يكفّر اللسان، ١٠٣
مانع من عذاب القبر ١٣
من أحبّني ابتليته ٣٩
من أهان لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة، ٢٣١
من اطّلع في بيت جاره فنظر إلى عورة رجل، ٩٣
من الخلق إلى الحقّ ٣٥
من بات على طهور، كان كأنما أحيا الليل ١٣
من تطهّر، ثم أوى إلى فراشه، بات وفراشه كمسجده ٥٤
من تطهّر وأوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده ١٣
من رآني فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثّل بي ١١٥
من زار قبر الحسين ﷺ عارفاً بحقّه كان كمن زار الله ٢٣١
من عادى أوليائي، فقد بارزني بالمحاربة ٢٣١
من عرف نفسه، عرف ربّه ١٠٨، ٤٥١
من قتلته فعليّ ديته، ومن عليّ ديته، فأنا ديته ٥٧
من قرأ عند منامه آية الكرسي ثلاث مرّات ٣٦٠
من قلّ طعامه، صحّ بدنه، ووصفا قلبه، ٢١٥
من نظر إلى امرأة، فرفع بصره إلى السماء، ٩٦

ن

نحن أهل بيت الرحمة، وشجرة النبوة، ومعدن الحكمة، ٢٣٣
نزل القرآن بإياك اعني، واسمعي يا جارة ٤٠
نور نبيك يا جابر، خلقه الله، ثم خلق منه كل خير ٤٥٧

و

وأخذ من شجرة الحنظة بيده ٤٧
وأكثر ما كنتُ أراه على صورة دحية الكلبي ٣٦٦
وإنّ الأنواع من الفاكهة ليقلن لولي الله: يا ولي الله، ٤٩١
والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، ٢٣١
وكنّا نمرّ معه، فلا يمرّ بشعب، ولا شجر، إلاّ قالت: ٢٨٥
ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سرّي ٤٩٦
وليس شيء، أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، ٢١٥
ومن بلغ الحلم منكم فلا يلج على أمّه، ٨٨
ويدخل مملوككم وغلمانكم من بعد هذه الثّلاث عورات ٨٧
ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، ٢٣٤
ويستفاد من ذلك أنها منفولة ١٧
ويلكم، ما عليكم أن لا تنصتوا لي؛ فتسمعوا قولي، ٦١

هـ

هلك من ليس له حكيم يرشده ١٨٦
هوّن عليّ ما نزل بي، أنه بعين الله ٤١٤

ي

يا ابن آدم، لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتك ٣١٠
يا داود لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس، ٤٩٤
يا عليّ، إذا دخلت العُرُسَ بيتك، فاخلعْ خُفّها ١١٩
يا معشر الشباب، عليكم بالباه، فإن لم تستطيعوه ١٣٤
يُباهي الله تعالى الملائكة بخمسة: بالمجاهدين، والفقراء، ٢١٧
يحشر الناس على نيّاتهم ٤٣
يستحب الخلود إلى الفراش على وضوء، ٥٤
يُستدلّ على نُبل الرجل بقلّة مقاله، وعلى تفضّله ١٠٦
يطهّرهم عن كلّ شيء سوى الله تعالى: ١٧
ينبغي لمن عقل عن الله ألا يستبطئه في رزقه، ٢٢٦

فهرس الكتب

ا

آثار الصادقين ٢٧، ٤٠٧
أغاز وانجام ٣٢٠، ٣٩٠
أصول الكافي ٢٧، ٤٠، ٥٨، ١١٢، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٩٩، ٢١٨، ٢٢٦، ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٤٤٧، ٥٢٦، ٥٢٧
أمالي الصدوق ١٢٢، ١٢٥
إرشاد القلوب ٨٥
إقبال الأعمال ٤٩٠
الأربعون حديثاً ٤٩٣
الأربعينات ٢٦١
الأربعينات لكشف أنوار القدسيات ٢٦٢
الأسفار ٤٨١، ٤٨٩، ٤٩٣
الأصفى ٨٧
الإشارات ٢٧، ٣٨٣
الإشارات والتنبيهات ٣٢١، ٣٨٣، ٤١١، ٤٨١، ٥٢٨
الإنسان الكامل في نهج البلاغة ٤٣٥
الإنسان في عرف العرفان ٣٢، ٤٣، ٧٤، ٨٥، ١٠٣، ١٠٤، ١١٣، ١١٥، ١٥٣، ١٩٨، ٢٥١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٧، ٤٧٨، ٥٠٤
الإنسان والقرآن ٣٩٥
البحار ٩٠، ٩٥، ١٠٠، ١١٥، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢١٣، ٢١٧، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٩٥، ٤٤٧، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٥
التذكرة في المبدأ والمعاد ٣٢٠، ٤٨١
الخزائن ٩٤، ١٢٣
الرسالة الذهبية ١٢٢
السير الى الله ٢٠٨
السير والسلوك ١٨٦
الصحيفة الزبرجدية ٤٠٨
الصحيفة السجادية ٢٠٩
الفتوحات المكّية ٤٠٨
الفصوص ٤١٩، ٤٣٣
الفقيه ٩٦

القانون ٣٦
القرآن ١٨، ٢٠، ٢١، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٦٨، ٦٩، ٧٩، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٩٠، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥٠٣، ٥٢٧
القرآن الكريم ١٨، ٣١، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ١٠٩، ١٥٧، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٠، ٢٢٤، ٣٣٩، ٣٦٩، ٣٨٦، ٤٢٣، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٨٢، ٤٨٧، ٥٢٧
القصص العجيبة ٤٧٩
الكافي ٢٦، ٢٧، ٤٠، ٥٨، ٨٩، ٩٦، ١٠٣، ١١٢، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٩٩، ٢١٨، ٢٢٦، ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٩٠، ٤٤٧، ٤٩١، ٥٢٦، ٥٢٧
الكشّاف ٢٢٧
الكلمات المكنونة ٤٤٧
لمجمع ٢٢٧
المراقبات ٤٩٢
المراقبات في أعمال السنة ٤٩٠
المستدرك ٩٠
الميزان ٦٨، ٢٢٧
الهي نامه ٥٨، ٥٩، ٧٩، ٨٩، ٩٠، ١٧٥، ١٩٧، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٦، ٢٤٢، ٣٢٨، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٢٣، ٥٢٥
الوافي ٦٢، ٦٦
الوسائل ١٤، ٦٧، ٨٤، ١٢٨، ١٤٨، ٣٠٩
انسان در عرف عرفان ٤٣، ١٠٣، ٥٢٥
انه الحق ٣٦٨، ٣٦٩

ب

بحار الأنوار ٤٣، ٤٨، ٥٦، ٧١، ١٢٢، ١٢٩، ١٥٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٤، ٢١٧، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٦١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٤٠، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٨٨، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٢٦
بحر المعارف ٤١٨، ٤٧٠

ت

تجريد الاعتقاد ٦٩، ٧٠، ٥٢٧
ترك الإطناب في شرح الشهاب ٣٧
تفسير الميزان ٤٢٢
تفسير الأمثل ٤٩٨
تفسير الصافي ١٠٩

ج

جامع الدعوات ٣٦٠

ح

حياة الحيوان الكبرى ٧٧

خ

خزائن ١٢٣

د

دروس شرح الإشارات والتنبيهات ٤٨١
دروس شرح فصوص الحكم ٤٥١، ٤٦٢
دروس معرفة النفس ٣١٨، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٥٩
دروس معرفت نفس ٢٠٠، ٢١١، ٣١٨، ٥٢٥
دفتر القلب ١٠٣
ديوان ٩١، ٢٠٨، ٢٨٧، ٣١٨، ٣٤٧، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤٣٣

ر

رموز وكنوز ٣٨٧
روح وريحان ١٨٦

س

سرح العيون ١٦٥، ١٨٥، ١٩٨، ٢٦٣، ٤٧٦، ٥٠٩
سرح العيون في شرح العيون ٧٥، ١٤٢، ٣٧٠
سفينة البحار ١٠٤، ١٠٩، ٣٢٠، ٥٢٨

ش

شرح الفصوص ٤٣٣، ٤٦٠، ٤٧٣
شرح القيصري على الفصوص ٣٧٠، ٣٩٢
شرح دفتر دل ٦٠، ٤٦٢، ٥٢٦
شرح فص حكمة عصمتية ١٢٦، ١٩٢، ١٩٣
شرح كتاب مراتب الطهارة ١٤

شرح مراتب الطهارة ٢١

ص

صحة البدن ١٣
صحيح مسلم ٤٦٠
صحيفة إدريس ﷺ ٣٢٧
صور الكواكب ١٩٤

ع

علل الشرائع ٣٧، ٣٨، ٥٢٨
علم القلوب ٧٧
عوالي الثالي ٣٢٠

غ

غاية المرام ٢٢٧
غرائب القرآن ٣٧٠
غرر الحكم ٢٦، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣، ٣٠٣، ٤٥١، ٥٢٧

ف

فرائد السمطين ٢٢٧
فصوص ٤١٩
فصوص الحكم ٢٠٠، ٢٩٧، ٣٢٣، ٣٧٠، ٣٩١، ٤٠٨، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٥١، ٤٦٢، ٤٩٤، ٥٢٥، ٥٢٦
فضائل أمير المؤمنين ٢٢٧

ق

قاموس الأمثال ٣٣٩
قصص العلماء ١٧٨

ك

كامل الزيارات ٢٣٠، ٢٣١

ل

لب اللباب ١٨٦
لسان الصدق ١٨٦
لواعج الأشجان ٦١

م

مجمع البحرين ٣٥٩
مجمع البيان ١٧، ٢٠، ٦٨، ٧٩، ١٨٣، ٥٠٤، ٥٢٦
مجموعه مقالات ٣٤٩
محاسن البرقي ٢٧، ٤٠٧
مرآة الرشاد ١٤، ٥٢٨
مرآة العقول ٣٦٠
مستدرك الوسائل ٣٩، ٥٧، ٩٣، ١٩٩، ٢١٥
مستدرك وسائل الشيعة ٥٤
مصباح الأنس ٣٩١، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٣
مصيبت نامه ٧٨، ٥٢٦
معراج السعادة ١٠٢، ١٠٣، ٥٢٧
مفاتيح الجنان ٥٧، ٧٩، ٢٠٩، ٢١٠، ٣٢١، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٩٦
مفتاح الفلاح ٤٨٨، ٥٢٨
مكارم الأخلاق ٤٥، ١٣٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٩، ٢١٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٥٢٧
مُعدّ الهمم في شرح فصوص الحكم ٤٩٤
منطق الطير ٧٧
منهاج البراعة ٩٢

ن

نامه ها برنامه ها ٣٤٩، ٣٩٦
نصوص الحكم ٣٢٣
نهج البلاغة ٤١، ٧٤، ١٠٠، ١٧٧، ٢٣٢، ٣١٠، ٣١١، ٣٧٢، ٤٣٥
نور الثقلين ٣٧، ٤٢، ١٩٣
نورٌ على نور ٤١٣
نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور ٤١، ٢٣١، ٤١٣، ٥٠٤

و

وحدت از ديدگاه عارف وحكيم ٦٥، ٨٣، ٩٩، ١٠٢، ١٣٣، ١٤٥، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٣٣، ٣٨١، ٤١٧، ٤٣١، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٨١، ٤٨٦، ٥٢٥
وسائل الشيعة ١٣، ١٤، ٣٦، ٥٤، ٦٢، ٦٩، ٨٦، ٩٦، ١٥٢

ه

هزار ويك كلمه ٦١، ١٠٨، ١٩١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٧٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٦، ٤٠٨، ٤٥٢، ٤٥٩، ٤٨٩، ٥٢٥
هزار ويك نكته ١٩، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ١١٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٦٩، ٣٥٩، ٣٦٠، ٥٠٤، ٥٢٥

فهرس الأعلام

ا

آدم ٤٣٥

آدم عليه السلام ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٥٢، ٥٣، ١٠٤، ٣٨٩، ٤١٩

أبا الحسن عليه السلام ٤٢

أبا جعفر عليه السلام ١٩٣

أبا عبد الله عليه السلام ١٥٤، ٢٠٩

أبو عبد الله عليه السلام ٣٦٠، ٤٩٥

أبي الحسن الأول عليه السلام ٢٢٦

أبي الحسن الماضي عليه السلام ٢١٨

أبي الفضل العباس عليه السلام ٢٠٩، ٢٣٣

أبي القاسم ١٧، ٣١

أبي المؤيّد الموفق بن أحمد ٢٢٧

أبي جعفر عليه السلام ٩٦، ١٦٨، ٢٣٣، ٣٠٥، ٣٢٤، ٤٩١

أبي سعيد الخُدري ٤٦٠

أبي صالح ٢٢٧

أبي طالب المكّي ٧٧

أبي عبد الله عليه السلام ١٤، ٣٧، ٥٤، ٦٧، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٦، ١١٢، ١٤٨، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٣، ٢٨٧، ٣٥٩، ٣٩٠، ٤٥٨، ٤٩٤، ٤٩٥

أبي عبد الله الحسين عليه السلام ٢١، ٢٣٠

أبي لهب ٣٩٩

أبي محمد الوابشي ١٥٤

أصحاب الكهف ٢١٧

أمير المؤمنين عليه السلام ١٤، ٢٦، ٤١، ٥٤، ٥٨، ٧٤، ٧٩، ٨٤، ٩٠، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ١١٢، ١٥٤، ١٦٧، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٩، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٨، ٢٨٥، ٣٠٣، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٢، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٧٠

أمير المؤمنين علي عليه السلام ٩١، ١١٩، ١٨٤، ٢٤٩

أمير بازواري ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١

أنس بن مالك ٣٨٥، ٤٩٢

أهل البيت عليهم السلام ٣٥، ٧١، ٢٢٧، ٢٧٨، ٣١٣، ٤٠١، ٤٥٠

أيوب عليه السلام ٣٧٤، ٤٢٠

إبراهيم عليه السلام ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٩، ١٢٥، ١٧٠، ١٩٦، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٧٨، ٤٢٥، ٤٢٦

إبراهيم الخليل عليه السلام ٤١، ٢٧٨

إبليس ٣٨٩

إدريس عليه السلام ٣٢٧

إسماعيل عليه السلام ١٢٩

إلهي الطباطبائي ١٩٧

إمام الباقر عليه السلام ١٤٠

إمام الحسين عليه السلام ٢٣٣، ٤١٤

إمام علي عليه السلام ٢٣٣

ابن الفاري ٣٩١، ٤٦١، ٤٧٣

ابن تركه ٤٨٢

ابن زياد ٤٦٤

ابن سينا ٣٢١، ٤١١

ابن عباس ٣٧، ٢٢٧

ابن عربي ٤٨٢

الأمام الصادق عليه السلام ١٥٦، ٤٨٨

الأمير عليه السلام ١٨٣، ٣٦٧، ٣٧٢

الأمير بازواري ٢٤٨

الإمام الباقر عليه السلام ٦١، ٢٣٣، ٤٧٦

الإمام الحسن عليه السلام ٢٢٤

الإمام الحسين عليه السلام ٦١، ١٠٠، ١٨٧، ١٩٠، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٥١، ٤٥٠

الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ٣٩٨، ٤٤٢

الإمام الخميني عليه السلام ٣٢٦، ٣٣٨

الإمام السجاد عليه السلام ١٥١، ١٨٦، ٣٢٦، ٤٨٩

الإمام الصادق عليه السلام ١٧، ٢١، ٥٦، ٧٠، ٧١، ١٢٤، ١٢٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٧، ١٩٩، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٥٢، ٣٠٩، ٣٧٤، ٤٠٨، ٤٤٧، ٤٥٩، ٤٩٦، ٥٠٨

الإمام العسكري عليه السلام ٢١٦

الإمام زين العابدين عليه السلام ٢٢٦

البحراني ٢٢٧

البروجردي ٤٧٨

التنكابني ١٧٨

الثعلبي ٢٢٧

الجواد ٤٢٧

الحاج محمد كاظم ٤٨٠

الحاج محمد كاظم ٤٨٠
الحسن عليه السلام ٤٢٢
الحسين عليه السلام ١٨٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٤٢٢، ٤٤٢
الحلي ٦٩
الحميني ٢٢٧
الخاتم عليه السلام ١٩، ١١٤، ١٨٣، ١٩٢، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٧، ٤٧٣، ٤٨٠، ٤٨٧
الخضر عليه السلام ١٨٦
الدكتور نوراني ٧٨
الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ٣٨، ٦٢، ١١٥، ١٢٦، ١٨٤، ١٨٧، ٣٦٧
الرضا عليه السلام ٤٢، ١٢٢، ١١٥، ١٧٥
الزهراء عليها السلام ١٢٦، ١٢٨، ٢٢٤
السبزواري ٣٦٠
السيد الرضي ١٧٧
السيد المرتضى ١٧٧
السيد بحر العلوم ٤٩٢
السيد صالح ٤٧٩
السيد محسن الأمين ٦١
السيد محمد حسين الطهراني ٣٣٨
السيد مهدي القاضي ٤٨٠
الشهيد مطهري ٣٣٨
الشيخ أنصاري شيرازي ٩٣
الشيخ الأكبر ٤١٩
الشيخ البهائي ٣٦٠
الشيخ الرئيس ٣٦، ٢٢٤، ٣٢١، ٣٨٣، ٣٨٥، ٤١١
الشيخ المفيد ١٧٧
الشيخ حسين قُلي الهمداني ٣٠٧
الشيرازي ٤٧٩
الصادق عليه السلام ١٧، ٢١، ٤٣، ٥٥، ٥٦، ٧٠، ٧١، ٩٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٩٩، ٢١٥، ٢١٧، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٥٢، ٣٠٩، ٣٣٣، ٣٧٤، ٤٠٨، ٤٤٧، ٤٥٩، ٤٨٨، ٤٩٦، ٥٠٨
الصديقة الطاهرة عليها السلام ٢٢٦
الصفورا ٢١
الصمدي الأملي ٢٢
الضحاك ٢٢٧
الطبرسي ١٧، ٦٨، ٥٠٤
الطهورا ٢١
الطوسي ٦٩، ٣٢٠، ٣٤٧
العارف سعيد القمي ٢٦١
العطّار النيشابوري ٧٧
العلّامة الرفيعي القزويني ٣٦٩
العلّامة الشعراني ٢٤٥، ٣٦٩، ٣٩٠
العلّامة الطباطبائي ٩٣، ١٩٧، ٢٢٧، ٢٤٨، ٢٨٧، ٣٣٨، ٣٤٩، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٥
العلّامة القيصري ٣٧٠
العلّامة علي القاضي ٤٨٠
الغروي الأملي ٤٨٨
الفارابي ٢٠٠
الفيض الكاشاني ٦٢، ٨٧
القاضي ١٨٦
القيصري ٣٩١، ٤١٩، ٤٣٣، ٤٧٣، ٤٨٢
الكاظم ٤٢٧
الكليني ٤٩١
الله ٣، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٧، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣،

٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٢٨

المأمون ٤٢

لمحلـي ٥٦، ٣٦٠، ٥٢٦

المحقّق الداماد ٢٨٥

المنصور الحلاج ٤٩٤

المولوي ٢٦٠، ٢٨٤

الميلاني ١٦٩

النبي ﷺ ١٨، ١٩، ٢٧، ٣٧، ٤٦، ٨٥، ٩٣، ١١٢، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٤، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٦١، ٢٨٥، ٣٠٤، ٣٢٠، ٣٤٩، ٣٦١، ٣٧٣، ٣٩٨، ٤١١، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٩، ٤٧٧

النبي الأكرم ﷺ ٤٦، ٥١، ٣٢٢، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٩٨، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٦

النراقي ٩٤، ١٠٢، ١٢٣، ٥٢٧

النيسابوري ٧٧، ٧٨، ٥٢٩

الواحدي ٢٢٧

ب

بحر العلوم ١٤٧، ١٨٦، ٤٩٢

ج

جابر ٢٨٥، ٤٥٧

جبرائيل ﷺ ١٢٨، ١٧٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٧

جعفر بن محمد الصادق ﷺ ١٠٣

ح

حافظ الشيرازي ٢٧٤

حسن زاده آملي ٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٣٢، ٣٦، ٤٠، ٦٩، ٧٠، ١١٣، ١٦٥، ١٨٨، ١٩٣، ٣٣٨، ٣٤٩، ٣٥٨، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤١٧، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٥٢، ٥٠٣، ٥٢٦

حمران بن أعين ٣٠٥

حوّاء ٣٧، ٤٧

خ

خاتم الأنبياء ﷺ ١١٢، ٣٤٨

خاتم الرسل ﷺ ٤٣٥

خليل ﷺ ٣٩١

د

داود ﷺ ٤٩٥

دستغيب ١٧٨، ٤٧٩

دميري ٧٧

ديوجين الكلبي ١٠٧

ر

رسول الله ﷺ ٣٧، ٦٢، ٧٩، ٨٥، ٩٠، ١٠٠، ١١٢، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٤، ١٦٨، ١٨٣، ١٨٧، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٧٢، ٣٩٨، ٤٠٧، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٧٦، ٤٩٢، ٤٩٥

ز

زكريا ١٢٥

زليخا ٢٤٨

زمخشري ٢٢٧

زينب ﷺ ٤١٤، ٤٦٥

زينب الكبرى ﷺ ٤٦٤

س

سعد الدين الحموي ١٦٩

سفيان بن عيينة ٢٦، ٣٣٣

سلام بن المستنير ٣٠٥

سلمان ٣٣٥

سيد الشهداء ﷺ ١٩٠، ٢٠٩، ٢٣٣، ٣٧٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤١٣

ش

شعيب ﷺ ٣٢٧، ٣٧٠

شيث عليه السلام ٤١٩
شيخ الأكبر ٣٧٠، ٤٠٨
شيخ البهائي ٤٩٣

ص

صادق آل محمد عليهم السلام ١٩، ٥٠٤
صدر المتألهين ٦٩، ١٦٥، ٤٧٦، ٤٩٣
صمدي آملي ١٤

ط

طبرسي ١٢٤

ع

عبد الرحمن الكوفي الصوفي ١٩٤
عبد الصمد الهمداني ٤٧٠
عبد الله بن موسى بن جعفر ١٧٥
عثمان بن مظعون ١٣٤
عزرائيل عليه السلام ٣٧١، ٣٧٢
علامة الطباطبائي ١٨٦، ٤٨٨
علي عليه السلام ١١٩، ١٥١، ١٨٤، ١٩١، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣١٠، ٣١١، ٣٦٠، ٣٧٧، ٣٨٢، ٤١٤، ٤٩٢، ٥٠٩، ٥٢٥
علي بن أبي طالب عليه السلام ١١٩
علي بن الحسين عليهما السلام ١٠٢، ٤٤٢
علي بن الحسين بن علي عليهم السلام ٢٧٥
علي بن محمد بن الجهم ٤٢
عيسى عليه السلام ٣٨، ٣٩، ٦٠، ١٧٢، ١٧٣، ٢٩٥
عيسى بن مريم عليهما السلام ٢١٦

ف

فارابي ٣٢٣
فاطمة عليها السلام ٤١٤

ق

قطب الدين الراوندي ٤٩٢
قيصري ٤٦٠

ك

كميل بن زياد ٧٩، ٤٩٦

گ

گوهر ٢٥٠

م

مازندراني ٥٨، ١٩٩
ملقاني ١٤
مجاهد ٢٢٧
محمد صلى الله عليه وآله ٣٠٥
محمد البهاري عليه السلام ١٤٠
محمد الربيعي ١٦، ٢١
محمد بن علي عليه السلام ٢٣٣
محمد حسن الطباطبائي ٣٦٩
محمد رسول الله ٣٩٩
محمد كاظم ٤٧٩
محيي الدين ٤١٩
مريم عليها السلام ١٢٦، ١٢٧، ٢١٧، ٤٦٥
مظاهري ١٢٨
معاوية ٢٣٣
معلى بن خنيس ٤٩٥
ملا احمد النراقي ٩٤
ملا حسين قلي الهمداني ١٤٧
ملكي التبريزي ٤٩٠
موسى عليه السلام ٣٨، ٣٩، ١٨٦، ٣٧٠، ٤٢٧، ٤٧٥
موسى الكليم عليه السلام ٣٧٠
مير سيّد شريف ٢٠٧

ن

نبي صلى الله عليه وآله ١٩٢
نظام الدين النيشابوري ٣٧٠
نوح ٣٨

ه

هبة الله ٤١٩

ي

يوسف عليه السلام ١٢٦، ١٨٣، ٢٤٨، ٣٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾، نقل أمين الإسلام الطبرسي رحمه الله في تفسيره «مجمع البيان» في ذيل الآية المذكورة من سورة الإنسان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يطهّرهم عن كل شيء سوى الله تعالى؛ إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلا الله».

وقال الطبرسي بعد نقله الحديث: «رووه عن جعفر بن محمد عليهما السلام».

ويستفاد من ذلك أنها منقولة عن جمع غفير من الرواة.

أقول: إن لمعارج الإنسان مدارج امتدّت من فرش العالَم المادّي إلى بطنان عرش عالَم الوجود؛ حتى يسير الإنسان، وبواسطة الطهارة من الفرش إلى العرش، بل إلى فوق العرش، وتلك المدارج هي مراتب القرآن الكريم الذي لا يمسّه إلا المطهّرون؛ وحتى يصير الإنسان إنساناً قرآنياً لا يمسّه إلا المطهّرون أيضاً.

فالشخص الذي يسير بالمدارج القرآنية سوف يرتقي ويصل إلى القرآن الذي قال عنه تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. و«ذلك» إشارة للبعيد، وهو مقام القرآن عند الله تعالى، وبعد ذلك فالإنسان الذي يصل إلى هناك، سيكون ـ أيضاً ـ «لا يمسّه إلا المطهرون»، وهو الإنسان الذي طهّر نفسه بشكل كامل.

فالإنسان القرآني الطاهر لا يمسّه إلا المطهّرون؛ ولهذا نرى أن الكثير من الصحابة الذين لم يكونوا مستعدّين، ولم يكونوا طاهرين قد رأوا النبي صلى الله عليه وآله وربّما استفادوا منه أيضاً، ولكنّهم رأوا ظاهر الرسول فقط، ولم يروا الحقيقة المحمّدية التي فاقت مراتب الملائكة المقرّبين، فلم يمسّوا حقيقته، كما أنهم لم يمسّوا حقيقة القرآن في مراتبه العالية، فكما أن القرآن لا يمسّه إلا المطهّرون، كذلك الإنسان القرآني، الذي وصل إلى نهاية المدارج القرآنية، والمعارج الإنسانية لا يمسّه إلا المطهّرون أيضاً، وهو الذي وصل إلى أعلى مراتب الطهارة؛ ولذلك يُطلَق عليه «الإنسان الكامل»، و«ولي الله الأعظم»، وهذا الطريق للوصول مفتوح الآن ـ أيضاً ـ لكل مشتاقيه، وكلّنا دُعينا ـ بوساطة أولياء الله تعالى ـ إلى تلك المائدة الإلهية المطهّرة. ولاشك في أن مراتب الطهارة تنتهي إلى التوحيد الأفعالي، والصفاتي، والذاتي؛ فتوجب النيل والوصول إلى تجلّي الصفات، والأسماء، والذات، وتلك النهاية للطهارة الإنسانية هي التي قد صدرت عن اللسان المبارك لسلالة النبي صلى الله عليه وآله صادق آل محمد عليهم السلام، وكلامه النوري في الحقيقة هو مُسحة من العلم الإلهي، وقبس من نور مشكاة الولاية والرسالة، ونفحة من شميم رياح جنّة الإمامة.

ISBN:978-600-92453-4-5